سندباد الحكيم

« سندباد نامه »

تعريب

الدكتور أمين عبد المجيد بدوي



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لصاحبها حسن محمد
٩ شارع عدلى باشا

سندباد الحكيم

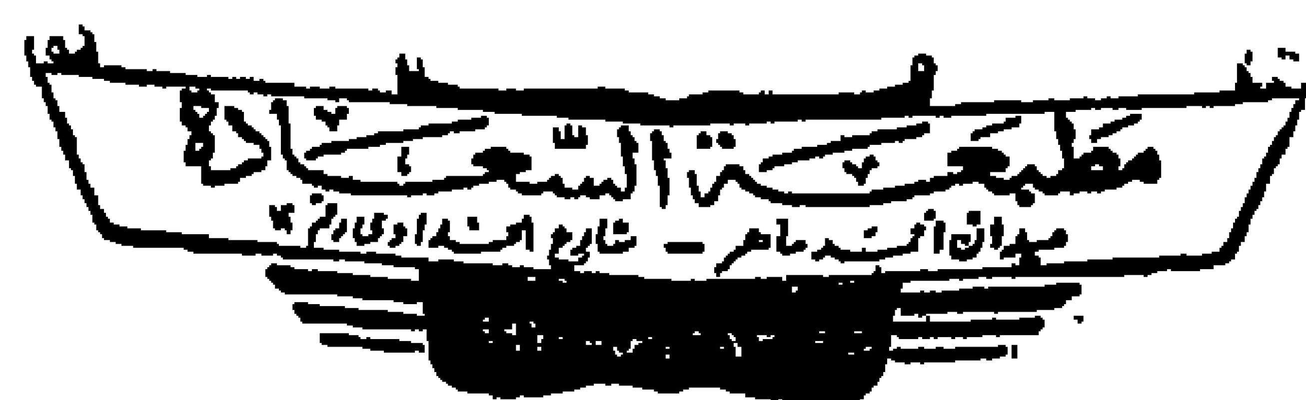
« سندباد نامه »

تعريب

الدكتور أمين عبد المجيد بدوي



ملتزم النشر والطبع
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة


مطبعة السعادة
ميدان أحمد ماهر

تعـــريف بالـكتاب

كتاب سندباد الحكيم :

حديث هزله جد ، وسمره حكمة ، وقصصه عبرة .

أُلِّف بالهندية ، ووعته الفارسية ، ومنها نقل إلى العربية .

يقول عنه القدامى :

صفحاته حافلة ببدائع الفطنة ، وصنائع الفكرة ، وعجائب العقـــل ، وغرائب الفضل ، ونوادر الخاطر ، ونفائس الضمائر .

وهو ماء حياة القلوب الميتة ، وروضة أنس الأرواح الذاوية ، مآثره ومحاسنه ومفاخره ، خارجة عن حد الإحصاء والاستيفاء ، ربيع زاخر بالصور والنقوش ، وحديقة غاصة بالنُّوّار والأزهار .

مقدمة

هذا الكتاب من كتب الأسمار والحكايات المنقولة عن الفهلوية ، ويعرف في الأدب الفارسي باسم « سِندْبادْ نامه » أى كتاب سندباد ، وقد ألف قبل الإسلام بعدة قرون ، وينسب تأليفه إلى حكيم هندى يسمى « سندباد » وقد ذكره المسعودى في كتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر ، المؤلف سنة ٣٣٢ هـ . / ٩٤٣ م . في باب أخبار الهند وملوكها عند حديثه عن الملك « كوش » فقال : وكان في مملكته وعصره سندباد ، وله كتاب الوزراء السبعة ، والمعلم والغلام ، وامرأة الملك ، وهذا هو الكتاب المترجم بكتاب السندباد .

ويقول ابن أبى يعقوب النديم في كتابه الفهرست المؤلف سنة ٣٧٧ هـ . / ٩٨٧ م . ضمن أخبار المسامرين والمخرفين وأسماء الكتب المصنفة فى الأسمار والخرافات ، بعد حديثه عن كليلة ودمنة والاختلاف فى نسبته إلى الهند والفرس : « كتاب سندباذ الحكيم ، وهو نسختان ، كبيرة وصغيرة ، والخلف فيه مثل الخلف فى كليلة ودمنة ، والغالب والأقرب إلى الحق ، أن يكون الهند صنعته » .

ويقال إن النسخة الفهلوية كانت موجودة حتى زمان الدولة السامانية فى القرن الرابع الهجرى ، وقد نقله السيد (خواجه)[1] العميد أبو الفوارس القناوزى إلى الفارسية المبسطة الخالية من الصناعات البديعية سنة ٣٣٩ هـ . / ٩٥٠ م .

(١) هذه الكلمة « خواجه » تنطق « خاجه » ومعناها السيد ، وهى لقب تكريم يلقب به الوزراء وكبار رجال الدولة ، والشعراء والكتاب والأدباء الكبار وذوو الشأن والشوكة .

بأمر الأمير ناصر الدين أبى محمد بن نصر السامانى (٣٣١ — ٣٤٣ هـ . = ٩٤٢ — ٩٥٤ م) رابع الأمراء السامانيين .

وفى نهاية القرن السادس الهجرى جاء الـ « خواجه » بهاء الدين محمد بن على ابن محمد بن الحسن الظهيرى الكاتب السمرقندى ، صاحب ديوان رسائل السلطان طمغاج خاقان[1] سلطان ما وراء النهر* ، فأعاد إنشاء ترجمة أبى الفوارس القناوزى وهذبها بعبارة أدبية فصيحة مزينة بالصناعات البديعية والأمثال والأخبار والحكم والأشعار الفارسية والعربية ، والأحاديث النبوية ، والآيات القرآنية ، وقدمها إلى مخدومه على الصورة التى نقلناها إلى العربية اعتماداً على نسختين ، إحداها مطبوعة فى إسطانبول سنة ١٩٤٨ م . بتحقيق الأستاذ أحمد آتش ، والأخرى طبعت ونشرت فى طهران سنة ١٣٣٣هـ . ش./ ١٩٥٤ م . بمعرفة دارى النشر « ابن سينا وخاور » .

ويقول الظهيرى السمرقندى فى حديثه عن أصل الكتاب ما معناه :

وينبغى أن يُعلَم أن هذا الكتاب كان باللغة البهلوية ، ولم يكن أحد حتى

---

(١) ركن الدين قلج طمغاج إبراهيم بن الحسين من ملوك الأسرة الخانية التى حكمت ما وراء النهر ، وقد حكم قبل آخر ملوك هذه الأسرة وتوفى سنة ٦٠٠ هـ . / ١٢٠٣ م . ويقول عنه العوفى صاحب لباب الألباب ما خلاصته : إنه كان ملكا صالحاً مشهوراً بالحلم والوقار وجمال الخط . وكان يكتب المصاحف بخط كأنه الدر المنثور ، ويعطيها لمجهول ليبيعها ويتقوت بثمنها . وكان ملوك هذه الأسرة يعرفون بـ (الخاقانية) والإيلك خانية وآل آفرسياب ، وقد استمر ملكهم بعد انقضاء أيام الدولة السامانية وقبل حكم المغول ، قرابة ٢٣٠ سنة .

* ما وراء النهر بلاد واسعة كثيرة العمران ، شرقيها فرغانه وكاشغر وغربيها خوارزم (خارزم) وشماليها طاشقند ، وجنوبيها بلخ . « نقلا عن حاشية مقدمة نسخة طهران » .

زمان الأمير الأجلّ العالِم العادلِ ، ناصر الدين أبى محمد نوح بن نصر السامانى — أنار الله مضجعه — قد ترجمه ؛ فأمر الأميرُ العادلُ نوحُ بن نصر الـ (خواجه) العميد أبا الفوارس القناوزى أن يترجمه إلى اللغة الفارسية ، ويرفع ما يكون قد تطرق إليه من تفاوت واختلال ويصلحه . وبتاريخ سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، أجهد الـ (خواجه) العميد نفسه وأعمل خاطره وأتم هذا الكتاب بالعبارة الدَّرِية ، ولكن العبارة كانت مُسِفَّةً جداً وعارية وعاطلة من التزين والتحلى .

ولكن الكتاب مع هذا (صفحاته حافلة ببدائع الفطرة ، وصنائع الفكرة ، وعجائب العقل ، وغرائب الفضل ، ونوادر الخاطر ، ونفائس الضمائر ، وهو ماء حياة القلوب الميتة ، وروضة أنس الأرواح الذاوية ، مآثره ومحاسنه ، ومفاخره خارجة عن حد الإحصاء والاستيفاء) .

وهو (مقصورة حافلة بآسرات القلوب ، وقصور عاجّة بالحور ، ربيع زاخر بالصور والنقوش ، وحديقة غاصة بالنُّوار والأزهار) .

كان الظهيرى السمرقندى فى شوق بالغ إلى أداء خدمة تقربه من مولاه ، ويزجّى الأيام فى ترجية هذه الأمنية ، والتعلل بإدراك هذه البُغية ، ويترقب الفرصة قائلا (لعل الزمان يساعد فى حصول هذه السعادة ، وتسمح الأوقات بإسعاف هذه الحاجة ، ولكن الزمان كان له بالمرصاد ، وظلّ جمال عروس هذا المراد فى حجاب التعذر ، إلى أن أقبلت عليه السعادة آخر الأمر وقالت : اكس تلك العرائس النفائس حُلَّة لا يُخلق جدَّتها تقادمُ الأعوام وتواتر الأيام ، وضع لهذه الأفكار الأبكار حلية لا يستطيع تعاقب الأدوار وترادف الليل والنهار نشرها وتفريقها بعد انتظام الحال ، وطرِّز ووشح ديباجتها بالترصيع والتجنيس ، والتشاكل والتوازن ، والأضداد والأنداد ، ورصع

وكلل تاجها بزواهر جواهر الخطاب الميمون ، ومبارك ألقاب سيد العالم ، الخاقان المعظم ، ركن الدنيا والدين ، أدام الله ملكه ، فأنت البستانىُّ المشذبُ السَّروَ ، والماشطةُ الجاليةُ العروس) .

قال : (فلما رأيت هذه الإشارة ، وسمعت هذه البشارة ، أسرجت رَخْشَ[1] الفكرة ، وأخذت لقطع مسافة هذه البيداء الأهبة . . . وقد حلَّيتُ بالأمثال والأشعار والأخبار والآثار ، تلك الكلم الغرائب ، والحكم العجائب ، التى هى تأسيس قواعد الرياسة ، وتأكيد مبانى السياسة ، ومتضمنة مصالح الدين والدولة ، ومتكفلة بمناجح الملك والملة ، جدها شبيه بالهزل ، وموعظتها موصولة بالحكمة ، ليحظى متصفحو هذا المجموع ، ومتأملو هذه السطور بنصيب ، كل حسب نظره ودقة خاطره ، ويظفر العالم والجاهل بذخيرة على قدر رأيه ورويته ، وتكون فوائدها شاملة الأنام كافة ، وعوائدها حاصلة للعالمين عامة ، ولا يبقى إنسان بغير قسط وافر ، وحظ كامل) .

ولم يقف الظهيرى عند تحلية العبارات بالأمثال والأشعار ، والأخبار والآثار ، بل (كسا تلك الخرائد التى كانت عاطلة من حُلِيِّ البراعة ، وعارية من حلة البلاغة ، لباس الألفاظ وزينها بزينة المعانى) .

* * *

لم تكن ترجمة أبى الفوارس الفارسية العروس الوحيدة التى استسلمت لأيدى مواشط قرائح الكتاب والأدباء الفرس من بعدُ ، لتجلوها من جديد فى ثوب يروق أنظار قارئيهم ، وتهش له أذواق معاصريهم ، بل يبدو أن

---

(١) الـ (رخش) اسم حصان رستم بطل شاهنامة الفردوسى .

الأفكار والمواهب الأدبية فى ذلك العصر ، كانت قد عقمت وقعد بها العقم عن إنجاب الخرائد الأبكار ، فانصرفت إلى خلائف المتقدمين تُجلِّيها تارة أخرى فى هالات من زخرف المحسنات اللفظية والمعنوية ، يجد فيها أصحاب الذخائر اللغوية ، وأرباب الصناعات البديعية ، ميداناً رحباً لصيال أقلامهم وإظهار ما حباهم به الله من ذلاقة اللسان ، وقوة البيان ، فى أداء مختلف المعانى ، والتعبير عن شتى الأغراض والمبانى ، بلفظ جزل رائق ، وأسلوب مشرق شائق . .

* * *

ومن كتب المتقدمين التى صاغها من جديد من جاء بعدهم على غرار كتاب سندباد ، الكتاب المعروف باسم « بختيار نامه »[1] أى كتاب بختيار ، وهو شبيه بكتاب سندباد فى مبناه ، مما جعل المستشرق « هرمان إته Hermann Ethé » يذهب إلى أنه كتب فى العصر الإسلامى تقليداً له[2] . غير أن عنوان هذا الكتاب ومقدمته فى الطبعة التى أخرجتها مجلة أرمغان الفارسية فى طهران سنة ١٣١٠ هـ . ش./١٩٣٢م . يفيدان أن الكتاب من آثار العصر الساسانى ، وقد ترجمه من الفهلوية إلى الفارسية ، شمس الدين محمد الدقائقى المروزى فى حدود القرن السادس الهجرى .

وقد ذكر العوفى صاحب لباب الألباب أيضاً ما يفيد ترجمة الدقائقى لهذا

---

(١) يعرف بختيارنامه كذلك باسم الوزراء العشرة . القصة فى الأدب الفارسى للمترجم ص ٣٢٧ . دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٣ .

(٢) هرمان إته : تاريخ أدبيات فارسى ص ٢٢٣ فقرة ٤٩ — ترجمة دكتر رضا زاده شفق .

الكتاب[١] ، وعن هذه الطبعة ترجمه كاتب هذه السطور إلى العربية ونشرته دار المعارف بمصر تحت عنوان (الأمير بختيار) عام ١٩٧١ م .

والكتاب صغير الحجم بسيط التأليف لا تتجاوز صفحاته ثمانى وثمانين صفحة من القطع الصغير .

فجاء كاتب مجهول الاسم بادى الفضل فى القرن السادس الهجرى كذلك وضخم متن الكتاب بما أضاف إليه من مقدمة وزيادات اقتضتها الصياغة البديعية الجـــــديدة والاقتباسات والاستشهادات المختلفة بالأشعار والحكم والمواعظ والأمثال العربية والفارسية ، والأحاديث والآيات القرآنية ، فصار المتن كما طبعته المؤسسة الثقافية الإيرانية (بُنْيادِ فَرْهنگِ إيرانْ) سنة ١٣٤٨ هـ.ش . / ١٩٦٩م . ستاً وسبعين ومائتى صفحة من القطع الكبير .

ويقول المنشىء فى آخر الكتاب ما معناه : تم ترصيع وتسجيع بختيار نامه . وهذه العبارة الصريحة تفيد أن غرض الكاتب هو إعادة إنشاء الكتاب بأسلوب مرصع مسجوع لإبداء الفضل والبراعة فى هذه الصناعة .

ولم يقف الكاتب عند هذا ، بل غير اسم الكتاب فجعله (لمعة السراج لحضرة التاج) ويقول فى تعليل ذلك : إن الخشب إذا جُوِّف يسمى جُعبة ، والذهب إذا دُوِّر يسمى حلقة ، لأن المادة إذا أخذت صورة جديدة ، تأخذ اسماً جديداً . ولذا أسمى الكتاب بعد هذه الصياغة الجديدة بهذا الاسم الجديد .

---

(١) ص ١٧٩ طبعة الأستاذ سعيد نفيسى عام ١٣٣٣ هـ . ش . / ١٩٥٤ م . طهران — ابن سينا .

وقد أهدى الكتاب على هذه الصورة إلى تاج الدين محمود بن محمد بن عبد الكريم ، صاحب ديوان الاستيفاء ونائب صدر الوزراء فى دولة ما وراء النهر فى زمانه ، وهو المقصود بحضرة التاج فى عنوان الكتاب .

* * *

ونرى فى الفارسية كتاباً آخر لا خلاف فى نسبته إلى الفرس ، أصابه ما أصاب « بختيار نامه » من تغيير الرسم والاسم . وقد ألف هذا الكتاب باللهجة الطبرية فى خلال القرن الرابع الهجرى على ألسنة الوحوش والطيور والإنس والجن والشياطين ، ومؤلفه هو الأصفهبذ مرزبان بن رستم بن شروين ابن پريم أحد ملوك طبرستان من آل پاوند ، ومن هنا عرف فى الفارسية باسم (مرزبان نامه) أى كتاب مرزبان . وأقدم المصادر التى ورد فيها ذكر هذا الكتاب (قابوسنامه)[1] المؤلف بين سنتى ٤٥٧ ، ٤٦٢هـ.=١٠٦٤—١٠٦٩م. فقد جاء فى مقدمته على لسان مؤلفه الأمير عنصر المعالى وهو يعرف ولده گيلانشاه بنسبه (وجدتك أمى ، كانت بنت الأمير مرزبان بن رستم بن شروين مصنف مرزبان نامه)[2] .

ثم تاريخ طبرستان لابن اسفنديار المؤلف سنة ٦١٣ هـ./١٣١٦ م . يقول ابن اسفنديار فى حديثه عن حكماء طبرستان ما معناه : (والإصفهبذ مرزبان بن رستم ابن شروين بن پريم مؤلف مرزبان نامه على ألسنة الوحوش والطيور والإنس والجن والشياطين) .

---

(١) ترجمت هذا الكتاب إلى العربية بالاشتراك مع أستاذى المرحوم محمد صادق نشأت سنة ١٣٧٢ هـ ./١٩٥٢ م . ونشرت مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة هذه الترجمة بعنوان : كتاب النصيحة ، المعروف باسم قابوسنامه ، سنة ١٣٧٨ هـ ./١٩٥٨ م .

(٢) ص ٤٧ — الترجمة العربية .

فى سنة ٥٩٨ هـ . / ١٢٠١ م . ترجم (مرزبان نامه) إلى الفارسية ، محمد بن غازى الملطى ، من أهل مَلَطْيَة ، وهى إحدى بلاد آسيا الصغرى ، وتقع شمالى حلب وجنوب سيواس ، وكان أول أمره كاتباً ثم وزيراً لسليمان شاه قلج أرسلان بن مسعود بن قلج بن سليمان بن قتلمش بن سلجوق من ملوك سلاجقة الروم (٥٨٨ — ٦٠٠ هـ . = ١١٩٢ — ١٢٠٣ م)[١] .

لم يتقيد الملطى بأصل الكتاب بل أباح لنفسه إنشاء ترجمته بأسلوب عصره المسرف فى استخدام الصناعات اللفظية ، وقد صرح بذلك فى قوله ما معناه (وقد طُلب كتاب من تصانيف أرباب الدهـــاء وأصحاب البهاء ، شامل المطلوب ، مكمل المرغوب ، فعثر على مرزبان نامه ، وهو من تصانيف أعقاب قابوس بن وُشْمگير[٢] ، مشحون بغرائب الكياسة ، ومعجون بعجائب السياسة ، مشتمل على دقائق المُلك ، ومحضُون بحقائق الرياسة ، لكنه كان عاريا من حلية العبارة ، وعاطلا من زينة الجهارة ، معانيه درر لطيفة مرصعة فى الصدأ ، وسبحة ملقاة فى المستراح ، فقلت : يجب أن يُعطى هذا الجمال تجميلا ، وأن يُمنح هذا الكمال تكميلا ، إذ ينبغى للملاحة مثل هذه العروس وشاح لائق ، وحسن هذا الحبيب للروح شِنف موافق)[٣] .

ولم يكتف الملطى بالتصرف فى الترجمة على هذا النحو ، بل غير اسم الكتاب كذلك فأسماه (روضة العقول) ويقول فى تبرير ذلك ما معناه :

(وهناك عادة قديمة ، وقاعدة معهودة ، هى أنه عندما يأتى الولد إلى الوجود ،

---

(١) القصة فى الأدب الفارسى للمترجم . ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

(٢) هــذه الكلمة الفارسية « وشمگير Vos hm « G« eer » معناها صائد السمان .

(٣) القصة فى الأدب الفارسى ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

يضع الأب له اسماً ، فإذا امتدت مدته ، يعهد به إلى المعلم لتهذيب الشمائل وتحصيل الفضائل ، وحين يرى المعلم كمال فطانته ، وشمول فراهته ، لا يرضى بالاسم الذى وضعه أبوه ، ويمنحه لقباً ليشتهر فى الأقطار ، ويذكر فى الأخبار بذلك اللقب ، وأنا أيضاً ، لما وجدت مرزبان نامه — مع هذه المعانى اللطيفة والمبانى الشريفة — عاريا من حلية العبارة ، وعاطلا من زينة الجهارة ، عقدت له حلية ليأمن — ما بقى العالم — من البذاذة ويسلم من الرثاثة ، ولهذا السبب لقبته بروضة العقول)[١] .

فهو يرى مرزبان نامه وليداً أسماه أبوه بهذا الاسم ، وجعل من نفسه المعلم الذى هذب هذا الوليد وكمله ، فأصبح من حقه أن يخلع عليه اللقب اللائق بتهذيبه وكماله .

وجاء سعد الدين الوراوينى بعد ذلك بحقبة من الزمان فنقل الكتاب أيضاً من الطبرية إلى الفارسية بين سنتى ٦٠٧ ، ٦٢٢ هـ / ١٢١٠ ، ١٢٢٥ م . دون أن يغير اسمه ، وإن تصرف فى عبارته وزينها بالأشعار والأمثال الفارسية والعربية على طريقة السمرقندى فى (سندباد نامه) والملطى فى (روضة العقول) .

وسعد الدين الوراوينى هذا ، من فضلاء العراق العجمى* ، وينسب إلى قرية (وَراوى) وهى كما يقول ياقوت (بلد صغير فى جبال أذربايجان بين أردبيل وتبريز)[٢] .

* * *

(١) القصة فى الأدب الفارسى للمترجم . ص ٣٤١ ، ٣٤٢ .

* العراق العجمى هو ما عدا خراسان من أرض إيران .

(٢) القصة فى الأدب الفارسى للمترجم ص ٣٤٤ . دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م .

وقد عرفت العربية (مرزبان نامه) على يد الشيخ شهاب الدين أحمد ابن محمد بن عربشاه ، الحنفى الدمشقى[1] . فقد نقل هذا الكتاب إلى العربية مرتين ، صرح فى إحداهما بأنه ترجمه ، وقد أبقى على اسمه (مرزبان نامه) كما هو . وفى المرة الثانية ادعى تأليفه ونسبه إلى شخصه ، وغير وبدل فى عناوين أبوابه ، وأسماه (فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء) دون تحرج ، ولم يتقيد بالنص الفارسى فى كلا الحالين ، بل أباح لنفسه التصرف فيه على هواه بالحذف والزيادة ، وأضاف إليه ما راقه من الأشعار والمواضيع .

وطبعة الكتابين فى مصر ، فى منتهى الرداءة ، وغاية فى البذاذة .

* * *

وفى سنة ٥٣٩ هـ . /١١٤٤ م . قام نظام الدين أبو المعالى نصر الله بن محمد ابن عبد الحميد الكاتب ، بنقل ترجمة ابن المقفع العربية لكليلة ودمنة إلى الفارسية ، امتثالا لأمر بهرام شاه الغزنوى ، وجعل هـــذه الترجمة باسم بهرامشاه ، فعرف الكتاب فى الفارسية باسم « كليله ودمنهٔ بهرامشاهى » أى كليلة ودمنة البهرامشاهى .

وعبارة هـذه الترجمة تـكاد تـكون خالية من التـكلف والتصنع ؛ وهى متأثرة إلى حد كبير بتركيب الجملة العربية ، ولـكنها مع ذلك لا تطابق النص العربى تمام المطابقة ، ومزينة بالأشعار العربية والفارسية والآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والجمل والأقوال المأثورة ، مثل الرزق على الله ، من ذهب ماله هان على أهله ، عز الرجل استغناؤه عن الناس ، كما هو ملحوظ فى باب الحمامة المطوقة على سبيل المثال .

---

(١) توفى سنة ٨٥٤ هـ . / ١٤٥٠ م . ويقول القزوينى ، كما يصرح ابن عربشاه فى آخر مقدمة ترجمته ، إنه ترجمه عن التركية . « مقدمة مرزبان نامه ص يه » .

وليس فيما بين أيدينا من آثار ابن المقفع ، سواء فى كتابه كليلة ودمنة بطبعاته العربية المختلفة ، أو فى كتابَيْه الأدب الصغير والأدب الكبير ، شىء من هذا القبيل .

وفى ذلك يقول أبو المعالى ما معناه : (وفى الجملة ، لما قصرت رغبة الناس عن مطالعة الكتب العربية ، وبقيت تلك الحكم والمواعظ مهجورة وكأنها درست تماماً ، خطر ببالى أن تُتَرجم مع إشباع فى بسط الكلام وكشف إشاراته ، وتؤكد بالآيات والأحاديث والأبيات) .

ومعنى هذا أنه فضلا عما أضاف إلى الكتاب من الآيات والأحاديث والأشعار والحكم والأمثال ، قد لجأ إلى الإطناب والشرح كذلك ، وهذا يقتضيه بطبيعة الحال أن يزيد على الأصل المترجم ما ليس منه فى شىء .

***

ولم تسلم ترجمة أبى المعالى الفارسية بدورها من التشذيب والتهذيب ، والتغيير والتبديل ؛ ففى نهاية القرن التاسع الهجرى ، وفى زمان السلطان حسين ميرزا بايقرا حفيد تيمور ، تناول حسين الواعظ الكاشفى ، هذه الترجمة وأخرجها فى ثوب جديد ، فحذف منها بعض الفصول ، وزاد فيها بعض الحكايات ، وغير فى عناوين الأبواب ، وأحل الأشعار الفارسية مكان العربية ، ونقّح عبارتها وبسّطها ، وأهداها إلى نظام الدولة الأمير الشيخ أحمد السهيلى ، أحد أمراء السلطان حسين وسمّاها (أنوارِ سُهَيْلى) أى الأنوار السهيلية[1] .

***

---

(١) القصة فى الأدب الفارسى للمترجم . ص ٣٢٤ .

ولم يمض على ذلك قرن من الزمان ، حتى هُذِّبت ترجمة أبى المعالى للمرة الثانية ، فقد أمر أكبر شاه ملك الهند ، المؤرخ المعروف ، أبا الفضل بن مبارك شاه ، بأن يكتب كليلة ودمنة من جديد بأسلوب أبسط من أسلوب (أنوارِ سهيلى) ويعيد إليه ما حذف منه ، ويعتمد فى ذلك على ترجمة أبى المعالى .

وأصبح الكتاب فى صورته هذه يعرف باسم (عيارِ دانِش) أى عيار المعرفة[1] .

* * *

من هذه الأمثلة التى سقناها ، يتضح أن الصناعة البديعية — بمحسناتها اللفظية والمعنوية — قد أصابت مرتعــاً خصيباً فى صياغة الآثار الأدبية الفارسية ، وإخراجها من جديد فى ثوب مطرز وموشى بحلاها وزخارفها ، وأن الأمر لم يكن مقصوراً على كتاب سندباد أو (سندباد نامه) الذى أقدمه لقراء العربية باسم « سندباد الحكيم » قطب الرحى الذى حوله تدور حكايات الكتاب المنسوب إليه والمسمى باسمه .

وقد قاسيت فى تعريب هذا الكتاب ما قاسيت ، من جراء إسراف منشئه فى استخدام هذه الصناعة ، وتحرى التقيد التام بالأصل الفارسى دون إخلال بسلامة الأسلوب العربى ووضوح التعبير ، بقدر ما فى الترجمة الصادقة الأمينة من وُسع ، وبحيث لا يفوت القارئ العربى غير تلك الصناعات اللفظية ، التى تتوارى تلقائياً عند نقل أى أثر أدبى من لسان إلى لسان ، مضيفاً إلى ذلك ما وسعه جهدُ المقل من حواش وتعليقات قد تُثرى هذه الترجمة ، التى اعتمدت فيها على نسختى طهران وإستانبول ، المشار إليهما فى صدر هذه المقدمة .

---

(١) القصة فى الأدب الفارسى للمترجم . ص ٣٢٦ .

وكان بين هاتين النسختين خلاف فى بعض المواضع ؛ فكنت آخذ فى ترجمتى بما جاء فى إحداهما ، مشيراً فى الحاشية إلى ما جاء بالنسخة الأخرى مع ترجمته أيضاً ، اللهم إلا فى الحالات التى لا يؤدى فيها اختلاف اللفظ إلى اختلاف المعنى .

ولا يفوتنى أن أنبه القارىء العربى ، إلى أن الإشارات فى الحواشى إلى أماكن الآيات القرآنية من سورها ، ومصادر الأحاديث النبوية ، والأمثال والحكم ، والأشعار الفارسية والعربية ، وأوزان الأبيات المذكورة فوقها فى متن الكتاب ، منقولة من نسخة استانبول التى حققها العالم الجليل الأستاذ أحمد آتش ، عليه الرحمة ، وليس لى فيها غير النقل واستدراك السهو .

وقد حدا بى ذكر أوزان الأشعار فى أعلاها ، إلى ذكر الأبيات الفارسية فى المتن لا فى الحاشية — كما هو متبع — مع إردافها بترجمتها .



وإذا انتهينا من الحديث عن النص إلى الموضوع ، نرى أن كتاب السندباد قصة لها بداية ونهاية ، تستوعب بينهما حكايات هادفة ، يرويها أشخاصها فى مناسبات ومشاهد مختلفة ، ومجموع هذه الحكايات هو مادة القصة وقوامها ، فهى أشبه شىء بسنبلة مستحصدة ، أو رمانة حان قطافها ، تقوم على حب متراكب لا تكون بغيره سوى هشيم تذروه الريح ، أو قشر لا غناء فيه .

أو هى فى صورة أخرى نظامُ عقد ينتظم حبّاته ، فإذا انفرطت وتبددت هذه الحبات ، لا يكون غير خيط زهيد .

أشخاص هذه القصة : الملك كورديس وزوجته وابنه ، ووزراؤه السبعة ،

وسندباد الحكيم ، وجارية وحاضنة ، ومؤدب وفلاسفة ، وحكماء وندماء ، ومنجمون .

وكان الملك كورديس ملكا عادلا فاضلا ، يقرب الحكماء الأفاضل ، والندماء الكملة ، ويقضى الأيام مع عقلاء العالم وفضلاء بنى آدم ، قد نبذ الشهوات والمحرمات وقصر ساعات العمر على استباق الخيرات والعمل لما بعد الممات . ولكنه لم يكن له عقب يرثه ، فكان من أجل ذلك فى هم دائم وفكر شاغل ، ولسان حاله يقول : رب لا تذرنى فرداً .

ووقفت إحدى مخدراته المقربات على سر همه وتفكيره ، فأقبلت عليه تواسيه بحسن حديثها ، وتهون من هذا الأمر وتبعث فيه الأمل فى فضل الله ، ونصحته بالتقرب إلى مولاه بالصدقات ونوافل الطاعات ، والصلاة والدعوات . وتقبل الله أعماله وسمع ابتهاله ، فمن عليه من هذه المخدرة بغلام وسيم ، فى أحسن تقويم ، تلوح على جبينه مخايل النجابة ، ففرح به الملك وزاد فى الصدقات وأكثر من فعل الخيرات شكراً لفاطر الأرض والسماوات ، وأمر الحكماء والمنجمين أن يكشفوا عن طالع الغلام ، فأخبروه بأنه سيكون خير تذكار لملوك أسرته ويحيى اسمهم العظيم بالسيرة الحميدة والأخلاق المرضية ، ولكنه بعد انقضاء بضع سنين من عمره ، يعرض له خطر ينجو منه ، ولا يحط أدنى غبار على صفحات كماله ، ولا يرى أى مكروه .

وعندئذ أحضروا له ظئراً مستقيمة البنية ، معتدلة الهيئة ، لطيفة الطبيعة ، كريمة الجبلة ، لإرضاعه وتربيته . وفى الثانية عشرة من عمره عهد به أبوه إلى مؤدب لتعليمه وتأديبه ، ولكنه ظل عشر سنين لا يستطيع تعلم شىء ، فضاق الملك ذرعاً بذلك ، وأحضر الفلاسفة وشاورهم فى أمر الغلام . فاختاروا من بينهم سبعة يتولون أمر تعليمه ، وجلس هؤلاء السبعة ثلاثة أيام بلياليها

يتشاورون بينهم أمرهم ؛ وانتهوا إلى أن هذا الصبي لا يرجى منه شيء بعد أن ظل عشر سنوات لم يتقبل طبعه تعليماً ولا تلقيناً ، وأعلنوا يأسهم منه . ولكن كبيرهم ، وهو سندباد الحكيم قال لهم : إن النحس كان متصلا بطالع الغلام طوال هذه الأعوام ، وتنبأ بزوال هذا النحس ، وقبل أن يأخذ على عاتقه أمر تعليمه جملة العلوم ، فأقروا له بالفضل وتركوا له الانفراد بتعليم الأمير وتأديبه . وفى أثناء هذا الحوار قص عليهم سندباد حكايتين تطابقان هذى الحال[1] .

وعكف سندباد مدة على تأديبه دون جدوى ، فغضب الملك ، وعاتبه على ذلك ، فأجابه سندباد بأنه لم يقصر فى حقه ، ولكن الأمور مرهونة بالتقادير لا بالتدابير ، واستشهد على ذلك بقصة الفيال وشاه كشمير[2] .

وتعهد سندباد من جديد أن يتم تعليم الأمير سائر العلوم خلال ستة شهور ، فعجب منه الوزراء والندماء ولاموه على ذلك قائلين : كيف تعلمه فى ستة شهور مالم يستطع تعلمه طوال هذه السنين ؟

هدأت ثائرة الملك ، وخرج سندباد وأمر ببناء بيت مكعب ، كتب ورسم على سطوحه المختلفة كل أنواع العلوم والفنون ، ثم أمر الأمير أن يطالعها على سبيل المواظبة فى ستة شهور .

كان الأمير يرى الأشكال والصور بقوة البصر ، ويسمع دقائق العلوم ولطائف الحكم بحاسة السمع ، حتى حفظ وضبط فى هذه المدة ، جملة الفوائد .

ولما انقضى الأجل المضروب ، قال له سندباد : غداً أصحبك إلى أبيك

---

(١) ١ — حكاية القرد والثعلب والسمكة ، ٢ — حكاية الذئب والثعلب والجمل .

(٢) ٣ — حكاية شاه كشمير مع الفيال .

لتعرض محصلاتك ، وتظهر محفوظاتك ، وتبين وتقرر استحقاقك لمناصب الملك ومراتب الدولة .

ثم نهض سندباد ووضع الأصطرلاب ، وظل ينظر فى درجات طالع الأمير ، فرأى النحس والخطر يتهددانه إلى سبعة أيام متصلة . فتحير سندباد وقال للأمير : إذا تكلمتَ فى هذه الأيام السبعة مع أى مخلوق ، سيكون فى ذلك خطر عليك ، وإذا صحبتُك ، تعرضتُ لعقوبة الملك ، والمصلحة أن أتوارى أنا طيلة هذه الأيام ! واختفى لتوه .

وفى اليوم التالى ، حين أصبح الصباح ، مثل الأمير بين يدى الملك صامتاً لا يجيب على أى سؤال ، وحمل الملك والحاضرون ذلك على الخجل ، ورأوا إرساله إلى الحريم عله يأنس بمن فيه وينطلق لسانه .

وكان فى حريم الشاه جارية رائعة الجمال تعشق الأمير وتتمنى وصاله ، فجاءت إلى الملك وعرضت عليه أن تصحبه إلى حجرتها ، خاصة وأنها هى التى تولته بحنانها بعد موت أمه .

فلما خلت به طارحته الهوى ، وراودته عن نفسه ، ومنته بالجلوس على عرش أبيه بعد أن تسمه ، إذا بادلها دواها ووعدها أن يكون لها دون سواها .

ثار الأمير وأنسته سورة الغضب نصيحة معلمه سندباد ، فصاح فيها مهدداً متوعداً بإنزال أقسى العقاب بها على هذه الخيانة لمولاها ، بعد انقضاء الأيام السبعة .

ندمت الجارية على تسرعها فى مكاشفة الأمير بهذا الأمر الخطير قبل أن تستوثق منه ، وأدركت أنها هالكة لا محالة بعد انقضاء هذه الأيام إن لم تحتل هى فى هلاكه قبل انقضائها .

فدخلت على الملك باكية شاكية ، وقد خمشت وجهها وقطعت شعر رأسها ومزقت ثيابها ، واتهمت الأمير بالاجتراء عليها ومراودته لها ومكاشفتها بهيامه بها ووعده إياها بأنه سيكون لها وحدها بعد أن يتخلص من أبيه بقتله بالسم . فغضب الملك واستدعى الجلاد لقتل ولده .

انتهى هذا الخبر إلى الوزراء ، فاجتمعوا للتشاور على عجل فى كيفية تخليص أميرهم من هذه المحنة التى لا يأمنون أن تعمهم بعد أن يثوب الشاه إلى رشده ويندم على قتل وحيده ووارث عرشه . ونبههم الوزير الأكبر إلى أن الملك سيلقى عليهم تبعة جريرته حين يستولى عليه الندم لأنهم لم ينصحوه ولم يثنوه عن عزمه . وحكى لهم فى هذه المناسبة :

٤ — حكاية المرأة والكبش والفيلة .

واستقر رأى الوزراء السبعة على أن يدخل كل منهم على الملك فى يوم ويحذره من عاقبة الإقدام على قتل الأمير ويروى له حكاية عن مكر النساء وغدرهن وسوء عاقبة التسرع فى الأمور والعمل بأقوالهن ؛ إلى أن تنقضى أيام الخطر السبعة .

فكان كل وزير يدخل على الشاه فى يوم وبعد الدعاء وتمهيد المقدمات يحكى له حكايتين فى غدر النساء ومكرهن وسوء عاقبة التسرع والإصغاء إليهن .

وكانت الجارية تدخل على الملك فى اليوم التالى لتنقض ما أبرمه الوزير فى اليوم السابق ، وتحذره من التراخى فى إمضاء العزيمة والتوانى فى حسم الأمور والإصغاء إلى وزراء السوء ، وتحكى له حكاية فى ذلك .

وسارت الأمور على هذا المنوال طيلة أيام الخطر ، ينقض الوزير ما تبرمه الجارية ، وتنقض الجارية ما يبرمه الوزير ، إلى أن انكشفت الغمة وانطلق

لسان الأمير من عقاله ، فدخل على أبيه يصحبه كبير الوزراء ، ويفرح به الملك ويجمع الحكماء والندماء والوزراء لمحاورة الأمير والوقوف على عقله وفضله ، ويقص الأمير على أبيه حكايته مع الجارية ، ويحكى ست حكايات تناسب المقام : (٢٥ — ٣٠) .

ثم أمر الشاه بإحضار الجارية وشتمها وعنّفها ، وسأل وزراءه وندماءه فيما يجب إنزاله بها من قصاص ، وكان كل منهم يشير بعقوبة ، وهنا تقف الجارية خاشعة ذليلة مقرة بجرمها وتحكى حكاية تناسب حالها (٣١) .

ثم سأل الملك ولده ، فأشار بحلق شعرها وتسويد وجهها وإركابها حماراً أسود والتشهير بها فى المدينة ، وكان ما أراد .

والتفت الملك إلى سندباد مثنياً عليه ، شاكراً له ما بذله من جهد شاق فى تهذيب الأمير وتعليمه ، وجرت بينهما محاورة روى فيها سندباد ثلاث حكايات (٣٢ — ٣٤) .

ثم عاد الملك فسأل ولده كيف تعلم كل هذه العلوم فى هذا الوقت القصير ؟ فيجيبه بما يثلج صدره ، ويروى له كلمات مكتوبة على جدار قصر أفريدون .

وتنتهى القصة باعتزال الملك ملكه وتفرغه للعبادة وتولية الأمير مكانه . وقد بلغت الحكايات التى احتوتها القصة ، التى هى موضوع كتاب سندباد ، أربعا وثلاثين حكاية ، رويت فى مجالس ومناسبات مختلفة ، وكأنها المقامات فى أدبنا العربى ، حتى ليحق لنا أن نسميها مقامات سندباد[١] .

***

(١) فى كتابى « القصة فى الأدب الفارسى » دراسة أوفى لكتاب سندباد ، فليرجع إليها من يطلب الاستزادة .

وقد رأيت زيادة فى إفادة قارئ هذه الترجمة العربية لكتاب سندباد ، أن ألحق بآخرها كتيباً ذيّل به الأستاذ المحقق أحمد آتش ـ رحمه الله ـ نسخته المتقدم ذكرها ، تحت عنوان ترجمتُه : (سندباد نامه العربى باللغة العامية) .

والكتيب ، كما يراه القارئ ، يقع فى إحدى وأربعين صفحة فقط من القطع المتوسط ، ويضم إحدى وعشرين حكاية ، تختلف عن نظائرها فى (سندباد نامه) الفارسى فى التفاصيل والوقائع ، والحكاية رقم (١٧) من بينها ، لا وجود لها بالنسخة الفارسية . وقد ذكر الأستاذ المحقق أنه نقل هذا النص عن مخطوط مقيد بمكتبة شهيد على باشا « باستانبول » تحت رقم ٢٧٤٣ .

وعنوان الكتيب فى أول صفحة به : (حكاية الملك المتوّج مع امرأة الملك والحكيم السندباد والسبع وزراء وحكاية كل واحد منهم) وبآخره عبارة تفيد أن ناسخ المخطوطة التى نُقل عنها اسمه : قائم بن عبد الله السّيفى آرغون شاه الجلبانى ؛ وأنه فرغ من نسخها فى مستهل صفر الخير من شهور سنة أربعين وتسعماية[١] .

وعربية هذا النّص خليط من ألفاظ عامية دارجة ، وألفاظ فصحى غير مقيدة بقاعدة نحوية أو صرفية أو إملائية ، وتنتهى القصة فيه بالعفو عن الجارية .

ولم أتدخل عند النقل فى الصياغة ، واكتفيت بوضع همزات القطع فوق الألفات ، والنقط فوق الحروف التى كانت ترسم فى الكلمة الواحدة المكررة تارة معجمة وتارة غير معجمة .

***

وأرى لزاماً علىّ فى ختام هذه المقدمة أن أنوه بفضل أخ كريم ، جمعت بينى وبينه المشاركة فى ترجمة كتاب تاريخ بخارى للنرشخى[٢] ، فعرفت فيه

---

(١) ١٥٣٣ م .

(٢) نشرت دار المعارف بمصر هذه الترجمة ضمن مجموعة ذخائر العرب سنة ١٩٦٥م .

عن كثب ، عالماً متواضعاً ، يتحدث عنه علمه وفضله وأدبه ، ولا يتحدث أبداً عن نفسه ، ذلك الأخ الصديق ، هو الأستاذ نصر الله مبشر الطرازى ، خبير الفهرسة والتصنيف ، ورئيس الفهارس الشرقية بدار الكتب والوثائق القومية .

كنت فى أثناء ترجمتى لهذا الكتاب ، إذا ترددت بين أكثر من رأى إزاء عبارة تحتمل التأويل ، أستأنس برأيه ، لثقتى عن خبرة فى تمكنه اللغوى ، وسلامة ذوقه الأدبى ، فى تذوق النص الفارسى . وكنت ـ فى الأعم الأغلب ـ أركن إلى الرأى الذى يميل إليه وآخذ به ، فله منى كل شكر وتقدير .

***

وأخيراً أرجو أن أكون قد قدمت لقراء العربية بهذه الترجمة خدمة أدبية تتناسب مع ما بذل فيها من جهد جهيد ، والله الموفق ؟

٥ رجب سنة ١٣٩٢ هـ .	دكتور أمين عبد المجيد بدوى
١٤ أغسطس سنة ١٩٧٢ م .	النزهة — مصر الجديدة

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الكتاب

الحمد والثناء للمُكْرِم الذى أنشأ حُجرة خلوةِ العاشقين من حَجْلة الليلِ البهيم ، والشكر والمنة للموجد الذى أوجد مرحلة طالبى دار الكون والفساد من بياض النهار المنير ، مجن وجه التمر مدحُوٌّ بقلم قدرته ، وسيف الشمس مسلول من غمد الصباح بإرادته ، القادر الذى لا يحط غبار الزوال على جمال كماله ، والكامل الذى لا تأخذ يد النقصان بذيل جلاله ، لا تنتهى خطرات الخواطر إلى ساحة جبروته ، ولا تصل خطوات الضمائر إلى سياحة مساحة ملكوته ، شيد بناء قصر السماء المشيد ، ولم يكن ثم آلة وأداة ، وخاط قباء الزمان الزمُرُّدى المُعْلَمَ[1] ولم يحتج لخياط ومقراض ، أوصل جوهرَ الماء إلى جِرْمِ النار بواسطة الحرارة ، وأرسل جسمَ الهواء إلى مركز الثرى بواسطة البرودة ، أسْكَن هيولى[2] النارِ المحيطَ بحكم الخفة واليبوسة ، وجعل جوهر التراب مجاوراً المركزَ بعلت البرودة واليبوسة ، وحرّك وسيَّر الآباء السبعةَ

---

(١) كناية عن صفحة السماء .

(٢) الْهَيُولَى والهَيُّولى بتشديد الياء مضمومةً ، القُطن ، وشبَّه الأوائلُ طينةَ العالَم به ، والنسبة إليه هَيُولِىٌّ وهَيُولانِىٌّ ، والجمع هَيُولِيَّات ، أقرب الموارد.

هَيُولَى : كلمة يونانية ومعناها المادة ، والعنصر الأول من كل جسم مادى . فرنود سار .

العلوية[١] فى اثنى عشر منزلا[٢] ، وأوجد للأمهات الأربع السفلية[٣] مَقَرا ومَفَرا فى صميم العـالم العلوى ، وبامتزاج البخار والدخان فى فضاء الهواء ، أوجد الرعد والبرق والسحاب والرياح والشهاب ، وبازدواج هاتين المادتين اللطيفتين ، خلق الجواهر والمعـادن والفِلِزّات فى قلب الحجر الكثيف ، ثم أبدع من زبدة لطائف الأُسْطُقُسّات[٤] الأربعة ، ثلاثةَ مواليد[٥] ، وفطر أجناس وأنواع الحيوان ، واصطفى الآدمىّ من بين أنواع الحيوان وأصناف الأحياء ، وصيره زبدة الموجودات وفهرِسْتَ المخلوقات ، كما قال : وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً[٦] . وجعله المتصرف والمالك لكل المركبات السُّفلَى على الإطلاق ، وخوله تنفيذَ الأمر وتمليكَ النّهى ، وبعث الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، من أجل مصالح المعـاد ومناظم المعاش وترتيب البـلاد وتنظيم العباد . وأمر بإبلاغ الرسالة وإظهار الدلالة ، وبعث بالرسالة على ألسنتهم بطريق الوحى والإلهام ، ووضع قوانين الشرائع على خلاف الطبائع ، وأمر بالطاعة والعبادة

---

(١) الآباء السبعة العلوية هى السيارات السبع : ١ – زحل ٢ – المشترى ٣ – المريخ ٤ – الشمس ٥ – الزُّهَرَة ٦ – عطارد ٧ – القمر .

(٢) الإثنا عشر منزلا هى البروج الإثنا عشر : ١ – الحمل ٢ – الثور ٣ – الجوزاء ٤ – السرطان ٥ – الأسد ٦ – العذراء ٧ – الميزان ٨ – العقرب ٩ – القوس ١٠ – الجدى ١١ – الدلو ١٢ – الحوت .

(٣) الأمهات الأربع السفلية هى العناصر الأربعة : النار والماء والتراب والهواء .

(٤) الأسطُقسات: جمع أسطقس، وهى كلة يونانية معناها العُنصر، والأسطقسات الأربعة : هى العناصر الأربعة المتقدم ذكرها .

(٥) ثلاثة مواليد كناية عن الحيوان والنبات والجماد .

(٦) السورة رقم ٦ (الإسراء) الآية ٥٩ .

بالعدل والسياسة ، كما قال : وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ[١] .
وبيّن العلم والحكمة والشريعة والطريقة ، من أجل إحكام واستحكام قواعد عقائد العقلاء ، وتأكيد وتمهيد أساس مبانى أعمالهم وأفعالهم ، كما قال الله تعالى عز وجل : وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ[٢] . ومنح العقل والاجتهاد من أجل تقديم وعقاب المفسدين ، وقمع وتأديب المعتدين ، وزجر وكبت الجاهلين ، وأمر بالغزو والجهاد بالعقل والاجتهاد ، وأرسل الكتابَ والسيفَ ، كما قال تعالى عز شأنه : لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ[٣] .
الكتابُ : العقل ، والميزان : الاجتهاد ، والحديد : السيف ، لينظر العقلاء فى إعجاز القرآن ، ويعرفوا شواهد القدرة ودلائل الصّنعة والحكمة بالعقل والحكمة والقياس والمجاهدة ، ويمتنعوا عن سيرَ الأفعال الذميمة وصور الأعمال غير المرضية ، ويخاطبوا الجُهال سيئى المآل أولا بالحجة ثم يعرضوا السيف ، لأن الجاهل لا يخشى العذاب الآجل بلا عقاب عاجل ، ولا يجتنب تهييج الفتنة والتحريض على الفساد .

شعر (كامل)

الظلم من شيم النفوس فإن تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم[٤]

***

(١) السورة الحادية والخمسون (الذاريات) الآية ٥٦ .
(٢) السورة السادسة (الأنعام) الآية ٥٩ .
(٣) السورة السابعة والخمسون (الحديد) الآية ٢٥ .
(٤) البيت للمتنبى .

ولما كان غير خاف على الحكمة الأزلية والعناية السرمدية ، أن السلطنة مع النبوة والسياسة مع الرياسة واجبة ، لأن العالمَين متفاوتو القدر فى المنازل والمعارج والمراتب والمدارج ، ولا يفيد القلم بغير السيف ولا العلم بغير العمل .

شعر (متقارب)

صلاحُ العِبادِ ورشدُ الأمَمْ * وأمنُ البريّة من كلِّ غَمْ
بشيئـــين مالهــــما ثالثٌ * بِخَرْقِ الحُسَامِ ورِفقِ القلَمْ

* * *

فقد قوّى الدينَ بالملك ، ورتّب الملك بالدين ، وصيرّ كلا منهما بالآخر ثابتاً ، ومُحكما ومستحكما ، وأمر بعد امتثال الأوامر والنواهى الإلهية ، بالارتسام(١) والانقياد لأولى الأمر ، وسوّى طاعتهم ومطاوعتهم بتحرى رضائه ورضاء أنبيائه الذين هم نوابه المطلقون، حيث يقول: أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِى الْأَمْرِ مِنْكُمْ(٢) . فمن هنا يتبين أن الدين بغير الملك ضائع ، والملك بغير الدين باطل، وقد قال النبى عليه السلام: "الدين والملك توأمان . ويقول كشتاسف . Goshtasf الذى كان واسطة قلادة أكاسرة العجم وكبار إيران : الدين بالملك يَقْوَى والملك بالدين يَبْقَى(٣) . وإذا لم تكن مهابة السيف مقارنة

---

(١) الارتسام = الامتثال والإنقياد ، يقال : رسم له كذا فارتسمه ، أى أمره به فامتثل أمره .

(٢) ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، السورة الرابعة (النساء) الآية ٥٩ .

(٣) هذه العبارة وردت فى الأصل بالعربية وتبعتها هذه الترجمة الفارسية (دين بملك قوى كردذ وملك بدين پايدار ماند)

ومصاحبة لمتانة القلم ، وإذا لم يكن أمَلُ الجزاء والثواب على أعمال الخير ، وخوف المجازاة والعقاب على أفعال الشر ، لبطل نظام العالم والعالمين ، وانحرف عن سَمْتِ الاستقامة ، ولما رغب مخلوق فى تقديم الخيرات وادخار الحسنات ، وحين تبقى قواعد الدين مختلة ، ومراسم السياسة مُبْهمة ، تزول الديانة والصيانة، وتختل وتتبدد قواعـد العفاف والاستعفاف ، وتتراجع عقائد الضمائر على الإطلاق ، وتتبعثر وتتفرق مناظم العبـــاد ومصالح البلاد من سلك النّظْم والانخراط ، ويتلاشى تنظيم وترتيب البلاد والسكان ، وتصبح الأمور منوطة بالبأس والقوة والقدرة والطاقة ، وتسود (القاعدة)[1] من غلب سَلَب ، ويصدق :

شعر (متقارب)

وما السيف إلا لمن سَـــلّه * ولم يزلْ الملكُ فيمن غَلَبْ

* * *

فبموجب هذه المقدمات الواضحة والقضايا اللائحة ، يظهر أن السيف والقلم والدين والملك توأمان ومتلازمان .

شعر (كامل)

فإذا هما إجتمعا لنفس مُرّةٍ * بلغت من العلياء كل مكان[2]

* * *

(١) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل وأضيفت للتوضيح .

(٢) هذا البيت للمتنبى ويرد تالياً لبيت قبله على النحو التالى :

وكما أن الانقياد لأولي العزم من فرائض العقل ، فإن الامتثال لأولي الأمر من لوازم الشرع ، وكما أمرَ الأنبياء والرسلَ بتبليغ الرسالة ، وإفشاء الدلالة وإظهار المعجزات ، أمرَ الوُلاةَ والسلاطين باستعمال العدل واستظهار الفضل ، كما قال : إنَّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحسان[1] .

وكما أن للأنبياء مراتبَ ، فإن للوُلاة والأمراء مدارجَ ، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، الذى كان هادما لبنيان الشرك ، وبانيا لقواعد الإسلام ، وبه تمهد أساس الدين والدولة ، وتأكدت مراسم المُلك والمِلّة ، يقول : أسعد الرعاة منْ سعدت به رعيته[2] (أسعد السلاطين من يكون الرعايا منه فى ظل العناية والرعاية ، وكنف العصمة والحماية ، ويتيم أتباعه فى جوار الأمن والحمى المنيع ، وفِناء التخفيف والترفيه .) وقد قال النبي عليه السلام : السلطان ظل الله فى الأرض يأوى إليه كل مظلوم[3] . (يقول : السلطان ظل شمس رحمة الخالق على بسيط الأرض ، يعنى : مَحْرورُ وبُحْران يرقان الظلم ، ومرموضو الجور ، وظمأى تَمُوز[4] الحرمان ، يعيشون فى ظل رأفته وساحة مَعْدِلته ، وسياحو بادية الحرمان فى هاجرة الهِجْران ، ينهلون زُلال النوال من منبع عدله ومنهل فضله ويقولون :)

= الرَّأيُ قبلَ شجاعةِ الشُّجعانِ * هوَ أولُ وهى المحلُّ الثانى

فإذا هُما اجتمعا لنفسٍ (حُرَّة) * بلغَتْ مِنَ العلياء كل مَكانْ

(٢) إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون . السورة (١٦) النحل آية ٩٠ .

(٣) ، (٤) العبارتان وردتا فى الأصل بالعربية وأردفتا بشرح فارسى ترجمناه بين قوسين .

(٥) تموز هو شهر يوليو من شهور الصيف .

شعر (طويل)

فما بفقيرٍ شامَ برقَكَ فاقةٌ * ولا فى بلادٍ أنت صَيِّبُها مَحْلُ[1]

شعر (خفيف)

١ — أى يمينِ تو مَشربِ حاجات * واى يسارِ تو مَكسب آمال
٢ — در بيانت يتيمهٔ فُضلا * در بنانت وليمهٔ اِفضال[2]

والمعنى :

١ — يا من يمينك مشرب الحاجات ، ويا من يسارك مكسب الآمال !
٢ — فى بيانك يتيمة الفضلاء[3] ، وفى بنانك وليمة الإفضال .

* * *

وبما أنه صار مُبَرهناً بهذه المتدمات ، أن أفضل الأنبياء من أُنزل عليه الكتاب والشريعة ، فقد تعين بهذه القضايا ، أن خيرَ السلاطين مَن توفَّرت به سُورة الفضل وصُورة العدل ، وصار ظاهراً أن أولى الأمر يَرْجحون سائر أصناف الناس ويمتازون عليهم ، بأن لهم إشاعة العَدْل وإفاضة الأمن والفضل .

شعر (كامل)

لولا العقولُ لكانَ أدْنَى ضيغم * أدنى إلى شَرفٍ من الإنسانِ[4]

* * *

---

(١) البيت للمتنبى .
(٢) البيتان لمؤلف الكتاب .
(٣) يشبه بيان الفضلاء بالدور اليتيم .
(٤) البيت للمتنبى .

ويكون هذا نعتُ أخلاقه ووصف ذاته[1] :

شعر (طويل)

عوارِفُه أغنت وأقنت فلم تذر * على الأرض بالإعدامِ والله عارفاً

* * *

بيت (متقارب)

دِرَمْ از كفِ او بنزع اندَرْست * شهادت ازآ نَستَشْ اندر دهان

أى :

الدرهم من كفه فى النزع ، والشهادة لذلك فى فمه[2]

* * *

فيتحتَّم أن يكون أكثرُ العباد إقبالا وسعادة ، وأكثر المحبين شفقةً ، هو من يواظب فى طاعتهم ومطاوعتهم بقدر الاستطاعة وإمكان الطاقة ، ويُزيِّن سوابق حقوق الإنعام والإكرام ، بلواحق مزيد الشكر ، ويقدم من المساعى الحميدة والمآثر المرضية والمشكورة ما يتسع له وطاء وُسْعه وإناء قُوَّته ، ليصيرَ مُترشِّحَ مزية إحماد سلطانِ زمانه ، ومتوشِّحَ مزيد اعتماده ، وتظهرَ نباهةُ قدره ، ورُجحانُ فضله ، وينالَ الصيتَ السَّائر والذِّكر الشَّائع ، ومن أجل ذلك قالوا :

---

(١) الضمير المفرد فى كلمتى ذاته وأخلاقه عائد على خير السلاطين .

(٢) يريد أن الدرهم بسبب سخاء كف ممدوحه فى حالة النزع والاحتضار ولذلك يردد الشهادتين بفمه .

شعر (طويل)

على العبدِ حقٌ فهو لابُد فاعلُه * وإن عَظُم المولَى وجلّت شمائلُهُ

* * *

في مدح السلطان

والحمدُ والمنةُ لله تعالى الذى زيَّن خُطة الإسلام بجمالِ عدْلِ وكمالِ فضلِ أعدلِ الملوك وأفضلِ السلاطين ، خاقان العالم ، العادلِ الأعظم ، الملكِ المؤيد المظفَّر ، المنصورِ المعظَّم ، شرفِ ملوك الأمم ، ومولَى الترك والعجم ، ظهيرِ الإمام ، نصيرِ الأنام ، ضياء الدولة ، بهاء الملة ، ملجأِ الأمة ، جلالِ المُلْك ، تاجِ ملوك الترك ، رُكن الدين والدنيا ، غياثِ الإسلام والمسلمين ، قاطع العداة ، والمتمردين ، ظلٌّ الله فى الأرضين ، سلطان أرض الشرق والغرب ، الب قتلغ تنكا بلكا ، أبى المظفر قلج طمغاج ، خاقان بن قلج قراخان ، برهان خليفة الله ، ناصر أمين المؤمنين ، أعز الله أنصاره ، وضاعف اقتداره ، وطنَّب وقوَّم سرادق جلاله وحشمته بطناب التأييد ، وأوصل ملكه الموروث والمكتسب إلى الوارث الأهل المستحق ، وأطلع شموس الإنصاف وبدور الانتصاف من مشارق ممالكه ومطالع مسالكه ، وأجرى فيض الأمن والسلامة من منابع عدله ومشارع فضله ، فى نهر مُلكه ودولته ، وصير مثالَ أوامره ونواهيه ، نافذاً ومطلقا وآمرا ومتصرفا فى خطة الدنيا وأقاليم العالم ، حتى أدخل المتعرضون المملكة ، والمتمردون على الدولة رءوسهم فى جيب العزلة ، واحتبى(١) المتقون والمصلحون بذيل الأمن والعافيه ، وفتحت عروس

---

(١) الترجمة الحرفية : ووضع المتقون والمصلحون أرجلهم فى ذيل الأمن والعافية . والاحتباء يشبه هذا ، وهو أن يجلس الرجل القرفصاء ضاما ركبتيه إلى صدره واضما =

المُلك والدولة فهما مثل الوردة بابتسامة الإنصاف ، وأغلقت أبواب الظلم والجور على الرعايا بمسمار الانتصاف ، واشترك البازى والحجلة فى عُش واحد ، وعاشر الباشقُ العصفورَ فى منزل واحد ، واستراحت أعجازُ الحمر الوحشية من براثن الأسود ، وتخلصت حلوق الدراج من مناسر البزاة .

شعر (كامل)

والعدل مد على الأنام جناحه * فعلى الحمامة لا يصول الأجدلُ

شعر (مجتث)

١ — زانتصاف وز انصافِ او شِگِفتى نيست
ذواتِ مِخلَب اگرحبهٔ حمام كشذ
٢ — سَگانِ صيدِ ورا چون قلادهٔ نوبا يذ
زيالِ شير بروزِ شكار خام كشذ

والمعنى :

١ — لا عجب من انتصافه ومن إنصافه ، إذا حملت ذوات المخلب الحب إلى الحمام .

٢ — حين يلزم كلاب صيده قلاده جديدة ، يأخذ خامها يوم الصيد من لبد الأسد .

* * *

سحبت عواطفه شملَ الرحمة على أكناف المتظلمين ، وفتحت لواطفه

= قدميه فى طرف ذيله . المترجم . احتبى بالثوب احتباء اشتمل به ، وقيل جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ليستند ، إذ لم يكن للعرب فى البوادى جدران تستند إليها فى مجالسها . أقرب الموارد .

أبواب الرأفة على المظلومين ، أرخت صحيفة السلطنة بتاريخ هذا السلطان ، وزينت جريدة الإنصاف بتلم عدل هذه الدولة ، وهذا نفسه غيض من فيض ، وجزء من كل ، كما قال الشاعر :

عقيبَ هذا الرَّش سيل دافعٌ * ووراء هذا النَّبت روض يانعٌ
وكذا الكتائب تلتقى لقراعها * ولها أمام الالتقاء طلائعٌ

* * *

وبالشوكة والدولة القاهرة ، لازالت مضيئة المَعلَم راسخة العَلَم ، سُلكت وَعُيِّنت مناهجُ العدل التى ظلّت غير مسلوكة ، ومحجةُ الإنصاف التى درست تماما وأمّحت بمواطأة أقدام الظلم ، وعاد نظام المملكة ورونق الدولة إلى القرار المعهود والرسم المألوف ، واستقرا واستمرا على قواعـــد السداد وأساس الإحكام ، فلا جرم أن تسير القلوب فى هواه على قدم المحبة ، وتعتمد الأرواح فى ولائه الخواصر بنطاق الخدمة . وعتائد ضمائر العباد المخلصين ، وشواهد سرائر الناصحين المشفقين ، فى كل ساعة أكثر إحكاما ، وفى كل لحظة أكثر استحكاما على أن يبقى أساس هذه الدولة أبد الدهر ، وأن يلوذ قصر هذه المملكة المشيد — لازالت معمورة الأطراف والأركان ، محمية الأكناف والبنيان — من يد حوادث الفترة إلى جوار العصمة والسلامة ، ويزيد إقليم إيران فى بسيط توران ، وتتحلى خُطبة وسِكّة ومَنابر بلاد الآفاق ، بالألقاب والخطاب العالى .

شعر (كامل)

خطبتك أبكار البلاد وعونها * فإليك من دون الملوك سكونها
جاء القرآن وبشّرت آياته * بزيادة فى الملك هـــذا حينها
حمل ثنـــاءك فى المهامه عيسُها * ونوت ولاءك فى البحار سفينها

يا محييَ الأمم التى ابيضت لهم * بحياته سـود الخطوب وجونُها
وعلى المنـــابر كلها يدعى له * فى الصالحات وخلفها آمينها
لازالت فى نِعَمٍ يدوم ربيعهـا * أبداً ويبقى فى العيـون مَعينُهـا

شعر (خفيف)

١ — خُسْروا مُلك برتو خُرَّم باذ * كل گيتى ترا مُســـلَّم باذ
أيها الملك ليـكن الملك نضيرا عليك ، ولتـكن كل الدنيا مسلَّمة لك .

* * *

٢ — از تو آبادِ ظـلم ويران گشت * بتو بنيـاذ عـــدل محـكم باذ
لقد تخرَّب بك عامر الظلم ، فليـكن أساس العدل محكما بك .

* * *

٣ — خُطبه تعظيم يافت ازنامت * هم چنين سـال ومه مُعظَّم باذ
لقد عظُمتْ الُخطبة باسمك ، فليـكن العام والشهر مُعظمان كذلك .

* * *

٤ — بيمينت چو مُلك داذ يسار در يســـار تو خاتم جم باذ
وكما أعطت يسارُكَ الملكَ ليمينك ، فليـكن خاتم جَم(١) فى يسارك .

* * *

٥ — وانچ در مُلك جم نبوذ ترا * همـــــه زير نگين خاتم باذ
وما لم يكن فى ملك جمشيد ، ليـكن كله تحت فص خاتمك .

* * *

(١) جم ترخيم اسم جمشيد . وهو ملك إيرانى أسطورى يشبه سليمان عليه السلام فى سعة ملـكه وتسخيره الإنس والجن .

٦ — چترِ ميمون همّتِ اعـــلات * ســـايه دارِ سپهر اعظم باذ

لتكن مِظلّةُ همتك العليا الميمونة ، مِظلّةَ للفلك الأعظم .

***

٧ — بردلى كزتو خال عصيانست * همه كارش چوزلف درهم باذ

والقلب الذى عليه خال عصيانك ، ليكن كل أمره مضطربا مشوشا كخصلة الشعر .

***

٨ — تا كم وبيش درشمـــار آيذ * دولتت بيش ودشمنت كم باذ

وما دام النقص والزيادة فى الحسبان ، لتكن دولتك فى زيادة وعدوك فى نقصان .

***

وكما يضع سكان الأرض رءوسهم على السُّدَّة المقدسة العالية ، ستضع نيِّرات العالم العلوى جباهها على تراب الجناب الميمون ، أوامر ونواهى هذا المَلِكِ العالى النسب ، الشريف الحسب ، نافذة على الإطلاق فى البر والبحر واليابس والرَّطب، والذِّروة والحضيض من العالم ، بحيث إذا أراد ، يحرِّك أمرُه الأرضَ ، ويرد نهيهُ الزمانَ عن الحركة :

شعر (كامل)

ذو طلعة لو قابلت شمس الضحى * سجدت لها من هيبةٍ وجَلالِ

شعر (مجتث)

١ — اگر بچرخ بر از چرخ او نمونه كنند

نمونه ناطـــح انوار گردذ واجرام

لو جعلوا على الفلك مثالا من فلكه ، لنطح المثال الأنوار والأجرام .

٢ — تنش بخاید شاخ دو شاخهٔ ناهیـــد
زهش بمالد گوش دوگوشـــهٔ بهرام

يلوك جسدُه قرن ناهيد[١] ذا الشعبتين ، ويعركُ وترُه أذُنَ بهرام[٢] ذات الزاويتين .

* * *

٣ — زرشک أو بخمد پشتِ صاحب خرچنگ
زسهم او برمـــد هوشِ راکب ضرغام

يتقوس ظهر صاحب السرطان غيرة منه ، ويجفلُ عقل راكب الضرغام من هَوْله .

* * *

حزمه الذى هو مُنهى العالم العلوى ، مخبّر عن مغيبات ومكنونات القدر ، وعزمه الذى هو طليعة عسكر القضاء ، يدرك اليومَ الفائت :

شعر (خفيف)

كلما ســـل من عزائمه * صـــارما ، أرعِشَت يد القدر

بيت (خفيف)

زان سوى چرخ اگرت نيست خبر * حزم راگو برو خـــبر باز آر

والمعنى :

---

(١) ناهيد اسم كوكب الزهرة .
(٢) بهرام اسم كوكب المريخ .

إذا لم يكن لك علم بما وراء الفلك ، فقل للحزم امض وأت بالخبر .

***

من مسرعُ عزمه على الفلك فاختص بسرعة السَّير ، ووصلت جُرعة حزمه الأرضَ فسكنت واستقرت ، وامتزج الهواء بلطف طبعه فخُصَّ برقة المزاج ، وتأثر فلك الأثير بعلو همته فتجاوز المحيط ، ودعت السماء لشكل سُدّته الرفيعة ، فأخذت شكلا كُرِيًّا ومستديراً ، وأثنت الشمس على لون وجه ضميره ، فصار جِرمُها بذلك شفافا ومستنيرا :

شعر (رَمَل)

١ — شكل درگاهِ رفيعش را دعا كرد آسمان
شكل او شد أفضل الأشكال وهو المستدير

٢ — رنگ رُخسارِ ضميرش رائنا گفت آفتاب
لونِ او شد أحسن الألوان وهو المستنير[1]

والمعنى :

١ — دعت السماء لشكل سُدّته الرفيعة ، فصار شكلها أفضل الأشكال وهو المستدير .

٢ — وأثنت الشمس على لون عارض ضميره ، فصار لونها أحسن الألوان وهو المستنير .

***

(١) البيتان للأنوري .

وعرق السحاب عرق التشوير فى حُمَّى الخجل من بنان سحاب سيرته ، فقال : أمطار المطر .

بيت (كامل)

لم يَحكِ نائلَك السحاب وإنما * حُمَّت به فصبيبها الرُّحَضَاء[1]

* * *

وصار قلب الجبل دما من حُمَّى سخائه فقال : أصنع الياقوت الأحمر ،

بيت (مضارع)

از تابِ جودِ او ، چو دلِ كوه خون گرفت
آوازه در فكند كى ياقوتِ احمرم

والمعنى :

لما دَمِىَ قلب الجبل من حُمَّى جوده ، صاح قائلا : أنا ياقوت أحمر .

* * *

وكما أن خاتم الأنبياء وزبدة الأصفياء ، محمدًا المصطفى عليه الصلاة والسلام — مع أنه تقدم على الأنبياء الآخرين بفضيلة المزية وبالرتبة — جاء إلى الوجود آخِراً وفى الزمان مؤخرا ، فكذلك ملك العالم وقدوة بنى آدم ، ركنُ الدنيا والدين قلج طمغاج خاقان بن مسعود بن الحسين — أدام الله جلاله — وإن يكن (جاء)* على إثرِ الملوك الماضيين ، فإنه بالخصائل الحميدة والفضائل المرضية راجح (عليهم)* بالمقدمات اللائحة ، والبراهين الواضحة ، مثل

---

(١) البيت للمتنبى .

* الكلمتان اللتان بين الأقواس ليستا فى الأصل وزيدتا للتوضيح .

رجحان الشمس على السُّها ، ومزية النهار على الليل ، وفضيلة الوجود على العدم ، ولو أنه مؤخر فى سلسلة الزمان ، فإنه مقدم على هندسة العالم .

بيت (هزج)

در سلسلهٔ زمان مؤخر * برهندسهٔ جهان مقدم[1]

والمعنى :

مؤخر فى سلسلة الزمان ، مقدم على هندسة العالم .

***

ولما زين الله تعالى هذه النعمَ السوابقَ بلواحق الكرم ، وأطلع وأشرق شمس جلال ملكه من مشارق إقبال الفتح وآفاق كماله ، حتى صارت دنيا مواتِ الإنصاف ، وموتى المعدلة حية بماء حياة إحسانه وإكرامه وإنعامه ، واكتسبت أشجار شط نهر الكمال الشاهنشاهى رونقاً وطراوة من مدد أمطار فضله ، (و)[2] بسط العالم لسانه بهذه التهنئة :

شعر (وافر)

لقد حَسُنت بك الأوقات حتى * كأنك فى فم الزمن ابتسام[3]

بيت (هزج)

جهانرا بارِ ديگر شد نشان وصورت وسيما

بعدلِ شاهِ نامآور ، جهانِ عدل شذ پيدا

(١) البيت للأنورى .

(٢) هذه ال (و) بالأصل ، وهى زائدة ولا يستقيم بها الكلام .

(٣) البيت للمتنبى .

والمعنى :

لقد صار للدنيا مرة أخرى ، شارة وصورة وسيما ، وظهرت دنيا العدل بعدل الشاه الشهير .

* * *

وكل سائل فتح فمه كالوردة فى بلاطه ، وضع جام الذهب على كفه كالنرجس وحمل طشت النضار ، على رأسه كالورد .

شعر (وافر)

أقامت فى الرقاب له أيادٍ ＊ هى الأطواقُ والناسُ الحمامُ[1]

شعر (هزج)

١ — برهر ذره‌اى كه درجهانست ＊ منت دارذ هزار خـــروار

٢ — بى دفترِ مُلك او زمانه ＊ ازپشت ، شكم كنذ چوطامار

والمعنى :

١ — له على كل ذرة فى الدنيا ، ألف حمل من المنن .

٢ — والزمان بغير دفتر ملكه ، يجعل بطنه خلفه كالطومار[2] .

* * *

حيثما أجرى غمامُ حسام برق سيرته سيلَ الدماء ، نبت من جذر الأرجوان غصنُ الزعفران ، وحيثما ارتعى سيفه الذى على صورة ورقة الكراث ، رءوس خصوم الملك فى المرج ، أزهر ورد الأرجوان من غصن الزعفران ، وقد جعلت

---

(١) البيت للمتنبى .

(٢) أى ينقلب .

نار سيفه الساطع القاطع من البحر صحراء ، ومن جيحون بيداء ، وجعل ماء سنانِهِ قابضِ الأرواح ، من الصحراء بحراً ومن البيداء جيحونا ، وقال له لسان الزمان :

شعر (هزج)

١ — ازين پس باذ بانِ ابر در خون آشنا كردى
اگر حكم شهنشــــاهى فرو نگذا شتى لنگر

٢ — شــــذى طشتِ فلك پرخون زحلق دشمنان شه
زمين چون گوى قصادان كه درغلتذ بخون اندر

والمعنى :

١ — لو لم يُلقِ الحكمُ الشهَنْشاهى المرساة ، لسبح شراع السحاب في الدماء بعد هذا .

٢ — ولصار طشت الفلك مملوءا بالدماء من حلوق أعداء الشاه ، وصارت الأرض مثل كرة القصّادين التى تتدحرج فى الدم .

* * *

وشواهدُ هذه المعانى اللائحة ، ودلائلُها الظاهرة ، بسيطُ صحراء رباط إيلك ، حيث أولم خصومُ الملك والدولة ، والمتعدون على خطة توران ، فى سنة ست وخمسين وليمة للوحوش وسباع الطير من جماجمهم يوم المعركة .

شعر (مجتث)

أبصروا الطعن فى القلوب دِراكا * قبل أن يبصروا الرماح خيالا[1]

---

(١) البيت للمتنبى .

شعر (هزج)

١ — آنرا كه درين خلاف باشد * گو رو بمصاف شاه بنگر
٢ — تامغز مخـــــالفانش بينى * خرمَن خرمَن بكوه و كُر[١]

والمعنى :

١ — قل لمن يخالف فى هذا ، اذهب إلى موقعة الشاه وانظر .

٢ — حتى ترى أمخاخ مخالفيه ، كومة كومة فى الجبل والسفح .

* * *

ومُنذ جعل بختِه اليقظان كل أجزائه عيوناً كالمشعلة ، لم تر عين الحوادث خيال الفتنة فى ليالى الفترة ، ومُذ صارت دولته اليقظى بكل أعضائها وجوها مثل الشمع ، لم تشاهد عينُ الإقبال ظهرَ النصر[٢] فى مضمار الفتح . وكل من فتح فمه كالتنور بمدحه والثناء عليه فى دولته ، صار كل جسمه لساناً كالشمعة ، وكل أعضائه فماً كالزهرة ، وكل من صار ذا عشرة ألسُنٍ كالسَّوْسَنة ، وذا وجهين كزهرة الشقائق ، سل زمانه بالخنجر القاطع لسانه من قفاه كالبنفسجة ، ولوَّن قباءه من دم الخنجر كالشقائق ، وقال للزمان بلسان الحال :

بيت (خفيف)

در مصافِ قضا بخونِ عدُوَّش * تا بشمشير بنـــد گلگون باد[٣]

---

(١) البيتان من قصيدة العمادى التى قالها فى مدح السلطان طغرل بن محمد السلجوقى (الراوندى)

(٢) أى لم يولها النصر ظهره .

(٣) البيت للأنورى .

والمعنى :

فليكن فى معركة القضاء وردىّ اللون بدم عدوه حتى حِمالةِ سيفه .

* * *

بنانه تلك البحار التى إذا صعدت البخار ، لا تخرج يد شجرة الدُّلب[1] بدون ذهب .

بيت (مضارع)

دستِ چنـــــار بى زر هرگز بيرون نيايد
ابر ار بيـاذِ دستِ توبارذ زآسمـــان نم[2]

والمعنى :

لا تخرج يدُ الدُّلبة بلا ذهب ، إذا أمطر السحاب من السماء طَـلاًّ بذكرى يدك .

* * *

ولا تبقى عين النرجس العمياء بلا بصر ، ويصير لسانُ السَّوْسَن الأخرس ناطقاً .

بيت (هزج)

شـوذ بينـا بديذار تو چسم اكمـهِ نرگس
شـوذ گويا بمدحِ تو زبانِ اخرسِ سوسَنْ .

---

(١) الدلب كقفل : شجر عظيم عريض الورق لا زهر له ولا ثمر ، واحدته دلبة . ويسمى فى الفارسية (چنار ـ تشنار ـ Chanar) لأن الجيم المثلثة فى الفارسية تنطق مثل Ch فى الإنجليزية .

(٢) البيت للأنورى .

والمعنى :

عين النرجس العمياء تصير مبصرة برؤياك ، ويصير لسانُ السوسَنِ الأخرسُ ناطقاً بمدحك .

* * *

إذا خِيض وشُرِع فى محامدِ أخلاق ومآثر أعراق هذا المَلِكِ الميمونِ السيرة ، المبارك السريرة ، لا يصل الابتداء إلى انتهائه ، ولا تنتهى بدايته إلى نهايته ، وتظل أوائله قاصرة عن أواخره .

شعر (هزج)

١ — در مدح تو هرچه بيش كوشم * انديشه نمى شوذ مُـدوَّر
٢ — عاجز شوَم و فرو گذارم * نيـكو باشـذ سُخَن مُقَشَّر (١)

والمعنى :

١ — مهما أكثرتُ الاجتهاد فى مدحك ، لا يصير الفكرُ مُدوَّرا .
٢ — أعجز وأقصر ، ويَحسُنُ أن يكون الكلام مُقَشَّرا .

* * *

وتلك المساعى الحميدة ، والمآثر المرضية الكثيرة التى لملوك هذه الأسرة المباركة فى خطة ممالك توران ، وعلى الخصوص فى بسيط هذه الدولة ، من تقديم الخيرات وادخار الحسنات ، وآثار العدل وإظهار الفضل ، يعجز القلم عن تقريرها وتحريرها ، ويقصُر بنانُ البيانِ عن تمثيلها وتصويرها .

---

(١) هذان البيتان من قصيدة العماد فى مدح السلطان طغرل بن محمد السلجوقى (الراوندى) .

شعر (طويل)

ولمـاَّ رأيتُ الناسَ دونَ محِلِّهِ * تيقنت أنَّ الدَّهرَ للناسِ ناقدُ[١]

* * *

وحين انتقل سيد العالَم من هذه الدار إلى الدار الآخرة[٢]، وظلت هذه الخطة زمانا طويلا بغير وارث ومستحق ، وكان المتعدون يتصرفون فيها بحكم كثرة سوادهم ، وقد صُفع كلٌّ منهم على قفاه ولقي جزاءه آخر الأمر ، وصل بحمد الله الحق إلى مستحقه ، والمُلكُ إلى ملك العالَم العادل ، والسلطنة إلى السلطان القاهر القادر واستقرت عليه ، وأَطْلَقَتْ السماء لسانَها بهذه التهنئة وقالت :

شعر (خفيف)

١ — مُلك بر پادشاه قرار گرفت * روزگار آخر اعتبار گرفت

استتب المُلك للشاه ، وأخذ الزمان اعتباره آخر الأمر .

* * *

٢ — بيخ اقبال باز نشو نموذ * شاخ انصاف باز بار گرفت

نما جذر الإقبال مرة ثانية ، وأثمر غصنُ الإنصاف ثانياً .

* * *

٣ — مد تى مُلك در تزلزُل بوذ * عاقبت بر مَلك قرار گرفت

كان المُلك مدة فى تزلزل ، واستقر على المَلِك آخر الأمر .

* * *

---

(١) البيت للمتنبي .

(٢) الترجمة الحرفية : من هذا المُلك إلى المُلك الآخر .

٤ — مَلِكِ مُلكْ بَخش ركن الدين * كز يمين مُلك در يسار گرفت
المَلِكُ واهب المُلكِ ركن الدين، الذى أخذ المُلكَ من اليمين باليسار .

* * *

٥ — آنكه گنجى بيك سؤال بداد * وآنكه مُلكى بيك سوار گرفت
الذى أعطى كنزاً بسؤال واحد ، والذى أخذ مُلكاً بفارس واحد .

* * *

٦ — عكس بزمش برسپهر افتاد * خانهٔ زُهَره زو نگار گرفت
وقع انعكاسُ حَفْله على الفلك ، فازدانت به دارُ الزُّهَرَة .

* * *

٧ — رزم اورا فلك تصور كرد * ساحتش تيغ آبدار گرفت
تصور الفلكُ حَرْبَه ، فتناولت ساحتُه السيف اللامعَ القاطعَ .

* * *

٨ — صبح تيغش چواز نيام بتافت * آفتابِ آسمان حصار گرفت
ولما لمع صبح سيفه من غمده ، تحصنت شمس السماء .

* * *

٩ — مَلكا ، خُسْرُوَا ، خذا وندا * اين سه نام ازتو افتخار گرفت
أيها المَلِك ، أيها السلطان ، أيها المولى ، هذه الأسماء الثلاثة نالت الفخر منك .

* * *

١٠ — همه عالمَ شعارِ عهدِ تو داشت * مُلْك عالمَ همان شِعار گرفت
كان للعالمَ كله شعار عهدك ، وقد اتخذ مُلكُ العالم نفس الشعار .

* * *

١١ — پاى مُلك استوار اكنون گشت
كى ركاب تو استـــــوار گرفت

لقد صارت قدمُ المُلك الآن ثابتة محكمة ، لأنها تمكنت وثبتت فى ركابك .

* * *

١٢ — روز چند از سر خطا بينى   مُلك ازين دولت اركنار گرفت

وإذا كان المُلك تحوّل عن هذه الدولة من قبيل الخطأ لبضعة أيام .

* * *

١٣ — خَجِل آنگه بعذر باز آمد   سرِ بختِ تو دركنار گرفت[١]

فقد خجلَ ثم جاء معتذراً ، وأخذ رأسَ بختك فى حضنه .

* * *

فليُسَوِّ الله تعالى سرادق جلال هذه الدولة فى الرفعة بأوج كيوان[٢] ، وليعمل بساط سرير حشمة مُلكه ودولتِه من وجه القمر وفَرْق الفرقد ، وليصيِّر جنابه للميمون قبلة حاجات ملوك العصر ، وليجعل عتبته المقدسة كعبة أفاضل وأماثل الزمان ، وليُبْقِ مَرْجَ سيفِه الذى على صورة ورقة الكُرّاث ، دائماً حديقة شقائق ، من دم معادى الدولة ، بحق النبي وآله الطاهرين .

(١) هذه الأبيات ينسبها الراوندى فى راحة الصدور للأنورى ، ويسندها العوفى فى لباب الألباب لمؤلف الكتاب .

(٢) كيوان ، كوكب زحل ومقره الفلك السابع ، ويقال للفلك السابع أيضا كيوان.

فى سبب تأليف الكتاب

بداية القصة

يقول مقرر هذه المقدمات ، ومحرر هذه الكلمات ، محمد بن على بن محمد الحسن الظهيرى ، الكاتب السمرقندى : لما كان لى - أنا عبدكم - دائما نزوع وتشوق كاملان إلى خدمة جناب هذه الدولة الرفيع ، ووسيلة فناء هذه الحضرة المنيع ، وكنتُ أزجّى الأيام فى ترجية هذه الأمنية ، والتعلل بإدراك هذه المُنْيَةِ ، وأترقب سعادة ، وأرقب فرصة قائلا : لعل الزمان يساعد فى حصول هذه السّعادة ، وتسمحُ الأوقات بإسعاف هذه الحاجة ، كان الزمانُ نفسُه يعاندُ ويستبقى جمالَ عروسِ هذا المرادِ فى حجابِ التّعذرِ ، ويكتبُ سورَ وآياتِ هذه الكراماتِ بقلمِ الغفلةِ ، على ورقِ الإهمالِ والعُطْلة ، ويخاطبنى معاتباً ويُنشد هذا البيت :

شعر (بسيط)

ما كلُّ ما يتمنّى المرءُ يُدركُهُ   تجرى الرياحُ بما لا تَشتهى السُّفُنُ(1)

* * *

لستَ أولَ من وضعَ قدمَ الطّلبِ فى باديةِ هذه الكعبةِ ، وأحْرَمَ لإحرامَ خدمةِ هذا الحرمِ ولم يصل إلى جمال وصاله :

شعر (متقارب)

فلستَ بأولِ ذى هِمَّــــة   دعتـــه لما ليس بالنائل(2)

---

(1) ما كل : البيت للمتنبى .

(2) فلست : البيت للمتنبى .

فنحر أولا مطيةً لتقطع هذه المفاوز ، واطلب زاداً لإقامة هذا المعاد ، ثم تسارع كالريح وضع رأسك على تراب هذه العتبة ، واجعل من وجهك كالتراب بساطاً لهذه الحضرة ، وأد خدمةً تصلُ إلى هذه الحضرة بوسيلتها وتصيرُ مستقبلاً ومُهيَّأً لهذه السعادة بذاتها .

وفى أثناء هذا اقترنتْ لدىَّ — أنا عبدكم — المحاورةُ بالفكرةِ ، ومدّتْ يدَ البحثِ إلى ذيل الطلب ، فتعيّن الاختلالُ فى ظاهرِ الأحوالِ ، وتبيّنت علامةُ الاضطرابِ على الجبين :

شعر (هزَج)

١ — كاريست چو خطِ أو مُعمَّا   حاليستِ چو زُلفِ أو مُشوَّش

٢ — ديده همه پُر خيالِ معشوق   سينه همــه پُر شرارِ آتش

والمعنى :

١ — أمر مُعمّى مثلُ خطِّه ، وحال مُضطرِبةٌ مثلُ طرّته .

٢ — العينُ كلُّها ملأى بخيال المعشوق ، والصدر كله غاصّ بشرار النار .

***

إلى أن أقبلت على السعادة آخر الأمر يوماً خلال هـذه المحاورة ، وفى وقتٍ أثناء هذه المباحثة ، وقالت بلسان التعظيم والإجلال : لقد شددْتُ خَصْرِى تحريا لرضائك ، واقترنتُ بك فى الطالع الميمون ، وآثرتك بكلِّ مُدَّخرِ خزانةِ الإدراك والفهم ، وجئتك بجملة ذخائر نفائسِ العقل ، فاستبشرتُ أنا أيضاً بهذه البشارة ، وأجبت مقدمها بالترحاب والاهتزاز :

بيت (هزج)

آن كيست كه بى تو ساعتى خوش دل بوَد

بيـا اى مفرِّجِ كُرُبت ومؤنسِ غرُبت

والمعنى :

فمنذا الذى يكون ساعة هنىء القلب بغيرك ؟ تعالَى يا مُفرِّجةَ الكربةِ ومؤنسةَ الغربةِ .

بيت (متقارب)

بر آنى كه غم بر دلِ من گمارى من از غم نترسم بيا تاچه دارى

والمعنى :

أنتِ على أن تُوَكِّلى الغمَّ بقلبى ، أنا لا أخشى الغم ، فتعالىْ لأرى ما عندك .

* * *

قالت : مقصورة حافلة بآسراتِ القلوب ، وقصور عاجّةٌ بالحور ، ربيع زاخر بالصور والنقوش ، وحديقة غاصة بالنُّوار والأزهار .

شعر (متقارب)

كلامٌ كنوْرِ الرُّبى فاح غضًا وقد غازلتْـــه شآبيبُ قَطْرِ
وريحُ الشَّمالِ جرَتْ ثم جرَّت على صفحةِ الأرضِ أذيالَ عطْرِ
وعَرْفِ الخُزامَى وعرْفِ النَّدامَى وَتَدْوارِ خمـــرٍ وأنوارِ جَمْرِ
ونجمِ الليـــالى ونظم اللآلى ومغبوطِ عمرٍ ومضبوطِ أمرِ

* * *

وقد أنشأ العقل فى وصفها هذين البيتين :

شعر (رَمَل)

١ — ويحكِ اى صورتِ منصور نه باغى نه سراى
بل بهشتى كه بد نيات فرستاذ خذاى
٢ — بوده نقـــاشِ خرَد در شجرت متوارى
شده فراش صبا در چمنت نا پرواى

والمعنى :

١ — ويحك أيتها الصورة المنصورة ! لست حديقةً ولا قصراً ، بل جنةً أنزلك الله إلى الدنيا .

٢ — كان نقّاشُ العقلِ متوارياً فى شجرك ، فصار فَراش الصبا غيرَ مبالٍ فى مَرْجك .

***

قالت : أُكْسُ تلك العرائسَ النّفائسَ حُـلّة لا يُخلقُ جِدّتها تقادمُ الأعوام وتواترُ الأيام ، وصُغ لهذه الأفكار الأبكار حِلْية لا يستطيع تعاقبُ الأدوار وترادف الليل والنهار نشرها[1] وتفريقها بعد انتظام الحال ، وطرِّز ووشِّح ديباجتها بالترصيع والتجنيس ، والتشاكل والتوازن ، والأضداد والأنداد ، ورصع وكلِّل تاجها بزواهرِ جواهر الخطاب الميمون ، ومبارِكِ ألقاب سيدِ العالم ، الخاقانِ الأعظم ، ركنِ الدنيا والدين ، أدام اللهُ ملكَه ، فأنت البستانيُّ المشذبُ السَّروَ ، والمشَّاطةُ الجاليةُ العروسَ ، فكنستُ غبار ذيلها بعينى ، وقالت بلسان المعذرة :

بيت (خفيف)

١ — اى بچشمم عزيز تر گردى گرزمين عطفِ ذا من تو برُفت

٢ — ازتوباز آمذن كه يارذ خواست شُكرِ اين آمذن كه داندگفتن ؟

والمعنى :

١ — يا من تصير أعز فى عينى ، إذا كنس عطفُ ذيلك الأرض .

٢ — من يستطيع أن يطلب منك العودة ، ومن يستطيع شكر هذا المجىء ؟

---

(١) نشرها : تفريقها وتبديدها : نشر الخشب نحته ، والشىء فرقه ، والراعى غنمه بثها بعد أن آواها : أقرب الموارد .

اسم الكتاب

وهذا كتابٌ مُلقب بالسندباد ، تأليفُ حكماء العجم ، صفحاته حافلةٌ ببدائع الفطرة ، وصنائع الفكرة ، وعجائب العقل ، وغرائب الفضل ، ونوادر الخاطر ، ونفائس الضمائر ، وهو ماء حياة القلوب الميتة ، وروضة أنس الأرواح الذاوية ، مآثره ومحاسنه ومفاخره خارجة عن حد الإحصاء والاستيفاء :

شعر (كامل)

فأتت تجـــر على السماء ذيولها ⁂ مياسةَ الأعطاف فى جازاتها
غراء منها أنشدت سجدت لها ⁂ سيارةُ الأفلاك فى أوجاتها
وتمنتِ الشهبُ الثواقب أنها ⁂ نُظِمت تقاصـــيرا على لَبّاتها
وتودُّ آذانُ الليـــالى أنها ⁂ نيطت مكانَ القُرط فى أخراتها

***

فلما رأيتُ هذه الإشارة ، وسمعتُ هذه البشارة ، أسرجت رَخْش[1] الفكرة ، وأخذت لقطع مسافة هذه البيداء الأهبة ، وقلتُ سعيداً :

شعر (وافر)

ذرانى والفـــــلاة بلا دليلٍ ⁂ ووجهى والهجيرَ بلا لثامِ
فإنى أستريح بذى وهـــذا ⁂ وأتعب بالإناخةِ والمُقامِ
فقد أَرِدُ المياهَ بغـــير هادٍ ⁂ سوى عدّى لها برقَ الغمامِ
ولا أُمسى لأهلِ البُخل ضيفاً ⁂ وليس قِرًى سوى مُخ النَّعامِ[2]

---

(١) الـ (رخش) اسم حصان رستم بطل الشاهنامة .

(٢) ذرانى : الأبيات للمتنبى .

وقد حلّيتُ بالأمثالِ والأشعار والأخبار والآثار، تلك الكَلِمَ الغرائبَ، والحِكَمَ العجائب، التي هي تأسيسُ قواعد الرياسة، وتأكيدُ مباني السياسة، ومتضمنةٌ مصالحَ الدينِ والدولةِ، ومتكفّلةٌ بمناهج المُلْك والمِلّة، جدها شبيه بالهزل، وموعظتها موصولة بالحكمة، ليحظى متصفحو هذا المجموع ومتأملو هذه السطور بنصيب، كلّ على حسب نظره ودقة خاطره، ويظفر العالِم والجاهِل بذخيرة على قدر رأيه ورويته، وتكون فوائدُها شاملةً الأنامَ كافةً، وعوائدُها حاصلةً للعالمين عامة، ولا يبقى أي إنسان بغير قسطٍ وافرٍ وحظٍّ كاملٍ.

والله ولي التطويل بإتمامه(١)، إنه ولي الإجابة.

(١) الضمير في (إتمامه) عائد على كتاب السندباد.

فصل فى أصل الكتاب

وينبغى أن يُعلَمَ أن هذا الكتاب كان باللغة البهلوية ، ولم يكن أحدٌ ، حتى زمانِ الأميرِ الأجلِّ العالِمِ العادلِ ناصرِ الدين أبى مُحمّدٍ نوحِ بنِ نصر السامانى(١) ـ أنار الله مضجعَه ـ قد ترجمه ، فأمر الأمير العادل نوحُ بن نصر الـ (خواجه) العميد أبا الفوارس القنّاوزى(٢) أن يترجمه إلى اللغة الفارسية ، ويرفعَ ما يكون قد تطرق إليه من تفاوتٍ واختلالٍ ويصلحَه ، وبتاريخ سنة تسع وثلاثين وثلثمائة ، أجهد (الخواجه) العميدُ نفسه وأعمل خاطره ، وأتم هذا الكتاب بالعبارة الدّرية ، ولكن العبارة كانت مُسِفّةً جداً وعارية وعاطلةً من التزين والتحلى . ومع أنه كان للمقال فيها فسحةٌ ، وللمجال وسعةُ تَنَوُّق(٣) وتصنُّع ، لم تكن أية مشاطة قد زيّنت هذه العروسَ ، ولم تُجْرِ مركبَ العبارة فى مضمار الفصاحة ، ولم تصنع حُلة ولم تَصُغ حلية لهذه الكلِمِ الحِكْمية والأبكار والعذارى ، وكادت تندرس تماماً من صحائف الأيام ، وتمّحى كلِّية من حواشى الزمان ، وقد حَيَتْ الآن واستأنفت طراوتها ورونقها بشوكة الدولة القاهرة :

---

(١) فى نسخة استانبول (نوح بن منصور) وجاء بالحاشية (أبو محمد) كنية نوح بن نصر الذى تولى الإمارة سنة ٣٣٩ هـ . / ٩٥٠ م . وبالرجوع إلى معجم زامباور وجد أن الأمير عبد الحميد نوح (الأول) بن نصر حكم من ٣٣١هـ. /٩٤٢م إلى ٣٤٣هـ. /٩٥٤م. أما نوح (الثانى) بن منصور فقد تولى سنة ٣٦٦هـ . / ٩٧٦ م . وتوفى سنة ٣٨٧ هـ./ ٩٩٧ م . وعلى ذلك يكون الكتاب ألف فى زمن نوح بن نصر .

(٢) بنسخة استانبول : فنا ورزى .

(٣) تنوق فى مطعمه وملبسه وأموره تنوقاً وتنيقاً (وتنيق) لغة ، تجود وبالغ فيه كتأنق ، والاسم (النيقة) أقرب الموارد .

شعر (متقارب)

عرائسُ غيــــدٌ فمن ناهد تروق ومن كاعب مُعْصِرِ
نظامٌ من السحر ألفــاظه تغُصُّ من الدر والجوهر[١]

***

ومع أنه لم يكن لى ـ أنا عبدكم ـ قدرةٌ واستقلالٌ ، ومكنةٌ واستظهارٌ ، لأقدم على هذه المعركة ، وأقتحمَ هذه المهلكةَ ، وأضعَ نفسى فى معرض الصَّلَفِ ، وأجلوها فى لباسِ الفضلِ ، فإن السَّعادَة كانت تنادينى ، وكرم الملِك العميم كان يستدعينى ويقول :

بيت (بسيط)

فَعِم صباحاً لقد هيَّجت لى شجناً واردُد تحيتنــــا إنا محيوكا

***

وكان يقول : إن هُماى[٢] همَّتِنا ، وعَنْقاء[٣] سعادتنا ، تبسطان عليك ظل العناية ، وشمسَ إقبالنا وكواكبَ سعادتنا ، تنثرُ عليك شعاعَ العواطفِ وآثارَ اللَّواطفِ وتقولِ :

بيت (بسيط)

بأى حُكم زمانٍ صرتَ متخذاً ريم الفلا بدلا من ريم أهليـكا[٤]

---

(١) عرائس غيد : البيتان للمتنبى .

(٢) هماى طائر مبارك أسطورى لا يقع ظل جناحه على أحد إلا ويصير ملكا ، ويقابله طائر خرافى عند العرب يسمى (البُلْبَح) .

(٣) سيمرغ .

(٤) بأى : البيت للمتنبى .

فتلقى عبدُ الدولة القاهرة ـ شيد الله أركانها وثبّت بنيانها ـ هذا المهمّ بوسعة قلبٍ وفسحة أمل ، وكسا تلك الخرائد التى كانت عاطلة من حُلِيّ البراعة ، وعارية من حُـلّة البلاغة ، لباس الألفاظ ، وزينها بزينة المعانى ، والرجاء محكم والثقة مستحكمة فى فضل مَلِك وجه الأرض ـ أعز الله أنصاره ـ أن يمنح هذه المُخَدَّرَةَ العقلية حظا تاما من تشريف الملاحظة ، ونظرِ المطالعة ، وتصير بجلال قبول الحضرة ، منظورة ومقبولة لدى العالَمين ، وأن لا يَخْلُقَ ويَرِثَّ رواء نحرها ، وطرازُ عزها ، وكسوةُ مجدها أبد الدهر ، ولا تنحطَّ وتنحدرَ منزلتُهـا الرفيعةُ ودرجتُها المُنيفةُ ورتبتُهـا السَّنيةُ ، ولا تنطمسَ وتندرسَ آثارُ أنوارها من حواشى الأيام ، ما دامت اللغةُ الفارسية على الألسنة متداولة ، وبأفواه العالمين متناولة ، وأن لا يقعَ جلالُ قبولها فى ظلال العزْل ، فليُصيِّر اللهُ تعالى تاريخَ هذه الدولةِ فِهرِسْتَ معالى الأيام ، وليُدِم على بساطِ الزّمانِ صيتَها السائر على بسيط الأرضِ كالنهار ، فإنه القادرُ على ذلك والموفق له .

فصل فى خصوصية الإنسان وغرضه

لا يخفى على رأى العقلاء أن المقصودَ الـكُلِّى والغرضَ الأصلى فى إنشاء وإبداء الأجرام العلوية والأجسام السُّفْلية ، خَلْقُ الآدمى الذى هو دُرُّ صدف الوجود وزُبدة الموجود ، وثمرة شجرة بستان صُنع المُلْك ، ومعنى خط دفتر الملكوت الإلهى ، ولـكل من جملة الموجودات العلوية والسفلية فيـه أثر وعلامة ، ودليل وبرهان :

بيت (مجتث)

خدا يرا بهمه حال زير پردهٔ صُنع　　خزينهاى علومست وگنجهاى حِكَم

والمعنى :

لله فى كل حال تحت حجاب صنعه ، خزائن علوم وكنوزُ حِكَم .

***

وقد استنهض الحكماء والعلماء والفضلاء ، الآراء الصائبة ، وأعملوا التدابير الثاقبة آلاف السنين ليصنعوا مِجَنًّا لجراحة سيف مَلَك الموت ، لتدفع به ضربته ، ويعملوا ترياقاً لشربة سم قهر الدهر ، ليرتفع به ضررها ، فلم يأت (ذلك) فى حيز التيسير ، ولم يدخل فى مركز الإمكان :

بيت (طويل)

على ذا مضى الناسُ اجتماع وفُرقة ومَيت ومولود وقالٍ ووامقُ

شعر (رباعى)

در شش جهت آنچ گرد ما گستردند در پنج حواس وچار طبع آوردند
بس گرسنه اند وعالمی را خوردند این هفت كه در دوازده می گردند

والمعنى :

إن ما بُسط حولنا فى الجهات الست[1] ، جئ به فى الحواس الخمس والطبائع الأربع[2] .

إنها جائعة جداً وأكلت عالماً ، هذه الكواكب السبعة التى تدور فى الإثنى عشر برجاً .

***

---

(١) الجهات الست : أمام ، خلف ، فوق ، تحت ، وراء ، قدام .

(٢) الطبائع الأربع : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . والأخلاط الأربعة : البلغم والدم والصفراء والسوداء .

فمن أجل الذكر الباقي والصيت السائر ، أبدعوا الطريقة التي أبقت ذكرهم وأحيت اسمهم ، وبها بقي وعاش إظهار عدلهم وآثار فضلهم ، ولما عرفوا أنه لا يتأتى من الملك والمال والبنين والبنات القيام بهذا المهم ولا يتم بوجودها ، سلكوا مسلك تصنيف الكتب وتأليف الحكم ، ورأوها مدارك هذه الأماني ومدارج هذه المعاني وقالوا :

بيت (متقارب)

سُخن به كی ماند زما یاذگار كی ما برگذاریم واو پایدار

والمعنى :

الأفضل أن يبقى الكلام تذكارامنا ، لأننا ماضون وهو باق .

* * *

لأن قولة الحكمة وكلمة الموعظة لا تنمحي ولا تندرس أبداً من صحائف الدفاتر وأوراق الجرائد، وتنتقل دائماً من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان. ألا ترى أن أفلاطون وأرسطاطاليس والإسكندر وسقراط ذهبوا إلى عالم العدم ، وبقي ذكرهم في عالم الوجود ؟ وكذلك ملوك غسانَ وآل سامان وساسان ، أقاموا في حيز الفناء ، وبقيت أسماؤهم أبد الدهر :

شعر (كامل)

لولا جـــــريرٌ والفرزدقُ[1] لم يدُم
ذكرٌ جميـــلٌ من بني مروانِ

---

(١) جرير والفرزدق من شعراء العصر الأموي توفيا في عام ١١٠ هـ / ٧٢٨ م . أولهما باليمامة وثانيهما بالبصرة .

وترى ثناء الرودكى[1] مخلداً　　من كل ما جمعت بنو سامان[2]
وغناء بهربد[3] بقية كل ما　　ملكته فى الدنيا بنو ساسان[4]
وملوك غسان[5] تفانوا غير ما　　قد قاله حسان[6] فى غسان

* * *

شعر (مضارع)

١ — آن خسروان كى نام نكو كسب كرده اند
رفتند وبا ذكار از ايشان جزآن نماند
٢ — نوشين روان اگرچه فراوانش گنج بوذ
جز نام نيك از پس نوشين روان نماند
٣ — ايشان نهان نشدند در اين ژرف دير خاك
ليك شعار كرده ايشان نهان نماند[7]

---

(١) الرودكى أبو الشعر الفارسى توفى سنة ٣٢٩ هـ . / ٩٤٠ م .

(٢) بنو سامان حكموا ماوراء النهر وبخارى اثنتين ومائة سنة وستة أشهر وعشرين يوماً آخرها سنة ٣٧٥ هـ . / ٩٨٥ م .

(٣) بهربد أو بهلبد مغن مشهور فى العصر الساسانى .

(٤) بنو ساسان أولهم أردشير بن بابك المتوفى سنة ٢٤٠ م . وآخرهم يزدجرد الثالث المقتول سنة ٣١ هـ . / ٦٥٢ م .

(٥) الغسانيون ملوك من العرب المسيحيين حكموا بناحية من الشام تحت حماية الروم إلى عهد عمر بن الخطاب .

(٦) حسان شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم عاش ١٢٠ سنة نصفها فى الجاهلية ونصفها فى الإسلام .

(٧) هذا البيت بحاشية نسخة استانبول .

والمعنى :

١ — هؤلاء الملوك الذين اكتسبوا الاسم الطيب ، ذهبوا ولم يبق منهم تذكار غيره .

٢ — ولو أنه كان لأنو شيروان كنوز كثيرة ، لم يبق بعد أنو شيروان غير الاسم (الذكر) الطيب :

٣ — إنهم اختفوا فى هـــذا الدير الترابى العميق ، ولـكن شعار فعالهم لم يختف .

***

ولما كانت هذه التوهمات فى الخاطر ، وكان للقلب اهتمام تام بهذه المعانى ، وقد تعينت وتبرهنت هذه القياسات والمقدمات ، فقد يوجب رسما وطبعا ، وعقلا وشرعا ، جلاء هذه الفتاة البكر فى حَجْلة المعانى وسرادق الألفاظ ، وإظهارها للعالمين بلا نقاب وحجاب ، والقول :

بيت (كامل)

فلقد سبقت بكل لفظ رائع   كالدر فُصِّـــل عقدُه المنسوق

بيت (منسرح)

در هوس مدح شاه ، جانْ منست اين سُخَن

كرده بد ست زبان بر سر عالم نثار

والمعنى :

هياماً فى مدح الشاه ، جعلتْ روحى هذا الـكلام نثاراً على رأس العالم بيد اللسان .

***

فمن أجل خلود الذكر ، وعلو القدر ، وسمو الدرجة ، وارتفاع الرتبة ، جلوت هذه الخريدةَ وبعثتُ بها إلى مقصورة سيد العالم العالية وحرم كرمه ، فليجعلها الله تعالى مباركة وميمونة .

ولنجذبْ الآن عنان العبارة إلى المقصود ، ونطلبْ من الله تعالى إمداد التوفيق والتسديد ، إنه الموفق والمعين ؟

ابتداء كتاب السندباد

هكذا يقول رواةُ الحديث وأصحابُ التاريخ : إنه كان فى مواضى الأيام ، وسوالف الأعوام ، فى إقليم هندوستان ، ملك اسمه « كورديس » قد وشح معالى المُلك بمكارم الأخلاق الحميدة ، وطرز مفاخر السلطنة بمآثر الأعراق الكريمة ، وازدان زمانه بجمال العدل ، واشتهرت أوصافه بكمال الفضل ، دولة مطاعة ، وحشمة مطيعة ، مدة طويلة ، ومملكة عريضة ، يد تناول الحاسدين وتطاول القاصدين ، مكفوفة عن مملكته وقصيرة ، وعيْن أطماعِ المتعدين الفاسدةِ فى دولته معصوبة ومغمضة ، كان دائماً متابعَ العدلِ ومطاوعَ العقلِ ، ويسمع آثار الماضين وأخبارهم ، وسُنَنَهم وسيَرهم ، وقد وصل ذِكرُ حُسْنِ شيمه ، وصيتُ مطاوعةِ خدمِه وحشمِه إلى سمع سلاطينِ وقتـه ، وأبلغ لسانُ الرواةِ ، وبيانُ الثقاةِ ، صيتَ رَفاهيةِ رعيَّتِه ، وخصبِ وأمنِ ولايتِهِ إلى آذان الخلائق ، ومن بدء الصبا الذى هو عُمْرَةُ عُمرِ غرّة الدهر ، إلى طلوع صباح الشيبِ المخبرِ بوداع الحياة ، لم يسرِ إلا فى منهج رعاية الرعايا . ومسلكِ التخفيف والترفيه عن ضعفاء الولاية ، ولم يخط خُطوة فى خطة الوزر والوبال ، من أجل اكتساب الأموال ، كان دائماً يوفر اهتمامه على إتمـام مصالح الرعايا ، وصير برّ وبحر مملكتهِ معموراً بإفاضةِ النَّصَفةِ وإشاعةِ المَعْدَلةِ ، وكانوا يُسمُّون مملكتَه السَّعدَ الأكبَرَ لإقليمِ زُحَل ، وكان ملوك الآفاق يعلقون مكارم أخلاقه على حاشية جريدة السياسة ، ويقتبسون من فضائل علمه وشمائل حلمه ، ويقولون فى نعته ووصفه :

شعر (مجتث)

١ — اگر شمايل حلمش بباذ برگذرد   دهد شُكوهِ تجليش باذرا لنگر

٢ — واگر فضایل طبعش بکوه برشمرند
سبُك زخاصیتش کوه را برآید پر

والمعنى :

١ — إذا مرت شمائل حلمه بالريح ، أعطى جلالُ تحليه للريح المرساة[1] .

٢ — وإذا عدوا فضائل طبعه للجبل ، لطلع الجبل سريعا[2] بخاصيتها جناح .

* * *

كان يخالط الحكماء الأفاضل والندماء الكَمَلة ، ويقضى الأيام والأوقات مع عقلاء العالم وفضلاء بنى آدم ، وقد طلّق الشهوات والنّهمات ، وأطلق[3] المحظورات والمحرّمات ، وقصَر ساعاتِ العمر على استيفاء الخيرات ، وأوقف أوقاتِ الأيام على استعمال الحسنات ، ووثق — باليقين الصادق — بأن متاع الدنيا غرور ، ومزخرفات ومموهات زائلة ، وأسَرَّ العقلُ الحاذقُ فى أذن فطنته :

شعر (كامل)

خُذ ما صفا لك فالحياةُ غرورُ والدهرُ يعدلُ تارةً ويجورُ
لا تعتبن على الزمانِ فإنه فلكٌ على قطبِ اللجاجِ يدورُ
أبدا يولِّد ترحةً من فرحة ويصُبُّ غمًّا منتهاهُ سرورُ

---

(١) المرساة ما يسميه الملاحون « الهلب » وهو أداة إرساء السفينة ، أى أن حلمه يجعل الرياح الثائرة بطبيعتها ، ترسو وتستقر وتهدأ .

(٢) أى لصار الجبل بخاصيتها خفيفاً وطار كالطائر فى الحال .

(٣) أطلق المرأة : طلقها « أقرب الموارد » .

رباعي (أخرب)

١ — از جملهٔ رفتگانِ اين راهِ دراز
٢ — باز آمدهٔ كو كى بما گويد راز
٣ — پس برسرِ اين‌دوراههٔ آز ونياز
٤ — تاهيچ نمانى كى نمى آيى باز[1]

والمعنى :

١ — من جملة ذاهبي هذا الطريق الطويل ،
٢ — أين العائد الذى يقول لنا السر ؟
٣ — ٤ فلا تتوقف على مفترق طريقى الطمع والحاجة هـــذا فإنك لا تعود .

* * *

وعرف بالبينات الواضحة والدلالات اللائحة ، أن كلّ معضلٍ ومشكلٍ يلاقيه من زوايا المملكةِ فى مصالح الرعية ، يجب أن يقدم فيه جوانب الرضاء الإلهى ، لأن نهاية الظلم وخيمة ، وعواقبه عذاب أليم :

بيت (هزج)

ايمن مشو اى حكم توزحكم سدوم   ازتيرِ سحرگاه ودعاىِ مظلوم

والمعنى :

لا تأمن يا من حكمك من حكم سدوم[2] ، من سهمِ وقت السَّحر ودعاء المظلوم .

* * *

(١) من رباعيات الخيام .
(٢) إحدى قرى قوم لوط الخمس .

وقد كرر لسان الزمان معه هذا المعنى :

شعر (بسيط)

عليكَ بالعدلِ إن وُلِّيت مملكةً واحذر من الجورِ فيها غاية الحذرِ
فالملك يبقى مع الكفرِ البهيمِ ولا يبقى مع الجورِ فى بدوٍ ولا حضرِ

***

وقال له هاتفُ حركات النهارِ والليل : كلٌّ من يُشغَلُ في منصب المُلك بمتابعة الملاعب والملاهى ، وبحكم نقصان العدل وخُسران العقل يظل مهجوراً من استعمال الحلم والفضل ، يكون كالزارع الذى يبذر الحب فى الأرض ويغفُل فى تعهده بالكد والسقى ، حتى يضيع تعبه وبذرُ الدهقان ، ويضيع ماء وجهه بسبب إضاعة ماء النهر ، ويُفنى سبب صحة إقباله ، بعلة بذرة إدباره ، ويصير خائبا وخاسرا ومُدْبراً ومُفلسا ، ويقول له لسان الزمان :

مصراع (بسيط)

من يزرع الشوك لم يحصد به العنبا :

بيت (خفيف)

هرچه كارى برَش همان دِرَوى وآنچه گوئى جواب آن شِنَوى

والمعنى :

كل ما تزرع تحصد ثمره وكل ما تقول تسمع جوابه .

***

وإذا تقاعس صاحب الدولة ـ باكتساب الشهوة وارتكاب النهمة ـ بسبب دوام السُّكر ، تميل دولته إلى الحضيض ، ويمر على خاطره : ولرب شهوة ساعة أُورثت حزنا طويلا ، ويجعل قاصدو الدولة من مملكته طعمة

للمقاصد ، ويأخذ الخصوم الضعفاء فى طلب فرصة التسويف ، ويترك النواب مكارم الديانة والأمانة من أجل حفظ مراسمهم ، ويضعون رعايا المملكة فى معرض المؤن والعوارض ، وتخرب الولاية ، ويُستأصل الرعايا ، وتبدو الفترة[1] فى المملكة ، ويظهر الاختلال والانتشار[2] فى الدولة ، وعندئذ يكون مثله كمثل رجل ينبش التراب من أساس الجدار ويطلى به سقف البيت ، وسرعان ما تتسوى الدار بالأرض . ويقال : مثل المَلِك الذى يعمر خزائنه من أموال رعيته كمثل من يُطيِّن سطح بيته بما يقتلع من أساس بنيانه ، ويُنشدُ الزمانُ هذا البيت :

بيت (خفيف)

از رعيت شهى كه مايه ربوذ   بُنِ ديوار كَنْد و بام اندوذ

والمعنى :

الملك الذى سلب المال من الرعية   قد اقتلع أساس الجدار وطلى السقف

***

فكان ذلك الملك يسير على مقتضى العدل والإنصاف ، ويحفظ الرعايا فى ظل مظلة الرعاية ، من الآفة والعاهة ، فى ملاذ الحياطة والعناية ، بحيث كان الشاهين[1] يتسامح مع الحمامة ، والذئب يتصالح مع الشاة فى أطراف الممالك وأكناف المسالك :

شعر (وافر)

بشامل عدله فى الأرض ترعى   مع الأُسدِ السوائمُ فى المسامِ
ولا تعدو الذئاب على نعــاج   ولا تهوِى البزاةُ إلى الحمامِ

***

(١) الفترة : الضعف والكسرة .

(٢) الانتشار : التشتت والتفرق .

(٣) الشاهين طائر من نوع الصقر .

يجب أن يوضع كأسُ الفضلِ من مشربة(١) الإحسان على يد الأفاضل ، وأن يُعطى (سِكنْجبيُن)(٢) التخفيف من صيدلية العدل ، لمحرورى الرعية ، وحين يحُصل الملكُ الموروثُ والخزانة المكتسبة ، فالأولى أن يقال بترك الأسفار فى نهاية الأعمار ، وأن يُسَمّعَ طُفَيليُّو المملكة فى ضيافة الدولة (عبارة)(٣) مرحبا وطال بقاؤكم ، إذ أنه حين يُطوى بساطُ الدولة من سرادق المملكة ، وتأخذ أيامُ ربيع الشباب فى خريفِ الشيخوخة مزاجَ شهر (دى)(٤) ويصير المال كالمنديل بيد الوارث والحادث ، تبلغ روح شمع الحياة الشفاة ، وينطفىء سراج الأمل بريح الأجل ، ويُنشد الزمان هذه الأبيات :

بيت (منسرح)

مالذة المرء فى الحياة وإن ... عاش طويلا فالموت لاحقها
من لم يمُت عِبطَةً يمت هرَماً ... للموتِ كأسٌ والمرء شاربها

شعر (خفيف)

١ — دست در روزگار مى نشوذ ... پاىِ عمر استوار مى نشوذ
٢ — شاهدىخوبصورتاستامل ... در دل وديذه خوارمى نشوذ
٣ — شاذمىزى كىدر عروسىِ مرگ ... رنگِ چندين نگار مى نشوذ

---

(١) المشربة والمشرُبة بفتح الراء وضمها ، أرض لينة دائمة النبات ، والغرفة لأنهم كانوا يشربون فيها . أقرب الوارد . واستعملناها مقابل (شرابخانه) .

(٢) سكنجبين معرب سكنگبين الفارسية ، شراب مركب من الخل والعسل لدفع الصفراء والبلغم .

(٣) (عبارة) غير موجودة فى الأصل وأضيفت للتوضيح .

(٤) (دى) هو شهر (ديماه) عاشر شهور السنة الشمسية الفارسية ، وهو أول الشتاء وفيه تكون الشمس فى برج الجدى .

والمعنى :

١ — لا حيلة فى الدهر ولا بقاء للعمر .
٢ — الأمل محبوب جميل الصورة ، ولا يُزدرى فى القلب والعين .
٣ — عش سعيدا فإن فى عُرس الموت ، لا يوجد لون متعدد النقوش .

* * *

كان يجلس كل يوم على مسند المظالم من رِقبة الصباح حتى رُكبة الرواح ، ومن خروج الظلام حتى دخول المساء ، ويتكلم فى مصالح الممالك ، وحين كانت حدقةُ الأيام تكحَّل بالظلام ، وتُصَقَّل مرايا العالم العلوى بصيقل الكواكب ، كان يجلس مع خواص الدولة فى حُجرة الخلوة ويقول : يجب أن يؤخذ ذيلُ ليلِ الوصل بقوة ، بيد الطرب ، قبل أن يطلُعَ صبحُ الهجر ، وتأفُلَ كواكبُ سُعودِ الشبابِ فى مغرب الشيب ، لأن كل من لا يذكر لذة الاجتماع فى حالة الوداع ، لا علم له بقرب وبعد المعشوق ، ولا تأثر بمجال الاتصال والإفتراق :

مصراع (كامل)

بالبعد يعرف قيمة التقريب

بيت (خفيف)

هركه در راه عشق صادق نيست   جز مرائى وجز منافق نيست

والمعنى :

كل من ليس صادقا فى طريق العشق ، ليس إلا مرائيا ومنافقا

* * *

ومن أجل أنه لم يوجد فى بيضة طائر الملك فرخ ، كان يقضى الأوقات والساعات فى الفكرة والحيرة ، ويقول لنفسه : دوحة الملك بلا غُصن ،

وأصل العظمة بلا فرع ، فإذا طوت يد الأجل بساط الأمل ، يظل تختُ الملك عاطلا وضائعا ! !

دخول المخدرة على الشاه

وذات يوم كان يفكر فى هذا المعنى ، وقد حضرت للخدمة أمام تخت الشاه إحدى مخدَّراتِ الحرم ، وكانت تجمع بين جمال الكياسة وكمال الفراسة ، ومتحلية برأس مال الشهامة وحلية الحذاقة ، فشاهدت على ناصية الملك آثار التفكُّر ودلائل التغيُّر ، ولكنها لم تكن تجيز التجسس بمجرد التفرس ، لأنه لا يليق بالمروءة ولا يوافق الخدمة ، إذ أن الاستخبار عن ضمائر الملوك والاستفسار عن سرائرهم ، ليس من شأن العقلاء ، ولما طال تفكير الشاه ، وزادت آثار الحزن ، استفسرت متلطفة عن الأحوال ، وبحثت عن موجب التغير وقالت : لتكن مدة عمر الشاه ، بإمداد لطف الخالق ، مقرونة بامتداد الزمان ! ! الدنيا بحمد الله ومَنِّه ، معمورة بعواطف العدل الملكى ، والعالمون مسرورون بلواطف الفضل السلطانى ، إقليم الملك عامر بالإنصاف والعدل ، والرعايا معفون من الكُلَف والمؤن ، والأصدقاء يتقربون إلى هذه الحضرة ، والأعداء يتجنبون هذه الدولة ، وطاووس السعادة والتوفيق يتجلى فى رياض الأمانى ، وعنقاء السيادة تختال فى حديقة السعادة ، وصيت عدله فى أطراف وأكناف العالم سائر ، وذكر فضله فى بر وبحر الدنيا دائر :

بيت (طويل)

فسار به من لا يسير مشمرا   وغنى به من لا يغنى مغردا

***

المَلِكُ – ليكن دائماً كما يحب المحب – فى حريم هذه الإرَم[1] مُتغيرٌ ، وفى غياض هذه الرياض مُتفكرٌ ، ويمكن مشاهدة آثار التغير والتفكر فى البشرة الميمونة ، التى هى صحيفة الإقبال وديباجة الجلال ، فما هذا التغير ، وما موجب هذا التفكر؟ إذا كان يرى جاريته محرما ، فليتفضل بمكاشفتها حتى تؤدى فى تحمل أعباء تلك الحال ، شرائطَ موافقة الطاعة ، ورسمَ مظاهر الخدمة ، وتطاوعَ وتطاوعَ على حسب الاستطاعة ، ومقدار الطاقة ، وتجلوَ غبار الغموم وصدأ الهموم عن سطح مرآة الخاطر العاطر :

بيت (هزج)

فرمانِ ترا كى هست نا فذ برجانْ رهى كشذ به پيشت

والمعنى :

أمرك النافذ ، تحمله جاريتك على روحها إليك .

* * *

فلما رأى الملك لُطفَ مفاوضةٍ ، وحُسْنَ محاورةِ المخدَّرةِ التى كان لها حقوق ثابتة ، وأهليةُ اعتمادٍ لاحقة ، قال : ليس موجبُ فكرتى وضجرتى ، مخافةَ أعداء المملكة ، وموافقةَ أولياء الدولة ، لأن حصن ملكِ العدل ، وقواعدُ كلِّ دولة وأُسُسُ كلِّ مملكة تُرسى على أسٍّ العدل والنَّصَفة ، تبقى فى ملاذ العصمة من حسد الأصدقاء ، ومكر الأعداء ، وتدخل فى جوار السلامة من مداخلة الخصوم ، ومزاحمة المتعدين :

بيت (خفيف)

عدل كن زانكه در ولايت دل درِ پيغمبرى زند عادل

---

(١) إرم : جنة تخيلها الفرس واستلهموها من قوله تعالى (إرم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد) الآيتان ٧ ، ٨ من سورة الفجر .

والمعنى :

اعدل ! لأنه في ولاية القلب ، يدق العادلُ بابَ النبوة .

***

ولكن اعلمي أن جِدَّ الزمان لا يكون بغير هزل ، وقبوله لا يكون بغير عزل ، يؤتى على إثر كل عرس مأتما ، ويتقدم عتب كل سرور غما ، ولا مناص للآدمي من تجرع كأس الأجل ، وتحمل ضربة سيف أبي يحيي[1] :

بيت (كامل)

الموت آتٍ والنفوس نفائس والمستغر بما لديه الأحمق[2]

***

(رباعي)

١ — اى آنكه تو در زير چهار وهفتى

٢ — وز هفت وچهار دايم اندر تفتى

٣ — غم خور دايم كه دره آگفتى

٤ — اين مايه ندانى كى چو رفتى رفتى[3]

---

(١) أبو يحيي : كنية ملك الموت .

(٢) الموت : البيت للمتنبي .

(٣) هذه الرباعية منسوبة للخيام وقد وردت بنسخة : أحمد آتش طبعة استانبول آخر ص ٣٩ . ونسخة طهران ص ٢٩ بهذا النص .

وبالرجوع إلى :

(ا) مجموعة رباعيات الخيام التى نشرها أحمد الصافى النجفى بالعراق مقرونة بترجمته الشعرية ص ٤٣ رباعية رقم ١١٧ .

(ب) مجموعة رباعيات الخيام التى نشرها أحمد حامد الصراف بالعراق مقرونة بترجمته النثرية مع دراسة مطولة وتعليقات ص ٢٤٥ رباعية رقم ٧٢ . =

والمعنى :

١ — يا من أنت تحت تأثير الطبائع الأربع والسيارات السبع ،
٢ — ودائما فى نصب وعناء من هذه السبع والأربع ،
٣ — تجرع الغم دائما فإنك فى طريق المحنة ،
٤ — أنت لا تعرف هذا الأصل : إذا ذهبتَ ذهبت .

* * *

وعلى أى حال ، لا بد من سماع نداء الأجل يوماً ما ، ووداع المملكة والدولة بالضرورة ، لأنه لاربيع بغير خريف ، ولا وصل بلا هجران ، وليس لى عقب ولا خلف يجلس على سرير المملكة ، ويصون هذا المنصب الملكى من التعرض لاستيلاء الأعداء ، ويحفظه من تزاحم الخصوم وتوارد المزاحمين ،

= (ﺣ) مجموعة رباعيات الخيام التى نشرها محمد على فروغى والدكتور غنى بطهران ص ١١١ رباعية رقم ١٦٠ .

(د) مجموعة رباعيات الخيام التى نشرها عبد الباقى كولپينارلى فى استانبول ص ٧٩ رباعية رقم ٢٥٣ .

وجدت بالنص التالى :

١ — أى آنكه نتيجهٔ چهار وهفتى
٢ — وزهفت وچهار دايم اندر تفتى
٣ — مى خور كه هزار بار پيشت گفتم
٤ — باز آمد نت نيست ، چو رفتى رفتى

والمعنى :

١ — يامن أنت نتيجة الطبائع الأربع والسيارات السبع .
٢ — ودائماً فى تَعَب وعناء من هذه السبع والأربع .
٣ — اشرب الخمر فقد قلت أمامك ألف مرة .
٤ — لا رجعة لك ، متى ذهبت ذهبت .

وقد اعتاد رعايا هذه الممالك وتعودوا فى مدة ملكنا (العيش)[1] فى حاشية الأمن والفراغة[2]، والخصب والرفاهية، وألفوا التخفيف والترفيه، وتربى آباؤهم وأجدادهم، بغذاء الإحسان، ونشأ وتربى بنوهم وبناتهم فى مهد عهد دولتنا، بلبن الكرم، فإذا تسلط عليهم ملك جائر، وهبت عليهم صرصرُ القهر، كيف يقضون الأيام فى هاجرة الحادثة، وحرارة حَرور الظلم والضيم، وكيف يضيئون سراج الفراغ فى ليالى الظلم الليلاء، حين تأفُل شمسُ مُلكى بمغرب الزوال.

رد المخدرة على الشاه

فلما سمعت المخدرة هذه الكلمات والمقدمات، ذرفت من عينيها قطرات العبرات، وصعّدت من صدرها نفَساً هامداً وقالت :

بيت (هزج)

آن روز مبادا هرگز اى جان وجهان
كز وصل تو محروم شوذ أين دل وجان

والمعنى :

لا كان أبدا يا روحنا ودنيانا، ذلك اليوم الذى يحرم فيه هذا القلب والروح من وصلك.

* * *

(١) (العيش) هذه الكلمة ليست بالأصل وأضيفت لتوضيح المعنى.
(٢) الفراغة : فراغ البال من كل ما يشغله.

لا كان أبدا اليوم الذى تبقى فيه عروس المُلك عاطلة من حلية عدل الشاه ، وتعرى من لباس فضله وكرمه ، والأمل فى فضل الخالق أن يكون وارث أعمارنا وأعمالنا ، نحن عبيد بقاء دولة الشاه ودوام سلطنته ، وحاشا أن تسمع أسماعُنا ، نحن العبيد ، نعيب غراب الفراق ، وإذا كان الملك رغبة فى خلف لائق ، وعقب رشيد ، فإن تلك الأمنية تتيسر وتتهيأ بصفاء الطوية ، وخلوص النية وعرض الحاجة فى حضرة أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، ولما كان خلاصةُ المقصود وزبدةُ المطلوب ، راحةَ الضعفاء ، وطمأنينةَ الرعايا ، وصلاحَ العباد ، وفراغَ بالهم ، وحسنَ حالهم ، لا يكون عجيبا وغريبا من كمال اللطف الإلهى إجابةُ هذا الدعاء ، وإفادة هذا التمنى ، كما يأمر قوله عز وجل : ادعونى استجب لكم[١] .

ميلاد الأمير

فلما سمع الشاه هـــذه المقدمات ، أرسل إلى الزهاد والعباد الصدقات والصلات ، وأدى نذور الخيرات ونوافل الطاعات ، ولما توارت ملكة السيارات[٢] كالعنقاء ، وراء جبلِ قافِ الأفق ، وصارت النجوم ناثراتٍ للدُّر فوق وطاء السماء الكحلىّ ، جاء إلى موضعٍ مُتَبرَّكٍ ، وبقعة مباركة ، وأقام وظائف الصلوات ، وشرائط الطاعات ، وشرح قصة الاحتياج بلسانِ التضرُّع وبيان التَّخشع ، وعرض رقعة الحاجة بسرادق الجلال وقال : أيها الكريم الذى يطلبُ متحيرو بادية الحيْرة ، وحيارى تيه الضلالة ، العنايةَ والرعاية من حرم كرمك ! غير خاف عليك مكنونُ الضمائر ومضمونُ السرائر ، خليق بكرمك أن تقرن حاجتى بالإجابة !

(١) وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ، السورة رقم ٤٠ (غافر) الآية ٥٠ .
(٢) ملكة السيارات يعنى ملكة الكواكب السيارة ، أى الشمس .

فلما أشرق الصبحُ الصادق من مطالع الآفاق ، وظهرت أعلام الشمس ، وتوارت رايات عطارد والزُّهَرَة ، خلا الشاه بالمخدَّرة ، ووافق مضاء التقدير صفاء التدبير ، وامتزج الماء بامتزاج الأبوين ، ووصل مُسرعُ النطفة إلى مشرع الرحم ، وانقضت أيام وضع الحمل ، وحل أوان المهد والقماط ، جاء من صدف الرحم إلى مهبط الظهور درٌّ مَلَكِيٌّ ، كان فى الجمال يوسف العهد ، وفى الكمال مسيح المهد ، بحواس سليمة ، وأعضاء مستقيمة ، مخائل النجابة على ناصيته معينة ، ودلائل الشهامة على جبينه مبينة ، وكان العقل يشهد فيه آثار السلطنة ، ويعاين الفهم منه أنوار الكرم والعظمة ويقول :

شعر (سريع)

بدر وشمس ولدا كوكبا أقسمت بالله لقـــد أنجبا
ثلاثة تشرق أنـــوارها لا بدلت من مشرق مغربا

* * *

طالع الأمير

لما خرجت هذه الثمرة من زهرة الوجود ، ووصل هذا الفرخ من بيضة الرحم إلى الصحراء ، صرف الشاه نعما فاخرة وأموالا وافرة فى الخيرات وفاء بالنذور ، وإتماما للسرور ، وأمر الحكماء والمنجمين فبينوا طالع مسقط النطفة ومحط الرأس ، وكيفية أشكال الأفلاك ، وكمية حركات السيارات ، وماهية الأسباب والأوتاد ، وأرباب البيوتات ، والتسديسات والتثليثات ، ومقارنة ومقابلة الكواكب ، على طريق الإيقان والإتقان ، ثم نظروا فى تاريخ الشهور وبشروا الشاه قائلين : اهنأ وعش مخلداً ! إن هذا الابن شريف الأصل ، وسيكون تذكاراً من ملوك هذه الأسرة الماضين ، ويحيى اسمهم العظيم بالرسوم

الحميدة والأخلاق المرضية ، ويعمر فى تخت المملكة ومسند السلطنة مثل أفريدون وجم[1] ، ويجعل الدنيا فى ضبط إيالته وحفظ سياسته ، ويرجَحُ على ملوك وجه الأرض فى العلم والحكمة ، والسخاء والمكرمة ، ومكارم الأخلاق، ومآثر الأعراق ، وبعد انقضاء بضع سنين من عمره ، يعرض له خطر على حياته ، ولكن بفضل الخالق وعناية السلطان ، تسهل تلك الواقعة ، ويتيسر ذلك المعضل ، ويصير الإقبال والظفر قرينه ، والفتح والنصر خدينه ، ولا يحط أى غبار على صفحات كماله ، ولا يرى أى مكروه .

تربية الأمير

وعندئذ أحضروا ظئرا مستقيمة البنية ، معتدلة الهيئة ، لطيفة الطبيعة ، كريمة الجبلة ، وأعطوها الأمير ، وكانت تربيه فى مهب الصبا والشمال ، وكان الأمير يتقوى ، ولما بلغت سنه الثانية عشرة ، أرسله الملك إلى المؤدب ليتعلم ثقافة وآداب الملوك ، وفى مدة عشر سنين لم يتعلم أى شىء من مدارك العلوم ، ولم يظهر أى أثر ، فضجر الشاه واغتم لذلك السبب ، وأمر فأحضروا الفلاسفة ، وعقد محفلا ، وقال لهم بطريق الاستشارة والاستخارة : لا بد للملوك من معرفة شروط الرياسة ، والإلمام بلوازم السياسة ، وفيض الفضل وبسط العـــدل ، والفكرة الصحيحة ، والرأى النجيح ، وحل وعقد أولياء الدولة ، وخفض ورفع أعداء المملكة ، وقمع الأعداء وقهر الحاسدين ، وتربية الأولياء وتخويف الأعداء ، وحل المشكلات ، ودفع المعضلات ، وآيين (نظام) الملك على سنن العظمة ، وشرائع الفتوة ، ولوازم المروة ، واستمالة الأصدقاء ، واستقالة عثرة الخدم ، لأن مناصب الملك لا يمكن ضبطها بغير الفراسة الكاملة ، والسياسة

(١) أفريدون وجم من ملوك إيران الأسطوريين المعمرين .

الشاملة ، وإحراز الآراء ، وإفاضة الآلاء : [فيجب أن يُختار][1] من جملة الفلاسفة من يهتم بإتمام هذا المهم ، ويقوم بمواجب هذه الخدمة ، ويؤدى شرائط الشفقة ولوازم النصيحة ، ويعلمه ويلقنه دقائق العلم والحكمة ، ويصيره محتظيا ومتوفراً بالعدل والفضل ، بحيث يصير — بإمداد العلم والحكمة — مستعداً لسرير المملكة والسلطنة ، لأن البازى الأبيض مهما يكن لائقاً وجديراً ، ما لم يتحمل عناء التعليم واليقظة ، ويتأدب ويتهذب بالرياضة ، لا تربط الجلاجل الذهبية على رجله ، ولا يجعلون من يد السلاطين مركبا له ، وكذلك الذهب والفضة حين يخرجان من المعدن ، يكونان ممتزجين ومخلوطين بالكدورة ، وما لم يضعوهما فى بوتقة ، الامتحان ، ويفصلوا عنهما الغش والكدورة بتقوية النار ، لا يصيران خالصين وصافيين ، ولا يليقان[2] بخلاخيل العرائس وتيجان الملوك .

بيت (مجتث)

فما على التبر عار فى النار حين يقلب

***

فأثنى عليه الحكماء والوزراء ، وزادوا بإصابة رأيه وإجابة رويته وثوقا واعتمادا وقالوا :

شعر (هزج)

١ — أى راى تو بر سپهر تدبير صورتگر آفتاب تقدير

---

(١) (فيجب أن يختار) أضيفت هذه العبارة للأصل ، لتستقيم العبارة . لأن النص غير مستقيم .

(٢) الترجمة الحرفية : ولا يستحقان خلخال العرائس وتاج الملوك .

٢ — راز گره پیاز ما نند پیش دل تو بر هنة چون شیر

والمعنى

١ — يا من رأيك فوق فلك التدبير ، مُصورُ شمسِ التقدير .

٢ — وسر العقدة التي تشبه البصلة ، مكشوف أمام قلبك كاللبن .

***

العود الذي نبت في مرج الملك الشاهي[1] ، وتربى في رياض الدولة السلطانية ، حين يغسل سحابُ إفاضة العلوم أوراقَ أشجارِه وأنوارِه وأزهارِه من غبارِ الغفلة والنسيان ، يعطر نسيمُ شميمِه العالم ويُبَخِّرهُ ، فاختاروا من جملة هؤلاء الفلاسفة الألف سبعة ، وأسلموا زمامَ هذا المهم لكفايةِ وأنامل تدبيرهم .

يأس الحكماء من تربية الأمير

وجلس هؤلاء الحكماء السبعة ثلاثة أيام بلياليها وخاضوا في هذا المعنى ، ونظروا في طالع ولادة الأمير ، وكان كل منهم يدلي برأيٍ ولم ير أيٌ واحد الشروعَ في هذا الباب صواباً وقالوا : ما دام لم يتعلم أى شىء من أنواع العلم والحكمة في مدة عشر سنين ، ولم يتقبل طبعه التعليم والتلقين ، مع أنه كان في بدء نشوئه وابتداء نموه ، ولم تألف قريحته التعلم والتأدب ، ولم تتأدب ولم تتروض ، فالآن مستحيل أن يقبل التعليم ، لأن الحديد الذى بقى في الأرض الملحة يصدأ ، وإذا بقى طويلا يصدأ كل جوهره ، وبعد ذلك لا يقبل إصلاحا وخلاصاً بالنار والعقار ، وكذلك العود الذى نبت أعوج ، إذا زاد التكلف والتكليف في تقويمه ، ينكسر ويتلف ، ويضيع العناء والتعب في تعهده .

(١) الشاهى : نسبة إلى الشاه أى الملك .

قبول سندباد تعليم الأمير

فقال سندباد الذى كان واحداً من جملة هؤلاء الحكماء السبعة : كانت نُحوسةٌ متصلةٌ بطالع هذا الصبى ، والآن تزول تلك المناحيس ، أنا أقبله وأعلمه جملة العلوم ، لأن الأدمىَّ ، بالحيلة ، يستنزلُ الطائر من الهواء ويستخرجُ السَّمكة من قاع البحر ، ويصيِّرُ البهيمةَ الجامحةَ الوحشيَّةَ ألوفة ومرتاضةً . فقال الفلاسفة : سندباد راجح علينا فى العلم والفضل ، وليس بيننا أحدٌ أكثرَ منه استجماعا ، لأن الأيام جعلته مستغرقا فى إفادة العلوم وإفاضة الحكمة والمعرفة ، وكل طائر يعطيه حبَّة تربيته يجعله ندا للعنقاء وعشيراً للطاووس ، وكلُّ جمال تحدثه مِشاطةُ عَقْلِه ، وحُلىٌّ زينة تعقدها قريحتُه ، تستطيع مساواة الشمس ومناظرة القمر ، لنفَسه خواصُّ نفَس المسيح ، ولنظره تأثير طبع الكيمياء[1] . فقال سندباد :

بلى : مهما أكن حكيما وعالما ، فإنى لا أغتر بمقالكم ، ولا أفتنُ بمَدْمَدَتِكم كما وقع ذلك القردُ فى الشرك بمقال الثعاب ! فسألوه كيف كانت تلك الحكاية ؟ احك !

١ — حكاية القرد والثعلب والسمكة

قال سندباد : حكى أن ثعلبا رأى سمكة فى شارع[2] طريق ، ففكر فى نفسه : إن هذا الموضع ليس بحراً ولا نهراً ، ولا دكان صياد وبائع سمك ، حتى

---

(١) الكيمياء عند القدماء ، علم تحويل المعادن الخسيسة كالنحاس والرصاص ، إلى معادن نفيسة كالذهب ، أو مادة تضاف إليها ، وتسمى الإكسير أيضا ، لتصيرها ذهبا .

(٢) شارع الطريق أى نهره ووسطه .

يمكن أن تكون فيه سمكة ! ولا يكون هذا بدون علة وتعبئة ، فترك السمكة وأخذ طريقه ، وفى الطريق قابل قرداً ، فسلم الثعلب على القرد وأدى شرط التحية ومراسم الخدمة وقال : لقد أرسلنى إليك الوحوش والأوابد بحكم الثقة ، رسولا وسفيراً ، وهم يحملوننى رسائل ويقولون : كان الأسد حتى هذه الغاية ملك السباع ، وقد ألحق بنا آلاما ومتاعب كثيرة بالظلم وسفك الدماء ، ونريد الآن أن نعزله من الملك والسلطنة ، ونضع زمام هذا المهم فى يد تدبيرك الصائب ، فإذا قبلت ورغبت ، ورأيت الاهتمام بتمشية هذا الأمر واجباً ، فتعال إلى الموضع الفلانى ! فاجتذب طمعُ الملك والسلطنة القردَ ، وعاد مع الثعلب على الفور ، ولما عرف الثعلب أنهما اقتربا من السمكة ، وقف ، وبسط يديه بالمناجاة وقال : أيها الملك ! إنك أنت الذى تركب العقل والجهل فى الأدمغة ، وتجمع المعرفة والسَّفَه فى القلوب ، قوله تعالى: يؤتى الحكمَةَ من يشاء ومن يؤت الحكمَةَ فقد أوتى خيرا كثيراً[1] ، إذا كانت هذه الإشارة قابلة للتحقيق ، فاعطنا البشارة بشيء لم يكن أى صاحب دولة قد رأى له مثيلا وشبيها !

ولما خطوا بضع خطوات ظهرت سمكة ! فقال الثعلب : الله أكبر والخليفة جعفر ! ! هذه علامةٌ أنّ دعائى قد اقترن بالإجابة ! وما دامت ظهرت مثل هذه العلامة ، ولاحت مثل هذه الكرامة ، فأنت الآن أكثر جدارة بهذه النعمة ! فاستساغ القردُ هذه الخدَعَ كالسكر ، وسار على ماء الغَرَر نحو السمكة ومد يده ، فقفزت أرسانُ الشَّرَك وأمسكت رجل القرد بشدة وأحكمت وثاقها وانفصلت السَّمَكةُ عن الشَّرَك ، فتقدم الثعلبُ وأخذ فى أكل السمكة ، فقال القرد : ما هذا الذى تأكل ؟ وما هذا الذى أمسكنى بشدة ؟

---

(١) السورة الثانية (البقرة) الآية ٢٦٩ .

فأجاب : لا معدى للملوك عن القيد والسجن ، ولا مناص للرعايا من اللقمة والطعمة ! !

* * *

فأثنى الحكماء على سندباد وقالوا :

بيت (وافر)

لك القِدْحُ المعلَّى فى المعالى   إذا ازدحم الكرامُ على القِداح

* * *

الخصْلُ[(١)] السبّاق فى كل باب ، مُعيّن لسندباد على الإطلاق ، خصوصا أنه مع[(٢)] السن والتقدم فى شروع العلوم على كل صنف ، والمبادرة فى الخوض فى كل فن ، كان جمال حاله دائما متحليا بطُرّة وخال الفضل والحكمة ، وروضة أزهار ألفاظه مشذبة من شوك الكذب والخلاف ، فقال سندباد : أنا لا أقول إنى أعلم منكم ، وكذلك لا أقول : أجهل ، كما قال ذاك الجمل للذئب والثعلب ! فسأله الحكماء : كيف كانت تلك الحكاية ؟ احك !

٢ — حكاية الذئب والثعلب والجمل

قال سندباد : حكوا أنه فى ماضى الشهور والسنين ، ترافق جمل وذئب وثعلب ، وسافروا من قبيل المصاحبة ، وكان معهم من وجه الزاد والمؤونة ، رغيف لا أكثر ، ولما ساروا مدة ، وأثر فيهم تعب الطريق وعناء النفوس ،

---

(١) خصلهم خصلا : فضلهم ، الخصل أيضا إصابة الهدف (أقرب الموارد) .

(٢) فى الأصل (بر = على ، عند)

واشتدت حرارة العطش ، واستولت يبوسة المجاعة ، جلسوا على حافة نهر وثارت بينهم مخاصمة ومجادلة من أجل الرغيف ، وكان كل منهم يدلى ببيان وبرهان على استحقاقه ، إلى أن استقروا آخر الأمر على أن كل من ولد منهم قبلُ ، يكون أولى بأكل هذا الرغيف ، فقال الذئب : ولدتنى أمى قبل أن يخلق الله تعالى هذه الدنيا بسبعة أيام ! فقال الثعلب : حقا تقول ! كنت حاضرا تلك الليلة فى ذلك الموضع ! وكنت أرفع لكما السراج وأعين أمك !

فلما سمع الجمل مقالتى الذئب والثعلب على هذا النحو ، مد عنقه وأخذ الرغيف وأكله وقال : كل من يرانى يعرف على التحقيق أنى لم أولد من أمى الليلة الماضية ، وأنا أكبر منكما جدا ورأيت الدنيا أكثر منكما وحملت حملا أكثر ..



انتخاب الحكماء لسندباد

فاتفق جملة الحكماء على أنه لا يمكن أن يكون لباب هذه الحادثة مفتاح غير كفاية سندباد ، ونال شرف التقريب والترحيب ، وتشرف بالمفاوضة والمحاورة ، وقال الشاه : هذا الابن زبدة دولتى وخلاصة مملكتى ، وعنوان مسرتى وفهرست بهجتى ، وفى مدة امتداد عمرى لم تظهر من دوحة وجودى غير هذه الثمرة ، فيجب أن تفهمه وتقدم له مكارم الأخلاق ، ومحامد الأوصاف ، ومقاييس السياسة ، وقوانين الرياسة ، وآداب السلطنة ، ودقائق الشريعة ، وحقائق الطريقة ، ليصير مجربا ومهذبا ، والثقة والاعتماد بعد فضل أكرم الأكرمين ، وفيض أرحم الراحمين ، على كفايتك وشهامتك ، وعندما تظهر آثار ذلك على صفحات أحواله ، وحواشى أعماله ، تؤدّى حقوق المناصحة

فى شرائط المكرمة . فخدم السندباد وقال سيُقدِّم كل ما يكون ممكنا فى وسع البشرية من تقرير لوازم النصائح ومواجب التعاليم بغاية الطاقة وقُصارى المُكْنة .

تعليم سندباد للأمير

فصار مشغولا بتعليم الأمير ، وكان يقول له بالبيان والبرهان كل ما كان من طُرَف ونُتَف ونُكَت ، ودقائق العلوم ويبلغها إلى سمعه الميمون .

ولكن بحكم أن الأمير كان فى حداثة السن وبداية الصبا ، كان يَعُدُّ هذه الغرر والدرر مثل الصَّبا[1] ، ولم يكن يوطن القلب على تحصيل العلم وتحمل أعباء مشقة الحفظ والتكرار ، حتى مضت على هذا مدة ، ولم يصِرْ فى خزانة صدره أى شىء مدخر من نقود العلوم ، وكان سندباد يبذل جُهد استطاعته ما استُوعِبَ فى وطاء الطاقة ووعاء القدرة من التفهيم والتعليم ، ويقضى زمانا فى الصباح والمساء بلَعلَّ وعَسى ، وينتظر فرصة ، ويرقب ساعات السعادة ويقول : لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً .

بيت (هزج)

مى آموزم تابتن اندر جانم

نتوان دانست ، بوكى بتوان دانست

والمعنى :

---

(١) الصبا بالفتح ريح الصبا وهى ريح تجرى رخاء ، والمقصود أنه كان يتنبرها كالريح ولا يأبه بها .

أعلمه ما دامت الروح فى جسدى ، لا يمكن أن يُعرفَ ، عَلَّه يُستطاع أن يُعرَف !

***

غضب الشاه واستدعاؤه سندبادَ

أنهوا هذا المعنى إلى سمع الشاه ، فاستولى التحيُّرُ على خاطره العاطر ، وقال لنفسه : إن الرَّجلَ الصَّيقَل بالتَّثبت والتأنى ، يجعل من جوهر الحديد الظُّلمانى فى عدة أيام مرآة يجذبُ جوهرَها المظلمَ فى الصَّقالة والصفوة إلى حد أن تصير عاكسةً محاسنِ (وصوَرَكمُ فأحسنَ صُوَرَكمُ)[1] ومحاكية لطائف هيئات البشر بحيثُ يمكن بواسطتها مطالعةُ آياتِ المجد الملكية ، ومشاهدةُ رياضِ الصنائع الإلهية .

أجزاء طبيعة وقريحة ابنى ليست أصلبَ من الحديد ، ولا أشدَّ ظلمة من جوهره ، كان ينبغى أن يكون لبدائع تعليم وصنائع هذا الحكيم أثرٌ ، ولمقاساة متاعبه التى تحملها فى هـــــذه المدة تأثيرٌ ، ثم أخذ يردد فى نفسه هذا البيت :

بيت (وافر)

وكل شـــديدة نزلت بحى سيأتى بعد شدتها رخاء

شعر (هزج)

زين بيش غمِ زمانه نتوان خوردن

چه توان كرد چو هيچ نتوان كردن

---

(١) وصوركم ، الآية : السورة الرابعة والستون (التغابن) آية ٣ .

والمعنى :

لايمكن تجرعُ غصة الزمان أكثر من هذا ، ماذا يمكن عمله حين لا يمكن عملُ أى شيء ؟

***

صار الملك متفكرا لهذا السبب ، وظهرت آثار التغير على صفحات وجناته فأطلق الوزراء والندماء لسان الاستفسار قائلين : ما موجب تغيّرِ كريم طبع الملك ؟

بيت (هزج)

آنرا كه غمى بوَذ بتوانـــذ گفت

غم أزدل خوذ بگفت ، بتواند رُفت

والمعنى :

إن من لديه غم يستطيع أن يفضىَ به ، يمكنه كسحُ هذا الغم من قلبه بالإفضاء به .

بيت (متقارب)

وقائلةٍ لمْ عَرتك الهمومُ   وأمرُكَ ممتثل فى الأمم

فقلتُ دعينى على غُصّتى   فإنّ الهمومَ بقدر الهمم

***

نعَمْ ! إن السعادة عنقاء مُغرب وكبريت أحمرُ وزمُرُّدٌ أصفر ، لكل امرىء بقدر همته ولائق حالته ، فكرة وحيرة .

بيت (هزج)

آنكس كى دلى خوش بجهان آوردست

ازخانهٔ سيمرغ نشـــان آوردست

والمعنى :

من جاء إلى الدنيا بقلب سعيد ، فقد جاء بعلامة من عُشٍّ العنقاء .

***

ثم قال : اعلموا أن لخاطرى نحو هذا الابن نظر عظيم والتفات تام ، وكنت حتى هذه الغاية منتظرا أن يظفر عودٌ من العقل بثمرة العلم فى رياض طبعه ، أو تظهر نضرة وخضرة فى مرج قلبه ، ليصير موسوما ومذكورا بسمة العلم ، سندباد نفسه كان يضرب بالمطرقة على حديد بارد ، وينقش على سطح الماء ، وحقاً قالوا :

شعر (بسيط)

فقرُ الجهول بلا قلب إلى أدب فقرُ الحمار بلا رأس إلى رسَنِ

بيت (رمل)

هست بردن علم ودانش نزد نادان همچنانك

پيش كر بربط سراى وپيش كور آينه دار

والمعنى :

حَمْلُ العلم والمعرفة إلى الأحمق الغبى ، كالمجىء بمطرب لدى الأصم وحامل مرآة لدى الأعمى .

***

وأخيراً ، تصرخ في جبل ، فيُرجع صدًى ، وتحفر بئرا في تل رمل ، فيظهر ماء ! ولا يكون لإفادة تعليم سندباد ، وإفاضة تلقينه أثر أقل من ذلك !

وأمر فأحضروا سندباد ، وشرح هذه المعانى وقال : يعطون جوادا جامحاً لرائض، فيروض تعليم الرائض فى دقائق الرياضة ، البهيمة ويعلمها ويهذبها ، حتى تطلع وتشرف على خفيات وجليات إرادته ، بإشارات العنان وحركات الركاب ، وتودِّعَ الجموحَ الباعث على الوحشة ، وتبعدَ عنها الطبعَ البهيميَّ الداعى إلى عدم المبالاة ، والمهيج خلع العذار ! وذلك يتيسَّرُ فى مدة يسيرة . فلماذا يتحتم أن لا تألفَ قريحةُ وجبلَّةُ الأمير – وهو من أرومة الكرام ودوحة الأشراف – الأدب والحكمةَ مع كثرة المواظبة والمداومة ومشقة التعلم ومحنة التعليم ، ولا يثمر العود الذى سيصير زينة مرج الدين والدولة وحِلْيةَ المُلك والمِلَّة ؟ فهل استجزت غفلة وتقصيرا فى تربية ورعاية جانبه العزيز ؟

فلما سمع سندباد هذه المقدمات ، نهض على قدميه ، واستأذن الشاه والحاضرين وقال : ليكن بقاء أكابر الدولة وأماثل الحضرة ، فى ظلال الجلال ومزيد الإجلال ! إذا سمح لى ، أفضيت بتمهيد الأعذار فى مقابلة هذا الخطاب! فقالوا : قل !

قال سندباد : لا يخفى على شريف رأى الأكابر ، وهم نجوم سماء الفضل ، ورياحين بستان العدل ، أن لمدَّاح الدولة العليَّة – هذا – تبحرا ظاهرا فى فنون العلوم وصنوف الحكم ، وتفكرا صائبا فى تجارب الحوادث ، وقد قطى مدة عمره فى التعليم والتعلم ، والإفادة والاستفادة ، وإذا كانت صورة هذى الحال فى معرض التقصير ، فأنا لم أجز تقصيرا ، وقدمت كل ما يمكن ويتصوَّر من المقاساة والاجتهاد ، ولكن بغير التأييد السماوى والعناية الربانية لا تبدى

سعادةُ المقصودِ جمالَها بالحيلة البشرية ، ولا توافق أنواعُ التدابير ، أنوارَ التقادير ، ولا يرفعُ وجهُ المطلوب النقاب عن وجه وجوده ، ما كل من طلبَ وجدَّ وجَدَ ، وما كل من ذهب وردَ .

بيت (كامل)

ولربما فات المـــــــرادُ وما به فوتٌ ، ولكن ذاك بختُ الطالبِ

* * *

وحين أتأمل هذى الحال، أرى أمرى مع الأمير ، شأنه شأنُ الفيل والفيّال مع ملك كشمير ! فسأله الحاضرون : كيف كانت تلك الحكاية ؟ احك !

٣ — حكاية شاه كشمير مع الفيال

قال سندباد : فى العهود الماضية ، والسنين الغابرة ، كان مستوليا على بلاد كشمير ، التى هى فهرستُ سواد الربع المسكون ، وديباجة فاتحة المركز المعمور ، ملكٌ بالعدل والقسط معروف ومذكور ، وبالإنصاف والانتصاف مشهور ، وبحكم استعلاء الهمة ، واستيلاء النهمة ، واستيفاء العُدة واستكمال الأهبة من أجل زمان الحرب ، كان له أفيال بلا عدد ، وفى وقت الحركة ، كان يضعُ مهدا على فيل ، وكان كبير الفيالين يعرض عليه جملة الأفيال كل يوم .

وذات يوم قنص الصيادون فيلا وحشياً من هذا النوع الخفيف الخطو ، العظيم الجثة السريع كالريح ، المدوى صوته كالرعـــد ، الخاطف كالبرق؛ كأنه جبلٌ يستون معاق على أربعة عمُد ، أو سحابةٌ تهبط بمجاورة شهاب من أوج الهواء إلى حضيض الأرض ، بحيث كان كل من رآه فى فضاء الصحراء يقول :

بيت (هزج)

برآمذ پيل گون ابرى ززوى نيـــل گون دريا
چوراى عاشقان گردان ، چو طبع بى دلان شيذا(١)

والمعنى :

أقبلت سحابة كالفيل من فوق البحر الأزرق النيلى(٢) ، حائرة كرأى العاشقين ولهى كطبع الوالهين .

***

له حركة الريح ، وسرعة النار ، وصورة الجبل ، ومنظر السحاب ، ومخبر الشهاب ، حديدى الأظلاف ، فولاذى الأنياب ، له خُلُقُ الفهد وقلبُ الأسد، وأساس الجبل وهيبة الصاعقة وهيئة النار ، كان ينحدر من أعلى إلى أسفل كالماء ، ويصعد من سُفْلٍ إلى علٍ كالنار .

شعر (رجز)

١ — هايل هيونى تيزدو اندك خور بسيار رو
از آهـــــوان برده گرو در پويه ودر تاختن
٢ — هامون گذارى كوه فش دل بر تحمل كرده خوش
تاروز هرشب باركش هرروز تاشب خاركن
٣ — چون باذ وچون آب روان در دشت ودر وادى دوان
چون آتش وخاك گران در كوهسار ودر عطن

---

(١) البيت من ديوان فرخى السيستانى .
(٢) كناية عن صفحة السماء .

٤ — سياره در آهنگك اوحيران زبس نيرنگك او
در تاختن فرسنگك او ازحـد طايف تاختن

والمعنى :

١ — جَمَل هائلٌ سريعُ العَدْو ، قليل الأكل كثير السير
كسب الرهان من الغزلان فى السير وفى العَدْو

٢ — عابر البيد ، مثل الجبل ، وطن قلبه على التحمل
يحمل الأحمال كل ليلة حتى النهار ، ويحتطب كل يوم حتى الليل

٣ — مثل الريح ومثل الماء الجارى ، يعدو فى الصحراء وفى الوادى
كالنار والتراب الثقيل فى الجبال وفى العطن(١)

٤ — السيارة فى قصده ، حيرى من كثرة مكره
فى الجرى فرسخُه من حد الطائف حتى خُتَن(٢)

* * *

فلما رأى الشاه هيكله وطلله ، راق فى عينه ، ولقى فى قلبه موقعا كبيرا ، فأمر كبيرَ الفيالين أن يروِّضَه ، ويعلمه آداب الكر والفر ، والحركة والسكون والدوران والجولان ، والعطفة والحملة ، بحيث يكون ملائما للحرب والميدان ، ولائقا لركوب الملوك ، فخدم الفيالُ ، وأقام بحكم أمر الشاه ثلاث سنوات متصلة فى ترويضه وتعليمه شرائط الخدمة ولوازم الطاعة . فلما انقضت مدة التعليم ، أمر الملكُ أنْ يُعرضَ عليه الفيل ، ويركبَ عليه الملك ويرى غاية أثر تعليمه ، فما إن ركبه الملك حتى وثب الفيل كالأسد ، واندفع فى الصحراء كالريح ، وأخذ يجرى هابطاً صاعدا مثل العنز

(١) العطن : مبرك الإبل . (٢) ختن : التركستان .

الجبلى ، والخنزير البرى ، وسار فى السَّبسب والبيداء ، كالصرصر والنكباء ، وجرى من مطلع النهار حتى مقطع الليل على هذه الصفة ، والشاه فوقه متحير متفكر مثلُ فرخ العنقاء فى قلال الجبال ، والغُثاء فى أفواج أمواج البحر ، ومهما أراد أن يوقف الفيل ، لم يتأت فى حيز التيسير ، ولم يتحيز فى مركز الإمكان ، وصار الهبوط — مع تواتر السير وتعاقب الحركات — غير ممكن ومتعذرا ، وحتى صلاة العشاء ، حيث فتر الفيل من الجوع ، واحتاج إلى العلف اتجه إلى العطن المعهود ، والوطن المألوف ، ولما وصل إلى مستقره ، سكن واستقر ، فنزل الشاه من فوق الفيل ، وهو عظيمُ التأثر ، شديدُ الغضب ، وأمر أن يضعوا الفيال تحت أقدام فيله ، فلما شاهد الفيال أثرَ عقوبةِ الشاه وحدة غضبه ، عرف أن نار سُخطه ملتهبة ، وأن طبعَه الملول مضطرب ، فقال لنفسه : البحر لا جارَ له ، والسلطانُ لا صديقَ له !

بيت (هزج)

بسيار بگفتم أى دلِ بد پيوند باعشق مكوش ودل بهر عشوه مبند

والمعنى :

كثيرا ما قلت لك أيها القلب السيء الصلة

لا تجِدَّ مع العشق ولا تعلق قلبك بكل غمزة

***

فلما رأى نفسه موثق اليدين والرجلين ، وقطع الأمل من الحياة ، قال : أقول كلمة عجز ، لعل ماء حلم الشاه يُسَكِّن نار غضبه ، وهاتف مكارم الأخلاق يبلِّغُ نداء (والكاظمين الغيظَ والعافين عن الناس)[١] إلى سمعه ، ثم قال بلسان التضرع وبيان التخشع :

(١) السورة الثالثة (آل عمران) الآية ١٣٤ .

بيت (بسيط)

اصبر على القدر المحتوم وارض به ... وإن أتاك بما لا تشتهى القدر
فما صفا لامرىء عيش به طرب ... إلا سيتبع يوما صفوه الكدر

شعر (هزج)

همواره برين نهاذ يزدان عالم ... نيكى زپس بذى وشاذى پس غم

والمعنى :

وضع الله العالم دائما على هذا ، الإحسان بعد الإساءة ، والسرور بعد الغم .



ومسح وجهه وشعره فى تراب المذلة وقال : إذا كان الملك لا يقيم وزنا لحقوق خدمة عبده ، وقدم عبوديته ، ولا يشفق على قلوب أطفاله الذين يتيتمون ، ونسائه اللاتى يتأيمن ، فإن ملوك العالم اليوم يضربون المثل بعدله وإنصافه ، ويحملون منشور الإنصاف والمعدلة من ديوان جلاله ، ويطلبون مشروع إقطاع ممالك العدل من كاتب كرمه ، ولا يليق بعدل الشاه أن يجيز عقوبة كهذه بغير موجب على عبده ، ويخضب بدم الخنجر شعره الذى أبيض فى امتداد مدة خدمته !

فقال الشاه : أى جرم أعظم من هذا ، إذ أمرتك أن تؤدب وتهذب هذا الفيل ، وبعد مدة ثلاث سنوات ، ما يزال جامحا ووحشيا هكذا ؟ فقال الفيال : ليكن معلوما لرأيكم الأشرف الأعلى ، أن عبدكم لم يقصر فى أبواب التأديب والتعليم ، وقد علمه جملة آداب الحركات والسكون ، وإذا أمر الملك أن يفكوا يدى وقدمى عبدكم ، فإنه يظهر برهان هذه الدعوى ، بمشاهدة نظر الملك

ويَعرض دلائل امتثال الأوامر والنواهي الملكية بالمعاينة ، فلما سمع الشاه هذه المقدمات ، سكنت فورة غضبه ، وأمر ففكوا القيود والسلاسلَ من يديه ورجليه ، فاعتلى الفيال ظهر الفيل وقال : ليأتوا بحزمةِ عُشب وقطعةِ حديد متوهجة بلون النار ! فلما أحضروهما ، مد الفيل خرطومه إلى العُشب من شدة الجوع واحتياجه إلى العلف . فقال الفيال : لاتأخذ العلف ! خذ النار ! أراد أن يأخذ النار ، فقال : لاتأخذها ! ضع يدك عليها ! أراد أن يضع يده عليها ، قال : لاتضع يدك ! اخدم الشاه ! فخدم الفيلُ الشاهَ !

فقبل الفيال الأرض وقال : ليعش الملك مخلَّدًا فى كمال البسطة ودوام القدرة ! أنا استطعتُ أن أعلم هذا الفيل أن يستطيع العمل برأسه ورقبته ويده ، ورجله وخرطومه ، أما ما تعلق بقلبه وطبعه ، لم أستطع تعليمه ، لأن ذلك خفى عنى ، ولا وقوف لى عليه ، ولعله كان التقدير السماوى أن تمرَّد من تحت عنان تصرُّفِ الشاه ، ولا تطلع عقول البشر على خفيات أسرار القضاء ، وخبيئات تأثير القدر ، وكل حادثة تنزل من العالم العلوى إلى العالم السُّفلى ، لا يدخل دفعها فى إمكان الخلق ، وإذا أرادَ اللهُ بقوم سوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ[1] . فلما سمع الشاه حجة الفيال غفر ذنبه .

تعهد سندباد بتعليم الأمير واعتراض الوزراء

وأنا — عبدكم — ربيب نعمة الشاه ، والداعى لدولته ، وحتى هذه الغاية قد حصَّلتُ فى ظل عواطفه ولواطفه أسباب السعادة الدينية والدنيوية ، واشتغلت فى كنف رأفته وجوار رحمته ، باستنباط المبهمات ، واستخراج المعضلات .

---

(١) السورة الثالثة عشرة (الرعد) آية ١١ .

ولما منح رأى الملك الأنور عبدكم شرف تعليم النجل قدمت كل جدٍّ وجهدٍ أمكن ، ولكن سراً من مستودعات القضاء ومكنونات القدر ، وضع يدَ الردِّ على جبينه ، وعرك نقشَ كعبتيه ، ولا يستطيع أى مخلوق أن يجيل جوادا أو يأخذ كرة فى ميدان المقاومة مع القضاء السماوى ، والآن سعود الأفلاك ناظرة إلى طالع الأمير ، وقد كنت إلى هذه الغاية مترصدا هذه الفرصة ، ومنتظرا هذه الساعة وقد ترقبت وترصدت طلوع هذه السعود ، وإدراك هذا المقصود ، بتخريج الزيج ، وتعليم التقويم ، والآن باقتضاء القضاء ، ونظر سعود الكواكب ، وأثر لطف الخالق ، أتعهد بأنى فى مدة ستة شهور ، أعلمه كل ما يكون من معالى الأخلاق ، ومحامد الأوصاف ، ودقائق العلوم ، ونفائس الشيم ، وأسرار علم التنجيم ، ومعرفة الدرج ، ودقائق التقويم وطرف علم الطب ونتف خواص الأدوية وغير ذلك ، وإذا دخل تفاوت وتأخير بلوازم ذلك ، أكون مستوجبا مجازاة وعقوبة الشاه .

فتعجب جماعة الوزراء والندماء من هذا الكلام وقالوا : أيها الحكيم ! ادعيت دعوى عظيمة ، وقد قال العقلاء : كل قول لا ينتهى بالفعل ، يكون غمامةً جهاماً وحساماً كهاماً[1] ، وشجرة بلا ثمر .

إذا كان لم يكمل فى اثنتى عشرة سنة ، كيف يتم فى ستة أشهر ؟

قال واحد من جماعة الوزراء : أربعة أمور ما لم تتم ، لا يلزم عليها مدح وذم :

أولها : الغذاء ما لم ينهضم .

وثانيها : المرأة الحامل ما لم تضع حملها .

وثالثها : الشجاع ما لم يخرج من المعركة .

---

(١) الغمامة الجهام ، التى لا ماء فيها ، والسيف الكهام . الذى لا يقطع .

ورابعها : الزارع مالم يأخذ من البذر والحب ريعا ونُزُلا .

وقال آخر : لا يُحصَّل أى علم بغير آلات وأدوات ، وهى : صفوة الطبيعة ، وكمال الكياسة ، وقوة الحفظ والرَّوية : ومع كل هذا لا يتأتى فى الإمكان بغير العناية الربانية والتأييد السَّماوى . والمعتاد والمعهود للناس ، هو أنه إذا لم يُحصَّل شىء من المعلوم فى أول النشوء ، وابتداء الصبا ، وحداثة السِّن ، وعنفوان الشباب ، حيث الذهن والخاطر فى غاية الحدة والصفاء ، والقريحة والفطنة فى كمال النشوء والنماء ، فإنه لا يحصل أيضاً فى انتهاء الأعمار وكبر السِّن .

وقال آخر : سندباد فى العلوم والفضائل متبحر ، ومن وفور الفنون متوفر ، والحكماء يرون توقى وتصون رياض الألفاظ ، ومرج النطق ، وحديقة أزهار المعانى ، من شوك وهشيم الخلاف ، واجباً ، ويصونون جمال صدق النطق الذى هو من خواص الإنسان ، من قبائح الخلاف وفضائح التزوير .

وتحفُّظ وتيقُّظ سندباد معلومان لأهالى الممالك ومقرران ، والأعمال منوطة ومعلقة بالأوقات ، والعود الذى لا تزيِّنه بالغرس والتنقيح فى عهد اعتدال فَرْوَرْدين(١) ، لا تربيه التربة بحب الأمهات ، ولا يصطنع له الماء لبن العناية لرضاع الصبا ، ولا يكسوه فى أُرْديبِهِشْت(٢) حلة الجنة .

فعاد الشاه بهذه المقدمات الموافقة والكلمات الرائقة ، إلى هدوئه وسكن اضطرابه وقال : الماضى لا يذكر ، يجب أن تخرج من عهدة هذا

---

(١) فروردين أول شهور السنة الشمسية الإيرانية وأول شهور فصل الربيع .

(٢) أرديبهشت ثانى شهور السنة الشمسية الإيرانية وثانى شهور فصل الربيع .

الوعد[1] ، وتصونُ أقاويل الإنصاف من أباطيل الخلاف ، لأن الكبراء قالوا : خلاف الوعد كشجرة الخلاف ، لها رواء خُضرة ، وطراوة ونُضرة ، وما لها زهر ولا ثمر .

شعر (طويل)

توقَّ الخلاف إن سمحت بموعدٍ لتسلمَ من هَجر الورى وتُعاقَ
فلو أثمر الصفصاف من بعد نَوْره وإيراقه ما لقبـــوه خلافا

***

نخدم سندباد وقال : ما دام نظرُ العواطف ، وإكرام اللواطف ، والإنعام الملكى ، متواترة ، ومتوالية ، ومتعاقبة ، لا يبقى أى مقصود مفقوداً ، ولا يصير أى مأمول غير حاصل ، وكذلك قال العلماء : البلد الذى لا يوجد فيه خمسة أشياء ، لا يكون موضع قرار لعاقل :

أولها : ملك عادل ووال سائس قادر .

وثانيها : أمواه جارية ومزارع مثمرة .

وثالثها : عالم عامل غيرُ طامع وورع .

ورابعها : طبيب حاذق مشفق .

وخامسها : مُنعم كريم رحيم .

والمنة لله ، كل السعادات الخمس حاصلة وموجودة فى هذا الإقليم بجلال دولة الملك العادل .

ومثال الملك مثل النار : كل من يكون إليها أقرب ، يكون خطرُ احتراقه أكثر ، وكل من يكون عنها أبعد ، يكون أكثر حرماناً من مرافقها ومنافعها.

---

(١) أى يجب أن تفى بهذا الوعد .

بناء سندباد البيت المكعب لتعليم الأمير

ثم خرج وأمر فبنوا بيتا مكعبًا مُسطّحا ، وصقلوا سطوحه بالجص والمحارة ونقش على سطح ، صورَ البروج والكواكب الثوابت والسيارات ، بالتصوير والتشكيل ، وكتب علامات الدّرج ، والدقائق ، والثواني ، والثوالث ، والروابع ، والخوامس ، والهبوط ، والوبال ، والأوج ، والشرف ، والارتفاع والحضيض ، والاجتماع ، والاستقبال ، والمقارنة ، والمطارحة ، والتثليث ، والتربيع ، والتسديس ، ورسم صور وهيئات كل واحدة .

وسطّر على سطح آخر أنواع المعاملات الدنيوية ، والمعاشرات ، مع الأخلاق والآداب ، والرياضات والطاعات والعبادات .

وأثبت على سطح آخر صورَ العلل ، وأسامى الأدوية ، وخواصّها ومنافعها وأنواع الأمراض ، وصنوف الأمزجةِ والمركبات وغير ذلك .

وبين على سطح آخر أنواع النفخات ، وأصناف الأصوات ، وإيقاع النقرات ، والأزمنة المتفاوتة والمتناسبة ، والحركات المتقاربة والمتباعدة ، ومراتب الأوتار ، ومدارج وتراكيب الأوزان والألحان .

ورسم على سطح آخر الأشكال الهندسية ، مثل المثلثات ، والمربعات ، وكثير الأضلاع ، والمدوّر ، والمقوس ، والمنحنى ، والمستقيم .

ودون على سطح آخر تدبير الرياسة ، وترتيب السياسة ، وقوانين العدل ، وقواعد الإنصاف والإنتصاف .

ثم أمر الأمير بمطالعتها على سبيل المواظبة فى مدة ستة شهور ، وقد احتمل الأمير فى مقاساتها الآلام ، وداوم وتحمل المشقات .

كان يرى الأشكال والصور بقوة البصر ، ويسمع دقائق العلوم ولطائف

الحكم بحاسة السمع ، حتى حفظ وضبط فى هذه المدة جملة الفوائد والعوائد ، والعجائب والغرائب ، والبدائع واللطائف ، والغرر والدرر .

ولما انقضت المدة ، وتمت وانتهت المهلة ، قال له سندباد : غدا أصحبك إلى حضرة أبيك ، لتعرض محصلاتك ، وتُظهر محفوظاتك ، وتُبين وتُقرر استحقاقك لمناصب الدولة ومراتب المملكة :

بيت (خفيف)

بچهٔ بط اگرچه دينه بوَذ آبِ درياش تابسينه بوَذ

والمعنى :

فرخ البط وإن يكن ابن أمس ، يصل ماء البحر إلى صدره (فقط)

***

نظر سندباد فى طالع الأمير بعد تعليمه

وعندئذ نهض سندباد على قدميه ، ووضع الأُصطرلاب أمام الشمس من أجل هذى الحال ، وظل ينظر درجات الطالع برهة ، وكان فى شكل طالع الأمير ما يقتضى وجودَ نحوسة وخطر إلى سبعة أيام متصلة ، فتحير سندباد من ذلك وقال :

بيت (هزج)

١ ـ هر روز فلك حادثهٔ نوزايذ كانديشه بجهد مثل آن نمايذ

٢ ـ روشن تر از آفتاب رايى بايذ تا مشكل روزگارْ وى بگشايذ

والمعنى :

١ — كل يوم يلدُ الفلك حادثة جديدة ، لا يأتى الفكر جاهدا بمثلها .

٢ — يلزم رأى أسطع من الشمس ، ليحل مشكل الدهر .

***

ثم قال للأمير : تلوح حال غريبة وحادثة عجيبة ، إذا تكلمتَ فى هذه الأيام السبعة مع أى مخلوق يكون (ذلك) سبب خطر [عليك] وموجب هلاكك ، وإذا صحبتك إلى الحضرة تقع فى الخطر ، وإذا لم أصحبك ، أتعرض لعقوبة الملك ، علاج هذا المزاج مشكل للغاية ، وتدبير هذا التقدير متعذر ، وقد قال الحكماء : إياكم والملوكَ ! فإنهم يستعظمون رد الجواب ، ويستحقرون ضرب الرقاب ، خاصة الملك الذى :

شعر (منسرح)

لو قال للسيل وهو منحدرٌ　　فى صببٍ قف ولا تسل وقفا
أو قال لليل وهو منسدلٌ　　شمِّر ذيول الظلام لا نكشفا
أو قال للريح وهى تعصف كُن(١)　　على الورى سَجْسجاً لَمَا عصفا(٢)
أو أمر الليل والنهار بأن　　يصطلحا طائعين ما اختلفا

***

ثم قال : يبدو أنَّ المصلحة أنْ أتوارى فى هذه الأيام السبعة ، حتى يَمر زمانُ الفترة وأوقات المحنة ، وأخرجَ بعون السعود والطالع المسعود ، وأظهرَ بُرهانى وأمهد لأعذارى . وعندما يصحبونك غدا إلى الحضرة ، ضع ختم السُّكوت على شفتيكِ ، واجذب عنان جواد العبارة ، وأفسح ركاب الصمت ، ولا تشرع ولا تخض فى جواب أى سؤال !

وتوارى سندباد وانزوى تلك الليلة .

* * *

---

(١) [عليك] ليست فى الأصل وأضيفت لزيادة التوضيح .

(٢) الريح مؤنثة وضرورة الشعر اقتضت استعمال فعل (كن) بدل (كونى) وعصف بدل عصفت .

ذهاب الأمير إلى أبيه

وفى اليوم التالى ، حين ظهرت آثار أنوار ملكة الكواكب على صحائف أطباق السماء كذنب السرحان وباقات الريحان ، ذهب الأمير لخدمة الحضرة ووقف صامتاً ، ومهما ألحّ الوزراء وسألوه أن يتكلم ، لم يسمعوا أى جواب . فقال الشاه والحاضرون : لعله يخجل من هذه الجماعة ، ولا يطلق لسان المقال فى حضرتنا ، ويجب إرساله إلى سراى الحرم ، عساه يتكلم مع أهل الحجاب .

مجىء الجارية العاشقة للأمير لدى الشاه

وكان فى حرم الشاه جارية كأنها الدنيا ، وكانت عاشقة جمال هذا الصبى من مدة مديدة ، ولأنها لم تكن تظفر بكعبة وصاله ، ظلت حيرى فى بادية فراقه ، وقنعت من وصاله بالخيال ، وفى ليالى الفراق الليلاء ، وضعت دفتر مسيرة الاشتياق على رف الافتراق ، وكانت تشكو لطائفِ خيال جماله ، من لطائفِ وصاله وتقول :

بيت (طويل)

فلولا رجاء الوصـــــلِ ماعشتُ ساعةً

ولولا مـكانُ الطّيف لم أتهجّعِ

بيت (هزج)

گر تُنگِ شَکَر[1] خرید می توانم

باری مگس از تنگ شکر می رانم

---

(١) تنگ شکر : إبريق السكر (كوزق الشكر) : كناية عن فم المعشوق .

والمعنى :

لو أستطيعُ شراء إبريق السكَّر ، أطرد الذباب عن إبريق السكر لا محالة .

***

أمسك العشق المتمكن بجيب التدبير ، وقال لِشحنَة[1] الشهوة : إذا لم يكن للوصل تدبير ، وللاجتماع تقدير فى أى وقت ، فهذا وقت أن تُخرَجَ الشوكةُ من القدم ، وأن يؤمر لهذا الداء بدواء ! ومن ثم ذهبتْ إلى حضرة الشاه وقالت : إذا استصوب رأى الشاه الأعلى ، وهو منبعُ الجلال ومَطْلعُ الـكمال، فليرسل الأمير إلى حجرة جاريته ! إذ أن هذا الدُّر اليتيم حين بقى يتيما من أمه ، قمت أنا بتربيته ، وقد ربيته بحنان الأمهات ، فعساه أن يتكلم معى ويُطلعنى على مكنون صدره وضمير باطنه .

عرض الجارية حبها على الأمير

فقال الملك : يجب أن يذهب إلى حجرة هذه الجارية ، فلعله يكون لهذا القُفل مفتاح .

أخذت الجارية بيد الأمير ودَخلت معه فى حجرة الخلوة ، وجلست فى منزل المباسطة ، وتكلمت من طريق الانبساط والاتحاد وقالت :

شعر (بسيط)

أمِطْ عن الدُّرر الزُّهر اليواقيتا   واجعل لحج تلاقينا مواقيتا

فثغرك اللؤلؤُ المبيضُّ كالحجر الـــمُسْوَدٌّ لأثمه يطوى السَّباريتا[2]

---

(١) الشُّحنة : عامل الوالى أو الحاكم ، المـكلف بالمحافظة على الأمن .

(٢) السباريت : جمع سبروت وهو القفر الذى لا نبات فيه .

رباعی

١ — بگشای چو گل بوعدهٔ راست دَهَن
٢ — ور نی ز تو چون لاله درَم پیرهن
٣ — دعویِ دلست ، باتو أم ، بانگ مزن
٤ — آنک درِ حُکمِ عشق،واینک تو و من

والمعنى :

١ — افتح فمك كالوردة بوعـــــد صادق
٢ — وإلا أمزّق القميص من جرائك كزهرة الشقائق
٣ — إنها دعوى القلب ، أنا معك ، لا تصرخ
٤ — ها هو بابُ حُكم العشق ، وها أنت وأنا

***

من مُدة مديدة ، وقد أوثق وهقُ [شَعْرِكَ][1] المِسكى قلبيَ المسكينَ بسلسلة القهر وزنجير الزجر ، وصاد طائرَ روحى بحبة [شرك][2] جماله ، واليوم وقد يسّر الزمان الجائر هذه الدولة ، وأبدت هذه السعادة جمالها ، ضع يدك فى يدى معاهداً على أنه حين أسلِّمك هذا المُلك والدولة ، والتاج والسلطنة ، وأُدخل الخدم والحشم فى ربقة طاعتك وانقيادك ، تُوفى وتؤدى إلى هذه النذور والعهود والشروط والحقوق ، ولا تخدش وتجرح وجه المروءة بمخلب نقض العهد .

---

(١) ، (٢) أضيفتا لتوضيح المعنى .

فسألها الأمير : بأى طريق تشرعين وتتداخلين فى هذا المهم ؟ وكيف تقومين بمهمة هذا الاقتحام العظيم ؟ وكيف يواتيك هذا المعضل ؟ وهذا المشكل بأى شكل يحصل ؟ وهذا المستحيل كيف يدخل فى حد الإمكان ؟

قالت : اسم الملك بالحيلة ، وأضع تاج المملكة على رأسك !!

شعر (هزج)

آنجا كى نباشى تو ازينهام چه سوذ   وانجا كى توآمذى بذينهام چه كار؟

والمعنى :

هناك حيث لا تكون ، ما فائدتى من هؤلاء ، وهنالك وقد جئت ، ما شأنى بهؤلاء ؟

***

إجابة الأمير للجارية بالرفض

فقال الأمير : إن التعرض لحرم الأب ، والالتفات إلى ربات الحجال ، لا يليقان بكرم وفتوة الرجال ، ولا يُصيِّر أى عاقل نفسه مستحقا العقوبة ، ومستوجبا الملامة ، من أجل نماء النهمة ، وقضاء الشهوة ، ولا يرى الإقدام على ارتكاب الحرام جائزا ، ولا يدوس بقدم الخيانة وجه الصّون والديانة ، ولا يريق ماء وجه السنة والمروّة ، والشريعة والفتُوّة ، ولا يُبطل حقا من أجل مجاز زائل ، وإذا قلتُ كلمة فى هذه الأيام السبعة ، تكون سبب هلاكى وضياعى ، ولهذا السبب لا مجال جولانٍ لمركب المقالة فى ميدان الحالة ، وحين تنقضى وتنفصل أيام النحوس وساعات البُوس ، تنالين جزاء هذا العقوق ، ومكافأة هذه الحقوق ، وعقوبة هذا النفاق والشقاق الذى جئت به فى الميدان ولوثت جمال الصيانة بخال الخيانة .

بيت (بسيط)

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث مبتسم [1]

بيت (هزج)

هم بگذر ذ اين عنا ورنج وهوسم روزى بمكافات تو آخر برسم

والمعنى :

ينقضى أيضاً عنائى وتعبى وهوسى هذا ، وأجازيك يوما آخر الأمر .

***

وخرج من حجرة الجارية وهو فى أشد الغضب .

تدبير الجارية لقتل الأمير

وفكرت الجارية فيما بينها وبين نفسها قائلة : لقد قلت هذا الكلام دون تدبر ، وقمت بهذا التدبير بغير ترو ، وأدليت ببضع هذيانات وترّهات يردها العقل ، ولا يقبلها الفهم ، وأنا لم أزل غيرَ مُطلعة على سر ضميره ، وغافلة عن مضمون باطنه ، وأصحرت بهذه المقدمات التى تصير سبب وبالى ونكالى ، وحقا قالوا :

شعر (بسيط)

ذو الجهل يفعل ماذو العقل يفعله فى النائبات ولكن بعدما افتضحا

(١) إذا رأيت : البيت للمتنبى .

شعر (مضارع)

١ ـ نادان همان كُنذ كى كنذ دانا آنگه كنذ كى پاك مزه[(١)] بُرده

٢ ـ هر بذ پسر كى نيك شوذ روزى آنگه شوذ كى نيك پذر مُرده

والمعنى :

١ ـ الجاهل يعمل عين ما يعمله العاقل
يعمله حين يكون فقد طعمه تماما

٢ ـ كل ولد سوء يصير يوما صالحا
يصير كذلك حين يكون أبوه الصالح قدمات[(٢)]

***

وقد جلوت عرضى ، الذى كنت حفظته فى زى العفاف وكسوة الصلاح ، فى معرض الفضيحة ، وصيرته هدفَ سهم العقاب ونبل العذاب ، ولوّثته ولطّخته بلَوْث خُبث الباطن ، وتلطيخ خيانة الشهوة ، وإذا وصل هذا المعنى إلى سمع الشاه الأعلى ، يتبدّل توقيرى بالتحقير ، وتعظيمى بالتوهين ، ويبطل ما كان لديه من التعويل والإعتماد على حُسن عهدى ، وكمال محبتى ، وفرط تقواى ، ووفور ديانتى ، وإخلاصى واختصاصى فى المحبة والمودة ، خاصة حين أكون تعرضت لسخط الملك ، وكما قال الحكماء : ثلاثة لا أمان لها : البحر ، والنار ، والسلطان . [لا أمان مع ثلاثة : البحر حين يموج ، والنار حين تندلع ، والسلطان حين يستولى عليه الغضب] والتحرز والتجنب ممكنان من البحر والنار ، ومستحيلان ومتعذران من غضب السلطان .

(١) كلمة (مَزه) معناها الطّعم، وجاءت فى نسخة (آنش) (مُزِه) أى المُدب (الرِّمش) وكلمة (مزه) التى جاءت بنسخة طهران أنسب .

(٢) المقصود حصول الشيء بعد فوات وقته .

قال معاوية : نحن الزمان ، من رفعناه ارتفع ، ومن وضعناه اتضع .
[نحن الملوكَ أثرُ الزمان وتأثيرُ قدرة الخالق ، كل من رفعناه يرتفع ، وكل من وضعناه يتضع] وقد عد العقلاء صيانة الذات من أمثال هـذا الاقتراف والارتكاب ، لازمة . وإذا نزلت حادثة ، وحدثت داهية ، لاتدخل فى إمكان القدرة ووطاء الوسع ، حاموا حول الغرض برأى ثاقب ، وتدبير صائب ، ووضعوا أنفسهم فى جوار الصَّون وملاذ السلامة ، بلطائف الحيل وبدائع التمويه ، وقالوا لقاصد(١) روحهم وحاسد مالهم :

بيت (هزج)

قدم برجان همى بايذ نهاذن   درين راه ودلم اين دل ندارذ

والمعنى :

يجب وطء الروح بالقدم فى هذا الطريق ، وليس لقلبى هذه الجرأة .

***

قيل أن يتمكن تضريبه وتخليطه فى قلب وطبع الشاه ، ولا يُتلافى ولا يُتدارك أيضاً ، وتنقضى مدة مهلة هذه الأيام السبعة ، أُريق ماء وجهه على تراب الإهانة والمذلة ، وأسقطه من رتبته ودرجته ، بغرائب التمويه ، وبدائع التزوير ، وقبل أن يقرر خيـانتى ، أتهمه بترك الأمانة والإقدام على الخيانة ، وأجعل نفسى فارغة البـال من خوف هذا المقال ، ودهشة هذه الحال .

---

(١) قاصد الروح من يقصدها بالسوء .

شعر (وافر)

إذا غامرت فى شرف مروم   فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير   كطعم الموت فى أمر عظيم[١]

بيت (هزج)

گر لا بدّ جان بعشق بايذ پرورد
بارى غم عشقِ چون توئى بايذ خورد

والمعنى :

إذا كان لا بد من وجوب تربية الروح بالعشق ، يجب تجرُّع غم عشق مثلك على أى حال .

***

افتراء الجارية على الأمير

فمزّقتْ ثيابها على الفور ، وانتزعت شعرها ، وخمشت وجهها ، وصاحت : المُسْتَغاث يا مسلمين ! ! وذهبت أمام تخت الشاه كالمتنكرة والمتحيرة ، ووقفت فى موقف المتظلمين وموضع المظلومين ، وأطلقت دمع الحسرة من عينيها ، وقالت بتضرع تام ، وتخشُّع كامل ، بلسان الاستغاثة :

بيت (كامل)

اليوم أضحى الدينُ مُنفَصمَ العُرَى   والمُلكُ منهدمَ القواعدَ والذُّرَى

***

---

(١) إذا غامرت : البيتان للمتنبي .

يا أيها السلطانُ المالكُ العالَمَ ، ويا أيها الملك السعيد ! بك يختال طاووسُ العدل فى بستان الفضل ، وتجثم عنقاء الظُّلم فى زوايا العدم ، أيجوز أن يصير فى عهد عدلك ، وأيام إنصافك إسرافٌ كهذا ؟ [وحاشا أن تقدم ذاتكم الشريفة ، وهى مصدرُ الإفاضة والخيرات ، على حركة يمكن أن تكون موجبَ تشنيع ، لأنه لا يمكن أن يكون للسلاطين القاهرين خصلةٌ أبغضُ من أن يقدموا على أمثال هذه المعانى ، إذ بمقتضى (السلطانُ ظل الله فى الأرض يأوى إليه كل مظلوم) فإن حضرة السلطان[١] الذى ساحتُه (الرفيعةُ)[*] الشبيهة بالفرقدين[٢] ، مُقَبَّلُ شفاهِ العالمين ومُعفَّرُ جباههم ، قد سعى دائماً بأقصى[٣] الجهد فى رعاية عباد حضرة العزة - عز شأنه - وجلا بحسن[٤] الالتفات ، صدأ الغم والهم عن خاطر الرعايا ، والمؤمنون[٥] لهذا السبب مستريحون فى مهاد الأمن والاستراحة ، والإقدام على خلاف ذلك حيف][٦] .

فسألها الشاه : ما موجب هذا الظلم ؟ ومن المتعرض بهذا الحيف ؟ فقالت الجارية : لما صحبت الأمير إلى حجرتى ، وقلت له بوجه اللطف وطريق شفقة الأمومة : يا ثمرة الشجرة السلطانية ، ويا دُرَّ الصدف الشاهنشاهى !

---

(١) بنسختى طهران واستانبول : السلاطين ، وآثرت استعمال المفرد لاستقامة العبارة .

(*) غير موجودة بالأصل وزيدت لزيادة التوضيح .

(٢) الفرقدان نجمان قريبان من القطب الشمالى .

(٣) فى نسخة استانبول (ناقص بدل بأقصى) ويبدو أنه خطأ مطبعى .

(٤) بنسخة استانبول : تحسين ، وبنسخة طهران بحسن وهذا أنسب .

(٥) فى نسخة طهران (المؤمنون) وفى نسخة استانبول (المسلمون) ورعايا كشمير لم يكونوا وقتئذ مسلمين .

(٦) هذه العبارة فى نسخة استانبول موضوعة بين [. . .] .

ما موجب هذا الصَّمْت ؟ لماذا لا يدخل ببغاء نُطْقك فى ترنم البيان ؟ ومن أجل أى شىء لا يغنى بلبل لسانك لحناً على شجيرة ورد الكلام ؟ فجاء كما قالوا : سكت ألفا ونطق خَلْفا[1]، وقال : موجب صمتى داء حبك الذى لا علاج له ، وهجرك الذى لا ينتهى ، فقد وضعت يدُ العشق قُفلَ السُّكوت وختم الصُّموت على فمى ، والحب ما منع الكلامَ الألسُنا ، وكان هذا اتفاقاً حسناً ، أن أرسلنى الشاه إلى حجرتك اليوم ، وقد قيل : الدولة اتفاقات حسنة، اعلى أن حبك امتزج بمائى وطينتى ، وشعلةَ عشقك عَلِقَت بقلبى وروحى :

شعر (هزج)

رنگِ گُلت از دلم سرشتند   چونان کی زعشق تو گِل من

والمعنى :

عجنوا لون وردك من قلبى ، كما عجنوا طينتى من عشقك .

***

وقد كان حبك فى قلبى من مدة المهد إلى وصول هذا العهد ، أقرأ كتاب عشقك ليلَ نهارَ ، وأحفظ سور وآيات مصحف ودادك عن ظهر قلب ، روحى فى قيد هواك ، وقلبى فى عهدة عهد وفائك ، مَعاتب هجرك كثيرة ، وحسابات وصلك لا تحصى :

شعر (طويل)

صحائفُ عندى للعِتابِ طويتُها   ستُنشَر يوماً والعتابُ طويلُ

---

(١) سكت ألفا إلخ يقابل المثل المعروف : سكت دهراً ونطق كفرا .

بيت (هزج)

شب رفت وحديثِ ما بپايان نرسـيد

شب راچه گنه ؟ حديثِ ما بوذ دراز

والمعنى :

مضى الليل وحديثنا لم ينته ، ما ذنب الليل ؟ كان حديثنا طويلا .

* * *

وليته يكون لى اعتماد على قلبك القاسى ، فيكون لخدمتى قبول فى حضرة وصلك ، ويتيسر وصول إلى كعبة جمالك ، حتى أقضى على أبى بالسيف أو أزيله من أمامى بالسم ، وأنشب يد المحبة فى هُدب سرج دولتك :

بيت (هزج)

در زين عنـايتِ تو فتراكى هست

تا در زند اين بنـده بفتراكِ تو دست

والمعنى :

فى سرج عنايتك هُدبٌ ، ليمسك غلامك هذا بهُدب سرجك .

* * *

فلما ظهرت منه هذه الحركات غير المضبوطة ، وهذه الهذيانات غير المربوطة ، ظننت أن الجنون قد استولى على قلبه ، وغلبت السوداء على مزاجه ، لأن أى صاحب مرُوّة وفُتوة ، لا يجيز بنهمه وحريته هذه الأقوال والأفعال الذميمة عقلا وفضلا ، ولا يراها جائزة فى شريعة الكرم والإنسانية ، ولا يدوس بقدم الجفاء وجه الديانة ، ولا يبيح هذه الفاحشة فى حريم حرم السلطان ،

ولا يعقد مثل هذه التهمة على ذيل سمعته واسمه ، من أجل استيلاء الشهوة واستعلاء النهمة ، ولا يتلو من مصحف الوهم والخيال سورة تبديل الدولة ، وآية تحويل المملكة ، وزوال السلطنة ، وهلاك السلطان الذى هو ظل الرحمة الإلهية ، وفضله الكامل وعدله الشامل ، زينة الأقبال ، ورأس مال الجلال ، ومواد التخفيف عن طوائف العالم ، وأصل عمارة رُبع الدنيا المسكون ، ولا يكتبها على صحيفة قلبه ، ثم قالت مثل زليخا : ما جَزاءُ مَن أَرادَ بِأَهْلِكَ سوءًا إلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذابٌ أَليمٌ[1] .

تأثر الشاه وإصداره الأمر بقتل الأمير

فلما سمع الشاه هذه المقدمات ، وأصغى إلى تلك المقامات ، تأثر وتفكر ، وظهر أثر الغضب على ناصيته المباركة ، وأرادت الجارية أن تلهب نار الفتنة ، وتموّج سيل الآفة ، وتشحذ سيف غضب الشاه ، فقالت : ولو لم يكن الجزع والفزع ، وتشنيع وتقريع جاريتكم ، والهيبة والسلطنة ، ومهابة وعقوبة السلطان ، لكان أقدم على أن يلطخ بلوث خبثه وفجوره ، ذيل عفاف جاريتكم هذه المتردية برداء الصون والصلاح ، وجيبَ صلاحها ، ونفسَها التقية ، وعرضَها النقى ، ويجردنى ويعرينى أنا مخدَّرةَ العهد ، ومريمَ الأيام ، ورابعةَ الزمان ، من خدر العفة ، وستر الطهارة ، ويفضحنى ويخزينى .

آمل من عدل وعاطفة الملك العادل أن يأمر بإنصافى من ذلك الوقح الذى لا يرجو عاقبةً ، وأن يصل بتأديبه على هذا التعدى والخزى ، وعقابه على هذه الخيانة والتهور ، إلى حد الاعتبار ، ليكون عبرة وعظة للمتعدين الوقحين الآخرين .

---

(١) السورة الثانية عشرة (سورة يوسف) الآية ٢٥ .

شعر (بسيط)

من لم يؤدبْهُ والِدَاهُ أدبه الليلُ والنهارُ

* * *

قال الشاه لنفسه : أمرٌ عجبٌ وأحوالٌ طُرفة !

بيت (طويل)

ظننت به وَرْدَ المكارمِ والعلى ولكنه شوكٌ يقطِّعُ أَحْشائى

بيت (متقارب)

كرا سِركه دارو بَوذ برجكر شوذ زا نكبين دردِ أو بيشتر

والمعنى :

من يكون الخل دواء لكبده ، يزداد داؤه وألمه من الشهد .

* * *

كان نوح يقول فى حق ولده كنعان : رَبِّ إن ابنى من أهلى[1] ، وكان قهرُ الجلالة ، وعزة الجبروت الملكوتى ينادى : يا نوحُ إنَّهُ ليس من أهلِك[2] . يجدر بالشوكة القلع ، وبالأفعى القتل ! وفى الشريعة ، يجيز العقل أنه إذا تألم وتأثر عضو من أعضاء الإنسان بمرض مثل الآكِلة والجُدَر والجذام ، أو سم الثعبان ، أن يعالجوا ذلك العضو ـ وإن يكن شريفاً ـ بالقطع والحرق ، من أجل سلامة المهجة ، وبقاء باقى الأعضاء .

---

(١) السورة الحادية عشرة (سورة هود) الآية ٤٥ .

(٢) السورة الحادية عشرة (سورة هود) الآية ٤٦ .

وابنى يجب أن يكون لى بمنزلة العضو ، ولكن الآكلة والمرض وقعا فيه ، فقطعه أولى ، خاصة وأنه ، من أجل دفع الشهوة ، يطلب زوال مُلكى ودولتى ، وقد قالوا :

مصراع (هزج)

دستْ كه ترا نخوا هد ، آن دست ببرُ .

والمعنى :

اليد التى لا تريدك ، اقطعها !

***

ثم أشار للسياف أن أخرجه وأهلكه !

***

اجتماع الوزراء السبعة

وكان للسلطان سبعة وزراء أجلاء ، كل منهم كامل وعاقل ، وناصح وفاضل ، ومدبر وعادل ، وكان السبعة جميعاً فى سماء دولة الشاه ، مثل السيارات السبعة[1] ، وكان مدار الملك والدولة ثابتاً ومحكماً برأيهم الصائب ، وذهنهم الثاقب ، وإصابة رأيهم ، ورجحان عقلهم ، وبحكم الطالع المسعود ، والنجم الميمون ، كانوا قد جاءوا إلى الحضرة للخدمة ، فلما رأوا ذلك المعنى ، وسمعوا تلك المقدمات ، عقد السبعة كلهم اجتماعاً ، واجتمعوا فى زاوية وقالوا : إيجاب التأمل فى هذا الأمر واجب .

(١) السيارات السبعة : الكواكب السبعة السيارة وهى : زحل ، والمشترى ، والمريخ ، والشمس ، والزهرة وعطارد ، والقمر .

قال الوزير الأكبر : لا يليق أن يلتفت السلطان إلى مقال امرأة ناقصة العقل ، ويهلك ابنه الذى مخائل الرشد ، وآثار النجابة ، وأنوار الكياسة والفراسة ، على جبينه بينة ولائحة ، وفى روائه ورويته لامعة ولامحة ، لأنه حين تسكن حدة غضبه وفورة غيظه ، يتغير ويتأسف على إمضائه هذه العزيمة ، وفى ذلك الوقت لا تربح ولا تنجح الندامة والتأسف ، وشين ذلك لا بد أن يرجع إلى رأى السلطان الركيك وخاطره الواهى ، وننسب نحن إلى ركاكة العقل وسخافة الفهم . ثانياً حين يندم السلطان على إمضاء هذه العزيمة ، وتقديم هذه العقوبة ، ينكرها ويحيل علينا ذنبه وأثر تعجيله ، ويؤاخذنا ويتهمنا ويعاتبنا ويعاقبنا على فعلته ، وينشد العقل هذا المثل :

مصراع (هزج)

انگور شگال خوردَ وپنبه روباه

والمعنى :

أكل ابن آوى العنب والثعلب القطن ![1]

* * *

وثالثاً : عندما يبقى سرير الدولة خالياً وعاطلاً من المنصب الشّاهى[2] ، ولا يكون للملكة وارث ومستحق يزدان به تخت الدولة ، يقصد العدو هذه الديار ، ويجد في استئصالنا ، ويودى بأهل هذه الديار ، وإذا لم نتدارك نحن هذه الحادثة ولم نتلافها بالرأى الثاقب ، يعود وبالها ونكالها علينا .

---

(١) مثل يضرب لمن يتحمل جريرة غيره ، ويقول الشاعر العربى فى ذلك :

غيرى جنى وأنا المعذّب فيكمو   فكأننى سبّابة المتندّم

(٢) الشاهى : نسبة إلى الشاه .

فقال الوزراء : إذا أمضى السلطان عزيمة بغير مشورتنا وتدبيرنا ، ولم يطلب منا استخارة فيها ، كيف تعود علينا أذية عواقبها وبلية أواخرها ؟

قال الوزير الأكبر : إذا لم تسيروا على سَمْتِ تدبيرى ، ورأيتم كلامى غير مؤثر ، يصيبكم ما أصاب القِرَدة التى لم تسمع كلام أميرها وكبيرها فأُخِذت بغرامة ذلك . فسألوه : كيف كانت تلك الحكاية ؟ احك !

٤ — حكاية المرأة والكبش والفيلة والقردة

قال الوزير : حكوا أنه كان فى جبال مدينة همدان ، قِرَدة كثيرة ، كانت تقيم هنالك ، وكان لها كبير اسمه (روزْ بِه) خبر الأمور وطوف بالدنيا ، وذاق البارد والحار ، وأصابه الحسن والقبيح ، كان يقضى الأيام فى التدبير والحكمة ، ويرى رعاية الرعية لازمة وفريضة عليه ، وذات يوم كان جالساً على صخرة بأعلى الجبل ويشاهد المدينة ، فرأى كبشاً يلاعب امرأة بنطحها بقرنه ، فنادى (روز به) رفاقه وقال : أرى أمراً عجباً ! فنظر رفاقه ، فرأوا كبشاً فى طريق يلاعب امرأة بنطحها بقرنه ، فقالوا : كبش يلاعب امرأة ! قال : هذا الأمر لا يكون بغير تعبئة ! ولا بد أن يصيب دُنيانا مكروه بهذا السبب ! والمصلحة أن نُخرج نساءنا وأولادنا من هذا الجبل ، ونتنقل إلى مكان آخر ! فقال القردة : إذا لعب كبش مع امرأة ، أى أثر لذلك ؟ وكيف يرجع ضرر ذلك علينا ؟ قال (روز به) : إن لى عليكم حق السلطنة والإمارة ، ولكم علىَّ حق المحبة والرعاية ، وإنى أؤدى ما هو واجب علىَّ ، وإذا اعتمدتم على قولى يكون أفضل لكم ، وأنا أسير على قولى على أى حال ، وأخذ أيضاً امرأته وأولاده فى الحال ، وذهب إلى موضع آخر ، ولم يقبل القرود نصيحته ولم يسمعوها بسمع الصدق وقالوا : إنه شيخ طاعن فى السن ، ولم يعلموا :

بيت (طويل)

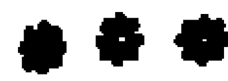
توقَ ملاحاةَ الشيوخ وذمَّهم فإن لهم علما بسوء العواقبِ

بيت (خفيف)

هرچه در آينـــه جوان بيند پير در خشتِ پخته آن بيند

والمعنى :

كل ما يراه الشاب فى المرآة ، يراه الشيخ فى الآجُرَّة(١) .



وأمّروا عليهم آخرَ ، وسلموه زمام مصالحهم وأمرهم ونهيهم . فلما انقضت عدة أيام على هذى الحال ، نطح الـكبش بقرنه المرأة يوماً ، فتألمت المرأة من ذلك ، وضربت رأس الـكبش بالحجر ، فهوى الـكبش من قوة الجرح ، وخرّ مغشياً عليه . فلما أفاق أضمر الحقد فى قلبه إلى أن رأى المرأة يوماً إزاء جدار ، ونطحها بحيث استندت إلى الجدار ، وكان بيد المرأة نار موقدة ، فضربت بها الـكبش ، فاشتعل صوفه ، وألقى بنفسه فى حظيرة الفيلة من خوف النار ، وكان يحك نفسه بحزم القصب لتنطفىء النار ، فوقعت النار فى القصب واشتعلت حظيرة الفيلة ، وجرح بعض الفيلة وهلك بعضها ، وبلغ هذا الخبر سمع الشاه ، فتألم لذلك السبب واستدعى كبير الفيالين وقال له : ما تدبير هذه الفيلة ؟ فقال كبير الفيالين : تصبر على ما إحترق ، وما جُرح تدهنه باستمرار بدهن القرود حتى يبرأ .

(١) الآجرة : اللبنة المحروقة فى النار ، جمعها آجر : وهو المعروف فى مصر بـ (الطوب الأحمر) أى أن الشيخ يستشف بتجاربه ونور بصيرته من هذه الآجرة المظلمة التى لا تعكس شيئاً ما يراه الشاب بعينيه فى المرآة المضيئة الصافية .

فأمر الشاهُ العسكر بأن يرموا بالسهام ويرجموا بالأحجار كل ما يجدونه بذلك الجبل من القرود ويستخرجوا دهونها ويدهنوا بها الأفيال . فخرج الناس زرافات وغوروا وأنجدوا بالجبل ، وأطلقوا السهام والأحجار ! فحارت القِرَدةُ من تلك الحالة وصاحت : قولوا على أى حال ، ما سبب قتلنا وجرحنا ؟ نحن متوطنون فى هذا الجبل منذ سنين طويلة ، ولم يصب أىّ مخلوق منا أذى فنصير بهذا السبب مستوجبى التعرض والسخط ! فحكى لهم الناس حكاية الكبش والمرأة والنار والفيلة ، وشرحوا لهم تلك النادرة .

فقال القردة : نحن مستحقون أكثر من هذا البلاء ، لأننا لم نسمع كلام شيخنا وكبيرنا !

* * *

تدبير الوزراء من أجل خلاص الأمير

قال الوزراء : الآن ما تدبيرنا ؟ وكيف يجب المبادرة باستقبال هذا المهم ؟ قال : المصلحة أن يذهب كل يوم واحد منا إلى الخدمة[1] ويروى حكاية فى مكر النساء وغدرهن ، لعله تندفع هذه الداهية العظيمة ، وهذه الواقعة الجسيمة ، وتَسْكُن صفراء هذه الحادثة التى عرضت بـ (سِكَنْجَبين)[2] الحكمة ، وتتأخر وتتوقف هذه العقوبة ، ويكتفى بمجرد الحبس ، وتتبدل

---

(١) الخدمة تعبير قديم يراد به حضرة الملك أو الأمير حيث يخدمه أتباعه .

(٢) سكنجبين تعريب كلة سكنكبين الفارسية وهى اسم شراب مركب من الخل (سركه) والشهد (انكبين) وادغمت الكلمتان بهذه الصورة للتخفيف . وكانوا يعالجون به مرض الصفراء .

ويوجد الآن شراب بهذا الاسم فى إيران يقدم للزائر كنوع من المرطبات .

أيام النحوس بأوقات السعود ، وتنزل الالطائف الربانية ، والتأييد السماوى ، ويتخلص ابن الشاه من الهلاك :

بيت (مضارع)

تا بعد از آن زمانهٔ جافى براى او
اندر قدح افگند از تلخ وشور خويش

والمعنى :

ليصب الزمان الجافى بعد ذلك من أجله فى القدح من صابه وعلقمه .

* * *

فلما استقر اتفاق كلمات جميع الوزراء السبعة على تمهيد أسباب خلاص واستخلاص الأمير ، قال واحد منهم — وكان قمرَ الفطنة وسهمَ الفكرة — للسياف : أوقف عقوبة الأمير حتى أذهبَ إلى حضرة الشاه وأضعَ المصلحةَ التى بدت أمام مرآة خاطره ، لنرى على أية جملة يخرج أمره ، وكيف يكون فَرْمانُه[1] ؟

* * *

مجىء الوزير الأول إلى حضرة الشاه

فذهب الوزير الأول لدى الشاه ، وأقام شرط الخدمة ولوازم الثناء والتحية وقال : ليكن عمر الشاه القاهر والملك الشهير ، فى متابعة العقل ، ومشايعة العدل ، ودولتُه معمورةً بالسداد ، وحضرته مشهورة بالرشاد ! !

(١) فرمان بسكون الراء وليست فرمان بفتح الراء كما هو شائع ، كلمة فارسية معناها الأمر والمرسوم الذى يصدره السلطان أو الأمير الحاكم .

بما أن آثار العناية والفضل الإلهيين قد صيرا صفات ذات الشاه الشريفة فهرست فضائل وشمائل العالمين ، وديباجة مناقب ومآثر الآدميين ، فإن خاطره المنير يقرأ مغيبات القضاء من لوح التقدير ، ويرى عقله الشريف ويعلم مكنونات القدر التى تأتى من كتم العدم فى حيز الوجود ، ولذلك لا يليق ولا يوافق رأى السلطان الكافى ، وعقله الوافى ، وكمال حصافته ، ووفور شهامته ، الإقدام على مثل هذه العقوبة الهائلة التى تداركها متعذر فى حيز الإمكان البشرى ، لأنه حين تنكشف شمس اليقين من حجاب الشبهة ونقاب الريبة ، ويكون مثل هذا الرأى قد أمضى ، ومثل هذا الأمر قد تقدم ، فإن الحسرة والندامة لا تكونان مُعيناً للفلاح ولا شفيعاً للنجاح ، والحسرة والضجرة لا تنفعان ولا تنجعان ، وينشد العقل هذه المعانى :

بيت

سوف ترى إذا انجلى الغبار   أفرسٌ تحتك أم حمار

* * *

وقد قال الله تعالى : يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنوا إِنْ جاءَكُم فاسِقٌ بِنَبأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبوا قَوْماً بِجَهَالةٍ فتُصْبِحُوا عَلَى ما فعَلْتم نَادِمين(١) .

وإذا لم يتأن الشاه فى هذا المعنى ، ولم يؤد شرائط الاحتياط والتثبت ، ولم يميِّزْ الحق من الباطل ، والزور من الصدق ، يصير مغبوناً كما غُبن ذلك الرجل من ببغائه بتزوير وتخييل امرأته ، ولما انكشفت حقيقة حاله وخفايا تلك الواقعة ، وخبايا تلك الحادثة ، لم تجد الندامة ولم ترُبح الحسرة ! فسأله الشاه : كيف كانت تلك الحكاية ؟ احك !

(٢) السورة التاسعة والأربعون (الحجرات) الآية ٦ .

٥ — حكاية رب الدار مع امرأته و ببغائه

قال الوزير : ليكن بقاء السلطان العادل ، فى الإقبال الكامل ، والسعادة الشاملة ، وليكن الله جل وعلا حافظه و ناصره ! هكذا حكوا أنه فى الشهور الماضية و السنين الخالية ، كان لرجل امرأة كانت تتابع الوساوس الشيطانية ، وتوافق الهواجس النفسانية ، وتسير فى مجاهل الشهوات والمهمات ، وتمارس الغراميات مع الشبان الأطرار[١] والمُرد الحسان ، وكان لهذا الرجل ببغاء متكلم وحاذق ، عارف باللغة وناطق ، وكل ما كان يحدث فى البيت من خير وشر ، ونفع وضر ، كان يعلمه به جملة ، ويشرح له الوقائع والحوادث ، وذات يوم أولم صديق له وليمة ، وعمل فيهـا ما يليق بالأصدقاء الموافقين ، والإخوان الصادقين من تكلُّف وتنوُّق[٢] ، فاستأذن الرجل من زوجته ، وذهب وقت خروجه إلى قفص الببغاء وقال : أيها الحارس اليقظ ، والرقيب الذكى ! يجب أن تزيد الليلة فى التيقظ والحراسة ، وتكحل بصرك بكحل السهر إلى وقت السحر ، وتتأمل بإمعان نظر ودقة خاطر ، وتعرف وتحفظ كل ما يحدث من غث وسمين ، ومَعين ومَهين ، وصلاح وفساد ، وخير وشر ، وعندما يُخرج الصبحُ رأسه من جيب المشرق ، أعود ، وسيكون كل اعتمادى على قولك ، واعتدادى فى الحوادث بصدق كلامك ، فإنك منزه عن الغرض ، وصاف من شوائب الكدورة ، فابتهج الببغاء بذلك وقال :

بيت (وافر)

ففعلُك إن سُئلتَ لنا مطيعٌ   وقولك إن سألتَ لنا مطاعُ

* * *

(١) غلام طار أى طرشاربه ، وغلام طرير أى طلع شاربه ، والجمع أطرار .
(٢) تنوق أى تأنق وأجاد .

وبمجرد أن خرج الرجل من الباب ، كتبت ربةُ الدار رقعة إلى المعشوق ، وشرحت حكاية شكاية ألم الفراق ، بمَدَدِ مِداد الاشتياق ، وأرسلتها بيد مُعتَمد إلى صديقها وقالت :

شعر (منسرح)

ففى فؤاد المحب نار هوى أحرُّ نارِ الجحيم أبردها[1]

شعر (هزج)

١ — دارم بتو اشتياق ، چندانك مپرس

دردست باتفاق چندانك مپرس

٢ — دستى كى بدامن وصالت زدمى

بر سر زدم از فراق چندانك مپرس

والمعنى :

١ — بى إليك اشتياق لاتسل مامقداره ، معه ألم ، لاتسل مامقداره .

٢ — اليد التى كنت أمسك بها ذيل وصالك ، لطمت بها رأسى من الفراق ، فلا تسل ما مقدار ذلك .

* * *

فلما وقف المعشوق على مكامن الحروف ، مدركاً أن الموانع الليلة زائلة ، والسعادات حاصلة ، قال لنفسه : الدهر فرص وإلا فغصص ، وفى الحال توجه بقدم الاشتياق إلى دار المعشوقة ، وكان كلاهما تلك الليلة على بساط الانبساط فى سرور وبهجة ، وقضيا الوقت من بدء الرواح حتى ظهور الصباح فى تجرع

---

(١) فمعك ، البيت للمتنبي .

أقداح الأفراح ، وكان الببغاء ينتظر طول الليل من شبكات القفص ، ويطالع تلك الأحوال ، ويكتبها على صحيفة ورق قلبه ويقول :

مصراع (بسيط)

العَـــنْبرُ يضرِطُ والمكواةُ في النارِ

بيت (بسيط)

يا راقد الليــــل مسروراً بأوله　　إن الحوادث قد يطرُقن أسحارا[1]

بيت (هزج)

أى خفته نگوئى كى مرا بيــدار يست

وى شاذ نگوئى كى مرا غم خوار يست

والمعنى :

أيها النائم ألا تقول لى يقظة ؟ ، ويا أيها المسرور ألا تقول لى ترحة ؟

* * *

فلما هب نسيم السحر ، وطلى زنجى الليل وجهه بالاسپيداج[2] ، أخمدت شعلةُ الشمس شعلةَ الزُهَرة ، وأطفأ قنديلُ ذكاء[3] الذهبيُّ سراج القمر الفضى ، وانفرط عقد الثريا ، وارتفع طلوع الصبح الصادق ، ونادى منادى الصباح بهذا النداء :

---

(١) ياراقد الليل : البيت لعدى بن زيد . نهاية الأرب .
(٢) الاسپيداج : طلاء أبيض .
(٣) ذكاء : بضم الذال ، الشمس .

شعر (كامل)

لولا مزاحمةُ الصباحِ وإن هدَى كانَ الكرَى ياطيفُ قد أسدَى يداً
فالصبحُ ملكٌ والنجـــومُ رعية بَصُرَت بغرَّته نخـــروا سُجَّداً

بيت (هزج)

چون سرد شذ از باذ سحَر زيورِ او بيذار شذم زخواب در بسترِ او

والمعنى :

لما بردت حُلاها من نسيم السحر ، استيقظتُ من النوم فى فراشها .

* * *

استيقظ العاشق والمعشوق وأفاقا من نوم السُّكر ، وودَّع كل منهما الآخر وقال : ليل الوصل كالبرق العابر ، والكبريت الأحمر لا أثر لها ، فمتى يتفق اللقاء بعدُ ؟ فلما خرج المعشوق من البيت دخل رب الدار من الباب ، وسلم على زوجه ، فأجابته امرأته بتيه ودلال ، وقالت له متدللة :

بيت (سريع)

من بعذاب اندرم آرى رواست مجلس عالى بشراب اندرست

والمعنى :

أنا فى العذاب ، نعم ، يحق لى ، مجلسك العالى فى الشراب .

* * *

لم أنم الليلة الماضية لحظة من ألم الفراق والبعد ، ومحنة الغيبة والوحدة ، ولم أسترح ساعة من الخوف والهيبة ، والدهشة والحيرة ، وعياذا بالله ،

لو يكابر جسور ، أو تحدث مخاطرة فجأة تقصر يد التدارك عن تلافيها ، ويعجز قدم الوهم عن إدراكها ! تعال لنخلو ساعة ، ونخلى القلب من المتاعب الماضية ، فتقبل الرجل من زوجه منة وافرة ، وقال لنفسه : الحمد لله ، إذ أن لزوجتى معى موافقة تامة ، ومساعدة كاملة ، فلما كانا معا زمناً ، واستراحا ساعة ، خرج الرجل ليستفرغ ، وسأل الببغاء :

مصراع (رجز)

فما ترى فيما ذكرتُ ما ترى ؟

* * *

قال الببغاء :

بيت (طويل)

ستُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود[1]

* * *

فى الليلة الماضية ، كان فى هذه الحجرة مجمع وفد العشاق ، كان خروجك ، ومجىء شاب كأنه سروُ البستان بقوامه ، وبدرُ السماء بوجهه ، يحسده سرو الضِّفاف[2] ، وتخجل منه لعبة قندهار[3] ، كان المسك يسيل من شعره ، وتتعلق الشمس بذيل جماله ، أضاء عكس جماله الدار ، بحيث خجل منه الشمع ، وصير

---

(١) ستبدى : البيت من معلقة طرفة بن العبد البكرى . شرح القصائد العشر للتبريزى .

(٢) سرو الضفاف : السرو الذى على ضفاف الأنهار ، ويكون دائما ريان يانعا .

(٣) يكنى الفرس بكلمتى (لعبة ، صنم) عن المرأة البارعة الجمال ، وقندهار مدينة من خراسان وهى الآن تابعة لأفغانستان ، وكانت مشهورة بجمال نسائها .

ورد عارضيه[١] الطارمة[٢] والصُّفَّة ، حديقة ورد ، فغرق الورد فى العرق خجلا من وجهه ، وكانت الروح تقول :

بيت (هزج)

بنا ميزد بنا ميزد نگه كن تا توان بوذن

غلامِ آن چنان روئى كى گل رنگ آرذ از رنگش

والمعنى :

باسم الله ، باسم الله ، انظر ما أمكن ، أنا غلام مثل ذلك الوجه الذى يأتى الورد بلونه من لونه :

* * *

وكان القلب ينادى من خِزانة الصدر :

بيت (رمل)

قصهٔ يوسفِ مصرى همه در چها كنيذ

تُركِ خندان لبِ من آمذ ، هين راه كنيذ

والمعنى :

غيِّبوا قصة يوسف المصرى كلها فى البئر ، فقد جاء معشوقى التركى الباسم الشفة ، هيا ، افسحوا[٣] !

* * *

(١) العارض : الخد .

(٢) الطارمة معرب طارم الفارسية : وهى بيت من الخشب كالقبة .

(٣) يريد أن معشوقه أجمل من يوسف عليه السلام فلا داعى لذكر قصة يوسف وجماله ، والعلاقة بين يوسف عليه السلام والبئر معروفة ، وتشبيه الحبيب بالتركى شائع فى الأدب الفارسى .

حتى نصف الليل ، كانا يشربان الشراب المزوق ، وكانا يمتزجان معا مثل ماء الورد مع الماء ، ومثل اللبن مع الخمر ، ويتملقان بأحدهما الآخر مثل النار فى الشمع ، ومثل الفراشة فى النور :

شعر (طويل)

أتت زائرا ما خامر الطيبُ ثوبَها　　وكالمسك من أردانها يتضوع[1]

بيت (هزج)

مارا تو بهر صفت كه دارى　　دل كم نكند ز دوست دارى

والمعنى :

لا ينقص قلبُنا من محبتك بكل مالك من صفات .

* * *

فلما سمع الرجل هذا الكلام تغلبت سوداؤه ، وثارت صفراؤه ، وأخذ عصاً وكسّر يدى وقدمى امرأته ، وكلما أكثرت المرأة الصياح ، كلما اشتد فى ضربها بالعصا ، وكان يقول : من أكل القلايا صبر على البلايا[2] .

خرج الرجل من البيت ، وأعملت المرأة خاطرها ، وأخذت فى تفحّص واستكشاف هذه الحالة ، لتعرف من أفشى هـذا السر ، ومن كشف هذا المستور ، فأساءت الظن بخادمة كان لها سِمَةُ الاختصاص ، وصفة الإخلاص ، وشرعت فى تقرير هذه الشكاية بلسان التعبير ، فأقسمت الخادمة بالأيمان الغلاظ والشداد ، ومهدت بأعذار لا تحصى قائلة : إنى لم أكن راضية بكشف هذا السر ، وإيثارُ رضاكِ وتحرى فراغكِ مقدمان عندى على كل المهمات والمعضلات:

---

(١) أتت زائراً : البيت للمتنبي .

(٢) من أكل . . . البلايا : مجمع الأمثال للميدانى .

بيت (متقارب)

رضاكَ رضـــاى الذى أوثر   وسرُّكَ سرى فمـــا أظهر⁽¹⁾

بيت (هزج)

پنهان دارم رازِ تو اى دوست از آنـک

تنـگست جهـان درو نـگـنجد غمِ تو

والمعنى :

أخفى سرك أيها الحبيب لأن الدنيا ضيقة ولا تتسع لغمك .

* * *

ولكنه فى الصباح حين جاء رب الدار ذهب إلى قفص الببغاء وتـكلم معه ، [وإنى كلما أحوم حول الخاطر ، وأجيل مركب الوهم فى ميدان الإدراك ، وأبعدُ غبارَ الشُّبهة عن وجه اليقين ، لا يقع ظنى إلا على الببغاء ، ولا أرى كشف هذا السر ، وهتك هذا السِّتر ، وإظهار هذا المـكنون ، وإفشاء هذه الخبيئة⁽²⁾ إلا من جانب هذا الببغاء ، لأن رب الدار كان يوصيه وصايا بليغة فى تفحص وتنسم⁽³⁾ أخبارك ، وكان يلقنه تلقينات موجهة فى إفشاء السر ، وإعادة سرد الحـكايات والسكنات ، وكلُّ اعتماده فى حفظك ومراقبتك ، وتتبع أقوالك وأفعالك ، على حزمه وشهامته ، وخبرته وكفايته ، ألا ترين أنه يقضى أكثر أوقاته فى مُسارَّة الببَّغاء ؟ يجب التفـكير فى تدبير ، عله يتاح

(١) رضاك : البيت للمتنبى .

(٢) استعملت كلمة الخبيئة مكان كلمة السر تحاشى التـكرار .

(٣) فى نسختى طهران واستانبول (تبسم) بدل (تنسم) ولا معنى لها هنا .

خلاص ، وإلا يجبُ رَكُّ كلُّ الشهوات الإنسانية ، واللذات النفسانية عامةً ، حتى لا يُرفعَ المنديلُ من فوق الطبق فى كل ساعة[١] ، وكانت طول الليل تقول للزوجة كلاما من هذا النمط][٢] .

فقالت الزوجة : قلتِ لطيفاً ورأيت دقيقاً ! هذا الببغاء أضاف إلى تهما وخيانات ، وألقى بى فى خطر وآلام ، والواجب أن يقدَّم له مكافأة مساعيه الذميمة وتحريضاته الباطلة .

ولما مضت مدة على هذه الحادثة ، تجاوز الرجل عن هذه الجريمة بسبب المصلحة ، وصرف قلبه عن تلك التهمة والظِّنة ، وتجاهل تلك الحادثة ، إلى أن أقام صديق وليمة فى وقت آخر ودعاه إلى ضيافته .

فذهب الرجل إلى القفص وقت الذهاب ، وقرر الوصايا التى كانت لائقة فى هذا الباب ، وقال : أى صديقى المخلص ! ويا رفيقى المشفق ! يجب أن تؤدى شرائط الأمانة والديانة وحسن العهد ، وأن لا تجيز الإغفال والإهمال فى هذا الباب ، وأن تظل يقظاً حتى طلوع الصبح الصادق ، وتقوم بكل ما يمكن من التيقظ والتنبه ، والتحفظ والفطنة ، وتشاهد وتعاين الحركات والسكنات ، والأفعال والأقوال ، فوالذى زين السماء بالكواكب ، وأحرق الشياطين المردة بالشهب الثواقب ، إذا وقفت هذه الكرّة على فعل سميج ، ومعاملة خارجة ، أخلص نفسى من شين صحبتها وعار ألفتها ، ولا ألتفت إليها وإن تكن الشمس ، ولا أتجرعها وإن تكن ماء الحياة !

---

(١) رفع المنديل من فوق الطبق ، كناية عن كشف السر .
(٢) هذه العبارات وردت فى نسخة استانبول بين هذين القوسين [. . .] .

بيت (هزج)

گر آب شوی ، از تو نشویم رخ ودشت

ور خاک شوی ، آب کنم جای نشست

والمعنى :

لو تكونين ماء لا أغسل منك وجهي ويدي ، وإن تكوني ترابا ، أجعل الماء مجلسي .

***

واعتمادي في عموم الأشغال ، وخصوص الأعمال ، على جدة مناصحتك ، وخلوص شفقتك ، ولو لم تكن أنت الذي تكلمت بمطالعة هذا الإضلال(١) ، ومجاري هذه الأحوال بنظر الرأفة ، وتأملت في أكثر أمور وظائف هذا الجمع ، لكنت أبطلت هذه الجمعية والزوجية ، ولطلقت ثلاثاً حور وعين الفراديس العليا لخطر تلبيسهن ! وقال :

بيت (كامل)

دع ذِكْرَهن فما لهُنَّ وفاء   ريحُ الصَّبا وعهودُهن سواء(٢)

شعر (خفيف)

١ — زن چو میغست ومرد چـــــون ماهست

ماه را تیرگی ز میـــــغ بود

---

(١) في نسختي طهران وأستانبول (الإظلال) بدل (الإضلال) ولا معنى لها هنا .

(٢) دع ذكرهن : البيت ورد في تاريخ جهانگشاى للجويني ج ٢ ص ١٥٦ .

٢ — بذ ترين مرد اندرين عـــــالم
به بهـــــين زنان دريغ بوَذ

والمعنى :

١ — المرأة كالغمامة والرجل كالقمر ، وظلام القمر يكون من الغمامة .
٢ — أسوأ رجل فى هذا العالم لا تستحقه خير النساء .

***

فأجاب الببغاء التماساته بلطف وقال : اذهب أنت الليلة بفراغ خاطر إلى مرتع الظرافة ، ومربع أهل الضيافة ، واشرب أقداح الأفراح ، بين الرياحين والراح ، من ابتداء الرواح حتى انتهاء الصباح ، فإنى لن أكون غافلا وعاطلا من أى نوع من تتبع أحوال هذه الجماعة وتفحص آثارها ، وامتثال أوامر ونواهى أرباب الدولة ، وأولياء النعمة ، من مواجب شريعة الكرم ، خصوصاً فى الأعمال التى تتعلق بصيانة الحَرَم وديانة الكرم ، فإنها من لوازم العقل والمروءة ، وفرائض الحرية والفتوة ، وكل من يسلك فى ارتسام هذه الأنواع طريق الإهمال والإمهال ، يزول الاعتماد على خلوص محبته وصفاء مودته ، وتصير مصاحبته ومجالسته على الإخوان والأحباب مطمَح طائر شؤم ، ومقدم دناءة ولؤم ، ولا تدخل فى قلوب الإخوان المشفقين ، وتبدو حقيرة فى عيون الأصدقاء الناصحين .

فلما سمع الرجل هذه الإجابات ، أثنى عليه ، وارتضى آثار فراسته فى أنوار الكياسة ، وحفظه دقائق الوفاء ، ورعايته جانب العظمة ، وقال : لتكن ألف روح فداء الصديق الذى يستطيع تقرير هذه الكلمات والمقدمات فى إحياء مراسم الحرية ! !

بيت (طويل)

سقى الله أرضاً زُيِّنت عَرَصاتُها بأبناء فضل من شيوخ وشبان

***

كان الببغاء قد اعتمد على حصافته وشهامته ، ولم يكن سمع هذا الخبر عن صاحب الشرع (النساء حبائل الشيطان) ولم يعرف أن :

شعر (خفيف)

١ — ديو از فعل زن رميذه شوذ چون برآميزذ او يكى تلبيس
٢ — در فريب وفسون ومكر وحيل بندگيها نما يذش إبليس

والمعنى :

١ — يخجل الشيطان من فعل المرأة ، حين تشوب (أمراً) بتلبيس .
٢ — وفى الخداع والتزوير والمكر والحيل ، يقدم لها عبودياته إبليس .

***

خرج الرجلُ من البيت ، وترك الببغاء النوم ، وكحل بصره بكحل السهر ، وكان ينظر من شبكات القفص ، وفكرت المرأة فى نفسها قائلة : يجب عمل حيلة مع هذا الببغاء اللطيف ، فلا يشتغل بالاطلاع علينا واستطلاع أمرنا ، لأن نظره حائل بينى وبين المعشوق، وتحفظه وتيقظه مانعان بينى وبين المحبوب، وإذا مال وانحرف كلامُه عن سَمْت الاستقامة ، وسقط من جادة الاستواء ، وتطرق إليه التغير والتفاوت ، يزول الاعتماد على قوله ، وكل ما يقوله بعد ذلك ، يخالونه خيالات جنون وخرافات ظنون ، ويظنون جميع ما يقرره ، ويذكره وسوسة خيال وهندسة محال ، ثم أمرت فوضعوا هنالك حيث كان

البيغاء سراجاً تحت طشت ، وعلقت عدة حُرّاقات بالجدران ، وكانت تدير فوق الطارمة رحى يدوية بحركات مختلفة ، وجاءت بمروحة وغربال ، وكانت ترش الماء على المروحة والغربال على مثال الريح والمطر ، وكانوا كل ساعة يُخرجون المسْرَجة من تحت الطّشت ، ويجعلونها فى محاذاة سطوح أجرام الحُراقات ، فكان شعاع السراج ينعكس من صفحات الحراقات على مثال البرق والوميض ، وكان يظهر من اصطكاك جرمى الرحى اليدوية الثقيلين ، فى فضاء البيت ، صورة الرعد ، وحاصل الأمر أنه حدث طولَ الليل من انعكاس الشعاع برق ، ومن احتكاك الرحى اليدوية رعد ، ومن حركة المروحة والغربال ريح ومطر . فلما رأى البيغاء مشغلة الرعد ، ومشعلة البرق ، وحركة الريح وزحمة المطر قال : الليلة يقتلع طوفان نوح العالم من أساسه ، أو يخرب سيل المطر الدنيا ، فبقى متحيراً ومتغيراً ، وكلما كان يفتح عينيه ، كان يرى برقاً ورعداً ومطراً وريحاً ، فكان يدخل رأسه بين جناحيه .

وفى اليوم التالى ، حين هب نسيم السحر ، وتنفس روض أزهار الصباح فى أفق المشرق ، عاد رب الدار إلى البيت ، وذهب إلى قفص البيغاء وقال :

هات ما فيه شفائى وانف بالقهوة دائى !

قل لى : هل رفقاء الليلة الماضية ، شربوا كذلك الخمور اللذيذة مع الأصحاب الخصيبى الخيال والتفكير ، وأتوا بحركة من تلك المعانى ؟

فقال البيغاء : فى الليلة الماضية ، لم يكن لبصرى قدرة على النظر ، ولا لبصيرتى وسيلة للتفكير ، بسبب مضايقة الريح والسحاب ، ومشغلة البرق والرعد ، فلم أنشغل بإخلاص وإمحاض وإمعان النظر . ومُنذ تلك اللحظة التى خرجتَ فيها من المنزل ، قام طوفان نوح وصاعقة هود وعذاب ثمود ، كان البرق يضرم النار فى الدنيا ، والرعد يولول فى السماء ويزلزل فى الأرض ، وكنت طول الليل

أرتعد فى القفص من البرد ، وأخاف من الرعد ، وأتلو هذه الآية : « سبحان من يسبح الرعد بحمده »(١)، وأعزِّم على نفسى وأقول :

بيت (طويل)

كأن نجومَ الليل خافت مُغارَه فمدَّت عليه من عجاجته حُجْبا

* * *

قال الرجل : أيها الببَّغاء ! هل جُننت ؟ أو اختلَّ دماغك ؟ لقد اتضح لى كالنهار ، أنك كلتَ ريحاً وكسرتَ جوزاً فاسداً ! [أى قلت لغواً وجئت بما لا طائل تحته] . ولو ركَّبتَ — والعياذ بالله — من الأكاذيب بضع كلمات ، ورتبتَ بضع ترهات ، لانتهى الأمر بينى وبين حلالى (امرأتى) بالطلاق والفراق ، ولتلاشت مصالح معاشى وفراشى بتضريبك وتخليطك ، ولصارت زوجى — وهى فى الزهد والعفة فاطمة الزهراء وخديجة الكبرى — ملطخة بخبثِ الخُبث بهذياناتك وترّهاتك ، وكل من يقرر أمثال هذا المقال بالتزوير والافتعال ، إراقة دمه — بفتوى الشريعة — حلال ، ويصير إفساد وهدم ذاته واجباً بحكم مصلحة السياسة ورعاية جانب المروءة ، حتى بعد هذا لا تصدع رأسى كل ساعة ، ولا تُسمعنى الكذبَ الذى يُجْرَحُ الطبعُ والسمعُ بقبح روايته :

بيت (هزج)

بارانِ دو صد ساله فرو ننشاند اين گردِ بلا كى تو انگيخته اى

---

(١) صحة الآية : ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته . السورة رقم ١٣ (الرعد) آية ١٣ .

والمعنى :

أمطارُ مائتى سنة لا تسكِّن ، غبارَ البلاء هذا الذى أثرته .

* * *

ثم أدخل يده فى القفص ، وتحت تأثير الغضب ، أخرج الببغاء وقطّع رأسه ورجليه وريشه وجناحيه ، وفصلها عن بعضها البعض ورماها فى الخارج .

واتفق أن مر أحد أصدقائه بباب الدار ، فرأى الببغاء على هذا النحو ، فسأله : بأى تهمة جناية عذّبت الببغاء وشدّدت عليه هكذا ؟ وبأى حجة حلّلت دمه كدم ذبائح الحرم ؟ لقد كان هذا الببغاء مليحاً وفصيحاً للغاية ، كانت خضرة أجنحته تشبه قصيل[1] الربيع ، ومنقاره يشبه اللعل[2] البراق ، فحكى له الرجل ما حدث .

وكان صديقه ذاك ، رجلا صاحب فراسة وربّ كياسة ، وذا حذق كامل ودهاء تام ، فلامه كثيراً على هذه الفَعلة وقال : أما عرفتَ أنه حين تجتمع نوائب الأيام ، وحوادث الزمان ، وتنبهمُ المشكلات والمعضلات ، يجب حك جوهرها على محك العقل ، وتقديرها بمعيار ومقياس الفهم ؟ وفى تعبير أضغاث الأحلام ، وتدبير أحداث الأيام ، يجب مشاورة الحكماء العلماء ، والأمناء النصحاء ؟ يا سبحان الله ! ! ألا تدرى أن الطيور لا تكذب ، ولا تموه ، ولا تزور ، وما تقوله ترويه من مشهود ومسموع ؟ لماذا لم تستفسرْ عن هذه الأخبار ولم تستطلعْ هذه الأعمال فى أول الحال ؟ ولم تقم بشرط التأنى

---

(١) القصيل . الشعير يجز أخضر ، والزرع قبل إدراكه .

(٢) اللعل حجر كريم أحمر أونوع من الياقوت معرب (لال) الفارسية .

والاحتياط ؟ إذ أن للنساء فى المكر والغدر تصانيف ، وفى الخداع والحيل تآليف ، لدرجة أن إبليس مع كمال شعوذته وأستاذيته ، يضل طريق الكياسة[١] فى معنى مكر النساء ؟

وإذا أردت أن تنكشف وتتقرر لك حقيقة هذه الحال ، فأرسل ربة الدار إلى الخارج بحجة ما ، وازجُر واعرُك الخادمة التى يمكن أن تكون بطانة البيت ، وخاصة العُش ، ومعتمدة الأسرار ، حتى تقول كل ما حدث وينكشف هذا الستار .

وبناء على استصواب رأيه جاء الرجل إلى البيت ، وأمضى هذه العزيمة ، وهدّد وشدّد على الخادمة التى كانت أنيسَ أُنسِ امرأته ، وعيبةَ أسرارها ، فقررت كل ما حدث تفصيلا وإجمالا ، وشرحته من المطلع حتى المقطع ، وخرج جمالُ وجه عروس اليقين من حجاب الشبهة والريبة على أحسن ما يكون ، وعُلِم أن الببغاء كان بريئاً مثل ذئب يوسف ، وقد صار طعمة السيف بغير جرم مثل ناقة صالح ، وأن ما تقدم فى شأنه ونفذ ، كان ظلماً محضاً وحيفاً صِرفاً .

ويجب أن يرى (الرجلُ)[٢] جزاء ذلك الوبال فى ثانى الحال ، وأن ينال عقوبة ذلك التهور ؛ إذْ أن[٣] ما فعله كان من قبيل التعجيل ، بوسوسة الشيطانِ المسوِّل ، وتوهم النفس الأمّارة المخيِّلة . واستولت عليه الحيرة والحسرة ، وظهر الضجر والقلق ، وكان يذرف دموع الندامة من عينيه على صفحة خديه ، ويقول متأسفاً متلهفاً :

---

(١) الترجمة الحرفية : يفقد طرف خيط الكياسة .

(٢) كلمة (الرجل) غير موجودة فى الأصل وأضيفت للتوضيح .

(٣) فى الأصل (وأن) ووضعت إذ بدل الواو لاستقامة العبارة .

شعر (طويل)

تذكرتُ أياماً لنا وليالياً مضت فجرت من ذكرهن دموعُ
فهل بعدَ تفريقِ الحبيبِ تواصلٌ وهل لنجومٍ قد أفلن طلوعُ

بيت (هزج)

أى رفتـــه ز من ترا چه افسون آرد
كين فرقتِ تو ز چشمِ من خون آرد

والمعنى :

يا من ذهبت منى أى سحر يجىء بك ، فإن فراقك هذا يدمى عينى .

***

وظهر أنه خطا فى خطة الخطا ودائرة الجفا ، ورأى وجه التدبير بمرآة التقصير ، ولم يجد الندم ، ولم تكن الندامة نافعة وناجعة ، وكان يقول لنفسه دائماً هذا المعنى :

بيت (طويل)

فياليت ما بينى وبين أحبّتى من البُعدِ ما بينى وبينَ المصائبِ

***

قلت هذه الحكاية من أجل أن لا يُقدِم السلطانُ على عقوبة هى محض ظلم وجور ، فيندم غداً على تنفيذ فرْمانه ، ويلوم أفعاله ، ويعذل أعماله ، كما فعل ذلك الرجل لقتله الببّغاء ، وعندئذ يقع عُمْراً فى التلهف والتأسف لتعجيله تلك العقوبة ، لأن قصة مكر النساء ، فى الحقيقة ، أكثر من إشراف

الفهم وإدراك الوهم ، وأعقل الرجال يدخل في جُوال مُحالهن ، ويغتر بمكرهن وخداعهن ، وإذا لم يكن قد اعترى الشاه سآمة وملالة من تقرير هذه المقالات ، فإني أقول حكاية من مقامات مكر النساء ومقالات غدرهن ، فقال الشاه : قل !

٦ — حكاية الرجل العسكري والمعشوقة والغلام

قال الوزير : لتكن حياة الملك السعيد ، وصاحب قران[١] الزمان ، في الفتح والسلطنة ألف عام !! هكذا حكوا أنه في الزمان السالف ، كان في حدود « كالِف »[٢] رجل عسكري ، كانت له معشوقة موزونة[٣] ، وذات دلال ، لطيفة الصورة ورشيقة ، في الحسن مثل ورد الربيع ، وفي اللُّطف والظَّرف أعجوبة الزمان :

بيت (بسيط)

خَريدةٌ لو رأتها الشمسُ ماطلعت ولو رآها قضيب البان لم يَمِسِ[٤]

***

وكان لهذا العسكري غلام ، في الوجه حامي القمر ، وفي الجمال ثاني الشمس ، ملكي السيرة ، جني الصورة[٥] ، متناسب الخلقة ، مثل القمر

---

(١) صاحب قران : صفة لأي مولود يولد ليلة اقتران زحل والمشترى ، ويقال إن هذا المولود سيكون له شأن عظيم . وتطلق الآن على كل ذي شأن .

(٢) كالف : حصن منيع يشبه المدينة كان على شاطىء جيحون .

(٣) المرأة الموزونة : القصيرة العاقلة ، ويراد بها في الفارسية الجميلة .

(٤) خريدة لو : البيت للمتنبي .

(٥) نسبة إلى الجنية واجدة الجنيات وهن نساء الجن الجميلات كالملائكة .

والمشترى[١] فى القباء الشُّشْتَرى ، ومثل الحورية والجنية فى الصورة البشرية ، وفى الُحسن[٢]، كما يقول الشاعر :

شعر (كامل)

أوفَى بكُلِّ الُحسْنِ بعضُ صِفاتِها   وَوَفَى بقتلِ الصَّبِّ خُلْفُ عِداتِها
سحارةُ الألحاظِ لم أرَ عينَها   إلاّ رأيتُ الموتَ فى لحظاتِها

* * *

وذاتَ يومٍ كتب الرجلُ العسكرىُّ رقعة بدافع المحبة وقال :

بيت (بسيط)

على الذين كووا قلبى بهجرِهم   سلامُ خالِقنا ما أورقَ الشَّجرُ

بيت (متقارب)

تو دانى كى جز تو كَس را ندانم   توئى يارِ پيدا ويارِ نهانم

والمعنى :

أنت تعلمين أنى لا أعرف سواك ، أنت حبيبتى الظاهرة وحبيبتى الخفية .

* * *

وأرسلها إلى بيت معشوقته بيد غلامه ، وحمله رسالة بلسانه :

بيت (هزج)

بيا اى راحتِ جانم تاجان برتو افشانم
زمانى باتو بنشينم ز دل اين جوش بنشانم

---

(١) كوكب المشترى .
(٢) فى الأصل فى الجمال ، ووضعنا كلمة الحسن تحاشى التكرار .

والمعنى :

تعالَى يا راحة روحى ، لأنثر عليك روحى ، وأجلس معك برهة ، وأسكِّن من قلبى هذا الجيشان .

***

وأدرج فى أثناء الرقعة كلماتٍ محببةً لطيفة ، وعباراتٍ غراميةً مُشتملةً على ذكر الاشتياق ، ومخبرة عن ألم الفراق ، وقال : المرجو أن تتجشمى المجىء ، وتمُنى على حجرتى بتشريف الحضور ، فإن فرصة الوصال كزمان الخيال العابر ، فى شوكاء[1] الزمان ، تكون من نفائس الأعلاق ، وذخائر مواهب السعادة :

بيت (هزج)

تعالوا نشرب الراحْ بكأساتٍ وأقداحْ

بيت (هزج)

شب هست وشراب هست وچاكر تنهاست
برخيز وبيا بُتا كى امشب شبِ ماست

والمعنى :

ليل وشراب وغلامك وحده ، فانهضى وتعالى يا دميتى الجميلة ، فإن الليلةَ ليلتُنا .

***

---

(١) أرض شوكاء : كثيرة الشوك ، وأحللت الصفة مكان الموصوف واستعملتها مقابل كلمة « خار ستان » الفارسية .

فلما وصل الصبي وأوصل الرقعة والرسالة والتحية والسلام ، نظرت إليه المرأة فرأت فيه شابا سرْوِيَّ القد ، قمريَّ الخد ، وردِيَّ العِذار ، شمسيَّ العارض ، ماء الجمال على وجهه جارٍ ، وكوكب الزُّهَرة خلف أذنه مُتوارٍ .

بيت (خفيف)

مرحباً مرحباً تعالَ تعالَ حبَّذا وجْهُك المبارك فالا

بيت (مضارع)

آب جمـــاله بجوى تو مى روذ

خورشيـــذ در جنيبتِ زوىِ تو مى روذ

والمعنى :

ماء الجمال جملةً يجرى فى نهرك ، والشمس تسير بجانب وجهك .

* * *

فقال صنماء الروية لوفاء الطوية : أكرمى مثواه عسى أن ينفعنا(١) . وصاحت حرقة الصدر من الشوق القديم : أصبت فالزم ، ووجدت فاغنم ! لا يمكن النهوضُ عن مثل هذه اللقمة ، ولا يمكن الإقلالُ من مثل هذه الجرعة ! والخلاصة ، فتنت بمائة ألف قلب بغَنَجه ودلاله ، وتقيدت بطرته وخاله ، فقالت لنفسها :

شعر (سريع)

١ — زلفِ ترا كار بذان جارسيد كزخمِ او غم بثريا رسيذ

---

(١) السورة الثانية عشرة (يوسف) الآية ٢١ .

٣ — در برِ تو صبر بتعجيل تاخت بر درِ تو عقل بسودا رسيد

والمعنى :

١ — لقد بلغ من أمر طرتك ، أن أصاب الكمدُ الثريا من طيتها .

٢ — وجرى الصبر لديك عجلا ، وعلى بابك انتهى العقل إلى الجنون :

***

وكان العسكرى يرتب بيته ويهيىء داره قائلا : الآن تدخل المعشوقة من الباب ، أو يأتى خبر عن حضورها ، وتضىء الزاوية بنور جمالها وتتعطر الحجرة بعطر طرتها وتصير حديقة وردا وغدا التلميذُ نفسه أكثر رزقا من الأستاذ ، والمعشوقُ أقلّ وثوقاً من العاشق :

بيت (كامل)

أهلا بِسُعْدَى والرسولِ وحَبَّذا وجهُ الرسولِ لحبٍّ وجه المُرسلِ

***

وقبل أن أدى عاملُ الوصل خراج الأصل إلى الديوان ، طلب التلميذ حق حسابٍ ورسم عتابٍ ، فقالت المرأة : سأجيئك على هذا الباب بترنيمة ، ومن هذا الباب أيضاً بحلْوان ، فخدم الغلام وقال :

بيت (منسرح)

إكرام أهلِ الهوى من الكرمِ وأمّةُ العشقِ أظرفُ الأُمَمِ

***

غاية المحبة ، ونهاية المودة ، أن كلّ سرٍّ يُنقش فى صحيفة ضمير المحبين ، يقرؤه كلٌّ منهم بعين البصيرة ، وهذا هو معنى القلوب مرآة القلوب :

شعر (طويل)

إذا غُيِّبت أشباحُنا كان بيننـا   رسائلُ صدقٍ فى الضميرِ تَراسَلُ
وأرواحُنا فى كل شرقٍ ومغربٍ   تلاقَى بإخلاصِ الودادِ تَواصَلُ

***

إنه لبهيم ذاك الذى تستتر عنه رموز العشق ، ولكنه حينما تكون صفوة الطبيعة الإنسانية ، يكون الشراب بلون الأوانى :

شعر (كامل)

رقَّ الزّجاجُ ورقّت الخمـــرُ   فتشابها فتشاكلَ الأمرُ
فكأنها خمـــــرٌ ولا قدحٌ   وكأنها قدحٌ ولا خمرُ[1]

***

لسان مقال العاشقين غمّازُ[2] الحال ، مهما يكن سِرًّا بِسرٍّ وإضماراً بإضمارٍ :

بيت (بسيط)

لبَّيك من قربٍ ومن بُعدٍ   سِرًّا بِسرٍّ وإضماراً بإضمارِ

***

امتزجا مثل الراح والروح ، والتفا مثل الصباح والصبوح ، العشق أوله زين وآخره شين ، فلما تأخر الغلام عن معهد الطرب ومرتع الطلب ، اضطرب خاطرُ الرجل العسكرى ، فتقلد سيفاً وتوجه إلى بيت المعشوقة ، وقال لنفسه :

---

(١) رق الزجاج : البيتان للصاحب بن عباد .
(٢) الغماز : النمام والواشى .

بيت (هزج)

والله كى أگر شـــــوى چوماه اندر ميغ
كس باز ندارذم ز روىِ تو بتيـــغ

والمعنى :

والله إن تـكونى مثل القمر فى الغمام ، لا يردنى أحـد عن وجهك بالسيف .

***

فلما وصل إلى باب الدار ، رَجَّ حلقة الباب ، وأخبر المعشوقة ، فقال الغلام : آه ، رب أُمْنِيَّةٍ أدَّت إلى مَنِيَّةٍ(١) . يا سيدتى قتلتِنى وقتلت نفسك ، وجلبت قضاء سوء على وعليك ، فما تدبير أمرى ؟ ومن آخِذٌ بيدى فى هذه المحنة ؟ قالت المرأة : لا تخف ولا تهلع ! ادخل هذه الغرفة واجلس فى الظلام ! ومضت هى لاستقبال العاشق وفتحت الباب .

فدخل الرجل العسكرى وقال : لماذا تأخرت وتوقفت كثيراً ؟ ولأى سبب جعلتنى انتظر طويلا ؟ فى الصباح الباكر سيرت إليك قاصداً وأعطيته رُقعة وفتحت عين الأمل ! فقالت المعشوقة : يا رأس مال الحياة ! ويا زينة البهجة والسرور ! مهما يكن حديث القاصد والرقعة كذبا ، فإنه خبر طيب ، لو كان قاصدُك وصل ، لقدمت عُبودياتى ، ولتهيأت أنا نفسى — من غير تـكلف الطلب وتجشم الرسالة — لأسرع إلى خدمتك وأظفر بسعادة الاجتماع ، لقد تـكرمت أنت نفسك وسرت على عادتك الحميدة :

---

(١) رب أمنية . . . الخ . مجمع الأمثال للميدانى .

بيت (هزج)

بر عادتِ خود بزرگواری کردی   مارا بوصال خويش ياری کردی

والمعنى :

لقد تفضلت على عادتك ، وأسعفتنا بوصالك .

***

ادخل ، فإن زاويتى مهما تتصف بالضيق ، فإن بها ، من حيث التجانس والاتحاد ، محبة وإخلاص . وصعدا على الفور إلى طارمة ، وارتديا ثياب النوم، ولم يكد الأمر يصل من البوس والعناق إلى معقدِ الإزار ، وينتهى شتاء الهجر بربيع الوصل ، حتى وصل رب الدار ورج حلقة الباب . فقال الرجل العسكرى : إن زوجك يدخل الان ويأخذ فى العربدة معى ، وتقوم بيننا ضجة ومشغلة ، ويتعلق بذيلى وجيبى وإذا وصلت هذه الأحدوثة[1] إلى الوالى ، ينهرُنى ويؤاخذُنى ويشدد ويعنف على ، ألا تخفينى فى هذه الغرفة ؟ ولما كانت المرأة قد أخفت الغلام فوق الغرفة ، تحيّرت ، وقالت : لا تخف ، وجرد حسامك من غمده ، وافتح الباب غاضباً متهوراً واخرج ، وهددنى وهدد زوجى ، ولا تلتفت إلى أى إنسان ، وامض فى طريقك ! ففعل الرجل العسكرى كذلك ، وخرج من باب البيت شاهراً سيفه ، مظهراً بأسه ، وهو يقول بصوت عال : الآن يُتدبّر الأمر ! ولا بد أن ينال كل واحد جزاء عمله ، فما لى حاجة أمامَ تخت السلطان بحاجب وبواب ! وكان يقول ترهات هائلة وكلمات موهمة من هذا القبيل وهو ماض فى طريقه .

فلما رأى الرجل تحيره وتهوره ، وسمع كلماته المشوبة بالتهديد ، قال لنفسه :

---

(١) فى الأصل : هذه الـكلة .

لعل هذا الرجل أخطأ الدار ! وعلى أى مسلم كابر بهذه الغارة الليلية ؟ ونعوذ بالله من شر هذا الشيطان المريد ، الجبار العنيد ! ودخل البيت كالمتحير وقال لامرأته : ما هذا القيل والقال وما هذه الأحوال ؟ من هذا الرجل ؟ ومن أجل أى شيء هذه الجلبة والمشغلة ؟ فجرت إليه المرأة وقالت : يا رجل ! اسجد لله شكراً واحمده وانْذِر أن تعطى صدقة وصلة للفقراء والمستحقين ، إذ حول الله تعالى عنا هذا البلاء ! فقال الرجل : قولى ما السبب ؟ فإن هذه البشارة عظيمة ، وهذه الإشارة وخيمة ! قالت المرأة : كنت فى هذه اللحظة غافلة غير دارية ، فدخل من باب الدار غلامٌ على شكل المنهزمين ، مضطرٌ ومدهوشٌ ، وقد جعل يرقانُ الهيبة وجهَه أصفرَ ، وسلبه بَرْسامُ[1] العقوبة عقله وفهمَه ، فأقسم على الأيمان الغلاظ والشداد ، أن أخفِينى فى هذا البيت ، واشترى روحى بصدقة روحك ! فإن ظالماً متهوراً ، وقتالا متجبراً ، يتعقَّبُنى ويتْبعُنى ويريد قتلى ! وجرى فوق الغرفة من الخوف والهيبة ، والحيرة والدهشة ، وغطى نفسه بالأمتعة ، وبينما كنت فى هذا ، إذ دخل ذلك الظالم الجسور من الباب مثلَ الزبانية ، شاهراً السيف بيــــده ، وكان يزأر مثل النمر والأسد ، وينفخ مثل التمساح والتنين ، فظننت أن الضحاك الجرىء قصد جمشيد[2] ، أو أن المريخ هم بالانتقام من الزهَرة[3] ، وصاح على وقال : أين ذهب هذا الغلام ؟ وماذا فعلت به ؟ فأنكرت وأصررت على ذلك قائلة : إنى لم أر شخصاً كهذا ولم أسمع باسمه وكنيته ؟ فألحّ ولجّ برهة ، وتوعّد وتهدّد ، ولما لم يجد ذلك ، شتم بضع شتائم

---

(١) البرسام بفتح الباء وكسرها: التهاب يعرض للحجاب الذى بين الكبد والقلب أقرب الموارد . البرسام: ورم يصيب الصدر . بر بمعنى صدر، وسام بمعنى ورم: برهان قاطع.

(٢) جمشيد ملك إيرانى أسطورى قتل على يد الضحاك اليمنى .

(٣) المريخ إله الحرب، والزهرة ربة الغناء والرقص والعشق واللهو عند القدماء .

واتجه نحو الباب ؛ وكنت أخشاه وأعزِّمُ عليه، صمٌّ بكمٌ عمىٌ[1] حتى حول الحقُّ تعالى هذا البلاء ، وأعماه وأصمه ، والعياذ بالله لو أنه على هذا الحرَد والغضب ، قدر واستولى على هذا الغلام ، لوقعت روح هذا المسكين فى معرض التلف والتفرقة ؛ فقال الرجل : الآنَ أين الغلام ؟ قالت : فوق هذه الغرفة ، وصاحت به ، فنزل الغلام ، ورأى الرجل مشهداً لطيفاً للغاية ، وغلاما أمردَ ظريفاً جداً ، فأكثر التلطف والتـــودد ، وقال : توقف حتى أحتفى بك وأكرمك ، وأنت لى فى محل الابن ، وهذه المرأة لك بمنزلة الأم ، ويجب أن تجىء دائماً وتحقق الرّغاب ، وبمثل هذا اللطف أذن للغلام ، وحمد المرأة على تلك المساعى التى قامت بها ، واكتسبت شيئاً كهذا ، وادخرت ذخيرة نفيسة وزاداً هنيئًا سَنيًا من أجل زاد الاخرة !

بيت (كامل)

إن العفيفَ إذا استعــان بخائنٍ   كان العفيف شريكه فى المـأثمِ

* * *

قلت هذه الحــكاية ، وعرضت هذا الفصل الجزل فى صورة الهزل على سمع السلطان ، من أجل أن يتضح للرأى العالى زوُر وافتراء النساء ، ومكرُهن ، وافتعالهُن ، ولا يلتفت إلى أقاويلهن وتخييلهن ، وأباطيلهن وتسويلهن ، لأن النساء وإن كُنّ ناقصاتِ عقل ، فإنهن يضحكن من كمال عقول الرجال ، ويُدخلن العقلاء — مثل الضبع — فى جُوال مُحالهن ، بحبائل المقال ، وإن يلزم السلطانَ مثالٌ من الأعيان ، من أجل تصفية الأذهان ، فقصةُ آدمَ وحواء ، ويوسُفَ وزُلَيخا ، قانونُ الاعتبار ، ومقياسُ الاختبارُ . ولو

---

(١) صم بكم : السورة الثانية (البقرة) الآية ١٧ .

أمكن لأى إنسان مُرابحة في مُعاملتهن ، لكان « ذلك » لآدم الذى كانت بنيتُه وخلقتُه فى مقاصير دار النعيم ، وصورتُه وصفتُه ؛ فهرستَ أحسن تقويم[١] . ومتى صارت هذه المقدمات اللائحة معلومة للشاه ، يعرفُ أنه لا يمكن فى أى وقت التماسُ السداد والرشاد من جِبِلّتهن وطبيعتهن فى دار الكون والفساد[٢] ، وأنه لا يمكن إسلام الأمير — وهو قطب فلك المعالى ، ومركز دوائر الأعالى — لصرصر[٣] الفناء والإعدام ، بتضريب وتخليط امرأة .

فلما سمع الشاه هذه الحكاية ، واستمع لهذه الكلمات ، أمر فحملوا الأمير إلى الحبس .

مجيء الجارية فى اليوم الثانى إلى حضرة الشاه

وفى اليوم الثانى حين وصل مسّاحُ العالم العلوى[٤] إلى نقطة أُفُق المشرق ، لمساحة دوران الفلك ، ومدّ السرادق المُزعفَر فى وجه القباب السبع الخُضر[٥] ، وبسطَ البساطَ المُلوّنَ على بسيط هذه الكرة الغبراء ، وصل إلى سمع الجارية أن الشاه أجّل عقوبة ولده ، لأن واحداً من جملة الوزراء ، ألقى به فى التردد والاشتباه (وثناه) عن إمضاء هذا الرأى بلطائف المواعظ ، ودقائق النصائح ، وبدّل حال سُخطه بالرضا والارتضاء ، وزجره ومنعه من تقديم العقوبة ، وجاء بحكايات نادرة وغريبة فى أصناف مكرِ النساء ، وأوصاف

---

(١) السورة الخامسة والتسعون (التين) الآية ٤ .

(٢) دار الكون والفساد : الدنيا .

(٣) الريح الصرصر : الشديدة الهبوب . سورة الحاقة آية ٦ .

(٤) مساح العالم العلوى : الشمس .

(٥) القباب السبع الخضر : السماوات السبع .

غدرهن ، وقرر أنه ينبغى أن لا يُلتفت إلى ذمِّهن ومدحهن ، وجدِّهن وهزلهن ، وأنه يجب أن لا يُعتبر قدحُهن وثناؤهن ، وإباؤهن وإرادتُهن لائقة بالمحو والإثبات ، وأنه يتحتم جعلُ «القاعدة» شاوروهن وخالفوهن دستور الاعتبار ودليل الاختبار ، لأن كل من اختص هذا التخصيص بتنصيص «الرجال قوامون على النساء»[1] ، لا ينظر إلى كلماتهن الناقصة التى تظهر من مكمن : إنهن ناقصاتُ عقلٍ ودينٍ .

فذهبت أمامَ تختِ الشاه كالمتنكرة وكالمتحيرة ، وبعد تقرير التحية ، وإقامة وظائف الخدمة ، قالت : عدلُ الشاه ، مُستعانُ الملهوفين ، ومُستغاثُ المظلومين ، ومُستَمسكُ المهجورين ، وكل مُبالغة يأمر بها رأىُ الشاهِ المزينُ للمُلك ، فى تمهيد قواعدِ الإنصاف ، وتشييد مبانى الانتصاف ، تكون طليعةَ دوام الدولة ، ومقدِّمةَ بقاء السَّلطنة ، وهذا الظلمُ المفرط الشنيع الذى جرى على جاريتكم هذه لو كان جرى على إحدى آحادِ خدم سراىِ الحرم ، للزم من عدل الشاه أن يُنصفها « نزولا » على قضية الاستكبار والحمية ، ومقتضى الاستنكاف والأنفة ، ولوازم قضايا المعدلة ، وشرائط الشريعة والمروءة ، وأن يمحوَ قبحَ هذا الشين ، وفضيحة هذا العارِ من جيب عفافها وذيل صلاحها ، فكيف فى حق جاريتكم التى يُحال خيرها وشرها ، ونفعها وضرها ، إلى نظر عاطفة السلطان وإيثاره ورحمته (بالعقد الشرعى والعهد الدينى)[2] .

بيت (خفيف)

وإذا كانَ فى الأنابيبِ خُلْفٌ وقع الطَّيشُ فى صدورِ الصعادِ[3]

---

(١) السورة الرابعة (النساء) أول الآية ٣٤ .

(٢) هذه العبارة (بالعقد الشرعى .... إلخ) موجودة بنسخة استانبول فقط .

(٣) وإذا كان .... البيت للمتنبى .

بيت (رمَل)

پاذ زهر از شرِّ زهر افزون شوذ   چون ز اندازهٔ خوذ بيرون شوذ

والمعنى :

الترياق يزيد على شر السمّ ، حين يجاوز مقدارَه .

* * *

وقد سمعت جاريتكم ، أن واحداً من آحاد أعداد الوزراء ، قد ضربّ وخلّط فى حقها ، وأظهر أقوالها فى معرض الكذب والفضيحة ، وعرض كلماتها ومقدماتها فى لباس السماجة والتقبيح ، وسعى فى تغيير الأحوال وتعبير الأقوال، وإنى لأخشى أنه بسبب مقالات الوزراء ، ومُحالات الأمير ، يحدث عين ما حدث للقصار[1] من ولده الطالح وابنه العاق ! فسألها الشاه : وكيف كانت تلك الحكاية ؟ احكى !

٧ — حكاية القصار وابنه والحمار والدوّامة

قالت : هكذا حكى أربابُ العقول ، وأفاضل الجمهور أنه كان فى مدينة (فسطور)[2] قصّار ، وكان له ابن أحمقُ وجاهلٌ ، وبلا تمييز وغافل ، مذمومُ السيرة ، مجهولُ الصورة ، مثل المجنون ، مضطربُ الفعال ، من حلية العقل عاطل ، وفى قبول المصالح مماطل ؛ وكان هذا القصار دائماً منكوباً ومدهوكاً بيد ضرره ، وقدمِ خطره ، ومهما نصحه أبوه وعنّفه ، لم تكن

---

(١) القصار : محور الثياب أى مبيضها .

(٢) بنسخة طهران « تستر » وهى مدينة بخراسان .

طبيعتهُ المعكوسة ، وبِنيته المنكوسة ، تستقيم البتة بمواعظ التغيير ، وزواجر التعريك أو تقبل إصلاحاً .

وكان زكام الإدبار قد جعل أنفه معلولا ، بحيث لم تكن روائح النصائح تصل إلى مشامه ، وقد استولى عليه الحرص والشره ، والجنون والسفه ، إلى حد أنه لم يقبل تداوياً وتشفياً بأى تكلُّف وتلطُّف ، ولم يكن يمتنع عن عادته البهيمية وطبيعته السَّبُعية ، كالحديد المتآكل والرصاص المحترق اللذين لا يصلحان لعمل بأية حيلة ، ولا يروقان بعين مشتر بأى تزيُّن وتأنُّق ، كان قلبُ أبيه دائماً متألماً ومجروحاً من صدمات شوكِ خلافه ، وخاطرُه خائفاً ومعنًّى من خطر جهالته وضلاله ، إذ فى كل يوم يتولد من جنونه المرذول آفة ، وينزل به من قبائح أقواله وفضائح أفعاله بلاء ، وكان هذا القصار يغسل الثياب على حافة نهر كبير ، وكان بهذا النهر دوامات عميقة ، وبرك بعيدة الغور ، وكانت تجرى فيه دائماً سيول قوية ، وكلما انشغل القصار بعمل ، كان الولد المجنون يلقى بنفسه كالثعبان فى الماء بحجة سمكة ، ويسبح كالضفدع ، ومهما أكثر القصار[١] الصياح ، كان يزداد قرباً من الوسط ، الأب[٢] خائف ومستشعر أنه يجب أن لا يقع فى دوامة ، أو يقصده تمساح ا فلم يكن يسمع كلامه ، ولم يكن يعطى لنصيحته ، التى كانت محض شفقة ، مكاناً فى سمع قبوله .

بيت (كامل)

خير الطيور على القصور وشرها   يأوى الخرابَ ويسكن الناؤوسا[٣]

---

(١) فى نسخة طهران : الأب .

(٢) فى نسخة طهران : القصار .

(٣) خير الطيور : البيت للمتنبي .

بيت (هزج)

مُدْبر نكند كار بگفت عاقل   هرگز نشوذ بحيله مدبر مقبل

والمعنى :

لا يعمل الشقى بقول العاقل ، ولا يصير الشقى أبداً سعيداً بالحيلة .

***

إلى أن كان القصار يوماً مشغولا بعمله ، فركب ابنه حماراً وذهب فى النهر ، ودخل فى دوامة عميقة ، فباغتهما تلاطم الأمواج وتراكم أفواج السيل ، ووقعا كلاهما فى مَغرَقة[1] ، وكانت الدوامة تهوى بهما حيناً فى قاع النهر كالصدف ، وحيناً تطفو بهما على السطح مثل القش ، فلما رأى القصار ابنه والحمار مشرفين على الهلال ، أراد بدافع الإلف الطبيعى ، والعشق الصنيعى والشفقة الأصلية ، والرأفة الجبلية ، أن يدخل ويخرج الابن والحمار من سطوات البليات ، ومغرقة السيل ، ويخلصهما من مهالك الأمواج ومسالك الأفواج ، فألقى بنفسه فى الماء وتعلق بولده ، والولد أيضاً ، تعلق بأبيه خوفاً على حياته وخوفاً من الهلاك ، إذ الغريق يتعلق بكل شىء ، حتى يلقى بنفسه من مغرقة الدوامة بساحل النجاة والسلامة ، فجر أباه في الدوامة ، ومهما حاول القصار أن يخلص نفسه من يده وقبضته ، لم يمكن ، وآخر الأمر ، أسلم الأب والابن الروح الحلوة لريح « الفناء » فى الماء مثل السكر ، وودعا العمر العزيز ، والنفس النفيسة :

---

(١) المغرقة : المكان العميق الذى يغرق . استعملتها مقابل كلة « غرقاب » الفارسية .

بيت (وافر)

ومن يكُ جارَ صِلٍّ أفعوانٍ فليس بعـــادمٍ سَمًّا نقيعا

بيت (متقارب)

چو دشمن كى دانا بوذ به ز دوست ابا دشمن ودوست دانش نكوست

والمعنى :

إذا كان العدو العاقل خيرا من الصديق (الجاهل)[1]، فإنه يجمل العلم بالعدو والصديق .

***

وأنا جاريتكم — من فرط الإخلاص ، ووفور الوفاء والاختصاص — أخشى أن يحدث للشاه من هذا الابن ما حدث للقصار ، وليس أعز على الآدمى من أجزائه وأعضائه ، وجوانحه وجوارحه ، ومع كل هذا ، حين يعرض فى جزء مرض مفسد ومهلك ، يستوجبون علاجه بالحرق والقطع ، ولا يتأسفون ولا يألمون لفقده ونقصانه ، ولا يغدو فقدانه دافعاً ومانعاً ، ومن هنا قالوا :

مصراع (هزج)

دستى كى ترا نخوا هذ ، آن دست ببرُ

والمعنى :

اليد التى لا تريدك اقطعها .

***

ويقول الله تعالى : وعسى أن تكرَهوا شيئاً وهُو خيرٌ لـكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لـكم[2] .

(١) أضيفت هذه الـكلمة لتوضيح المراد .

(٢) السورة الثانية (البقرة) الآية ٢١٦ .

فلما سمع الشاه هذه الـكنايات والمقدمات ، أمر أن يعاقبوا ابنه !

وعندما وصل خبر العقوبة إلى سمع الوزير الثانى ، قال للسياف : أجل القتل حتى أرى الشاه ، وأقول له فوائد ترك التعجيل !

***

مجيء الوزير الثانى إلى حضرة الشاه

وجاء الوزير الثانى — الذى لم يكن له ثان فى العلم والحكمة ، والفضل والكفاية — إلى الحضرة ، باقتضاء الرأى حلّال المشكلات ، وبعد تقديم مراسم الخدمة ، وشرائط الحمد والثناء والتحية ، قال : بحمد الله تعالى ، كواكب عدل السلطان ثاقبة وطالعة من أفق سماء التدبير ، وكافة الخلائق خاضعون وطائعون للأوامر والنواهى السلطانية ، والأقاصى والأدانى فى ظل عواطف هذه الدولة مرفهون ومنعمون و (مصونون)[1] من سَموم[2] الجور وحرور الحوادث ، وأنياب نوائب الزمان ، ويتداركون سُموم أفاعى الظلم بترياق دواعى الإنصاف ، وتأثير سهم الحدثان ، الذى ينطلق من إبهام قصد الزمان ، يبقى بلا أثر بجُنَّةَ جلاله ، أطراف الولاية آمنَة ، وأصناف الرعية ساكنة ، وصنوف المحن ، وفنون الفتن هادئة ، وقد استقر الرعايا فى مهد الرفاهية . والضعفاء فى ظل العناية والعاطفة . وملوك الافاق يقرأون تختة[3] مكارم الأخلاق فى جنابه المنيع . وفنائه الرفيع . ويقتبسون :

---

(١) هذه الـكلمة أضيفت لاستقامة المعنى .

(٢) السموم بفتح السين : الريح الحارة .

(٣) فى نسخة استانبول (تخته) وهى اللوحة المعروفة فى مدارسنا باسم (السبورة) ويكتب عليها بالطباشير . وفى نسخة طهران (نسخة) .

بيت (خفيف)

خوانده عدلِ تو در همه آفاق تختهاىِ مكارمُ الأخــــلاق

والمعنى :

قرأ عدلُك فى جميع الافاق . ألواحَ مكارم الأخلاق .

* * *

وفى الحقيقة ، وجود ذاته العظيمة ، أثرُ جودٍ ورحمــةُ واجبِ الوجود . السراب ، بسياسته منقطع عن الغرور . والشراب ، بانتظام أيام عدله منحسم من فساد العقول :

بيت (وافر)

بشامل عدله فى الأرض ترعى مع الأسد السوائم فى المسام[١]

* * *

ومقرر ببديهة النظر لدى رأيه المأنور الأزهر ، الذى يقتبس المشترى منه النور ، وتلتمس الشمس منه الضياء ، والذى هو مفتاح مصالح السلطنة ، وبريد مناهج المُلك والدولة ، أن مشاهدة جمال الابن ، مصباحُ كل صُبوح ، ومفتاحُ كل فُتوح ، وروض أزهار المسرة يرتوى من نبع حسنه ، وتأخذ روضة النزهة طراوتها من منبع جماله ، ومرتع كماله ، خصوصاً وأن تباشير الرشد فى ناصيته مبينة ، ومخائل النجابة على جبينه لائحة ومعينة ، وقد طلب[٢] درَّ البحر السلطانى ، وبلبلَ شجيرة الورد الشّاهَنْشَاهى من عقائل سعادات الخالق ،

---

(١) المسام : المرعى والسوائم البهائم التى ترعى .

(٢) الضمير فى (طلب) يعود على الشاه .

وذخائر موهباته ، بالتضرع والابتهال إلى حضرة ذى الجلال وقال : رب هب لى من لدنك وليا[١] ، وظفر بالإجابة ، فلا يليق أن يتعجل فى هلاكه بتحريك النمام وغمز الساعى الفتان ، لأن الحسرة والندامة على فوات ذاته لا تنفع ولا تنجع بعد إمضاء العزيمة ، والشجرة مهما تكن متشعبة الجذور وراسخة ، يمكن قلعها فى ساعة ، ولكن يلزمُ سنواتٌ حتى تصير باعتدال مزاج الهواء وتربية الماء والتربة ، مثمرة ومؤثرة ، بحيث يمكن الاستراحةُ فى ظلها والانتفاعُ بثمرها ، وإذا تعجل الشاه فى هذا المعنى ، يكون مثل ذلك الحجَل الذى أهلك قرينته الموافقة ، وزوجه المشفقه بغير جرم ، ولما تكشفت حقيقة الحال ، وظهرت براءة ساحتها ، مهما ندم على ذلك الارتجال والاستعجال ، لم يكن ذلك مُربحا ومُنجحا ، ولم تحىَ الحبيبة المقتولة ، ولم تعد الأليفة الذاهبة ! فسأله الشاه : وكيف كانت تلك الحكاية ؟ احك !

٨ــ حكاية الحجل الذكر وحاله مع أنثاه

قال الوزير : حكوا أن حجلين انصرما من بين أبناء جنسهما ، بسبب تفاوتٍ وعدمِ استواء الصحبة ، وتغير ومخالفةِ الألفة ، وذهبا من وطن إلى وطن آخر ، ومن ذلك الموضع إلى موضع ثان ، وتخيرا أصحابا وأصدقاء جُدُدا ، وأقاما فى جبل كان حضيضه يرجح مَزهرة[٢] الكواكب ويخضور[٣] السماء فى النزهة والرفعة ، واتخذا لهما عُشا فوق شِقٍّ راسخ وشِعب راسٍ ،

---

(١) السورة التاسعة عشرة (مريم) اقتباس من الآية ٥ .

(٢) المزهرة ، منبت الزهور أو روضة الزهور وقد وضعت هذه الكلمة مقابل الكلمات : گلزار ، گلشن ، گلستان الفارسية التى لها هذا المعنى .

(٣) اليخضور الأرض الكثيرة الكلأ والخضرة أى المرج .

هواؤه معتدل وطيب ، ومرجُه نَزِه وجاذب للقلب ، قد نمت أنواع الأشجار على أطرافه وأكنافه ، واستقرت أجناس الوحوش والطيور فى حضيضه ويفاعه ، الأمواه الصافية جاريةٌ من عيونه ، ونسيمِ الصَّبا والشمال هابٌّ فى صحرائه ، فضاء هوائه خال من العفونة ، ومهابطه ومصاعده منزهة من خوف الصيادين القُساة كُلالة الشقائق فى فصل الربيع مضيئة من قلال جباله ويفاعِ تلاله مثل القنديل العقيق من صوامع الرهبان :

بيت (هزج)

دُر افشـــان لاله در وى چـــون چراغى
ولیـكـ از دوذِ او برجـــانش داغى

والمعنى :

الشقائق الناثرة الدرفيه مثل سراج ، ولكن على مهجتها كىٌّ من دخانه .

بيت (هزج)

شقايق بر يكى پا ايستـاذه چو بر شاخِ زُمُرُّذ جامِ باذه

والمعنى :

زهرة الشقائق واقفة على قدم واحدة ، مثل كأس الخمر على غصن الزمرد .

بيت (طويل)

شقـائق يحملن النـدى فـكأنها دموع التصابى فى خدود الخرائد[1]

* * *

---

(١) شقائق يحملن إلخ . البيت للبحترى .

أمواه المنابع والمشارع مثل دموع العاشقين، كأنها صرح ممرد أو جوشن مزرد؛ (كأنه صرح ممرد من قوارير)[1] :

بيت (كامل)

وعيونُه كعيون أصحابِ الهوى   بصفـاءِ دمعٍ من وفاءِ قلوبِ

* * *

وكان لهذين الحجلين معاً، عيش مُهنَّأ ووصال مُهيَّأ، عين الأيام الوقاح غافلة عنهما، وطبع الزمان غير دار بهما، كانا يطيران فى فضاء الجبال، ويهتزان فى عرصة المراد، حسن وجمال الأنثى كل يوم أكثر، وعشق ومحبة الذكر كل زمان أنضر :

شعر (هزج)

١ — دلى را بادلى چون در هم افتـد
همى آوزاه‌اى در عالم افتـد
٢ — خوشا وقتـا كى باشـد آن دو دل‌را
وليـكن أين چنين دل خـوذكم افتذ

والمعنى :

١ — حيثما يتحد قلب مع قلب، تدوى شهرتهما فى العالم.

٢ — ما أطيب وقت هذين القلبين، ولكن مثل هذا القلب قلما يتفق.

* * *

---

(١) هذه العبارة مأخوذة من الآية الكريمة : قيل لها ادخلى الصرح، فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها، قال إنه صرح ممرد من قوارير. السورة السابعة والعشرون (النمل) الآية ٤٤.

كانا يرعيان فى رياض وغياض ذلك الجبل ، ويتجرعان الأشربة الصافية من أنهاره وحياضه ، المضجع والمسكن نهاراً فوق ورد المرج ، والمبيت والمقيل ليلا على سُنبل الجبال ، وقد آضت(١) وحوش هذا الموضع رفقاء وألاّفا لهما ، وصارت طيور هـذا الهواء والفضاء جلساءهما وأُنَساءهما ، أسباب مهيأة ، ومعيشة مهنأة :

شعر (مضارع)

١ — در جامِ وصل ، باذهٔ أسبابِ خرّمى
أوقات عيش ولذتِ أيامِ بى غمـــى

٢ — هم از نسيمِ دولت واقبال خوشدلى
هم باوصالِ دلبرِ خوش روى هم دمى

٣ — أنواعِ نزهت وطرب وعيش برفزون
اسبابِ فترت وغمِ ايام در كمى

والمعنى :

١ — فى كأس الوصل خمر أسباب البهجة ، أوقات سرور ولذة أيام بلا كدر .

٢ — وكذلك من نسيم السعادة وإقبال السرور ، وأيضاً بوصال حبيب جميل أنيس ،

٣ — أنواع النزهة والطرب والمرح فى ازدياد ، وأسبابُ الفترة وغمُ الأيام فى نقصان .

* * *

(٢) آضت أى صارت .

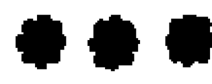
واتفق أن أمسكت الأمطار ذات عام ، وتخلف البرق والندى عن الهواء الجاف ، وظهرت اليبوسة فى الينابيع ، وغلب الجفاف والقحط على المرابيع(١) :

بيت (هزج)

تارفت چنانـك فتنـــــــه را خواب از چشم
اين بحــــرِ هزار چشمــــه را آب از چسم

والمعنى :

منذ ذهب النوم من عين مثل تلك الفتنة، وماء هذا البحر ذى الألف عين، من دمع العين .



استولى القحط والجدب على العالم ، وغلبت النحوس والبؤس على الدنيا ، لم تنضج ولم تنمُ الحبوب واللبوب ، وانبخست ونقصت أنواع الارتفاعات(٢) من المراتع والمزارع ، فقال الحجل الذكر للأنثى : شرط العاقل والحكيم ، أن يهيء فى أيام الصيف ما يحتاج إليه فى أوقات الشتاء ، وأن يخشى شدة أوقات المستقبل ، فى وقت رفاهة وراحة ساعات الحال ، ويدبر الادخار :

بيت (كامل)

وانظر لنفسك والسلامة نُهـزَة وزمانُهــــا ضافى الجناحِ يطيرُ

بيت (خفيف)

كار هـــــارا بوقت بايد جُست كارِ بى وقت سُست باشد سُست

---

(١) المرابيع : المراعى .
(٢) الارتفاعات : المحاصيل .

والمعنى :

يجب التماس الأمور فى أوقاتها ، فالأمر فى غير وقته ضعيف ضعيف .

***

وأن يعتبر هذه الكلمة : خذ من يومك لغدك ! حتى إذا تغير وتبدل مزاج الزمان وأحواله ، وَضَعَتْ الليلة الحبلى[١] مولود الحال ، من أرحام الأدوار ، فى حجر قابلة العقبى ، على خلاف المراد ، لا يتحير ولا يدهش القلب والخاطر ، فى مخالب عقاب الحيرة ، ومهابط ومضايق الحسرة والضجرة ؛ والتدبير أن أسافر وأحمل معى بضاعة ، ويقولون إن سعر الطعام فى البلاد الفلانية كاسد ، فلأذهب وآتى معى بذخيرة الشتاء قبل أن يتوارى الحَبُّ فى حجاب التراب ، ويستتر فى نقاب المخزن ؛ ثم توجه إلى ذلك السَّمت بهذه العزيمة . ولما كان المطلب والمقصد بعيداً ، فقد طالت المدة إلى أن هجم الشتاء على الدنيا ، وبيَّت[٢] عسكرُ البرد جماعة الأشجار والأثمار ؛ وصارت قلالُ الجبال وأطرافُ المرج عارية وعاطلة من الورق والثمر ، ولم يبق سوى عمامة فوق فرق الصنوبر ، وقباء على قد السرو ، وتساقطت الحُلَلُ الخضراء من أكتاف الأشجار ، وانتخلت ذرات الكافور بمنخل السحاب على أموات العالم[٣] :

---

(١) هذه العبارة مأخوذة من البيت العربى :

إن الليالى من الزمان حبالى   مثقلات يلدن كل عجيبة

(٢) التبييت : الإغارة على القوم أو العدو ليلا دون أن يعلموا .

(٣) كناية عن سقوط الجليد من السماء ، والكافور حنوط الموتى عند الفرس .

بيت (هزج)

مانندِ مادرانِ مرده فرزند   در ديدهٔ عالم، ابر كافور افكند

والمعنى :

ألقى السحاب بالكافور فى أعين العالَم ، مثل الأمهات الثكالى .

* * *

تحطمت نغمة وألحان البلبُل ، وتقطعت أوتار وموسيقارُ الصلصلُ(١) .

وعاد الذكر من السفر ، فرأى الأنثى متغيرة عن هيئتها وصورتها ، بطنها بارز وعيناها غائرتان ، وقد ظهرت آثار الحمل وأمارات الحبل على صورتها وسيماها ، فصار سيء الظن فيها لهذا السبب وقال : لقد كان لى ثقة تامة فى عفتك وعصمتك ، واعتضاد كامل بحسن عهدك وموافقتك ، وكانت مواجب المصاحبة ولوازم الموافقة أن تحتبى فى غيبتى بذيل العفاف والصلاح ، وأن ترعى وتشكرى رعاية جانب المرافقة والمواصلة القديمة المؤكدة بيننا ، لقد قرأت أنت فى أيام غيبتى كلَّ سُورة الهزل واللهو ، وكررت آياتِ الفسق والفجور ، وسرت فى عرصة المراد والشهوة والنهمة ، وخلعت عن النفس الأمارة بالسوء العذار مثل خليع العذار ، وهيأت لاستقبال مقدمى مثل هذه الذخيرة الذميمة ، والشربة غير السائغة ، وقلتِ لنفسك :

شعر (متقارب)

وألقى حَبْـــلى على غاربى   وأسلكُ مسلكَ من قد مرج(٢)

---

(١) الصلصل : طائر غرد .

(٢) وألقى حبلى إلخ : البيتان من المقامة الثالثة من مقامات الحريرى .

فإن لامنى القوم قلت اعـــذروا فليس على أعرج من حـــرج

* * *

قسما بالرازق الذى تعطى رعاية جوده لفرخ الغراب فى وكر الأشجار وظيفة[1] الليل والنهار ، وبالخالق الذى توصل حماية كرمه لِنقف[2] العقاب راتبة[3] النهار والليل فى قلال الجبال ، لأنزلن بك هذه الساعة عقوبة هذه الجناية ، وتأديب هذه الغواية ، بحيث يكون ذلك لكل المستهترين فهرست عبرة ، وعنوان عظة ، وزاجراً وناهياً عن الإقدام على أمثال هذا الاجترام ! فقالت الأنثى : بالصانع الذى تسبيح جلاله ، وتقديس كماله ، مشغلة الديك فى الأسحار ، وبالمبدع الذى جلوة الطاووس فى المرج تعظيم نواله ، بأنه لم يكن لى فى زمان غيبتك ألفة وصحبة ، ومجالسة ومخالطة مع أى غير محرم ، ولم أضع قدما على غير رضاك ! فقال الحجل الذكر : لا يحتاج لنور المصباح فى ضوء الشمس ، وليس الخبر كالعيان :

مصراع (مجتث)

گمان معاينه باشـــد ، خبر چـــه سود كند ؟

أى :

الظن معاينة ، فما يجدى الخبر ؟

* * *

(١) الوظيفة الراتب والرزق المعين .

(٢) النقف : فرخ الطائر حين يخرج من البيضه ، واستعملت مقابل فرخ تحاشى التكرار .

(٣) الراتبة : الراتب والوظيفة .

إنك لا تكتفين بارتكاب الجناية ، وتستبيحين ترك الديانة والأمانة ، وتحجبين وجه الإنصاف باليمين الكاذبة ، وأخذ يضرب الأنثى بدافع الغضب والأنفة ، والاستنكاف والحمية ، ومهما قالت أنثاه :

مصراع (هزج)

مشتاب بكشتنم كى در دست توام !

أى :

لا تعجل بقتلى فإنى فى يدك !

***

لا تضربنى فإنك ستندم على هذه العجلة ، ولكن وقتما لا يكون ذلك مُربحاً ونافعاً :

بيت (وافر)

ستذكرنى إذا جــربت غيرى وتندم حين لا تغنى النـــدامة

شعر (متقارب)

شتما بندكى كارِ آهرمنست پشيمانىِ جان و رنجِ تنست
پرستندهٔ آز وجوياى كين بگيتى زكس نشنوذ آفرين

والمعنى :

العجلة فعل الشيطان ، ومندمة الروح وعناء الجسد ، عبد الطمع وطالب الحقد ، لا يسمع من أحد ثناء فى الدنيا :

***

وظل هكذا يضربها حتى انتقلت الأنثى من عالم الحياة إلى عالم الممات ، وتساوت مع كل الذاهبين ، ولما قتلت زوجه الموافقة ، ورفيقته المرافقة ، وسكنت فورة غضبه ، تأمل الحجل الذكر وقال لنفسه : وا أسفاه ! لقد قتلت الرفيق الشفيق ، والنديم القديم ، والصاحب المساعد ، والصديق المعاضد ، مع كل تلك الحقوق المرعية ، والأخـــلاق المرضية ، والرأى والحصافة ، والعقل والكفاية ، بغير تهمة ظاهرة ، بموجب شبهة ! ولا أدرى هل أنا فى تقديم هذا الرأي وإمضاء هذه العزيمة ، مصيب أو مصاب ، صائب أو مخطىء وساه ؟

وحضر لزيارته جماعة من الطيور الذين كانوا فى أكناف وأطراف ذلك الموضع لتهنئته ، ولما رأوا الأمر كذلك ، بحثوا عن موجب الحادثة ، فأعلمهم الحجل الذكر بصورة الحال ، وأعاد شرح ما حدث . فأطال فيه كل واحد من الطيور لسان الملامة والتعيير وقالوا : لقد أقدمت على مثل هـذا الاقتحام العجيب دون أن تشاور مؤتمناً ، واستبحت فعلة بهذه الجسامة بلا روية ثاقبة ، اعلم أن زوجاتنا فى هذه النواحى ، يحدث لهن كثيراً مثال هذه العارضة ، وكذلك يظن أن المرأة قد حملت ! وحين يمضى على ذلك ثلاثة أشهر ، نأتى بالجذر الفلانى ونعطيه لهن ، حتى بعد نضج المـادة ، تحصل إجابة الطبيعة ويزول المرض . لقد أخطأت ! وكنت مخطئاً فى إمضاء هذا الرأي ، ولو كانت جرت معنا مفاوضة فى هذا الباب قبل نفاذ التدبير ، لما أخذت بهذا التشوير والتقصير ، ولما وقعت فى الملامة العاجلة ، والعقوبة الآجلة .

فلما رفع حجاب الشبهة عن وجه الأمر ، وعرف يقيناً أنه أخطأ ، وأسلم قرينته اللائقة ، بغير موجب وجرم ، ليد التلف ، كان ينظر إليها ويبـكى نائحاً معولا ويقول :

(شعر طويل)

عجبت لصبرى بعــــده وهو ميتٌ

وكنت امرءا أبكى دما وهـــو غائبُ[١]

على أنهـــا الأيامُ قد صرن كلُّها

عجائبَ حـــتى ليس فيها عجائبُ

بيت (هزج)

دردا و در يغا كى از آن خاست ونشست

خاكست مرا برسر و باذست بدست

والمعنى :

أواه و وا أسفاه ! فإنه من ذلك النهوض والقعود ، التراب على رأسى ، والريح بيدى[٢].

***

---

(١) عجبت لصبرى الخ : البيتان للمتنبى .

(٢) هذه الحكاية شبيهة بحكاية الحمامتين فى تاب إيلاذ وبلاذ وإيراخت بكليلة ودمنة ونصها كما يلى :

قال إيلاذ : زعموا أن حمامتين ذكرا وأنثى ملآ عشهما من الحنطة والشعير . فقال الذكر للأنثى : إنا إذا وجدنا فى الصحارى ما نعيش به ، فلسنا نأكل مما ههنا شيئا ، فإذا جاء الشتاء ولم يكن فى الصحارى شىء ، رجعنا إلى ما فى عشنا فأكلناه . فرضيت الأنثى بذلك وقالت له نعم ما رأيت . وكان ذلك الحب نديا حين وضعاه فى عشهما ، فانطلق الذكر فغاب . فلما جاء الصيف ، يبس الحب وانضمر . فلما رجع الذكر رأى الحب ناقصا ، فقال لها : أليس كنا أجمعنا رأينا على ألا نأكل منه شيئا ؟ فلم أكلته ؟ فجعلت تحلف أنها ما أكلت منه شيئا ، وجعلت تعتذر إليه ، فلم يصدقها ، وجعل ينقرها حتى =

قلت هذه الحكاية من أجل أن لا يعجل السلطان بأمر ، وأن يؤدى فى العقوبة شرائط الاحتياط ومراسم الاجتهاد ، وأن يجعل التأنى والتدبر ، والتأمل والتفكر فى حوادث الزمان شعارَ ودثارَ أحواله ، ولا يلتفت إلى أقوال النساء ، لأن النساء مؤلِّفات المكر والخداع ، ومصنِّفات الغدر والكِذاب ، وطبيعتهن وكر المكر ، وجبلتهن معدِن الخديعة والختل ، وكل من يُبتلَى بمحنة وأذية صحبتهن ، لا يبقى لنبات عمره نشوء ونماء ، ورونق وطراوة ، ولا تلذ ولا تحلو معيشته :

بيت (رمل)

رُبَّ ذنب أخذوه وتمادوا فى عقابه

ثم قالوا زوجوه وذروه فى عذابه[1]

***

خواطرهن كيمياء الحيلة ، وضمائرهن عناصر الخديعة ، وإذا أمر السلطان فإنى أقول حكاية عن مكر النساء ، لتُبَرْهِنَ حقيقةُ هذى الحال ، وتتبين أسرار هذه الدعوى ! فقال الشاه : كيف تلك الحكاية فى مكر النساء ؟ احك !

= ماتت . فلما جاءت الأمطار ودخل الشتاء ، تندى الحب وامتلأ العش كما كان . فلما رأى الذكر ذلك ندم ؛ ثم اضطجع إلى جانب حمامته وقال : ما ينفعنى الحب والعيش بعدك إذا طلبتك فلم أجدك ، ولم أقدر عليك ، وإذا فكرت فى أمرك وعلمت أنى قد ظلمتك ، ولا أقدر على تدارك مافات .

ثم استمر على حزنه فلم يطعم طعاما ولا شرابا حتى مات إلى جانبها . والعاقل لايعجل فى العذاب والعقوبة ؛ ولا سيما من يخاف الندامة ، كما ندم الحمام الذكر .

(١) رب ذنب إلخ : البيت لأبى تمام .

٩ — حكاية المرأة صاحبة الجمال مع الرجل البقال

قال الوزير : هكذا سمعت من ثقاة الرواة ، أنه كان فى مواضى الأيام دهقان صائن ومتدين ، ومتورع ومتق ، وكان له امرأة على عادة أبناء الزمان، كانت تسير بأوسع خطى فى متابعة الشهوة والنهمة ، وتعد استتباع اللهو واللعب من لوازم أيامها . وذات يوم أعطاها الدهقان قراضة لتشترى أرزاً ، فمضت المرأة إلى السوق وذهبت عند بقال ، وأعطت الذهب للبقال وقالت بغمزة ودلال : اعطنى أرزاً بهذا الذهب ! فأدرك البقال بحركاتها وسكناتها من أية مقثأة هى ، وعرف بشكلها وشمائلها أى مزاج لها ، وعلى أى أمر طينتها مجبولة ومطبوعة . فوزن الأرز وجعله فى زاوية عباءتها ، وقال : أيتها السيدة ! لقد جعلتينى مقيداً بقيد لطافتك ، وجريحاً بسهم ملاحتك ، فتعالَىْ أعطِك سكراً ، لأن الأرز بدون سكر يكون طعاماً ناقصاً ، وغذاء غير معتدل. فقالت المرأة : ليس معى ثمن السكر ، فقال البقال :

مصراع (هزج)

ازچون تو شكر لبى بها نتوان خواست

أى :

لا يمكن تقاضى الثمن من ذات شفة سكرية مثلك .

***

وكل من يمص شفتك ماطرةَ السكر ، يضحِّى شاكراً بألف روح ، فادخلى لحظة خفيفة ، ولمحة لطيفة فى الدكان ، ليحلو عيشى بمحاورتك الحلوة ، وتأخذ روحى من شفتك ذخيرة العمر الخالد !

بيت (متقارب)

حديثی بگو تا شکر برچنم   بمن برگذر تا شـــوم عنبری

والمعنى :

تحدثى حديثاً لألقط السكر ، ومرى بى لأصير عنبرا .

* * *

فقالت المرأة : ماذا ستعمل بشفتى مع ما عندك من السكر الوفير ؟
فقال البقال :

بيت (مجتث)

مرا لبانِ تو بايذ شكرچه سوذ كنذ ؟
مرا وصالِ تو بايذ خبر چه سوذ كنذ ؟

والمعنى :

يلزمنى شفتاك ، فماذا يجدى السكر ؟ ويلزمنى وصالك فماذا يفيد الخبر ؟

* * *

فمدت المرأة قدمها ، وأعطاها البقال قدراً من السكر ، فصرت المرأة السكر والأرز على زاوية عباءتها ، وجلست مع البقال فى الخلوة ، وحقا قالوا : الدرهم مزيل الهم ، والدينار مفتاح الأوطار .

وكان للبقال صبى لئيم وجرىء للغاية ، فلما رأى المرأة والبقال كلاهما ، مشغولين باللهو والمتعة ، وأن المرأة غفلت عن عباءتها ، حل زاوية العباءة وأخذ السكر والأرز ، وصر قدراً من التراب فى العباءة .

ولما انتهى الأمر ، وتم شغل الخلوة ، خرجت المرأة من الدكان عَجْلَى ، وأخذت طريق البيت ، ووضعت العباءة كما هي مصرورة أمام الدهقان . حل الدهقان زاوية العباءة ونظر فرأى قدراً من التراب مصروراً فيها ! قال : أيتها المرأة ! إنى أرى تراباً !

فلما رأت المرأة التراب ، تحيرت وتفكرت ، ودخلت البيت على البديهة وأخرجت الغربال ! وأخذت تضع فيه الأتربة ، وبدأت فى غربلة التراب . فقال الرجل : أية حال هذه ؟ فأجابت المرأة : أيها الرجل ! الصدقات واجبة علىّ وعليك ! إذ أن بلاء عظيما ، ونازله عجيبة قد دُفعا عنى هــــذه الساعة ببركتك ! فى أثناء ما كنت ذاهبة إلى السوق لأشترى الأرز ، قفز جمل وقطع الرّسن ، ومر بى ورمحنى رَمْحة قوية على ظهرى ، وهوَيتُ وألقيتُ القراضة من يدى ، ووقعتُ فى هذا التراب ، ومهما بحثتُ لم أجدها ثانياً ، لأنه كان مقر الخلائق وممر العلائق ، فجمعت تراب ذلك الموضع وجئت به معى لأغربله بالغربال ، عساى أجد الذهب وأشترى أرزاً من أجلك ! فلما سمع الرجل هذه الكلمات ، أجال الدمعَ في عينيه وقال : لتكن اللعنة على ذلك القــدر من الذهب ! خذى قراضة أخرى واشترى أرزاً ، وألقى ذلك التراب فى الخارج !

بيت (طويل)

إذا صحّ منك الوُد فالكلُّ هيِّنٌ وكلُّ الذى فوقَ التراب ترابُ(۱)

بيت (مجتث)

چو وصل ومهـرِ تو نبوذ ، چه قدر دارذ عمر ؟

چو دوستيِ تو آمذ ، چــــه قدر دارذ مالِ ؟

---

(۱) إذا صح إلخ : البيت للمتنبى .

والمعنى :

إذا لم يكن وصلك وحبك ، ماذا يساوى العمر ؟ وإذا جاءت محبتك ، ماذا يساوى المنال ؟

* * *

قلت هذه الحكاية لأجل أن يقف رأى الشاه العالى على مكر وغدر النساء ، ويتقرر لدى خاطره العاطر ، وهو مرجع العدل والدين ، أنه لا غاية ولا نهاية لحيل ومكر النساء !

فلما سمع الشاه هذه الحكاية ، أمر أن يحملوا الأمير إلى الحبس ، ويؤخروا ويوقفوا العقوبة .

* * *

مجىء الجارية فى اليوم الثالث إلى حضرة الشاه

فى اليوم الثالث ، حين طلعت راية عسكر النهار من أفق المشرق ، وتوارت أعلام عسكر الليل القيرية[1] فى قيروان[2] المغرب ، رجعت الجارية إلى حضرة السلطان ، وجاءت لدى الشاه بوجه مُعصفَر ، وظهر مقوس من عبء الحوادث ، وخد مُفعم بدموع الحسرة ، وباطن ممتلىء بالقلق والضجرة ، وطفقت تتضرع وتستغيث بلسان الاضطرار كالمنافقين :

---

(١) القيرية نسبة إلى القير ، والقار أو القيرمادة ، سوداء قيل هى الزفت .

(٢) القيروان مدينة بالمغرب ، وقد استخدم الكاتب الكلمتين لمجرد التجانس والزخرف اللفظى واللعب بالألفاظ .

بيت (هزج)

رخساره چو ابرِ نوبهاری پرنم   آمیخته آفتاب وباران برهم

والمعنى :

خد مفعم بالقطرات مثل السحاب الربيعى ، امتزجت الشمس والمطر معاً .

ثم قالت : عدل الشاه اليوم ، بحر العالم المحيط الذي يغترف العالمون من مشرب نواله العذب :

مصراع (مضارع)

هست اغترافِ خلق ز بحر سخاىِ او .

أى :

اغتراف الخلق من بحر سخائه .

***

قديماً قالوا : البحر مُغترَف ، ومكارم أخلاقه مزهرة يحصّل منها العالمون نسيم الشميم وشمالَ الألطاف ، وقد تفتّحت رياحينُ الإنصاف من حديقة عدله ، واحترق شوك الجور بنار القهر من ساحة ملكه ، ومنذ صار فناؤه المبارك مرجع المظلومين ، انهدم وانقض بناء الظلم بصرصر[1] العدل ، والأعجب أن كل الدنيا استقرت فى معدلته ، وبقيت أنا جاريتكم فى حرارة شمس تموز[2] الظلم :

(١) الريح الصرصر : الريح الشديدة الهبوب .
(٢) تموز من شهور الصيف وهو شهر يوليه .

بيت (بسيط)

يا أعـــــدلَ الناسِ إلا في معـــاملتي
فيك الخصـــامُ وأنت الخصمُ والحكمُ[٢]

***

لا يمكن أن توسم حضرة الشاه بهذا الاسم ، لكن الوزراء سَيِّئى العاقبة قد صاروا مثل السحاب حجابا أمام شمس عدله ، والظلم الشنيع والجور العظيم الذى جرى على من ولد الشاه ، سيكون موجب سوء سمعة أسلافه وأعقابه . بيد أن السلطان العادل بتحريض وتحريك الساعى النمام ، والشرير الكذاب الفتان ، لا ينصف جاريته ، وأظن أن مثل الشاه مع وزرائه ، مثلما كان لشاه كرمان مع الوزير ! فسأل الشاه : كيف كان ذلك ؟ احكى !

١٠ — حكاية الأمير مع الوزير والغيلان

قالت الجارية : هكذا حكوا أنه كان فى العهود الماضية والأيام الغابرة ، سلطان عالم وعادل ، مُقبل ومُفضل ، وكان له ابن مذكور برزانة العقل ، وموصوف بشجاعة الذات ، جماله سر جملة الحسن والجمال ، ومقاله فهرست السرور وراحة البال : وذات يوم وقد جددت الدنيا ثوب جمالها واكتست حلة الكمال ، استأذن من أبيه وقال : لقلبى نظر إلى مشاهدة الصحراء ، ولروحى التفات إلى مطالعة الربى والرياض ، إنه وقت الربيع وفصل الصحراء والمرج :

---

(١) يا أعدل الناس الخ : البيت للمتنبي .

شعر (كامل)

فتبسَّمَ النيروز يوقظ بالندى   وردَ الرياض من النعاس الفاترِ
وكأنما ينهلُّ عن قطر الحيا   فيها صغارُ اللؤلؤِ المتناثرِ

***

أوان الصيد ، وأيام تعاطى الشراب ، حيث تنسج يد نساج الطبيعة فى دار طراز الزمان ، الديباجَ السُّباعىّ الألوان من أجل عروس الربيع ، ويُطرِّزُ خيَّاطُ الدهر بمقراضِ البرق وخيَّاطِ المطر الحُلةَ الملوَّنة والرِّداء المُنقَّش :

بيت (كامل)

فكأنما قد دُبِّجت أكنافُها   بسبائبٍ من كل شىء فاخرِ

بيت (هزج)

آراست بهار كوى ودروازهٔ خويش
افكند بباغ وراغ آوازهٔ خويش

والمعنى :

زيَّن الربيع ربعَه وبابه ، وألقىٰ فى الروض والمرج بنغمه .

***

وقد جعلت الجبالُ من زهور الشقائق كؤوساً ، وصبت فيها من قطرات الندى نبيذاً ، وصار نسيم الصَّبا عطاراً ، وأصبحت عرصة البستان قندهاراً[1] ، وبقيت عين النرجس حزينة ، وصارت طرة البنفسج ملأى بالتجاعيد :

(١) قندهار ولاية من خراسان وهى الآن فى تصرف أفغانستان ، واسم معبد فى الهند ، والألف التى فى آخر الكلمة لإشباع الحركة لا للتنوين لأن الاسم ممنوع من الصرف .

شعر (مجتث)

١ — بباغ رفتم تاخوذ چـــــه حال پيش آيذ
كى باذ راحت پاش وابر شـــــاذى بار

ذهبت إلى الروض لأرى أية حال تعرض ، إذ الهواء ناثر الراحة والسحاب ممطر السرور .

***

٢ — بسبزه گفتم جاويذ زنده باذى ! گفت
سه ماه بيش نمانم بياز مـــــــوذم پار

قلت للخضرة : فلتعيشى إلى الأبد ! قالت ، لا أبقى أكثر من ثلاثة أشهر ، جربت العام الماضى .

***

٣ — بلاله گفتم چون دل فگار گشتى ؟ گفت
دلم بسانِ دلِ تو زخانه رفت فگار

قلت لزهرة الشقائق كيف صرت جريحة الفؤاد ؟ قالت : ، لقد خرج قلبى من بيته جريحاً مثل قلبك .

***

٤ — بچشم نرگس گفتم چرا پرآبى ؟ گفت
در آفتابِ سمن بنگريستم بسيار

قلت لعين النرجس : لماذا أنت ملأى بالدمع ؟ قالت : ، حملقت كثيراً فى شمس الياسمين .

***

٥ — سؤال کردم گل را کی بر که میخندی ؟
جواب داذ کی بر عاشـــقانِ بی دینار

سألت الوردة ممن تضحكين ؟ أجابت : من العاشقين المفلسين ! !

* * *

٦ — زبانِ سوسن گفتم سخن نـگوید ؟ گفت
ثنایِ خسروِ بســـیار بخشِ کم پندار[1]

قلت لسان السوسن ألا يتـكلم ؟ قال : ، ثنـاء الملك كثير العطاء ، قليل الخيلاء !

* * *

كل مزرعة جنةٌ ، وكل ضَفَّة نهرُ قندهار ، إنه لوقت أن نشربَ الإبريق على سماع البلبل ، وأوانَ أن نحتسيَ الخمر على وجه الورد ، ونسمعَ اللحنَ الخسرُوانى من نغمة الأوتار والأغانى ، وننهـل الشراب الأرجوانى من كأس السعادة :

شعر (طويل)

ألم ترَ أنفاسَ النســـيم ضَعائفاً ... مِراضاً وأجفانَ السَّحابِ ذوارِفا
يَحُكْنَ لأعطافِ الرُّبى وجُيوبِها ... غَلائلَ وَشْيٍ مُبهجٍ ومَطارفا
تظنُّ سواقيها سبائك فِضـــةٍ ... تسيلُ وأسيافاً تُسَـلُّ مَراهفا

(١) بباغ رفتم : الأبيات من ١ ـ ٦ للعمادى نقلا عن سخن وسخنوران ج ٢ ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

وتحسبُ لحنَ العندليبِ مزاهراً   ترِنُ وتغريدَ الهَزَارِ[١] مَعازِفَا
إذا رَعتِ العُفْرُ[٢] الشقائقَ خِلتَها   أباريقَ بالراحِ الشَّمولِ رواعفَا

* * *

شعر (مجتث)

١ — توانگری وجوانی وعشق وبوی بهار
شراب وسبزه وآبِ روان وروی نگار

غنًى وشباب وعشق وعبير الربيع ، شراب وخضرة وماء جار ووجه الحبيب الجميل .

* * *

٢ — دو چیزرا بدو هنگام لذتی دگرست
سماع را بصبوح وصبوح را ببهار

لشيئين فى أوانين لذتان مختلفتان ، السماع فى الصَّبوح والصبوح فى الربيع .

* * *

٣ — خوش است خاصه کسی را كی بشنوذ بصبوح
زچنگ زخمهٔ زیر وزعود نالهٔ زار

إنه لحسَنٌ ، خاصة لمن يسمع فى الصبوح ، نغمة الزير من الصنج والأنين الحزين من العود .

* * *

---

(١) الهزار بفتح الهاء : العندليب أى البلبل .
(٢) العفر جمع أعفر : وهو الظبى .

٤ — شراب خواه ودگر باره عشرت از سرگير

كى باغ تازگى از سرگرفت ديگر بار

اطلب الشراب واستأنف السرور مرة ثانية ، فإن الروض استأنف النضارة مرة أخرى .

***

٥ — گرفت لاله بصـــــد مهر سبزه را دربر

گرفت سبزه بصـــد ناز لاله را بكنار

ضمت الشقائقُ الخضرةَ إلى صدرها بمائة محبـة ، واحتضنت الخضرةُ الشقائقَ بمائة دلال .

***

أذن الشاه لولده ، وأرسل وزيره فى صحبته وخدمته ، ليراقبه ويرعى حفظ جانبه العزيز كما يجب ، وكان لسان الأيام يقول متعجباً :

بيت (هزج)

باتو چكنذ رقيبِ تاريك بس نيست رقيب توضياى تو ؟

والمعنى :

ماذا يعمل معك الرقيبُ المظلم ؟ ألا يكفى ضياؤك رقيباً عليك[1] ؟

***

---

(١) هذا البيت يذكرنا بالبيت العربى :

أمن از ديارك فى الدجى الرقباء إذ حيث كنت من الظلام ضياء

فاصطادا وشربا ، وذات يوم فى أثناء الكر والفر ، والأخذ والضبط ، والضجيج والجلبة ، برز أمام الأمير من بين المرج حمار وحش جميل للغاية ، فى الشكل والهيئة ، والصورة والصفة ، فثور الأمير مركبه ، وجرى حمار الوحش من أمامه ، وهام على وجهه فى الصحراء ، وأطلق الأمير العنان لمركبه ، وكان يُركِض فى عجلة ، ومهما أسرع فى إثر حمار الوحش ، لم يلحق بكل سرعته بغباره ، وكان فى أثناء تلك الحال يُمعن فى الركض وسط الصحراء ، ونظر ، فرأى جارية ذات جمال ، حسناء الدلال ، عنبرية الشعر ، شمسية الطلعة ، حَجَلِيّة[1] المِشية ، جميلةَ التبختر ، فضية الجسم ، فقال لنفسه :

بيت (رمل)

اينكه مى بينم به بيداريست يارب يابخواب

خويشتن رادر چنين نعمت پس از چندان عذاب

والمعنى :

هذا الذى أراه يا ربى فى يقظة أم فى منام ؟ إنى أرى نفسى فى مثل هذه النعمة بعد طول العذاب !

* * *

هل هبطت الزهرة من السماء إلى الأرض ، أو قصد القمرُ التراب من الأفلاك !

---

(١) حجلية : نسبة إلى الحجل ، وهو طائر حسن المشية ، يقول الحافظ الشيرازى :

اى كبك خوش خرام ! كجا ميروى ؟ بايست !

غره مشو كه گربهٔ عابد نماز كرد !

والمعنى :

أيتها الحجلة الجميلة التبختر ! أين تذهبين ؟ قفى ! لا يغرنك أن القط العابد صلى !

بيت (بسيط)

يا مقبلا كالقمـــر ، أنتَ جمالُ البشر
ما الحسنُ إلا بَصَرْ ، وأنتَ نورُ البَصَرْ

* * *

فأركض الجواد إليها وقال متعجباً :

شعر (مضارع)

١ — حورا ! مكر ز روضـــه رضوان گريختى ؟
بورا ! مگر زخيمـــه خاقان گريختى ؟
٢ — يازنده گشت باز سليمان پاذ شـــاه ؟
تو چـــون پرى زپيش سليمان گريختى ؟

والمعنى :

١ — أيتها الحوراء ! هل هربت من روضة رضوان ؟ أيتها الدُّراجة ! هل فررت من خيمة الخاقان ؟

٢ — أو أن الملك سليمان صار حياً ثانية ؟ فهربت أنت مثل الجنية من عند سليمان ؟

* * *

القمرُ يكون فى السماء والحور فى الجنان ، فماذا تعملين فى الصحراء ؟ قالت الجارية : كنت أنظر ذات يوم من فوق القصر ، فرأيت حسن وجهك وشكل شعرك ، وقد خجلت الشمس من نور عارضك ، ووَحِلَتْ رجلُ القمر غيرةً من جمالك ، عطرُ شعرك وصل إلى سرة الغزال فصارت

دماً[١] ، وخرج دم قلبي عن طريق عيني ، فوقع عليه انعكاسُ وجهك فصار لعلاً[٢] ، وساقني وجذبني جمالك ، ومثل جوهر المغناطيس ، شد قلبي إليه كالقشة نحو الكهرباء[٣] ، وسرت مثل البلبل نحو الوردة ، ومشيت في الطريق واتجهت إلى كعبة الوصل :

بيت (هزج)

تادل بسرِ زلفِ توْ چون گوی نهاذم
چـون گوی قدم درتـک ودر پوی نهـاذم

والمعنى :

منذ وضعت قلبي في طرف طرتك كالكرة ، جعلت[٤] قدمي في الجرى والعدو مثل الكرة .

* * *

إذا نشطتَ إلى حجرة جاريتك ، أجعل عيني مفرشاً لنعل مركبك ،

---

(١) يقال : إن المسك عبارة عن دم متجمد في سرة غزال المسك ، وفي هذا يقول الشاعر :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

أي أن سرة الغزال وهي معدن المسك تنزف دما غيرة من عطر شعرك .

(٢) اللعل نوع من الأحجار الكريمة أحمر اللون مثل الياقوت ، وقيل : نوع من الياقوت .

(٣) الكهرباء هو نوع من الكهرمان المعروف في مصر ، وهو يجذب القش إذا ذلك بصوف أو نحوه ، والكلمة فارسية مركبة من جزئين : كاه أي القشة وربا مخفف زباينده أي الخاطف : فيكون المعنى : خاطف القش .

(٤) الترجمة اللفظية : وضعت ، وكلمة جعلت تؤدي معناها هنا كما يقال : جعلت كلامه دبر أذني أي وضعته خلف أذني .

وألعب بروحى مثل الكعب[1] فى دنيا العشق ، وقبل أن يتنبه الزمان الغادر ، اغتنم هذه الفرصة فى هذه الهزيمة :

بيت (مضارع)

باشد نسيم وصل تو بر ما گذر كند
چشمت دمى بسوى دل ما نظر كند

والمعنى :

عسى نسيم وصلك يمر بنا ، وتنظر عينك لحظة إلى قلبنا .

***

فلما سمع الأمير هذه الكلمات وشاهد جمال الجارية ، أخذت الشهوة الداعية والنهمة الباعثة بعنان جواده ، وتعلق عشق المحبوبة بذيل قلبه المسكين ، فقال لنفسه : ينبغى عمل قيد لهذا الصيد ، لأن وقت الفرصة مثل ليل الوصل غير دائم ، وعابر مثل جمال الخيال ، والفرص تمر مر السحاب ، وما دمت قلت للعشق مرحباً ، فيجب أن يقال للحوادث طال بقاؤك[2] :

بيت (هزج)

أى دل منشين كى كار افتاد عشق نه باختيار افتاد

والمعنى :

أيها القلب لا تقعد فقد وقع الأمر ، ولم يقع عشق بالاختيار .

***

(١) الكعب ما يعرف فى النرد باسم (الزهر) .

(٢) الترجمة اللفظية : أبواب العشق الستة والأبواب الستة كناية عن الدنيا بجهاتها الست : أمام ، خلف ، فوق ، تحت ، يمين ويسار .

قال الأمير لنفسه : قصدت حمار الوحش فوجدت الحوراء ، فلأى آية سورة يُلقِّن أستاذُ العشق فى مكتب الأيام ، وأى مُر وحُلو يضع ساقى الزمان على كفه ، فهو متحير أى صافٍ وكُدْرةٍ يجب أن يشرب من كأس الزمان ، ومتفكر أى أطلس وبُردٍ ينبغى أن يلبس من غم المحبوب ، وأى تعويذٍ يلزمه أن يكتب فى ضجة العشق ، وأى شنبليد[1] لابد أن يُزرع فى مرج الشوق ، عجين هذا الكلام فطير[2] غير مختمر ، وطرة هذه العروس مشوشة غير مشذبة ، فترك لجواده العنان بعين منتظرة وقلب متفكر ، ومضى فى طريقه ، المحبوبُ سابق القافلة ، وقلبُ العاشق سائق الراحلة ، غافل عن هذا الخبر : رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلا ! ووصل فى وسط الطريق إلى خَرِبةٍ ، فقالت الجارية : توقف لحظة لأخبرَ ساكنى هذا المنزل عن قدوم المحمل ، وأطلعَ أطيارَ هذا العُش عن حصول هذه الحبَّة ، ليحتفوا بمقدم الأمير العزيز ، ويقوموا بواجب التلطف نحو حضوره المبارك !

بيت (طويل)

وإنا نعينُ الضيفَ عند حُلولِه وعارٌ علينـا عونُه حين يرحلُ

بيت (مجتث)

بيا كى عاشقِ آن روى وموى جعد توايم

ثنا سراى ودعاگويِ فالِ سعـدِ توايم

والمعنى :

تعال فإنا عاشقو ذلك الوجه وشعرِك الجعد ، والمثنون والداعون لفألِ سعدِك .

* * *

(١) الشنبليد : نبت برى ذو زهر أصفر .

(٢) العجين الفطير : غير المختمر .

فلما جذب الأمير عنانَ المركب ثانيةً ، دخلت الجارية الخَرِبَةِ ، وهمست للغيلان الذين كان لهم فى ذلك الموضع مسكن ومأوى قائلة : قد جئت وأتيت بأمير ، وأعرف أن لحمه وشحمه ظريفان ونظيفان للغاية ، وأجزاءه وأعضاءه لذيذة ولطيفة جداً ! فأثنى عليها الغيلان الذين كانوا بذلك الموضع وقالوا : مرحباً بك وبما فعلت ! اخرجى على عجل واستميليه حتى لا يهرَبُ ، وخذى أسلحته حتى لا يقاتلنا ! فأدرك الأمير مناجاتَهم بقوة حس السمع ، فانتفض من الخوف ! وعطف العنان فى الحال .

خرجت الجارية من الخَرِبَة ورأت الأمير يُركض الجواد ، فأسرعت على إثره وقفزت خلف الحصان وجلست فى علائق السرج وقالت : أين تذهب ؟ ولماذا تحترز من صحبتى ؟ فقال الأمير : لى رفيق منازع ، ولا أجد خلاصاً من صحبته بأى نوع ، ومن خوفه لا أستطيعُ التوقفَ معك وطلبَ نصيب من جمالِ وصالك ، والمصلحة أن أذهبَ إليه وأطلبَ تحرىَ رضائه . فقالت الجارية : يمكن إدخال رفيق السوء فى الُجوال بواسطة المال ، ويمكن جعلُ خشونةِ طبعهِ وسوء خُلُقِهِ ، وهما سَم العيش الحلو ، نسيمَ الترياق ! فقال الأمير : إنه لا يدخل فى قيد الامتثال بالمال والمنال ، لأنه مستغن عن المال. فقالت الجارية : أنهض الشفعاء المحترمين حتى يشفعوا بطريق التلطف ، فلعله يحصل الخلاص والاستخلاص . فقال الأمير : لا تقع الشفاعَة مَوقعَ القبول . قالت الجارية : ادفع عن نفسك بقوة العضد وشوكة العسكر وحشمة السلطنة ! قال الأمير : المقاومة بالقوة البشرية والحيلة الإنسانية غير مُتَصوَّرة . فقالت الجارية : ما دامت صورة الواقعة هكذا ، فأمسك بحلقة باب التضرع والاستغاثة ، واطلب المدد من حضرة الربوبية ، حتى تكفيك شره ، وتقطعَه عنك النصرةُ الإلهية والعونُ الملكوتى ، برعاية اللطف وعناية الكرم !

فأجال الأمير الدمع فى عينيه وقال فى سره لعالم الأسرار : يا من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ! (أيها القادر الذى كف يدَ طلبِ مبارزى العرب بواسطة لُعاب العنكبوت !)[١] وأيها القاهر[٢] الذى أصعد الدخان من أصل النمروذ إلى السماء[٣] بلسعة بَّجة البعوضة ! إذا لم يُعِنْنى دليل عنايتك تُدَمِّرُنى الغَواية والضلالة :

بيت (مجتث)

١ — بزمزم وعرفات وحطيم وركن ومقـام
بعمره وحجَر ومـــــروه وصفا ومِنى

بزمزم وعرفات والحطيم والركن والمقام
بالعمرة والحجر[٤] والمروة والصفا ومِنًى

* * *

٢ — بسوره ، سورةِ توريت ، وسطر ، سطرِ زبور
بآيت ، آيتِ انجيل ، وحرف ، حرفِ نُبى

---

(١) هذه العبارة موجودة بنسخة استانبول وغير موجودة بنسخة طهران ، وهى تشير إلى قصة اختباء النبى عليه الصلاة والسلام وصاحبه أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى الغار ، ونسج العنكبوت نسيجه على باب الغار ، ورجوع المشركين الذين جاءوا فى طلبهما حين رأوا العنكبوت مخيماً على باب الغـار ، ظنا منهم بأن الغار لم يدخله أحد .

(٢) فى نسخة استانبول : القاهر ، وفى نسخة طهران : القادر .

(٣) كناية عن إهلاك النمروذ بلسعة البعوضة .

(٤) الحجر الأسود الموجود فى أحد أركان الكعبة ويقبله الحجيج فى طوافهم .

بالسورة ، سورة التوراة ، والسطر ، سطر الزبور
بالآية ، آية الإنجيل ، والحرف ، حرف القرآن

***

٣ — بقرب موسى عمران ، بسجدهٔ داود
باختصاص محمـــد ، بپاكی عيسى
بقرب موسى بن عمران ، بسجدة داود
باختصاص محمـــد ، بطُهر عيسى

***

٤ — بآب ديدهٔ يعقوب در غـــم يوسف
بپـــيری زكريا وطاعت يحيى
بدمع عينى يعقوب فى حـــزنه على يوسف
بشيخوخة زكريا وطاعـــة يحيى

***

(أسألك)(١) أن تهبنى خلاصا ومناصا من شر هذا الشيطان المريد الذى جلس بخلفى وغلّ يد جولى وقوتى ! فلما تمت هذه المناجاة من المطلع إلى المقطع ، إنتفضت الجارية وسقطت من فوق الحصان منتكسة . فأطلق الأمير لمركبه العنان ، وكان يطوى المنازل ويقطع المراحل مثل ريح الشمال .

(١) هذه الكلمة غير موجودة فى الأصل وأضيفت لاستقامة العبارة .

شعر (هزج)

١ — همی رفت او شتابان در بیابان همی کرد او یکی منزل دو منزل

كان يسير مسرعاً فى الصحراء ، يجعل المرحلتين مرحلة .

***

٢ — بیابانی چنان سرد وچنان سخت کزو خارج نیا شذ هیچ داخل

صحراء من البرودة والقسوة ، بحيث لا يخرج منها أى داخل .

***

٣ — زبادش خون همی بفسرد در تن کی بادش داشت طبع زهرِ قاتل

الدم يجمد فى الجسد من ريحها ، لأن ريحها كان له طبع السم القاتل .

***

٤ — زیخ گشته شمرها همچو سیمین طبقها بر سرِ زرین مراجل

وقد صارت الأحواض من الثلج مثل الأطباق الفضية فوق المراجل الذهبية.

***

٥ — بکردار سـر یشمهای ماهی همی برخاست از شخسارِ او گل

وكان يخرج من أرضها الوعرة طين لزج يشبه المادة الغرائية المستخرجة من مثانات السمك .

***

كان يسير على هذه الصفة ويحمد الخالق ويثنى عليه ، حتى وصل فى مدة عشرة أيام إلى مملكة أبيه بعد شدائد كثيرة ومكائد لا تحصى .

بيت (هزج)

از دَورِ زمانه در تحـــير وز آفتِ دهر در تفـكر

والمعنى :

من دَوز الزمان فى تحير ، ومن آفة الدهر فى تفـكر .

***

استتر واحتجب الأمير عن نظر الوزير ، واختفى فى تلك البادية التى لا نهاية لها ، فظن الوزير أن الأمير هلك فى الصحراء ، وأدار وجهه وجاء إلى الحضرة ، وقرر هكذا أن ولد الشاه قابل أسداً وظفر به الأسد وهَشَمه وأكله ! فجزع الشاه غاية الجزع حزناً على ولده وهلاكه ، وكان يقضى الأيام فى مـدة غيبته وفرقته فى الحسرة والضجرة ، ويقول من قبيل التحسر والتأسف :

شعر (رباعى)

١ — اى سوسنِ آزاده كجا رفتستى ؟
٢ — كامسال بوقت خويش نشكفتستى
٣ — مانا كى ترا خاك وديعت بذرفت
٤ — اى خاك ندانى كى چه بذرفتستى

والمعنى :

١ — أيها السَّوْسَنُ الحر أين ذهبت ؟
٢ — فإنك لم تتفتح هذا العام فى أوانك ،

٣ — كأنما تلقّاك التراب وديعـــــة ،
٤ — أيها التراب إنك لا تدرى ماذا تلقّيت ؟

***

فلما عاد الأمير فى ضمان السعادة إلى مقر المُلك والدولة ، وكحّل عينيه بجمال أبيه المبارك ، حكى ما كان قد حدث ، وشكا الوزير . فأمر الشاه فصلبوا الوزير ، ونادى بأن هذا جزاء من يستبيح التقصير والغفلة فى خدمة ولى نعمته ، ولا يستقبل الأوامر والنواهى بقدر الوسع والإمكان بالامتثال :

بيت (وافر)

فإن الجُرحَ ينفِر بعـــدَ حينٍ إذا كان البناء على فساد[1]

***

وأمل جاريتك فى فضل السلطان أن يعمل مع وزرائه عين ما عمل ذلك الملك ، ليكون قد أدى حق الإنصاف والانتصاف على مقتضى العدل والعفاف . وإذا لم ينصفنى الشاه ، فإن الحق تعالى لا يجيز الظلم ، قوله تعالى : إن الله لا يظلم مثقالَ ذرّةٍ وإن تكُ حسنةً يضاعفْها[2] .

فلما قررت الجارية هذه المقدمات ، تجدد التغيير والتأثر من البداية ، وقال لنفسه : المُلك عقيم ، ولا أرحام بين الملوك وبين أحد ! لا يمكن القول بترك

---

(١) فإن الجرح الخ ... البيت للمتنبى .
(٢) السورة الرابعة (النساء) الآية ٤٠ .

العقوبة من أجل الوُصلة والولد ، لأن نظام الملك والدولة متعلق بانتظام العدل والسياسة . وأمر بأن يعاقبوا ولده .

* * *

وعندما سمع الوزير الثالث خبر استهلاك الأمير ، أرسل شخصاً إلى الجلاد قائلا : أخر فى هذه العقوبة حتى أذهب إلى حضرة الشاه وأشرح مذمة التعجيل فى العقاب ومحمدة التأخير والتأنى والتثبت ، وأفكر فى تدبير لإبقاء وإحياء ولد الشاه ، وأقرر براءة ساحته من هذه التهمة .

مجىء الوزير الثالث إلى حضرة الشاه

وذهب الوزير الثالث — الذى كان بنور رأيه الثاقب قد خطف الضياء من الكوكب الرابع[1] ، وأظهر لسحرة فرعون الجهل اليد البيضاء[2] ونفس المسيح[3] فى تدارك الوقائع والحوادث — أمام الشاه وقال : لتكن حياة ملك العالم وفهرست نسل بنى آدم ألف عام فى السعادة وحصول الأمانى ! إنه مقرر ومعين لدى رأى الشاه الأعلى — وهو حضرة الإلهام الإلهى ومقر النصرة والتأييد السلطانى — أن العِوَض والبديل من الموجودات الساكنة

---

(١) الكوكب الرابع كناية عن الشمس .

(٢) اليد البيضاء إشارة إلى معجزة موسى عليه السلام : اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء . سورة القصص الآية ٣٢ .

(٣) اشارة الى معجزة السيد المسيح عليه السلام فى شفاء العاهات وإحياء الموتى وبعث الحياة فى الجماد : قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله . سورة آل عمران الآية ٤٩ .

والموجودة فى بسيط أرض العالم وعرصة البكرة الغبراء ، وميدان الربع المسكون ممكن ، إلا نفسه وذات ولده ، الذى هو الخلف اللائق ، والمحيى للذكر ، والمبقى للاسم الطيب ، ومن نفائس أعلاق ذخائر المواهب الإلهية ، والراحة والسعادة والسرور وفراغ البال الحاصلة من وصال جماله ، لا تحصل من أية لذة ونعمة دنيوية ، خاصة وأن آثار النجابة ظاهرة فى ناصيته ، وأنه مُعد ومهيأ لمنصب السلطنة ، وسيكون وجه الدولة وظهر وملاذ الجيش فى المُقام مدة المهلة الدنيوية ، وسبب الذكر الحميد فى حال التحول عن مملكة الدنيا ، ولا ذكر لمن لا ولد له .

بيت (متقارب)

بفرزند باقيســـت كام[1] پدر بفرزند زنده ست نام پدر

والمعنى :

مراد الأب باق بالولد ، واسم الأب حى بالولد .

* * *

والأمر بعقوبة لا يتسع الوهم لتداركها ، بمجرد تضريب وتخليط يقوم بهما طالب محال ومصور خيال ، لا يتفق وعدل السلطان ولا يليق بفضله ، وإن يكن ظهر تغير على صحائف الضمائر ، فإن هذه المقدمات لا تخلق بتعجيل العقوبة ، وقد جعل الملوك الحبس والسجن من أجل هذه الحكمة ورتبوه

---

(١) فى نسختى طهران وأستانبول « گام » بالكاف الفارسية بمعنى خطوة أو قدم ولا معنى لها هنا ، والصواب كما يبدو « كام » بالكاف العربية ومعناها المراد والمقصود والرغبة وهذا أنسب .

من أجل هذه الدقيقة ليسيروا فى مستقبل الأيام بالبحث والتفسير ، والبحث والتفكير فى غور الحوادث ، ويفصلوا صافى الحق عن عَكَر الباطل ، فإذا كان مجال للعفو ، يعرضون كمال فضلهم على الرئيس والمرءوس ، والتابع والمتبوع ، والوضيع والشريف ، والأقاصى والأدانى ، ويظهرون أنفسهم فى معرض الإفضال ، وكل سلطان لا يتأنى فى عقوبة الأبدان وإراقة الدماء ، وإضاعة فروج الخلائق ، يؤخذ فى الآجل والعاجل بالعقوبة والندامة ، ولا يكون الندم والتلهف نافعين وناجعين بعد ذلك ، مثلما تعجل ذلك الرجل العسكرى فى قتل القط ، وحين أسفر جمال الحقيقة من حجاب الشبهة ، تأسف كثيراً ، ولم يعد ذلك مربحا ومنجحا ، ولم يكن ثم معين وشفيع ، فسأل الشاه : كيف كان ذلك ؟ احك !

١١ — حكاية الرجل العسكرى والصبى والقط

قال الوزير الثالث ، الذى طالما سمع الأخبار عن حوادث الأيام ، والأسمار عن عجائب الزمان : دام بقاء ملك العالم العادل طوال الأعوام ! هكذا حكى أرباب التاريخ أنه كان فى العهود الماضية ، والقرون السالفة ، رجل عسكرى ، وله زوجة ذات جمال ، كانت فى حسن الصورة بلا مثيل ، وفى لطف الهيئة بلا نظير ، خَلْقها وخُلُقها ديباجة اللطافة ، وشمائلها ومخايلها فاتحة مصحف الظرافة ، كان الورد يأخذ لونه من عذار وجهها ، ويطلع القمر من مشرق جمالها الذى لا مثيل له .

بيت (كامل)

بدر على فلك الملاحة لم يرُغ   بكسوفه أبداً ولا بمُحاقه

***

واتفق أن حملت ، وحين وضع الحمل ، طلقت الحياة من تجرع آلام الطلق ، وبقى منها طفل يتيم كالدر اليتيم ، قمرى المنظر شمسى الصورة ، فدخل الرجل حجرة الأحزان ، وكان يتنهد تنهد الوجد ويصعد حار الأنفاس وباردها ، وينشد نفسه هذه الأبيات :

شعر (وافر)

رمانى الدهـــــر بالأرزاء حتى　　فؤادى فى غشـــــاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى ســـــهام　　تكسرت النصال على النصال[1]

شعر (رباعى)

١ — يكباره زمن مهر بُريذست فلـك
٢ — آزار مرا بجان خريذست فلـك
٣ — يا اول محنتست يا آخـــــــر عُمر
٤ — زين گونه كى تنگ بركشيذست فلك

والمعنى :

١ — صرم الفلك منى محبته تماما .
٢ — واشترى الفلك أذاى بروحه .
٣ — إنها أول المحنة أو آخر العمر .
٤ — اذ شد الفلك حزام جواده علىهذه الصورة .

***

ولـكنه جعل من مشاهدة ولده مرهماً لجراحة فراق حبيبة قلبه ، وكان

---

(١) هذا الشعر « رمانى الدهر الخ » للمتنبى .

يقول : لولا أن هذا اليتيم يبقى بغير مشفق ومنفق ، ويدور مثل حبة الآس في يد رحى الأحداث ، لرجحت الفناء على البقاء ، والعدم على الوجود ، ولأهيت على نفسى شدائد ومكائد الفراق التى هى أمر من السم وأبشع من الموت ، ولذبحت شخصى العزيز على تربة المعشوق الممشوق الذى نام كالسروة القويمة فى ثرى اللحد ، واختفى مثل القمر فى الظلام ، لأن مقاساة الموت تبدو أسهل من الحياة التى تنقضى فى فراق الأعزاء ، ومن هنا قالوا : إن العشاق قصار الأعمار ، لأن بلية الهجر وأذية الفراق تحلل أرواحهم اللطيفة ، تُخرج بعضها على صفة الماء من طريق منافذِ المدامع ، وتُطلق البعض على شكل البخار بطريق الآه من طريق النَّفس ، وتصيرها مضمحلة بالتدريج ، وكل من عشق من الأعراب أسلم روحه لأحداث شِحنة العشق أيضاً فى حداثة السن وغرة العمر ، مثل المجنون فى فراق ليلى ، وكُثير فى عشق عزة ، ووامق فى حب عذرا. وسألوا واحداً من بنى تميم : لماذا يموت كل من يعشق فى قبيلتكم ؟ قال : لأن فى قلوبنا خفة وفى نسائنا عفة .

بيت (سريع)

من مات عشقاً فليمت هكذا لا خير فى عشق بلا موت(١)

بيت (خفيف)

گفت : خوبان چو پرده بر گیرند عاشقان پیششان چنین بمیرند

والمعنى :

قال : حين يرفع الحسان الحجاب ، يموت العشاق أمامهن هكذا .

***

---

(١) هذا البيت (من مات الخ) والقصة المتعلقة به فى نهاية الأرب ٢/٧٥٣ .

كان ذلك الرجل فى مفارقة زوجه يصل النهار بالليل ويصل الليل بالنهار ، وقد جاء بمرضع مشفقة وقابلة حاذقة ، فكانت تربى الطفل الرضيع الذى كان يفار منه ورد الربيع ، مثل الصّبا ، وترضعه مثل نسيم الشمال ، وكان يعد وصال الابن عوضاً وبدلا من فراق الأم ، إذ مَن مُنع من الأثر قنع بالخبر ، ويقول فى فراق الأمانى ومرارة الحياة :

شعر (رمل)

١ ـــ بى تو اى جان زندگانى ميكنم
مايه نى بازرگانى ميكنم
٢ ـــ شرم باذ از كار خويشم تاچرا
بى تو چندين زندگانى ميكنم
٣ ـــ تونه ومن در جهانِ زندگان
راستى بايذ گرانى ميكنم
٤ ـــ زندگانى نيست بى رويت وليك
حيلهٔ چونانك دانى ميكنم

والمعنى :

١ ـــ إنى أحيا بدونك أيتها الروح ، فأنا أتاجر بلا رأسمال :

٢ ـــ فلأستحِ من على إذ لماذا ، أعيش بدونك طويلا .

٣ ـــ أنت غير موجودة وأنا فى دنيا الأحياء ، حقا يجب أن أثقُل .

٤ ـــ لا حياة بدون وجهك ولكنى ، أحتال كما تعلمين .

* * *

كان لهذا العسكرى قط طالما جعل كه وسادته ، وعاش مدة عمره فى خدمته ، وثبّت الحقوق الآنفة والسالفة ، ومنذ وفاة أم الطفل لم يفاهو دائرة مهده لحظة ، وقد جعله طليعة روحه وحراسة ماله ، وإذا انشغلت الداية كان يهز المهد ، وذات يوم كان أبو الصبى والداية كلاهما غائبين عن البيت ، وكان القط على سالف عادته نائماً أمام المهد ، فخرج ثعبان أسود من جحر وقصد الطفل ، فاتجه القط نحو الثعبان بدافع شفقته على أحوال الطفل ، وعلى عادته الطبيعية ، ونهض لقتاله ، فكان يمزق حلقوم الثعبان حيتا بضربة مخلب وتارة بنهشة سن ، ويلوك رأسه وقفاه ، حتى هلك الثعبان وبقى الطفل مصونا من الخطر ، وقد صقل القط فراءه بدم الثعبان ، فلما وصل الرجل ، رحب القط بقدومه ، ولأنه كان قد قضى على مثل هذا العدو ، ودفع مثل هذه النازلة ، وعرض نفسه للخطر ، كان يتبصبص ويتملق ويطمع أن يُجزى جزاء الخير ، فيعطيه عظمة أو لقمة خبز ، فلما نظر الرجل إلى القط وجد فمه ملطخا بالدم ، فغلب على قلبه خوف ورعب لكثرة حبه لولده وشفقته عليه ، إذ الولد مبخلة مجبنة محزنة ، ومر بخاطره أن هذا القط قد قتل ولده ، وبسبب عجلة الطبع ووسوسة الظن وضعف بنية البشرية ، قوى هذا الخيال فى فؤاده ، فضرب القط على رأسه عصاً فأرداه ! ولما جاء من الدهليز إلى الصُّفة وصعد من الصفة إلى الغرفة ، رأى ثعباناً أسود مقتولا والدمُ متصبب منه ، والطفلَ نائماً فى المهد سالما ، فلطم ومزق ثيابه وقال متأسفا متحسرا : يا حسرتا على مافرطت فى جنب الله[1] ، وأجرى دمع الندامة على صفحات وجناته من فوارة عينيه ، وتأسف كثيراً على ما جرى من التعجيل بتسويل الشيطان وتخييل البهتان ، وأنحى على نفسه بكثير الملام وقال : أى إسراف كان هذا الذى نجم عن طبعى

---

(١) السورة ٣٩ الزمر الآية ٥٦ .

العجول ونفسى الملول الجائرة ، وأى لؤم وقسوة جريا على هذا الحيوان من شره نفسى ، فظهرَ منى مثل هذه الخصلة الذميم والظلم المفرط :

بيت (بسيط)

الظلم نار فلا تحقـــر صغيرته فرب جـذوة نار أحرقت بلدا

* * *

إن ما جرى على هذا الحيوان كان جورا وخيما وظلما عظيما ، وينبغى أن لا آمن أن ينزل بى وبولدى بلاء ، جزاء هذا العمل الذميم ، حمى ولدى من قصد العدو ، ورعاه من مكر المُعادى ، فجزيته على فعاله بالجفوة ، ولن يكون فى شريعة المروءة وطريق الفتوة دفع للتخجيل الذى صار من هذا التعجيل :

بيت (طويل)

عجبت لسعى الدهر بينى وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر[1]

بيت (هزج)

اينست هميشه عادت چرخ كبوذ چون بى غمى ديذ زوال آرذ زوذ

والمعنى :

هذه دائما عادة الفلك الأزرق ، إذا رأى صفوا سارع بزواله .

* * *

تقررت هذه المقدمات من أجل أن لا يدع السلطان للتعجيل — الذى هو من نتائج تسويل الشيطان وطلائع الحرمان والخذلان — سبيلا إلى سيرته

(١) عجبت لسعى الدهر . البيت لأبى كبير الهذلى .

المرضية وعادته الحميدة ، لأن عواقب التسرع وخواتم ترك التأنى ، الندامة والغرامة ، التأنى من الله والعجلة من الشيطان[1] خاصة ؛ وأن مقر النساء فى وكر المكر ، وعُش الغدر ، وحكاياتهن أعجب من ألحان البلبل ، وحيلهن وخديعاتهن أكثر من رمال الصحراء ، وإذا أذن الشاه بشىء من هذا المعنى فإنى أروى رواية وأحكى حكاية ! قال الشاه : قل :

---

(١) هذه الحكاية شبيهة بحكاية الناسك وابن عرس بكتاب كليلة ودمنة التى نجتزىء منها بما يلى :

زعموا أن ناسكا من النساك كان بأرض جرجان ، وكانت له امرأة جميلة ، فمكثا زمانا لم يرزقا ولدا ، ثم حملت منه بعد الإياس . فسرت المرأة وسر الناسك بذلك ، فحمد الله تعالى ، وسأله أن يكون الحمل ذكرا . ثم إن المرأة ولدت غلاما جميلا ففرح به أبوه . وبعد أيام حان لها أن تتطهر ، فقالت المرأة للناسك : اقعد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود . ثم إنها انطلقت إلى الحمام وخلفت زوجها والغلام . فلم يلبث أن جاءه رسول الملك يستدعيه ، ولم يجد من يخلفه عند ابنه غير ابن عرس داجن عنده ، فتركه الناسك عند الصبى وأغلق عليهما البيت ، وذهب مع الرسول . فخرج من بعض أحجار البيت حية سوداء ، فدنت من الغلام ، فضربها ابن عرس ، ثم وثب عليها فقتلها ، ثم قطعها وامتلأ فمه من دمها ، ثم جاء الناسك ، وفتح الباب ، فالتقاه ابن عرس ، كالمبشر له بما صنع من قتل الحية . فلما رآه ملوثا بالدم ، وهو مذعور ، طار عقله ، وظن أنه قد خنق ولده . ولم يتثبت فى أمره ، ولم يترو فيه ، حتى يعلم حقيقة الحال ، ويعمل بغير ما ظن من ذلك ، ولكن ضربه بعكازة كانت فى يده على أم رأسه ، فمات . ودخل الناسك فرأى الغلام سليما حيا ، وعنده أسود مقطع . فلما عرف القصة ، وتبين له سوء فعله فى العجلة ، لطم على رأسه وقال : ليتنى لم أرزق هذا الولد ، ولم أغدر هذا الغدر ! ودخلت امرأته ، فوجدته على تلك الحال . فقالت له : ما شأنك ؟ فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له . فقالت : هذه ثمرة العجلة ! فهذا مثل من لا يتثبت فى أمره ، بل يفعل أغراضه بالسرعة والعجلة .

١٢ – حكاية أمرأة التاجر

قال الوزيرُ الآمرُ بالعدل ، الصائبُ الرأى : كان فى ماضى الزمان وسالف الأيام تاجرٌ مشهورٌ بالنعمة والرفاهية ، ومعروف ومذكور بالتمول والثروة ، وحاذق وعالم فى أبواب العمارة والزراعة ، والحراثة والتجارة ، فى صنعة أصحاب الضيعة ماهر ، وفى مباشره أشغال الزراعة كيس وقادر ؛ سافر ذات مره من أجل مصالح المعيشة ، ورعاية أسباب الفراغة ، وطلب تحصيل التفرج والاستراحة ، لمطالعة العقار والضيعة ، واستطلاع الغرس(١) والزراعة ، ولبث مدة من أجل إتمام ذلك والاهتمام به ، فاغتنمت امرأته تلك الفرصة ، وظنت تلك الغيبة غُنية ، وقالت لنفسها : الدهر فرص وإلا فغصص !

شعر (بسيط)

الدهرُ خــــدّاعة خلوب وصفوُه بالأذى مشوب
وأكثرُ الناس – فاعتزلهم – قوالبٌ مالهــــا قلوب
فلا يغرنك الليــــالى وبرقُها الخُلّبُ الكذوب(٢)

***

ولما كانت المرأه فى الجمال مشهورة ، وفى الأفواه والألسنة مذكورة ، صار عشاقُ جمالها طُلاّبَ وصالها ، وتقرب كل منهم – بقدر مُكنته ، وحسب استطاعته – لدولة وصلها وسعادة جمالها وقال :

---

(١) فى نسختى طهران واستانبول (عرس) بالعين غير المعجمة ، وهو خطأ واضح.

(٢) الدهرخداعة إلخ. . . : الأبيات للحسين بن عبدالله بن أحمد بن أبى حصينة، إرشاد الأديب لياقوت ١٠/١١٨

بيت (وافر)

فخذ من عمـــرك الفانى نصيباً   من اللذات ما وسع اليسار

مصراع (رمل)

باكر الصهباء فالدهـــــر فرص

***

وقالت لنفسها :

مصراع (رجز)

خلا لك الجو فبيضى واصفرى[1]

بيت (هزج)

امروز جهانرا چو شكر بايذ خـــــورد
آيذ روزى كى خـــــوذ جگر بايذ خورد

والمعنى :

اليوم يجب التهام الدنيا كالسكر ، فقد يأتى يوم يتحتم فيه التهام الكبد[2].

***

كان شيطان النفس الأمارة يقول لها : اغتنمى ربيع الشباب قبل أن يُذبل

---

(١) خلا لك الخ : من شعر طرفة بن العبد .
(٢) التهام الكبد أو أكل الكبد فى الفارسية، كناية عن تجرع الغصص والأحزان والهموم .

خريف الشيخوخة جُلّنار[1] الخد ، فيصير الرمانُ سفرجلا ، ويصبح الأرجوان شنبليدا[2] وينثر لاعب نرد الزمان الكهرباء[3] السحيق على عارض وردة الخد الجميلة ، ويطلق فصّاد الضعف النور من عِرق الباصرة ، ويزيد الزعفرانَ فى سكنجبين[4] التسكين ، وقبل أن يتبدل اللباس القيرى بدَلْق[5] الشيخوخة ، فتبقى شمس الشباب فى حجاب سحاب البياض ، ويُدخل جمال دولة الحياة قدمه فى ركاب الزوال ، ويُسفر (الشيبُ عيب) من نقاب الغيب :

بيت (خفيف)

أبيضُ مظلمٌ وكل بيـــاض فى سوى العين والمفـارق نورُ

* * *

وينادى هاتف هادم اللذات ، ويدق طبل الرحيل قائلا : ضعوا زاد الرحلة على راحلة النهار والليل ، واصرفوا القلب عن امتتاع الدنيا وحطامها ، ولا تحوموا حول ذوات الشعور السوداء ، فإن العشق والشيخوخة رأسمال عدم التدبير ، وليل الوصال إبّانَ الشباب ، زينة أيام الإمارة ، إنه لوقت أن :

بيت (كامل)

وتجر أذيال الصـــبا فتخالها قضبان بانٍ بالصَّبا متعطفِ

(١) جلنار تعريب گلنار بالكاف الفارسية ومعناها زهرة الرمان .
(٢) الأرجوان زهر أحمر والشنبليد نور أصفر .
(٣) الكهرباء هو المعروف فى العامية بالكهرمان ولونه أصفر .
(٤) سكنجبين معرب سكنگبين الفارسية ، وهو شراب لتسكين الصفراء .
(٥) الدلق لباس خشن يلبسه الدراويش ، والقيرى نسبة إلى القير كناية عن الشعر الأسود .

بيت (متقارب)

جوانی واز عشق پرهیز کردن نباشــــد مگر ابلهی وسفیهی

والمعنى :

الشباب مع تحامى العشق ، لا يكون إلا بلهاً وسفهاً .

* * *

فكشفت حجاب العفة ونقاب العصمة ، وكانت تذهب كل ليلة إلى دار معشوق من أجل تحصيل اللذة وتطييب المعاشرة ، وتقول لنفسها :

بيت (هزج)

امروز بكام خويش دســـــتى بزنيم
زآن پيش كه دستها فرو بنـــــدد خاك

والمعنى :

فلنعمل اليوم كما نريد ، قبل أن يغل التراب أيدينا .

* * *

إلى أن مضت مدة على هذه الحادثة ، وعاد التاجر من مطالعة ضيعته ومعاملته وتجارته ، ونزل فى المدينة بطرف غير معهود ، وهيأ أسباب الطرب وقال لنفسه :

رباعى[1]

١ ــ چون نيست مقام ما درين دهر مقيم

(١) هذه الرباعية للخيام ونصها فى مجموعة الصراف تحت رقم ١٧١ كما يلى :

١ ــ جاويد نيم چو اندرين دهر مقيم =

٢ — پس بی می ومعشوق خطائیست عظیم

= ٢ — پس بی می ومعشوق خطابست عظیم
٣ — تا کی ز قدیم ومحدث ای مرد سلیم
٤ — چون من رفتم چه محدث چه قدیم

والمعنى :

١ — لما كنت غير مخلد فى هذا الدهر ،
٢ — فالعيش بلا خمر ومعشوق خطأ عظيم ،
٣ — حتام الحديث عن المحدث والقديم أيها الرجل السليم ،
٤ — متى ذهبتُ فسواء المحدث والقديم .

ونصها كما وردت فى مجموعة عبد الباقى گولبينارلى طبعة استانبول تحت رقم ١٠٩ :

١ — چون نيست مقام مادرين دير مقيم
٢ — پس بی می ومعشوق خطائيست عظيم
٣ — تا کی ز قديم ومحدث ای مرد سليم
٤ — چون من رفتم ، جهان چه محدث چه قديم

والمعنى :

١ — لما كان مقامنا فى هذا الدير غير أبدى ،
٢ — فالعيش بلا خمر ومعشوق خطأ عظيم ،
٣ — حتام الحديث عن المحدث والقديم أيها الرجل السليم ،
٤ — متى ذهبتُ فسواء أن يكون العالم محدثا أو قديما .

ونصها كما وردت فى مجموعة السيد أحمد الصافى النجفى تحت رقم ٢٨٣ كما يلى :

١ — چون نيست مقام ما در اين دير مقيم
٢ — پس بی می و معشوقه عذابيست اليم
٣ — تا کی ز قديم و محدث أميدم و بيم
٤ — چون من رفتم جهان چه محدث چه قديم

والمعنى :

١ — ما دام مقامنا فى هذا الدير غير أبدى ، =

٣ — از محـــدث واز قديم داريم بيم[1]
٤ — چون من رفتم جهان چه محدث چه قديم

والمعنى :

١ — ما دام مقامنا فى هذا الدهر غير دائم .
٢ — فالعيش بلا خمر ومعشوق خطأ عظيم .
٣ — إننا نخشى المحدث والقديم .
٤ — متى ذهبتُ ، يستوى أن تكون الدنيا محدثة أو قديمة .

***

ثم طلب عجوزاً كان الشبان العاطلون تحت تصرفها وأمرها ، لتبحث من أجله عن امرأة ذات جمال ، ليصل معها بضع ليال بالنهار ، و[يقضى بعض الأوقات فى المشاهدة واللهو][2]، واتفق أن كانت العجوز من بطانة بيته وخواص عشه ، لأنها كانت تقود له النساء . ووضع الدهقان فى يدها بضع دنانير ، وأرسلها فى طلب رفيقة . فأخذت العجوز الذهب ، ولما لم يكن أحد أجمل من امرأته ، ذهبت إلى داره وقالت : لقد جاء شاب فى غاية الجمال ، وهو تاجر كثير المال ، ويريد أن يستمتع بضعة أيام ، وأعطانى ذهباً كثيراً ،

= ٢ — فالمقام بلا خمر و معشوقة عذاب أليم ،
٣ — حتام رجائى وخوفى من القديم والحدث ،
٤ — متى ذهبت يستوى أن يكون العالم محدثا أو قديما .

(١) فى نسخة طهران واستانبول : كى دارم بيم ، أى : متى أخشى .

(٢) نص العبارة فى نسخة طهران [وهفته اى بعيش وعشرت بكذا رد] ومعناها : ويقضى أسبوعا فى اللهو والسرور .

وهيأ الحجرة ، فخذى الذهب وتعـالى لأصحبك إلى هناك ! فنهضت المرأة في الحال وجاءت مع العجوز إلى ذلك الموضع ، فلما دخلت من باب الحجرة رأت زوجها ! فصاحت بلا دهشة أو حـيرة ، وأمسكت بلحيـة الرجل وصرخت : المستغاثَ يا ملعون ! وقالت : أيها الغادر الخبيث ! ويا ناكث العهد وسيء الفعال ! انقضت مدة طويلة منذ ذهبت وأسلمتنى ليد الأسى ، وانشغلت أنت بالمشاهدة واللهو مع الحسان :

بيت (مجتث)

دريغ عهـــدِ وفاى من اى صنم كى مرا
غلط فتــــــاذ همى در وفا و مهرِ تو ظن

والمعنى :

وا أسفاه على عهد وفائى أيتها الدمية[١] ، لقد كان ظنى مخطئاً فى وفائك وحبك .

* * *

لقد صارت عيناى (شاخصة) مثل النرجس فى انتظارك ، وصارت أعضائى وأجزائى كلها آذاناً مثل السِّيسَنبَر[٢] فى ترقب قدومك ، ونصبت الجواسيس والمنهين[٣] ليخبرونى أين أنت ! أنت فى تنعم وراحة ، ولهو وفراغة ، وأنا فى ألم ومشقة ، وعناء وبلية !

---

(١) الدمية كناية عن المرأة الجميلة ويستعمل الفرس مقابلها كلمة صنم أو وثن .
(٢) السيسنبر نوع من النعناع ويسمى كذلك الهباب والنمام . فرنود سار ، برهان قاطع
(٣) جمع منه ، وهو المخبر الذى ينهى الأخبار .

وبقى الرجل فى يد المرأة عاجزاً ، خجلا ومتحيراً ، ومضطراً ومتفكراً ، وكان مثل الصعوة التى فى مخالب الباشق والفيل الذى يعانى من لدغ البعوض ، يطلب الخلاص والمناص ويقول :

بيت (وافر)

أراح الله نفسى من سـفيه محت يدُه سرورى بالإساءة

بيت (هزج)

مسكين منِ مستمند از چنـد ين كس
در دستِ تو بى باك كجا أفتاذم

والمعنى :

كيف وقعتُ أنا المسكين فى يدك أيها الجسور من بين العديد من الناس !

* * *

إلى أن جاء الجيران آخر الأمر ، وصالحوهما بألف شفاعة وضراعة ، على أن يعطى الرجل امرأته أموالا ويصحبها إلى البيت :

بيت (وافر)

لقد طوفت فى الآفاق حـتى رضيت من الغنيمة بالإياب[1]

آخر (طويل)

على أننى راض بأن أحمل الهوى وأخلُص منه لا علىّ ولا لِيا[2]

* * *

---

(١) لقد طوفت الخ . البيت لامرىء القيس .

(٢) على أننى الخ . البيت من مقامات الحريرى .

قلت هذه الحكاية من أجل أن لا يغفل رأى الشاه الأعلى عن بديهة فكر النساء ومقدار غدرهن ، ولا يستجيز بقولهن مثل هذه العقوبة الهائلة التى لا يمكن تداركها ، ويصير ملوماً ومعاقباً ، ومذموماً ومزجوراً ، فى الدنيا والعقبى . فلما سمع الشاه هذه المقدمات ، أمر ، فحملوا الأمير إلى الحبس ، وأخروا العقوبة .

مجىء الجارية فى اليوم الرابع إلى حضرة الشاه

لما طالت مدة هذه الحادثة إلى اليوم الرابع ، وساق وزراء الشاه ــ الذين كانوا أكابر الدولة وأماثل الحضرة ــ بلطائف الحكم ونوادر المواعظ ، عدة بيادق[١] من حكايات مكر النساء على نِطع[٢] سمع الشاه ، ثلاثة أيام متواترة ، إبقاء على مهجة الأمير ، وكانت الجارية تعمل كل حيلة فرزين[٣] علمتها ، وتلعب كل منصوبة[٤] « لعبة » عرفتها ، لتجعل (الشاهزاده)[٥] (شهمات)[٦] . لكن وزراء المملكة ــ وقد كان كل منهم حكيما أريباً ، وصاحب كفاية أوحد ــ كانوا يدفعون بأنوار مصابيح العلم والعقل ، ظلام

---

(١) بيادق جمع بيدق تعريب (پياده) الفارسية . اسم قطعة من قطع الشطرنج .
(٢) النطع هنا رقعة الشطرنج .
(٣) الفرزين من قطع الشطرنج .
(٤) المنصوبة ، لعبة من لعب الشطرنج .
(٥) الشاهزاده ، ابن الشاه أى الأمير .
(٦) (شهمات) كلة كان يقولها لاعب الشطرنج قديما لإحباط لعبة منافسه وتقابل اليوم كلة (كش الملك) وكلها اصطلاحات شطرنجية قديمة . والمقصود من كل هذه الاستعارات المأخوذة من اصطلاحات لعبة الشطرنج ، أن الجارية كانت تحتال فى هلاك الأمير وإحباط تدبير الوزراء لنجاته .

ذلك الظلم ، ويطفئون شرر نار غضب الشاه ، بمـاء الرأى الصواب ، دون إحراق بيدر مصالح الدين والدولة ، ويُسكنون صفراء الحادثة ، التى كانت متعدية بيرقان إبطال شخص الأمير ، بسكنجبين[1] الحكمة :

بيت (طويل)

إذا أشرقت آراؤهم فى ملمة قضين على سِجفِ المُلِمَّة بالهتك

* * *

أخذت الجارية قدح سم فى اليوم الرابع ، وذهَبت أمام تخت الشاه وقالت : بما أنه ليس لرأى السلطان ، الزائنِ الدنيا ، الحلالِ المشكلات ، الآمرِ بالعدل ، التفات إلى كلمات أَمَتِكُمُ الصالحات ، ولا وجه مجازاة ومكافأة ، من منبع عدله ومنهل فضله ، للظلم الذى جرى على هـذه الخادم فى أيامه المباركة ، فإنى ، بالضرورة ، أختار الموت على هذه الحياة ، وأتجرع ، بالاضطرار ، السم القاتل ، الذى هو بريد العناء الآجل ، وطليعة الفناء العاجل ، وأطرح حكم هذا الظلم فى موقف عرصات المحشر ، ومجمع ميعاد الفزع الأكبر ، ليطلب الحاكم الفصل ، والقاضى العدل ، إنصافى من ولد الشاه المستهتر ووزرائه الظالمين ، إذ لا ميل هنالك ولا محاباة ، ولا عناية ولا مداراة . وإن مقاصد وأغراض الوزراء الموزورين ، هى أن يعطوا تخت المملـكة للابن الطالح ، ويتخلصوا من بأس الشاه وسطوته ، ويضعوا للملك والدولة قواعد وأسُساً جديدة ، وعندئذ يتصرف كل منهم باستبداد رأيه فى عرصة المملـكة على وفق مراده ، ويقدموا كل ما يمكن فى تغيير قوانين السياسة وتبديل رسوم الرياسة ، وواقعة جاريتكم

---

(١) سكنجبين معرب سكنـكبين بالفارسية ، شراب لعلاج الصفراء وتسكينها .

ووزراء الشاه مطابقة لحادثة الخنزير الذى طمع فى أكل التين ، وصعد فوق شجرة التين بجهود كثيرة لا تحصى ، واستخلص لنفسه طعمة بألف حيلة ومحنة ، وسقط آخر الأمر مُنكّساً بشؤم ظلمه وأسلم الروح !

فسألها الشاه : كيف كان ذلك ؟ احكى !

١٣ — حكاية الخنزير وشجرة التين والقرد

قالت الجارية : أعرض قرد ، فى الزمان الماضى والعهد السالف ، عن الدنيا ، وتخلف عن الأصحاب والخلان ، واختار التجنب ، وترك الوطن المعهود ، والمسكن المألوف ، ويئس من الأهل والولد ، وقال :

شعر (وافر)

وكانت بالعـــراق لنا ليال   سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تأريخَ الليـــالى   وعنوانَ التذكر والأمانى

رباعى

١ — گرد آمده بوذيم چو پروين يكچند
٢ — آمن شذه از فراق وفارغ زگزند
٣ — ما ناكى نبوذيم بو صلش خرسند
٤ — كايزذ چو بنات نعش مان بپرا كند

والمعنى :

١ — كنا مجتمعين مدة مثل الثريا .
٢ — آمنين من الفراق وفارغين من الأذى .

٣ — كأنما لم نكن راضين بوصله .
٤ — ففرقنا الله مثل بنات نعش .

* * *

فودع الأصحاب والخلطاء ، وذهب من هناك إلى جزيرة توفر فيها الأمن والرفاهة ، والخصب والفراغة ، خالية من المزاحمين ، وفارغة من القاصدين ، وباشر الورع والتقوى ، واتجه إلى منزل العقبى ، وشَبِثَ بحبل الطاعة المتين بيد الفراغة ، وداس الشهوة والنهمة بقدم القناعة ، واختار عدم الأذى ، واتخذ التقوى والورع شعاراً ودثاراً ، فلما استقر فى ملك القناعة ورأى لذتها قال :

بيت (مجتث)

کسی کی عزت عزلت نیافت ، هیچ نیافت
کسی کی روی قناعت ندید ، هیچ ندید

والمعنى :

من لم ينل عزة العـــزلة لم ينل شيئاً قط
ومن لم ير وجه القنـــاعة لم ير شيئاً قط

* * *

وكان التين كثيراً فى تلك الجزيرة ، فكان يعيش الصيف والشتاء على رَطبه ويابسه ، فلما انقضى على ذلك مدة ، اتفق أن حل ابتداء فصل الخريف ، واستقامت الشمس المدثَّرة من مرحلة السنبلة * فى كفة الميزان * ، وتساوى ذهب النهار وحجر الليل ، وقال لسان الأيام :

بيت (مجتث)

كنون كه خور بترازو رسيذ وآمذ تير
شذند راست شب وروز چون ترازو وتير

والمعنى :

الآن وقد حلت الشمس ببرج الميزان * وأقبل شهرُ تير[1] ،
استقام الليل والنهار مثل الميزان * والعاتق[2] .

* * *

إنه أوان الدعة والراحة ، وزمان الذخيرة والغنيمة ، اهتبل الفرصة ، واستوجب الادخار من أجل الأيام المستقبلة ، لقد نضج التين كله واكتمل نضجه ، وامتزجت فيه الحلاوة والدسومة مثل الرُّطَب على قِنو النخل ، والعسل فى خلية النحل ، وتلوّن وتنوع كالعقيق والمرجان ، والياقوت والزبرجد :

شعر (خفيف)

١ — روزكارِ عصير انگور ست   خُمازو مست وخيك مخمور ست
٢ — خيز تاسوى باغ بشتابيم   كز مى وميوه اندرو سورست[3]

(١) شهر تير أول شهور الصيف ورابع شهور السنة الشمسية الإيرانية وهى ـ فروردين ، أرديبهشت ، خرداد (شهور الربيع) وتير ، مرداد ، شهر يور (شهور الصيف) ومهر ، ابان ، آذر (شهور الخريف) و دى ، بهمن ، اسفند (شهور الشتاء).

(٢) العاتق أو القب ، الذراع التى يعلق فى طرفيه كفتا الميزان . واسمه بالفارسية (تير) كما هو واضح بالبيت .

(٣) روزكار : البيتان من ديوان أبى الفرج الرونى .

والمعنى :

١ — إنه زمان عصير العنب ، والدّن منه سكران والزّق مخمور .

٢ — انهض لنسرع نحو البستان ؛ إذ فيه وليمة من الخمر والفاكهة .

* * *

كان القرد يطوف حول أجمة التين ويطالع (الثمار) واحدة واحدة ، يتناول بعضها ويجفف بعضها ذخيرة للأيام المستقبلة ، حتى إذا ما بدأ حريف الخريف يعربد ، وأطلقت يد الشتاء سهم الزمهرير من قوس السماء * ، وندفت الشمس القطن من حنية القوس * ، وأخذت طبيعة العالم فى صنع الجوشن الزمردى من مياه الأحواض ، وتساقطت من أذى صرصر الشتاء أوراق الأشجار ، التى تكون قد وقعت فى حُمّى الغِبِّ[1] من حدة لدغ العقرب * ، ووصلت إلى

---

(١) حمى الغب : نوع من الحمى ينتاب المريض يوما بعد يوم .

(*) قسم الفلكيون الدائرة الفلكية إلى اثنى عشر قسما متساوية ، كل منها على هيئة مثلث رأسه عند مركزها وقاعدته عند محيطها ، ومقدار زاوية رأسه ثلاثون درجة ، وسموه برجاً ، وأسموا كل برج باسم صورة من الصور التى تخيلوه على هيئتها ، ورصدوا تنقل الشمس فى هذه البروج على مدار السنة على النحو التالى :

١ — برج	الحمل	من ٢١ مارس/آذار	إلى	٢٠ أبريل / نيسان
٢ — «	الثور	« ٢١ أبريل	«	٢٠ مايو / أيار
٣ — «	الجوزاء	« ٢١ مايو	«	٢٠ يونية / حزيران
٤ — «	السرطان	« ٢١ يونية	«	٢٠ يوليو / تموز
٥ — «	الأسد	« ٢١ يوليو	«	٢١ أغسطس / آب
٦ — «	العذراء	« ٢٢ أغسطس	«	٢٢ سبتمبر / أيلول
٧ — «	الميزان	« ٢٣ سبتمبر	«	٢٢ أكتوبر / تشرين أول
٨ — «	العقرب	« ٢٣ أكتوبر	«	٢٢ نوفمبر / تشرين ثان

=

خفقان السَّموم فى بُحران يرقان الغُموم ، وظهر الاصفرار على الأشجار ، والانتفاض على أغصان الغياض ، وبقيت الصحراء والمرج خاليين وعاطلين من الورق والثمر ، لا تصيره مذلة المجاعة القاصمة ظهور الأسود والحاطمة قلوب الشجعان :

مصراع (منسرح)

الجوع يرضى الأســـــود بالجيف

***

ذليلا مغبوناً ، ولا يردد : وكاد الفقر أن يكون كفراً[1] .

كان العقل المرشد يكرر هذه الكلمات فى سمعه ، ويقرر : وأطيب ما يأكل الرجل (ما كان) من كسبه .

فى أثناء هذه الأحوال ، فر خنزير منهزماً من جرح سهم الصياد ، ونجا من آفة ومخافة البوار ، ونزل فجأة فى هذه الجزيرة ، ولما رأى الجزيرة ملأى

= ٩ – برج القوس من ٢٣ نوفمبر إلى ٢٠ ديسمبر / كانون أول
١٠ – « الجدى « ٢١ ديسمبر « ١٩ يناير / كانون ثان
١١ – « الدلو « ٢٠ يناير « ١٨ فبراير / شباط
١٢ – « الحوت « ١٩ فبراير « ٢٠ مارس / آذار

أى أن الشمس تبقى فى كل برج شهرا ، وينشأ عن حلولها فى كل ثلاثة بروج متوالية بهذا الترتيب ، فصل من فصول السنة الأربعة ، وأولها الربيع ويليه الصيف فالخريف ثم الشتاء .

والاستعارات السالفة * مأخوذة من هذه الصورة الفلكية .

(١) وكاد : الحديث : فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤–٥٤٢ .

بالنعمة ، وطن قلبه على التوطن والمقام بذلك الموضع ، وجاء إلى أجمة التين ، وكان يطالع الأشجار واحدة واحدة ، فلما رأى شرفات الأشجار خالية من الثمار ، تعجب قائلا : من أكل كل هذا التين الوفير ، ومن جعل هذه النعم والفواكه فى قبضته وتصرفه ؟

وفى أثناء هذه الفكرة والحيرة ، نظر إلى شجرة تين ، فرأى التين ناضجًا ، وقد صعد القرد فوقها ، وكان يأكل بعضا ويجمع بعضا . فلما رأى الخنزير ذلك التنعم والرفاهة ، والخصب ورغد العيش ، وعاين حصول كفاف رزق القرد وكال عفافه ، استولى عليه الحسد والحرَد ، وظهر فى باطن قلبه حقد وغضب ، وأخذ شرارُ نار الضغّن يشعل فؤاده .

بيت (كامل)

حُسِدوا ولا دَرجٌ إلى درجاتهم لحسودهم فى عجزه معذور

بيت (خفيف)

حسد آنجا كى آتش افروزد خرمنِ عقل وعافيت سوزد

والمعنى :

حيثما يُضرم الحسدُ النار ، يحترق بيدر العقل والعافية .

***

فصاح قائلا : أيها الأخ ! لقد وجدتَ موضعًا نزها ونضيراً للغاية ، ومتنزها لا نصَب فيه ولا غم ! هواؤه موافق للقلب ، وغذاؤه ملائم ولائق للبنية . دولة صافية . ومملكة مُستَخلصة . فارغة من غدو ورواح المزاحمين . ومنزهة عن احتلاف الصادرين والواردين . فهل تعرف قدر هذه النعم

الجسيمة ، وقيمة هذه المواهب العظيمة ، وتؤدى الصدقات والزّكَوَات[1] للفقراء والمستحقين ؟ وأنا أعلم أنك لا تعطى عُشرَ وخُمسَ هذه الغلات ، ونُزُلَ[2] ورُبعَ هذه المستغلات لدواوين السلاطين ، فأدِّ بعدُ ، زكاة هذه الثمرات للمساكين ، إذ شر الناس من أكل وحده ، وقد قال الكبراء :

بيت (هزج)

نيكوئى كن چون كى ترا دست رس است

كين عالم يا ذگارِ بسيار كس است

والمعنى :

أحسن وأنت قادر ؛ فإن هذا العالم تذكار أناس كثيرين .

* * *

والآن وقد جاءت بى حوادث الغربة . ودواعى الهجرة . إلى هذه التربة . إعطنى نصيباً من لطائف هذه النعمة . إذ :

مصراع (طويل)

وللأرض من كأس الكرام نصيب[3]

* * *

---

(١) الزكوات جمع زكاة

(٢) النزل كقفل : ماهيء للضيف أن ينزل عليه ؛ أى رزقه وقراه ، وريع ما يزرع وزكاؤه ونماؤه ، والجمع أنزال . أقرب الموارد .

(٣) وللأرض : المصراع للأمير دبيس. وفيات الأعيان لابن خلكان/٢٢٢-٢٢٣

ومحقق لديك أن عادة الكرام[1] إكرام الأضياف ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم[2] : الضيف إذا نزل ، نزل برزقه ، وإذا ارتحل ، ارتحل بذنوب قومه[3] ، ومراعاة[4] حقوق الغرباء من عادات أهل الديانة وأرباب الفتوة :

شعر (متقارب)

هل الدهر يوما بليلى يجودُ وأيامنا باللِّوَى تعودُ[5]
عهود تقضت وعيش مضى بنفسىَ والله تلك العهودُ
ألا قل لسكان وادى الحبيب هنيئاً لكم فى الجنان الخلودُ
أفيضوا علينا من الماء فيضا فنحن عِطاشٌ وأنتم ورودُ

* * *

فلما سمع القرد هذه الكلمات المنظومة والمنثورة ، قال لنفسه : ولو أنه بينى وبين الخنزير مباينة طبيعية ، ومباعدة صنيعية ، لأننا مختلفان فى الشكل والهيئة ، والسيرة والصورة ، إلا أنى إذا لم أتكلف ، ولم أستوجب التلطفَ ، فى مقابلة هذه المقدمات والمقامات التى جاء بها فى بيانه[6] ، وعرضها بمراعاة

---

(١) فى نسخة استانبول (كرام ايام) أى كرام الأيام وفى نسخة طهران (كرام جهان) أى كرام الدنيا ، فاستغنينا فى الترجمة عن هذه الإضافة .
(٢) فى نسخة طهران (نبى صلى الله عليه وسلم) وفى نسخة استانبول (نبوت) .
(٣) الضيف : الحديث : فيض القدير ، شرح الجامع الصغير ٤/٣٦١ .
(٤) فى نسخة طهران (مراعات) وفى نسخة استانبول (رعايت) .
(٥) هل الدهر : الأبيات لخلف بن أحمد القيروانى . إرشاد الأريب لياقوت ١١/٦٦
(٦) فى نسخة استانبول (بيان زبان) أى بيان اللسان ، وفى نسخة طهران (بيان) فقط

جنانه ومصافاة لسانه ، أكون قد ارتكبت سمة البخل ، ولطّخت ساحة أيامى بلَوْث الشحّ[1] ، واستبحت خلاف نص التنزيل النازل فى هذا المعنى : وأما السائل فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث[2] .

فأبدى القرد هشاشة ، وأظهر بشاشة ، وأجاب الخنزير بلطف وقال : مرحبا وأهلا ، وناقة ورحلا ، اجلس واسترح ، انزل واخلع نعليك !

بيت (طويل)

ونحن أبو الضيفان نكرم ضيفنا   بألوان إكرام وأنواع إنعام

* * *

ثم أسقط من الشجرة قدراً من التين ، وهز الأغصان زيادة فى مراعاته ، وكان الخنزير قد قطع طريقا طويلا ، وطربت هاضمة معدته ، فأخذ فى أكل التين باشتهاء قوى وشره تام ، فلما وصل إلى مذاقه لذة حلاوة التين ، الذى كان له طعم السكر وذوق العسل ، ازداد شرهه ، وتحركت شهوته ، وأظهر الإلحاح واللّجاج وقال : أيها الأخ ! ما زال لذوقى شره وشوق ، وقد هز تينك هذا سلسلة شهوة معدتى ، فتكلف وتلطف ، إذ لا يمكن النهوض عن مائدة الكرام بدون وجبة[3] الإشباع ؛ لأن كل ضيافة تكون أطعمتها غير وافية ، تكون كلها وبالاً وإثمًا ، فتلطف القرد مرة ثانية ، وهز الأغصان .

---

(١) فى نسخة استانبول (بوصمت بخل ولوث شح) أى بوصمة البخل ولوث الشح ، وفى نسخة طهران (بلوث شح) أى بلوث الشح .

(٢) السورة الثالثة والتسعون : الضحى / الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٣) الكلمة المقابلة لها فى النص الفارسى (زلة) وهى ما يحمله معه الضيف من الطعام عند منصرفه من المأدبة كما جرت العادة هناك قديما .

وكان الخنزير يلتهم (الثمار) حتى لم يبق شيء ، وكانت زوايا معدته ، وخبايا صدره ، ما تزال خالية خاوية ؛ فصاح تارة أخرى : إن مائدة الملوك مائدة شرف ، لا مائدة علف ! أما مائدة الإخوان التي يضعونها من أجل الخلان ، فمائدة علف ، وعائدة تلف ! (والثالث خير)[١] ، فأعط نزيل منزلك هذا كرّة أخرى نُزُلا ! وامنح هذا الغريقَ إنعامك مُتْلا ! فعرف القرد أن الخنزيرَ ابنُ حرام ومُحَنَّك ، قد شاب الفصاحة بالوقاحة ، وصير ذلاقة اللسان وأسمال اللُّقم الدسمة ؛ فأجابه : أيها الخنزير ! لقد آثرتك بمقدار ما كنت أقتات به في يومين أو ثلاثة ، وتلقيت واستقبلت مقدمك باهتزاز واستبشار ، وصيرت الآية : ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[٢] ، وردَ هذه الحالة ، ولكن ظهرت بأنك ضيف جرىء وقح ! إذا نثرت عليك جملة الأوراق والأثمار فإنك لا تشبع ، ويوجد الاختلال والتوهين في أسباب معاشي ، ويظهر الوهن والفتور في اكتسابي وادخاري ، وأجمة التين هذه ، تثمر مرة كل سنة ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها[٣] ، وبها قوام معيشتي ونظام أمري من الحول إلى الحول .

فلما سمع الخنزير هذه الكلمات ، قال : إنك لم تشتر أجمة التين هذه برسَنِ أمك ، ولم يُثَبِّتوا حتى الآن لوحَ وقفِ أي إنسان على سقف الدنيا ، وإذا كنتَ استوليت على هذا الموضع ، فإني حين وصلت إلى هنا ، بطل تملكك واستيلاؤك[٤] ، لقد تفكهت وتنزهت مدة في هذا الزرع والضرع ، وحلقت

(١) هذه العبارة وردت كما هي بالعربية في النص الفارسي .
(٢) ويؤثرون : السورة ٥٩ . الحشر الآية ٩ .
(٣) تؤتي . السورة ١٤ . ابرهيم الآية ٢٥ .
(٤) في نسخة طهران (تملك) وفي نسخة استانبول (تملك واستيلا) .

زمناً طويلا فى هذا القاع واليفاع والآن ليس فى إمكانك ومتدورك بأى حال مقابلةُ ومقاومةُ قوتى وشوكتى ، وعدتى وأهبتى ! فقال القرد : إذا تهورت علىّ وضِنْتَنى ، بقوتك الحسية ، وشوكتك الجسمية ، فإنى أتضرع إلى حضرة ملك الملوك ليطالبك بحقى وينصفنى منك ؛ والله غالب على أمره[١] . فهو الجبار حقًّا والقهار بلا شبهة ، تأخذ يدُ قهره الظالمين إلى حبس المذلة ، ويُلقى جبروتُه الجائرين فى جُب المحنة ! فغضب الخنزير من استماع هذه المقدمات ، واشتعلت نار غضبه ، فجرى كالنار فوق الشجرة ، ولما بلغ ذروتها انكسر الغصن ، فسقط الخنزير منكساً ودُقَّت فقار عنقه وذهب إلى الجحيم .

بيت (بسيط)

ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة
بين الرجال وإن كانوا ذوى رحم[٢]

* * *

ذكرت هذا المثل ليستضىء رأىُ الشاه الصائب ، وعزمُه الثاقب ، لأن الحق جل جلاله لا يرضى الظلم ، ولا يدع أى مظلوم مرحوم ، محروماً .

فلما سمع السلطان هذه الحكاية ، ورأى تضرع ودموع المرأة ، أمر بأن يعاقبوا الأمير !

وحين علم الوزير الرابع أن الشاه أمر بمجازاة ولده ، قال للجلاد : أوقف

---

(١) والله الآية : السورة الثانية عشرة (يوسف) الآية ٢١ .
(٢) ولم تزل : البيت للمتنبى .

العقوبة حتى أذهبَ إلى حضرة الشاه ، وأبينَ ضرر تعجيل العقوبة ومنفعة تأجيلها ، لنرى على أية حال يصدر أمره !

مجيء الوزير الرابع إلى حضرة الشاه

ذهب الوزير الرابع ، الذى كان ذا فضل رائع وصيت شائع ، لدى الشاه ، وبعد تأكيد الثناء ، وتمهيد الدعاء ، أطلق لسانه وقال : لقد صير الحق ، سبحانه وتعالى ، الكسوة السلطانية ، والأسوة الملكية ، حلية أحوال السلطان ، وزينة أعماله وأفعاله ، وجعل آياتِ محامده ، وسُوَرَ ثنائه ، متداولة ، وجارية ومذكورة ، على الألسنة والأفواه . ومشهورة ومسطورة فى الأسماع والطباع . وقد وصل صيت ما يصطنعه فى باب أرباب الفضل ، وأصحاب العقل ، إلى أطراف العالم ، وأكناف العرب والعجم ، وسمعت أسماعُ الأقاصى والأدانى ذكر عدله واسم فضله . وتفتحت حديقة أزهار فيض عدله بنحو لن تزيل معه كلُّ عواصف خريف الظلم ، وهبوبُ صَرصرِ شتاء الجور ، طراوةَ أوراقها من مرج الآفاق ، وقد نَفَق وراج موسم مكارم أخلاقه ، بحيث لا يكسد ولا يفسد بصوارف الحدثان ونوائب الزمان ، وفى شريعة الكرم وسنة الديانة ، لا يبدو موافقا ولا ملائما للعقل أن يسلك الشاه مع جميع العالم — وهم عيال جلاله وموالى عوالى سياسته — طريق الإنصاف والانتصاف . ثم يُصيِّر نتيجةَ الإقبال وزبدةَ الجلالَ السلطانى هدفَ سهم التلف بتحريض ناقصة عقل ، ومفتى العقل لا يضع قلمه على بياض هذه الفتوى[1] . وحين تصل شهرة هذه العقوبة من باب دار الملك إلى سمع

---

(١) أى لا يقر هذه الفتوى ولا يوافق عليها .

ملوك الأقاليم بواسطة الأخبار الصادرة والواردة ، تنفر طباع وأسماع الملوك والسلاطين[١] من مخالصة وموافقة هذه الدولة ، وتنفتح عيون الأطماع الفاسدة فى ساحة المُلك والدولة ، وتمتد أيدى تعرض الأعداء الخارجيين ، ويعد عقلاء الدنيا وعلماء العالم ـ وهم نواظر أمور الجمهور ـ تقديمَ هذه العقوبة هفوة محضا وزلة صرفاً ، وينسبون وزراءه وندماءه إلى ركاكة العقل وسخافة الرأى . ومُقرّر لدى رأى الشاه الزائنِ الدنيا ، الآمرِ بالعدل ـ والشمسُ إزاءه مثلُ ظل الجدار على عارض الزمان ـ أنه لا عيب للملوك والأمراء أكبر من الالتفات إلى قول النساء . وإحلال كلماتِهن ـ وهى مهيجة الفَتْرَة وباعثة الزّلة ـ فى الوهم والخيال والذهن والفكرة ، بعيد عن العقل والفهم . وكل من يعتمد على محبة النساء وموافقتهن ، يؤخذ فى عواقب ذلك فى ورطة الغرامة والندامة ، ويُصَيِّر قلبه طعمة العناء ولقمة الفناء ، مثل ذلك الرجل الحمّامى مع الأمير ! فقال الشاه : كيف ؟ قل !

١٤ ـ حكاية الرجل الحمامى مع امرأته والأمير

قال الوزير : كان فى مواضى الأيام ، وسوالف الدهور والأعوام ، فى مدينة قَنُّوجَ[٢] حمّامي معروف ومذكور بأداته وثروته ، وكان أميرُ قَنُّوجَ ، الذى كان فى الحُسْنِ والجمال أعجوبة الزمان ، وفى اللطافةِ والظّرافة واسطةَ قِلادة الأيام ، يجيء إلى حمامه ، وكان الحمّامى يقدم كل ما كان فى وُسع إمكانه من الخدمة الموافقة والرعاية اللائقة ، وكان أبو الأمير قد عقد له على كريمة (واحد) من أعيان الملوك وأركان الدنيا ، واعتضد

(١) فى نسخة استانبول (ملوك وسلاطين) وفى نسخة طهران (سلاطين) .
(٢) قنوج مدينة بالهند .

واعتد بمواصلته ومصاهرته ، وقد أوشك أن يُشغلوا بالاحتفال بالزفاف .
وجاء أمير قَنَّوج يوماً إلى الحمام ، وأخذ الحَمّامى يقوم بخدمته المعهودة ، ويحك جسمه الذى كان يحسده الورد والوثير[1] ، ويغار منه النَّور والياسمين ، ويدلكه بلطف ، ولأن شخصه كان عظيما لحيما[2] ، كانت آلة وقاعه متوارية فى لحمه ، وتختفى من فرط سِمَنه . وقعت يد الحَمّامى أثناء الحك على ذلك العضو ، فبدا خفيا وصغيراً للغاية ، فغلب عليه البكاء ، ولما رأى الأمير أثر رقته وشفقته ، وشاهد دمع عينيه ، سأله : ما سبب التغير والتألم ، وموجب النَّوْحة والترنم ؟

بيت (هزج)

در گريه وباذِ سرد مى كوش   كين آب وهوات مى نسازد

والمعنى :

جد فى البكاء وتأوه الحسرة واليأس ، فإن هذا الجو لا يلائمك .

* * *

قال : بحكم اعتقاد عبدك فى إخلاص محبتك ، وصفاء مودتك ، فإنه ينظر بنظر الاحترام إلى لطف بدنك ، ويرى لطافة أعضائك ، ونظافة هيأتك ، وتناسب أجزائك وطراوة بشرتك هذه ، وبسبب أن آلة تناسلك وتوالدك ـ وهى شعبة الشجرة الإنسانية ، ودوحة الثمرة الحيوانية ـ صغيرة وخفية للغاية ،

---

(١) الوثير زهر أبيض كالياسمين ثلاثى أو خماسى الأوراق طيب الرائحة ويسمى فى الفارسية (سمن) .
(٢) لحيما أى كثير اللحم .

ويعدون هذا المعنى فى كال أحوال الرجال ، سبب نقصان الفحول ، وفقدان الأصول . لهذا السبب غلبت على الرقة والشفقة ، خصوصاً وأن أيام الزفاف قد اقتربت ، وفى هذا الوقت أيضاً يتجلى القمر والمشترى فى هذا العُرس الجلوة الطاووسية ، وينتصف الأعداء والأولياء فى هذا الزفاف من مسرة القلب ، ويحضر خلائق العالم لنظارة[١] هذا الحفل وموسم هذا السرور ، ويُلقى لسان دَوْر الفلك هذا الغزل فى أوتار الأرغنون[٢] :

شعر (كامل)

عُرس يُعرِّس عنده الإقبالُ ... ويُنال فى جنباتها[٣] الآمالُ
بدر تُزَف إليه وسط سمائه ... شمس عليها بهجـة وجمالُ
سعدان ضمهما نعـيم دائم ... قد مُدَّ فيـه على الأنام ظلالُ
وإذا تقاربت السعود فعندها ... يُرْجى الصلاحُ وتحسُن الأحوالُ

* * *

وأظن أنه حين يظهر اتفاق الزفاف — وهو مجمع الألطاف — ينبغى أن لا يحدُثَ قصور وفتور فى إزالة البكارة وافتراع[٤] العُذرة[٥] ، وتحصُلَ

(١) نظاره ، كلمة يستعملها العجم بمعنى التنزه فى الرياض والبساتين ، أقرب الموارد نقلا عن المصباح . وقد جاءت فى النص الفارسى فأبقيت عليها .
(٢) الأرغون آلة موسيقية وترية .
(٣) العرس يذكر ويؤنث ، واستعمل الشاعر ضمير المذكر فى الشطر الأول ، وضمير المؤنث فى الشطر الثانى .
(٤) فى نسختى طهران واستانبول (اقتراع) بالقاف وهذا خطأ بين .
(٥) العُذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة ، البكارة .

شماتةُ الأعداء وخجالةُ الأولياء ! فقال الأمير : إنك قلتَ هذه الكلمات (بوازع) من صدق إخلاص الوداد ، وصفاء اختصاص الاتّحاد ، وقد اختلج هذا المعنى فى باطنى منذ مدة ولجّ فى ضميرى ، ولأنه لم يكن لى خل أنيس ، وثقة مؤتمن على الأسرار ، لم أر إفشاء هذا السر وإظهار هذه الدقيقة جائزا ، ومادمت أنت بدأت ، فإنه يلزمك أيضاً الشروع فى هذا المهم ، ويجب أن تهتم بهذا الأمر ، وفى كيسى عدة دنانير ذهبية ، يجب أن تأخذها ، وتبحث فى المدينة عن امرأة ذات جمال ، لأمتحن آلتى ، وأعلم هل يمكننى البضاع والجماع أم لا ، وهل يمكن أن يكون لآلة تناسلى قيام وقوام فى باب المباشرة ؟

خرج الحامى وقد قبض الذهب ، ولما (رأى) وجه الدينار المدور المنور ، الذى كان يضحك فى وجهه مثل الوردة(١) ، ويتلألأ فى ظلمة الليل مثل القمر والزُّهَرة ، قال لنفسه :

شعر (رجز)

أكرم به أصفرَ راقت صفرته　　جوّابَ آفاق ترامت سَفرتُه
مأثورةٌ سُمعتُه وشُهــرتُه　　قد أودِعَت سرَّ الغِنَى أسِرّتُه
وقارنت نُجحَ المساعى خَطْرتُه　　وحُبِّبت إلى الأنام غُــرّتُه

***

عظم حطامُ الدُّنيا وغرورُ متاعها فى قلبه ، وأخذ شيطان الشهوة زمام

---

(١) فى الفارسية يكنى بضحك الوردة عن تفتحها .

نَهمتِه ، ففـكر فى نفسه قائلا : إن لزوجتى جمال وأيضاً غَنَج ودلال ، والمصلحة أن أقول لها أن تتحلى وتتزين وتتبرج ، وتذهب ساعة عند الأمير ، وإذا كانت آلته هذا شأنها ، فإنه لن تجُرى أيةُ معاملة بدالّتها ، ونصرفُ هذا الذهب فى وجه من وجوه الصرف والمصلحة ، ثم ذهب إلى بيته وشرح الحادثة لامرأته ، فزينت المرأة نفسها فى الحال ، ودخلت من باب الحمام بمائة ألف غمزة ودلال ، وكأنها المعشوقة المسرورة تذهب إلى العاشق المهجور ، أو عذراء تجيء إلى بيت وامق[1] ، فلما رأى الأمير شكلها وهيأتها ، وخلقتها وصورتها ، وسمع لطف محاورتها ، وحسن مفاوضتها ، وشاهد تلك الأجزاء المتناسبة والأعضاء المتقاربة ، ظهرت فيه رغبة صادقة وشهوة تامة ، وأقامت القوةُ الحيوانيةُ وأنعظت الآلةَ الشهوانية ، وتحركت الأعصاب والعروق ، وترقى بخار النطفة من أوعية المنى إلى مصعد الدماغ :

بيت (هزج)

دل گفت کی هان چگونه ای ای کافر
هین یافتـــه ای حرام روزی در بر

والمعنى :

قال القلب ها : كيف أنت أيهـــا الـكافر ،
ها قد وجدت الرزق الحـــــرام فى حِضنك

***

وحاصل القصة ، بعد طول الغصة ، خرجت الآلة من بين اللحم خروج

---

(١) وامق وعذراء بطلا قصة عاطفية يونانية مشهوران فى الفارسية مثل ليلى والمجنون.

الثعبان من الجلد ! من هذا (النوع) الأحمر القلنسوة ، الأسود القباء ، الأعور ، الكبير الرأس ، الطويل القد ، العريض الخد ، الحالك السرة ، النافذ من الصدر ، المريق الدم ، المثير الفتنة :

بيت (بسيط)

قد قُلِّصَتْ شفتــاه من حفيظته   نَخِيل من شدة التعبيس مبتسما[1]

***

زحفت فى السلة كالثعبان ، وجرت فى ثُقب البطن مثل القنفذ ، وكأن هذا المعنى قيل فى وصفها :

بيت (رمل)

باز باذ اندر فتـــــاذ اين سرِ اسقنقوزرا

باز بتوان مغز كردن بر سرِاو گوزرا

والمعنى :

انتفخ رأسُ هـذا الإسقنقوز[2] ثانية حتى ليمكن تقشير الجوز على رأسه !

***

فأخذ وأعطى وقامت معاملة تامة[3] بحيث كانت المرأة تدور على نفسها

(١) قد قلصت : هذا البيت فى معناه شبيه بقول المتنبي :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة   فلا تظنن أن الليث يبتسم

(٢) الإسقنقوز أو الإسقنقور أو الـ (سقنقور) حيوان يشبه الضب يعيش فى الماء واليابسة يقوى الباه ، ولعله ما يسمى الآن (استاكوزا) والكلمة يونانية .

(٣) أى باع واشترى وانعقدت صفقة تامة ، وكلها كناية عما جرى بين الأمير والمرأة .

تحته من اللذة مثل حجر الطاحون ، وكما لو كانت تغربل السنابل والحب بالغربال .

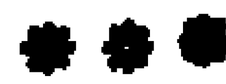
كان الحامى ينظر كالمتفحص من شق الباب ، ويشاهد عياناً ذلك الإيلاج والإخراج ، إذ كان أبو العصب من الغضب يعمل بلا أدب ، فخجل وحزن ، ونادى زوجه أن اخرجى ، ولم تكترث المرأة نفسها بالرد عليه ، لعشقها تلك الطرة والخصلة ، والظرافة واللطافة ، إلى أن صاح آخر الأمر بالعنف والتهديد، والزجر والتشديد ، فقالت المرأة بسخرية واستهزاء : اذهب وانتظر ساعة ، فإن الأمير لا يأذن ، وما يزال بصدد أن ينجز عملا ، وجلست على بطن الأمير وطوقت خصره بيديها وكانت تقول بلسان الحال :

بيت (هزج)

دل باغم تو گر بچخذ[1] زير آيذ زيرا چو تو دلبرى بكف ديرآيذ

والمعنى :

إذا نازع القلب جواك يغلَب ، لأن حبيبا مثلك قلما يُحصل عليه .



فكان الأمير يجر جواد الطرب حول اصطبل الشهوة ، ويخلع نعليه كالصوف ، عدة كرات على التوالى ، كترادف الأيام والليالى ، ومهما كان الحامى ينادى ، كانت المرأة تقول : يجب أن تنتظر حتى يأذن الأمير ! وانقبض قلب الحامى من الغصة ، وخجل من جهالته وحماقته ، وكان فى صحراء

---

(١) فى نسخة طهران (بچخد) أى ينازع ، يعاند ، يخاصم ، يجتهد ويسعى ، وفى نسخة استانبول (بخجذ) أى يتجمع أو يجمع ، فاخترت الأول لأنه أوضح .

المزبلة شجرة ، فذهب هنالك ، وعلق نفسه من عنقه بالشجرة ، ومات (خسر الدنيا والآخرة) .

بيت (متقارب)

هرآن كو كند كار ناكردنى غمى بايذش خورد ناخوردنى

والمعنى :

كل من يعمل عملا لا يجوز عمله ، يلزمه أن يتجرع غصة لا ينبغى تجرعها .

* * *

ولما خرجت المرأة من الحمام تجاهلت زوجها وأثنت على الأمير .

بيت

إن ربًّا إن ربًّا أحدثت فى الظّرف شـيًّا

نتفت منهـا وقالت المهيَّا المهيَّا

* * *

قلت هذه الحكاية من أجل أن لا يثق الشاه بأقوال وأفعال النساء ، ولا يعتمد عليها ، وليعتبرَ عهودَهن ومواثيقَهن نفاقاً وشقاقاً ، وإذا أُذن لى ، فإنى أقول حكاية من طِلَّسماتهن ونَيْر نجاتهن[1] ! قال الشاه : قل !

(١) أى حكاية عن مكرهن وحيلهن .

١٥ ــ حكاية العاشق والعجوز والكلب الباكى

قال الوزير : هكذا سمعت أنه كان فى وقت ما شاب ذو جمال وافر ، ونعيم فاخر ، مجربٌ رأى الدنيا وذاق حارّها وباردها ، خدم الملوك والسلاطين ، وباشر الأشغال الديوانية ، والأعمال السلطانية ، وكان ملوك الزمان يُعِزُّونه بحكم وفور أدبه وعلو نسبه .

وذات يوم رأى ، على سبيل التنزه والتفكه ، بيتاً مرتفعاً ورواقاً متسعاً عالياً على ممر جادة عريضة ، وكما هى عادة النظر إلى الأبنية العالية والمساكن المرتفعة ، نظر الشاب إلى أعلى المنظر(١) ، فرأى فتاة كالحور فى القصور ، ومثلَ الولدان والغلمان فى الجنان ، نورُ جمالها نور الدنيا ، وعبيرُ طرّتها عطر وبخّر العالم ، لها عين الغزال ، والسحر الحلال ، وسلاسة الماء الزلال ، ولطافة ريح الشمال ، مثل الشمس فى (برج) الجوزاء ، والقمر فى (برج) السرطان ، قد اتكأت على طرف المنظر ، وأضاء تلألؤ وجهها العالم ، فلما رأى الفتى ذلك الحُسْنَ واللطافة ، واللطف والظرافة ، توله وتحير ، وقال لنفسه : لعل الزُّهرَةَ الزهراء ، نزلت من القبة الخضراء ، أو قصد المَلَكُ مركزَ الأرض من الفلك :

بيت (كامل)

نحرٌ كخوطِ العاجِ يُضعِفُ حسنَه خصرٌ كخوط الخيزُرانِ الأنضرِ

رباعى

١ — ماه از رخ تو شكست هنگامهٔ خويش

---

(١) المنظر ما ينظر من أعلاه إلى ما حوله مثل المرقب .

٢ — مشك از خط تو در آب زذ نامهٔ خويش

٣ — بالاىِ تو خوانْذ سرورا خامهٔ خويش

٤ — گل روىِ تو ديذ چاك زذ جامهٔ خويش

والمعنى :

١ — القمر (غيرةً) من وجهك كسر ضجته :

٢ — والمسك (غيرةً) من خطك ألقى بكتابه فى الماء .

٣ — وسمّى قوامُك السّرْوَ قلمه .

٤ — ورأى الوردُ وجهَك فمزق ثوبه[1] .

* * *

قرٌ كان حسنه تحسده الشمس وتغار منه الزُّهَرَة ، الشمس فى حجاب التوارى خجلا من خده ، والمسك والعنبر متواريان فى ثنايا وتجاعيد شعره :

شعر (هزج)

١ — نگارى كز دو رخسارش همى شمس وقمر خيزذ
بهارى كز دو گلزارش همى شهد وشكر خيزذ

٢ — خروش از شهر بنشانذ هر آنگاهى كى بنشينذ
هزار آتش بر انگيزذ هر آن وقتى كى بر خيزذ

---

(١) تمزق ثوب الورد كناية عن تفتح أوراقه ، والمراد هنا أنه حين رأى حسن وجهه استبد به الغيظ والحسد فمزق ثيابه مزقا ، وهذه الصورة شائعة مكررة عند شعراء الفرس .

والمعنى :

١ — حسناء ، يطلع من خديها الشمس والقمر
وربيعٌ ينجُم من حديقتى ورده الشهد والسكر
٢ — كلما جلس يُسكت ضجة المدينة
وكلما قام يؤجج ألف نار

* * *

كل ساعة ، كانت الحورُ تمسحُ الغاليةَ[1] على وجهها ، ويتلو رضوان : وإن يكاد[2]، ويرْقيها بها :

بيت

يختال فى مشيته كالغصن فى قامته
فالدر فى مبسمه والمسك فى نكهته

شعر (هزج)

از دور بد يذم آن پرى[3] را   آن رشك بتانِ آزرى را
در مغربِ زلف عرض داده   صد قافلهٔ ماه ومشترى را

---

(١) الغالية : ضرب سائل من الطيب .
(٢) وإن يكاد ، أول الآية الحادية والخمسين من سورة القلم .
(٣) پرى : كائن غيبى جميل يشبه الملائكة ، أو الواحدة من نساء الجن الجميلات ، ووضعت تجوزا مقابلها كلمة (حورية) وهى غير الحوراء واحدة الحور ، ومعناها : المرأة البيضاء الناعمة .

والمعنى :

رأيت من بعيد تلك الحورية ، التى تحسدها الأصنام الآزرية[1] .

قد عرضت فى مغرِب فرْعها[2]، مائة قافلة من البدور وكواكب المشترى .

***

كان العقل المرشد يناديه من سفينة صدره أن اعبر ولا تنظر ! لأن فتوى حضرة النبوة وأوامر صاحب[3] الرسالة هى : لا تتبع النظرةَ النظرةَ ، فالنظرةُ الأولى لك والثانية عليك .

بيت (هزج)

از كوى بلا پاى نگه دار اى دل

گرجان خواهى جاى نگه دار اى دل

والمعنى :

احفَظ قدمك من محلّة البلاء أيها القلب ، إذا أردت روحك فالزم مكانك أيها القلب !

***

أما العشقُ المنيرُ الضّمير ، والحب المحرق الفؤاد ، فكانا يناديان من محمل القلب : أن العشق تحفة الغيب ، ويأتى من الغيب المنزه عن العيب :

---

(١) الآزرية نسبة إلى آزر أبى إبراهيم عليه السلام وكان مشهورا بنحت الأصنام ، ويكنى فى الفارسية عن المرأة الجميلة الفاتنة بكلمة صنم ، لأنها تعبدكالصنم لجمالها .

(٢) فرعها أى شعرها .

(٣) فى الأصل الفارسى . مثال درگاه رسالت . أى أمر حضرة الرسالة .

شعر (سريع)

توبهٔ زُهاد ببايد شكست پردهٔ عشاق ببايد دريد
هرچه نه جانست ببايد فروخت مهرِ چنان روى ببايد خريد

والمعنى :

يجب نقض توبة الزهاد ، يجب هتك سِتر العشاق .
يجب أن يُباعَ كلُّ ما عدا الروح ، يجب أن يُشترى حبُّ مثل ذلك الوجه.

***

وفى الجملة ، أسلم الفتى قلبه للريح ، فكان يذرع الحى من أوله إلى آخره ، ومن آخره إلى أوله ذهاباً وجيئة ويقول :

شعر (متقارب)

جعلت ممرى على بابه لعلِّى أراه فأحيا بهِ
رَديت اشتياقا إلى قربه فمن لى بغفلة حُجَّا بهِ

***

ألقت حورية الوجه[1] من فوق المنظر نظرة على الشاب ، فلما رأت حيرته وحسرته ، وقلقه وضجرته ، عرفت أن طرُّتها الطرَّارة[2]، وغمزتها القتَّالة ، قد خطفتا نقْد وقاره من كيس صبره ، وأسلمتا قلبه وروحه فى موسم معاملة العشق لمن يزيد ، وكما هى عادة الحسان العجيبة ، صفقت باب الطارمة[3] :

---

(١) فى نسخة طهران (پرى روى) وفى نسخة استانبول (زن) أى المرأة، فاخترت المعنى الأول .

(٢) الطرارة : النشالة .

(٣) الطارمة : بيت من الخشب كالقبة (شاليه) تعريب (طارم) .

شعر (وافر)

رأت كلفى بها ليلى ووجدى　　فملّتنى كذا كان الحديثُ
ولى قلبٌ ينازعنى إليها　　وشوقٌ بين أضلاعى حثيثُ

بيت (هزج)

افتاذ مرا ز عشق كارى وچه كار
زذ در دلِ من زمانه خارى وچه خار

والمعنى :

وقع لى من العشق أمر وأى أمر ! وغرز الزمان فى قلبى شوكة وأى شوكة !

* * *

وانقضى النهار وأظلت صلاة العشاء[1] ، ولم يصل أيضاً شذى ورد وصل المعشوق إلى مشامه ، فعاد الفتى إلى بيته بكبد حَنيذ[2] وطرف دامع .

ليلةٌ كليالى لديغى الحيات ، وحالة كحالات الثكالى والثاكلات ، لا وجه قرار ، ولا إمكان فرار ، فكان يكرر هذا الغزل :

شعر (خفيف)

١ — هركه او عشقت اختيار كنذ　　بى قرارى برو قرار كنذ .
كل من يختار عشقك　　يَقرُّ عليه عدمُ القرار

* * *

---

(١) فى نسخة استانبول (نماز شام) وفى نسخة طهران (شب) أى الليل : فاخترت الأول .

(٢) حنيذ على وزن فعيل : فضيخ ، مشوى : وهذه الصيغة يشترك فيها المذكر والمؤنث إذا كانت بمعنى مفعول ، فيقال : رجل قتيل وامرأة قتيل : ورجل جريح وامرأة جريح أى مقتول ومجروح . والكبد تذكر وتؤنث .

٢ — گلِ رخسار تو بدست خيال ديذ هارا زخواب خار كنذ

ورد خـدك بيـــــد الخيـال

يَحَزُ الأعين بشوكه فيوقظها من نومها

***

٣ — گر بخوا هذ نـگارِ چهره' تو كارِ صذ شهرچون نگار كنذ

إن يشأ تصـــوير وجهك يجعل شأن مائة مدينة كالصور[1]

***

٤ — نه عجب گر مشعبذِ هوست چشم از آرزو چهار كنذ

لا عجب أن يجعل مشعوذ هواك العين أربعـــا من الشره

***

٥ — انتظارم مده كى آتش وآب نـكنذ آنچ انتظار كنذ

لا تجعليني أنتظر، فإن النار والماء لا يفعلان ما يفعله الانتظار

***

كان ينتظر طول الليل حتى يُشرقَ الصبحُ الصادقُ من أفق المشرق، وينادى المؤذنُ حيّ على الفلاح، وأبو اليقظان[2] حيّ على الصباح، وكان قد جعل هذا البيتَ طول الليل وردَه ويقول :

بيت (طويل)

خليلىّ إنى قد أرقتُ ونمتُما لبرق يمـانٍ فاجلسا علّلانيا

(١) أى أن جمال وجهها إن شاء جمل وزين مائة مدينة .

(٢) أبو اليقظان : الديك .

بيت (هزج)

اى مستان خيزيذ كى هنگام صَبو حست

هر دم كى درين حال زنى[١]، دام فتوحست

والمعنى :

أيها السُّكارَى هبوا ! إنه وقت الصبوح

وكل نفس تتنفسونه فى هذى الحال شرك الفتوح

* * *

إلى أن هب أخيراً نسيم الصباح على الأرواح ، ودعا الأشباح إلى الاصطباح ، نخرج الفتى من البيت بقلب مفعم بالألم ووجه أصفر ، متفحصاً يقول : أين هو دكان طبيب العشق ، لأريه تفسرة[٢] الداء ومجسة[٣] الوجد ، لعله يهيىء لصفراء هذه الواقعة سكنجبينا[٤] يسكن روح الوصال التى بلغت شفتى وظلّت فى بحران المهجران ؟

---

(١) هذا الفعل ورد بنسختى طهران واستانبول مفردا (زنى) حال أن المخاطب جمع وهذه ضرورة شعرية .

(٢) التفسرة : قارورة البول تحمل إلى الطبيب لفحصها ومعرفة سر الداء .

(٣) المجسة مكان جس النبض.

(٤) السكنجبين معرب (سكنكبين) الفارسية وهى مخففة من (سركه انكبين) وسركه معناها الخل ، وانكبين معناها عسل النحل ، وكان هذا الدواء قديما يركب من هاتين المادتين لمعالجة الصفراء . ويوجد بإيران اليوم شراب يقدم للضيوف صيفا ويسمى سكنكبين أيضا وهو شراب ملطف مقبول المذاق ، ولكن يبدو أنه يجهز بطريقة غير الطريقة القديمة.

شعر (خفيف)

جس نبضى فقال عشقا طبيبى   ويحه من أخى علاج مصيب
فزجرت الطبيب سرا بعينى   ثم ناجيتـــه بحق الصليب

* * *

وقال لنفسه : المصلحة أن أرسل رقعة إلى المعشوقة وأعلمها بحال القلب المُضْنَى والمهجة المجروحة ، عساها تترفق وتتلطف ، لأنه لا يوجد صاحبُ ضمير أبداً يكره ويعادى محبه ، والشمسُ المزيِّنةُ العالم ، وهى ملكة النجوم وسلطانة السيارات ، مع علو معارجها ، وسمو مدارجها ، لا تستنكف من ذرة حقيرة ، والورد الأحمر الوجه ، الأخضر القباء ، الفاتك اللحظ الجميل ، وهو ملك الرياحين وزينة البساتين ، لا يعد مجاورة الشوك موجباً للخزى والعار ، فعسى أن يحدث هذا النَّفسُ البـاردُ أثراً حاراً ، وأن يندِّى دمع عينى هذا ، تلك العين التى لا تدمع ، فيتفتح ورد الوصل ، ويتساقط شوك الهجر . ثم أخذ القلم وكتب بمداد الشوق على بياض الورق :

شعر (متقارب)

تملكتَ يا مهجتى مهجتى   وأسهرتَ يا ناظرى ناظرى
لئن غبتَ عن مقلتى ساعة   فوالله ما غبتَ عن خاطرى
وفيكَ تعلمتُ نظم الكلام   فلقَّبنى الناسُ بالشـــاعر
أيا غائبا حاضرا فى فؤادى   سلام على الغائب الحاضر

رباعى

١ — هم باز خورَذ بتو بلائى آخر
٢ — وندر تو رسَذ زمن دعائى آخر

٣ — دردِ دلِ من چنين نما نَذ پنهان
٤ — سر بر كنذ اين درد بجائى آخر

والمعنى :

١ — إنه مصيبك بلاء آخـر الأمر
٢ — وستنفذ فيك منى دعوة آخر الأمر
٣ — لن يبقى داء قلبى مكتوماً هكذا
٤ — سيظهر هذا الداء فى موضع آخر الأمر

***

وبعدئذ باح لها بخافية عشقه ، وأخبرها بمضمون قلبه ومكنون سره ، وبعث بها إلى المعشوقة على يد ثقة .

فلما وصلت الرقعة إلى الفتاة ، ورأت مطلعها ومقطعها قالت : قولوا لهذا الشاب أن لا يقول هذا الكلام ثانية ولا يذكره ، ولا يظننا مثل النساء الأخريات ، ولا يتكلم كثيراً بلا فائدة ، ولا يطلب المحال ، ولا يكسر الجوز الفاسد (ولا يحاول عبثاً) ولا يضرب بالمطرقة على الحديد البارد ، لأنه :

مصراع (هزج)

گر ماه شـــــــوذ ننگرم اندر رويش

والمعنى :

إن يكن قمراً فإنى لا أنظر إلى وجهه .

***

وليعلم أنه قد اجتمع لى مع جمال الصورة كمال العفة ، ولا يحط غبار التهمة والشبهة على ذيل عفافى وعصمتى ، ولا يُجرحُ ورد طهارتى بشوك المعصية .

فلما سمع الفتى جواب وخطاب المعشوقة ، قال لنفسه :

بيت (هزج)

از يار بهر جــــــورى بيزار نبايذ شذ

وز دوست بهر زخمى افكار نبايذ شذ

والمعنى :

ينبغى أن لا يُستاء من الحبيب بأى جور

وينبغى أن لا يُتألم من الحبيب بأى جرح

* * *

التجبر والتكبر شأن الملاح ، والتخضع والتذلل فعل العشاق :

بيت (هزج)

دارم سخنانِ تازه وزرِ كهن   آخر بكف آرمت بزر يا بسخن

والمعنى :

عندى أقــــوال جديدة وذهب قديم

وسأحصل عليك آخر الأمر بالذهب أو الكلام

* * *

وقال لنفسه : لم يُحصل على شىء من صورة الكتاب ، ويجب الانتقال من نقش القلم إلى النقد والثياب :

شعر (خفيف)

١ — روزگاريست اين كى ديناری ارزد آنكس كى يك درم دارد
٢ — زر ندارد بنفشه چون نرگس قامتش زان هميشه خم دارد

والمعنى :

١ — إنه لزمان من يملك فيه درهما يساوى دينارا !

٢ — لا يملك البنفسج ذهباً مثل النرجس ، ولذا فإن قامته دائماً محنية .

* * *

وبعد الرسول والكتاب ، أرسل الذهب والثياب .

فقالت المعشوقة : قولوا لهذا الشاب :

مصراع (هزج)

اين كار بزر چوزر نخواهد شد

والمعنى :

إن هذا الأمر لن يصير بالذهب مثل الذهب !

* * *

لو كان وصول المقصود وحصول المفقود يتأتيان بمجرد الذهب ، لكان المعدن[1] وهو المالك مادة الكنوز معشوق القلوب ، ولو كانت كل جميلة تجيء فى الأحضان بالعلم[2] الديباجى ، لكانت دودة القز ، وهى مادة كل

(١) المعدن : المنجم الذى تستخرج منه خامات المعادن .

(٢) العلم : رسم الثوب ورقمه والمقصود هنا الثوب المرقوم أى المنقوش .

أطلس وديباج ، محبوبة الأرواح ، ولكن حجلة الزينة شيء ، وحجرة الراحة شيء ، الذهب يليق بحلقة فرج البغلة لا حلقة أذن الحبيب :

بيت (خفيف)

زر اگر مايلِ خران نشدى　　حلقهٔ فرج استران نشدى

والمعنى :

لو لم يكن الذهب ميالا إلى الحمير ، لما صار حلقات لفروج البغال .

* * *

وأعادت الذهب والثياب والرسالة والكتاب ، وأجابت إجابة قاسية .

فوضع الفتى جنب الغم على فراش الألم ، بقلب مفعم بالحسرة ، ودماغ حافل بالفكرة ، وكان مما يعانى من غم ، يقول وجداً ويترنم :

شعر (وافر)

مراضٌ نحن ليس لنا طبيب　　ومهمومون ليس لنا حبيب
وليس لنا من اللذات إلا　　أمانيها ورؤيتها نصيبٌ

* * *

صار عذار الفتى الأرجوانى زعفرانيا ، فى تحمل مشاق الفراق ، وتقوس سهمُ قده كالقوس ، من حمل أعباء وأثقال الهجر ، التى كانت تتولد من أرحام أمهات نوائب الدهر ، وانحطم عرعرُ[1] قوامه وصنوبر قامته من

(١) العرعر : شجر السرو (فارسية) الواحدة عرعرة « أقرب الموارد » وجاء فى برهان قاطع أن (عرعر) معناها بالعربية شجرة السرو الجبلية .

بإيذاء صرصر الحدثان ، وعواصف محنة الزمان ، كان يقنع من جمال الوصال، بغُدُو ورواح الخيال ، ويتعلل بهذا البيت :

بيت (وافر)

خيالُكِ في الكرى وَهْناً أتانا ومن سَلْسالِ ريقِك قد سقانا

بيت (هزج)

هرشب گردذ خيـــال او گِردِ دلم
الحق ز مراعاتِ خيالش خجـــلم

والمعنى :

يطوف كل ليلة خياله حول قلبي ، والحق ، إني خجل من مراعاة خياله .

* * *

كان يعتكف ويجاور على قارعة ربع الحبيب ، من الرواح إلى الصباح ، ومن الفلق إلى الغسق ، منتظراً أن يصل إلى مشامه نسيمُ خلوة من روائح رياض الوصل ؛ قد استولى على قلبه وروحه ، داء بلا دواء ، ومحنة بلا انتهاء ، ودمَّرت بيدرَ صبره نارُ الفراق ، وكان يقول بلسان الحال :

شعر (كامل)

جربت من نار الهوى ما تنطفي نارُ الغضا وتَكِلُّ عما تُحرق[1]
وعذلتُ أهلَ العشق حتى ذقتُه فعجبت كيف يموت من لا يعشق

* * *

---

(١) جربت من نار الهوى : البيتان للمتنبي .

إلى أن مرت على الفتى يوماً عجوزٌ ، كانت يدُ الزمان القوّاسة قد أبدلت استواء قدها انحناء ، ونثر حرّاث الأيام فُتات الزعفران على منبت شقائقها[١] ، ونخل غبار الكافور على مرج سنبلها[٢] ؛ رنت إليه ، فرأت طراوة ورونقَ روضة ورد جمال الفتى ذاويين ، ووجدت نضرة أرجوان خديه بُدِّلت زعفراناً . فتفحصت أحوال باطنه بنظار التفرس ، وتجسست عن موجب ذبوله ونحوله ؛ نظرت فى تفسرة[٣] صُفرته ، فعرفت أن الشاب فى حُمّى العشق المطبقة ، وفى حرارة الهجران المحرقة ، لأن آثار الاصفرار كانت ظاهرة على صفحات وجهه . قالت : أيها الشاب ! قل لى لماذا اصفرت شمس شبابك فى بدء الحال، وفتر منبت ورد صباك في إبان اعتدال الربيع ، إن يكن بك داء العشق، فإنك تجد الطبيب ! فلما علم الفتى هذه الإشارة ، فى ضمن هذه البشارة ، صعَّد نفَساً بارداً ، وذرف من عينيه دمعاً ساخناً . ولما قرأت العجوز تفسير رمز العشق ، وعرفت تأويل محكم ومتشابه الهجران، قالت : على الخبير بها سقطت، وعلى ابن بجدتها حططت ! فاحك قصتك ، لأنك مالم ترنى نبضك ، لا يُعلم داؤك ، ومالم يتقرر داؤك ، لا يتيسر علاجك ! فقال الشاب :

بيت (طويل)

ليالىَّ بعد الظاعنين شُكُول طوالٌ وليل العاشقين طويل[٤]

* * *

---

(١) الشقائق زهر أحمر .

(٢) السنبل نبات عطر خيطى يُشبَّه به شعر الجميلات ، والكافور أبيض اللون . يريد أن خديها اصفرا كالزعفران وأن شعرها ابيض كالكافور :

(٣) التفسرة قارورة البول تحمل إلى الطبيب لفحصها .

(٤) ليالى : البيت للمتنبي .

قصة غصتى طويلة ، وحادثتى المشكلة ذات قاع ويفاع :

بيت (رجز)

يا سائلى عن قصتى دعنى أمت فى غصتى
أحبابنا قد رحلوا واليأس منهم حِصَّتى

رباعى

١ — حالِ ستمِ زمانه مى بين ومپرس
٢ — از رنگِ رُخم نشانه مى بين ومپرس
٣ — احوال درون خانه از من مَطلب
٤ — خون بر در وآستانه مى بين ومپرس

والمعنى :

١ — انظر حال جـور الزمان ولا تَسَلْ
٢ — انظر من لون وجهى العلامة ولا تسل
٣ — لا تطلب منى أحـوال داخل البيت
٤ — انظر الدم على الباب والعتبة ولا تسل

* * *

أنا ليلاً فى قلق واضطراب ، ونهاراً فى حُرَقٍ والتهاب ، منذ مدة مديدة أسلمتُ المعشوقة قلبى ليــــد غوغاء العشق ، ووضعتُ روحى فى (من يزيد) الهجر ، لا أظفر بوصالها ولا أرى غير الشوك من ورد جمالها ، وبدت جبارة وجائرة جداً :

شعر (خفيف)

١ — صـــبر باعشق بس نمی آید   یار فـــــریادرس نمی آید
٢ — دل بکاری کی پیش می نشود   قـــــدمی بازپس نمی آید

والمعنى :

١ — الصبر لا يتماشى كثيراً مع العشق ، والحبيب لا يُعين .

٢ — والقلب لا يتراجع خطوة إلى الوراء فى أمر لا يتقدم إلى الأمام .

* * *

فلما سمعت العجوز شرحَ حال الشاب قالت :

بيت (هزج)

نومید مشو اگرچه امید نمـاند   کس در غم روزگار جاوید نماند

والمعنى :

لا تيأس ولو لم يبق أمل ، فإن أحداً لا يبقى مخلداً فى غم الدهر .

* * *

إن تكن رابعة[1] الوقت فإنى ألقى بالحجر فى قنديل عصمتها ، وإن تكن مثل الزُّهَرَة الزهراء فوق القبة الخضراء[2] فإنى أجىء بها فى الشرك بحبة الحيلة ، ثم إنها فى اليوم التالى علّقت التعاويذ فى عنقها على شكل زاهدة ،

---

(١) رابعة : أى مثل رابعة العدوية فى ورعها وتقاها .

(٢) القبة الخضراء كناية عن السماء .

وأخذت الشُبحة ، وأمسكت بالعصا والركوة فى يدها وذهبت إلى بيت تلك الفتاة[١] ، وجمّلت نفسها لديها بالكرامات والمقامات ، وجعلت قلبها[٢] فى قبضة أمرها ونهيها ، وكانت كل ساعة تشتغل بالطاعة ، وتؤدى نافلة أو تطوعا ، لم تكن تأكل الطعام بالنهار — يعنى صائمة الدهر — وإذا اتفق أن بقيت ليلة بدارها ، كانت تفطر بقرص شعير ، وتقتصر عليه أيضاً وتقول : كانت الحنطة سبب زلة آدم ، والشعير طُعمة الأنبياء ، ولقمة الأولياء ، وكانت تقضى الأيام على هذه السيرة والسنة ، فكان اعتقاد الفتاة[٣] فى زهدها وصلاحها وعصمتها وعفتها يزداد كل يوم رسوخا ، وإخلاصها فى الأعمال الدينية والدنيوية يصير كل ساعة أكثر ظهوراً ، وفى الجملة استولت الفقيرة بالتزوير والشعوذة والنيرنج على كلِّية الصبية[٤] ، وقالت لنفسها :

مصراع (هزج)

گرباذ شـــوى ببندمت پاى چوخاك

والمعنى :

إن تصيرى ريحا أقيد قدمك مثل التراب .

***

وبعدئذ حملت جرو كلب إلى بيتها وظلت مدة تتعهده وترعاه فى دارها[٥] ،

---

(١) فى نسخة طهران (دوشيزه) أى آنسة أوفتاة ، وفى نسخة استانبول (زن) أى المرأة .

(٢) فى نسخة طهران (دلش) أى قلبها وفى نسخة استانبول (دل زن) أى قلب المرأة.

(٣) فى نسخة طهران (دختر) أى البنت أو الفتاه ، وفى نسخة استانبول (زن) أى المرأة .

(٤) فى نسخة طهران (دخترك) أى الصبية ، وفى نسخة استانبول (زن) أى المرأة.

(٥) فى نسخة طهران (تعهد ميكرد) فقط ، أى كانت تتعهد .

حتى صار أليفها وحليفها ، من كثرة مراعاتها واهتمامها ، ثم عملت يوما عدة أقراص ، ووضعت فيها فلفلا وخردلا ، وأخذت الكلب معها إلى بيت الفتاة[١] ، ولما جلست ، أخرجت بعض هذه الأقراص ، وكانت تكسرها وتعطى ذلك الجرو ، فكان الكلب يأكل الخبز والدمع يتساقط من عينيه لشدة حدة التوابل وحرافتها ، وكانت العجوز تجيل الدمع فى عينيها مجاراة له ، وتتأوه كمداً وحسرة ؛ فلما شاهدت الفتاة[٢] قطرات دموع الكلب والعجوز ، سألت : يا أماه ! لماذا يبكى هذا الجرو ؟ وماذا وقع له لتجرى قطرات الحسرة من مدامع عينيه على خديه ؟ قالت العجوز : لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم[٣] . فأخذت الفتاة تلح والعجوز تدافعها حتى نفد صبر الفتاة وحلفتها وقالت : قولى ! فقالت العجوز : أى بنية ! لينزل ما وقع له بأعدائك — بعيداً عن ساحة سعادتك — ! قصة دائه عجيبة ، وحادثته نادرة وغريبة :

بيت (بسيط)

عشنا إلى أن رأينا فى الهوى عجبا
كل الشهور وفى الأمثال عش رجبا[٤]

***

(١ ، ٢) فى نسخة استانبول (زن) أى المرأة .

(٣) السورة الخامسة ، المائدة الآية ١٠١ .

(٤) البيت لعلى بن الحسن الباخرزى : إرشاد الأريب لياقوت : ١٣/٣٨ .

فلما سمعت الصبية[١] هذا الكلام ، تفكرت وتحيرت ، وقالت : لقد كانت هذه كرامة أظهرها الحق تعالى لى ! من يهد الله فهو المهتد[٢] .

شعر (كامل)

كم نعمة لا تستقل بشكرها لله فى طى المكارم كامنة[٣]

* * *

ثم قالت : يا أماه ! هات الحديث عن القديم والحديث ! اذكرى خبراً عن حادثته ، وقررى سمَراً من واقعته ! فقالت العجوز : اعلمى أن هذا الجرو ابنة أمير من أمراء هذه المدينة ، وكنتُ من خواص بيتهم وبطانة عُشّهم[٤] ، وأعيش الأيام فى ظل عنايتهم ، ورعايتهم ، وذات يوم مر شاب غريب بباب دارهم ، فوقعت عين الشاب على جمالها ، فأسلم الفؤاد للريح على إثر النظر ، واتخذ سلطانُ العشق من محمل قلبه منزلا ، وضرب خيمة النار فى ساحة مهجته ؛ كان الشاب ، فى هجرانها ، يبكى النهار والليل ، ويعيش فى العناء والمحنة ، ولزمت الفتاة — بحكم انتظام أسباب سعادتها ، واستظهار جمالها وشبابها — طريق الجور ، وسلكت سبيل التهور والتجبر ؛ كانت الفتاة فى خدرها مثل الوردة الجميلة تضحك سخرية من الفتى ، وكان الفتى يبكى النهار الطويل كله متضرعا ، وينشد هذا الشعر :

---

(١) فى نسخة استانبول (زن) أى المرأة وفى نسخة طهران (دخترك) أى الصبية .

(٢) سورة الإسراء الآية ٩٧ وسورة الكهف الآية ١٧ .

(٣) كم نعمة البيت : أحسن ما سمعت للثعالبي ، ١٩٠ .

(٤) فى نسخة طهران (ازجملهٔ خواص خانه ، وبطانهٔ آشيانهٔ آن أمير) أى من جملة خواص بيت ذلك الأمير وبطانة عشه .

رباعی

١ — خورشـــيذ رخا تو از سر خرسندی
چون سايه بهـــر خسی همی پيوندی
٢ — من درغم تو چـــوابر می گريم وتو
بر من زسر طنز چـــو گل می خندی

والمعنى :

١ — ياشمسية الوجه إنك من قبيل الرضا ، تتصلين بكل خسيس مثل الظل .

٢ — أنا فى أساك أبكى مثل السحاب وأنت ، تضحكين منى هُزُواً مثل الوردة[١] .

* * *

ولم تكن قطعاً تلتفت إلى حرقة صدر الشاب أو تعبأ بآهة سحَرِه ، حتى أسلم الفتى روحه فى غم هجرها ، وأودع قلبه الجريح وجسده المحطم فى تراب اللحد ، وبقيت (منه) هذه الأبيات تذكاراً :

شعر (كامل)

يا عزّ أُقسِـــمُ بالذى أنا عبدُه ... وله الحجيج وما حوت عرفاتُ
لا أبتغى بدلا ســــواك حبيبة ... فثقى بقـــولى والكرامُ ثقاتُ
ولو انّ فوقَ تُربةً فدعوتِنى ... لأجبت صوتَكِ والعظامُ رفاتُ

* * *

(١) يتخيل شعراء الفرس تفتح الوردة آونة ضحكا وآناً تمزيقاً لقميصها غيرة وكمداً .

لم يرض الحق تعالى هذا الظلم ، ومسخ هـــذه الفتاة ، كانت آدمية فصارت كلبا !!!

بيت (خفيف)

يا صباحَ الوجـــوه فاعتبروا　　وارحموا كلّ عاشـــقٍ ظُلِما

＊＊＊

ألقت الفتاة نفسها فى بيتى خجلا من هذه الحالة ، وبحكم قرب المجاورة وقدم الصحبة والمحاورة ، كانت تتوارى ، ولم تُظهر وجهها لأى إنسان من الحياء والخجل[1] ؛ ومنذ سنتين وأنا أتفقدها وأرى تعهــدها واجباً ، ولم أفش هذا السر لأى أحد ، والعجبُ أنها كلما رأت امرأة ذات جمال تأخذ فى تَذْرَافِ دموع الحسرة :

مصراع (هزج)

درقصهٔ أهلِ عشق اسرارْ بسيست

والمعنى :

الأسرار فى قصة أهل العشق كثيرة

＊＊＊

فلما سمعت الصبية هذه الحـكاية قالت : حصل لى من استماع هذه القصة عبر ومواعظ :

---

(١) فى نسخة طهران « از تشوير وخجالت » وفى نسخة استانبول « از شرم وخجالت » والمعنى واحد .

بيت (طويل)

بذا قضت الأيامُ ما بينَ أهلها   مصائبُ قوم عند قوم فوائدُ(١)



اعلمى أن شابا عاشق لى منذ مدة ، وقد صار بدرُه هلالا ، وشخصه خِلالا فى محنة عشقى ، حافة حيِّنا(٢) مطافُ هذا الشاب ، وحول بابنا وجدارنا كعبةُ طوافه ، وقد كتب الملطَّفاتِ وأرسل المرقَّعاتِ(٣) كراتٍ ، مخبرا عن صفوة مودته ، ومنهيا كمال محبته ، وقد أجبت إجابات عنيفة ، فى مقابلة هذه الأقوال اللطيفة ، وآذيت فؤاده ! فلما سمعت العجوز هذا الكلام ، أظهرت تغيراً عظيما وقالت : يا روح أمك ! لقد أخطأت إذ آذيت فؤاده ، حذار ! لا تمنعى مرهما عن جرحى الغرام ، ولا تتركى المقيدين بقيد الهجران أذلاء ، لأن كل من لا يأخذ بأيدى العاثرين فى العشق ، يصير موطئاً للأحداث ، وكل من يرحم المحرومين فى العشق يُرحم ؛ فقالت الفتاة : يا أماه ! كتبتُ نصائحك على قلبى ، وعاهدتك أن أسير من بعد هذا على جادة هذه النصيحة ، وأن أرى مراعاة جانبه واجباً :

بيت (خفيف)

بعد ازين دستِ ماودامنِ دوست   بعد ازين گوش ما وحلقهٔ يار

---

(١) بذا قضت الأيام : البيت للمتنبى .

(٢) فى نسخة طهران (سر كويم) أى حافة حيى ، بالمفرد .

(٣) الملطفات والمرقعات اصطلاح قديم يقصد به الرسائل والمكاتبات القصيرة بين طرفين .

والمعنى :

من بعد هذا ، دون أيدينا وذيلَ الحبيب ! من بعد هذا ، دون آذاننا وحلقةَ المحبوب !

* * *

ثم قالت : يا أماه ! بما أن أمينَ سرِّ هذا الغم سمعُك ، ومنوِّرَ هــذه الغرفة شمعُك ، وأنت ناصحة مشفقة ، وثقة صائنة ، ولو لم تكن بركة صحبتك لكان قد حل بى الدمار ، فينبغى حين ترَيْن ذلك الشاب أن تبالغى كثيراً فى تمهيد الأعذار ، وأن تؤدى ما يجب من لطف العناية بقلبه وحسن الرعاية له ؛ فخرجت العجوز فى التو من عند الفتاة وبشرت الشاب وقالت :

بيت (هزج)

معشوقه بسامان شذ تاباذ چنين باذ　　كفرش همه ايمان شذ تابا ذچنين باذ

والمعنى :

صلُحَ حالُ المعشوقة ، فليكن هكذا فليكن ، صار كفُرها كلُّه إيماناً ، فليكن هكذا فليكن .

* * *

فتوجه الفتى فى الحال من بادية الحرمان إلى كعبة الدواء ، فلما بلغ باب الدار[1] ، أدركت الفتاة[2] بفراسة الحالة ، وكياسة الحيلة ، أن العاشق مارٌّ ،

---

(١) فى نسخة استانبول (درسراى زن) باب بيت المرأة .

(٢) بنسخة استانبول أيضاً (زن) أى المرأة .

وعرفت من قُتار كبده المحترقة ورائحة قلبه المشوى ، أن المحب يقصد المحبوب فسارعت إلى استقباله بتبسم واستبشار ، وبشاشة واهتزاز ، ودعت إليها العاشق المسكين بمائة ألف دلال وقالت :

بيت (مجتث)

بيا كى عاشق رنجور را خريذا ريم   فتاذ گان جهان را بلطف برداريم

والمعنى :

تعال فإنا راغبون فى العاشق المُضنى ، ونأخذ بلطف بأيدى بؤساء الدنيا .

* * *

ومجمل القول ، وصل العاشق إلى المعشوق ، واتصل الطالب بالمطلوب ، بدلالة العجوز الورعة ، وقيادة زاهدة العصر ، وبركات أنفاسها وأقدامها ، وظلا كلاهما يتمتعان طويلا بنعمة الوصال أياما طويلة ، ونعوذ بالله من فرح القواد وغضب الجلاد :

بيت (طويل)

إذا ما رداء المرءِ لم يكُ طاهراً   فهيهات لا يُنقيه بالماء غاسله

* * *

قلت هذه الحكاية من أجل أن يتقرر لدى رأى الشاه الزائن الدنيا ، أن مكر النساء خارج عن الحد والعـــد ، وحيلهم وأعمالهم أكثر من الحصر والحزر .

فلما وصل إلى سمع الشاه ، مكنون هذه القصة التى مضمونها فهرست المكر وقانون الغدر ، أمر فحملوا الأمير إلى الحبس وأخروا العقوبة .

مجىء الجاريه إلى حضرة الشاه فى اليوم الخامس

لما انتهت نوبة دَوْر الأيام إلى اليوم الخامس ، وصلت ضجة استغاثة المرأة إلى آذان الأنجم ، وقالت لنفسها : إذا استعجزت فى هذه الحادثة تأخيراً وتقصيراً ، يطلق الأمير لسانه ويسعى جاهداً فى هتك هذا الستر وكشف هذا السر ، ولأن جماعة الوزراء يبالغون تمام المبالغة فى رعاية جانبه ، ويعنون عناية لا حد لها ، فإنه بهذا الاعتداد والاعتضاد يجد فى إهلاكى وإعدامى ، ويصورون ويقررون فى سمع الشاه مصالح الدين والدولة . فاليوم أيضاً أرمى بكل سهم لدى فى جعبتى ، وألعب كل لعبة أعرفها ؛ ثم ذهبت إلى حضرة الشاه بالعويل والنفير ، والنوحة والزفير ، وبعد تقديم الخدمة ، وتقبيل تراب الحضرة ، وتقرير الثنـــاء والتحية ، قالت : لا ألم بشمس رأى الشاه من مغالطات[1] الوزراء الظالمين ظلام ، ولا أصاب عين إنصافه من صدمات أشواك الحوادث قتام ! ولو أن الشاه لا ينظر نظر عطف إلى تظلم هذه المظلومة المرحومة ، ولا ينصف هذه الخادم القديمة التى نشأت ونمت فى حريم هذه الدولة ، بتركيب أقوال الوزراء الباطلة ، ولا يقيم وزناً لهذه الواقعة العجيبة ، ويعد هذه الحادثة الكبيرة صغيرة وحقيرة ، ولا يسير باقتضاء رأيه المنير كالشمس المدبر مصالح أمور العالم والعالمين ، ولا يتأمل ، ولا يدرى أن الأمر الحقير يصير خطيراً بطول المدة ، والمهمات القليلة تكثر بالمهلة ، لأن جمرة النار التى تزن شعيرة تأكل دنيا وتفنى عالماً .

---

(١) فى نسخة استانبول (راى) وفى نسخة طهران (مغالطة) .

مصراع (بسيط)

فرب جـــــــذوة نار أحرقت بلدا ؟

***

ومع أن سبب شرارة النار احتكاك الزّند ، واصطكاك القداحة ، فإنها حين تأتى من كتْم العدم إلى فضاء الظهور والوجود ، تجعل الحديد شمعا والصخر ماء ، وعلى هذا المقياس والمنوال ، فإن الحادثة الصغيرة التى تُحتقر ، والعدو الضعيف الذى يعد صغيراً ، يكبران نتيجة ذلك ، ويأولان إلى أمور مُعضلة ، ومُهمات مشكلة ، بحيث لا يدخل فى حيز الوهم تلافيها ، ويعجز إدراك الخاطر عن استدراكها :

شعر (مجتث)

١ — مخالفانِ تو موران بُدند ومار شدند
شهـــا برآر زمورانِ مار گشته دمار

٢ — مكن درنگ وزين بيش روزگار مبر
كى اژدها شوذ ار روزگار يابذ مار

والمعنى :

١ — كان مخالفوك نِمالا فصاروا ثعابينَ ، دمر أيها الشاه النمال المتثعبنة .

٢ — لا تتوان ولا تضيع الوقت أكثر من هذا ، فإن الثعبان إذا وجد الوقت يصير تنينا .

***

وإن يسمع الشاه فى هذا المعنى شهادة شاهد عدل ، ودلالة قول جزل ،أقُل، وتلك قصة مدينة خربت بسبب قطرة عسل ، وصار سبعون ألف رجل علفا للسيف ؟ فسأل الشاه : كيف كان ؟

١٦ ـ قصة الصياد والعسل والكلب وابن عرس والبقال

قالت : هكذا قرأت أنه فى مواضى الأيام وسوالف الدهور ، كان لصياد كلب مُعلَّم ، من تلك الكلاب العريضة الصدر ، الدقيقة الساق ، الضامرة الخصر ، السمينة العجز ، المدلاة الأذن ، الشائلة الذنب ، الفهدية الصدر ، العقابية الحفيظة ، الرئبالية الأَيْد ، الفيلية الحملة ، الذئبية العدْو ، التمساحية الصولة ، مثل الصرصر فى الصحراء ، ومثل النكباء فى الفضاء ، كان يستنزل الطائر من الهواء ، ويصيد الظبى فى البيداء .

شعر (رجز)

أقَبَّ ساطٍ شرسٍ شمردَلِ مؤجّدِ الفِقْرةِ رَخْوِ المفصلِ[1]
له إذا أدبرَ لحظ المُقبِلِ كأنما ينظر من سَجَنْجلِ
يُقعى جلوسَ البدَويِّ المُصطلى يعدو إذا أحزنَ عدوَ المُسْهِل
بأربعٍ مجدولةٍ لم تُجدَلِ فُتْلِ الأيادى رَبِذاتِ الأرجُلِ
آثارُها أمثالُها فِى الجندلِ يكادُ فى الوثبِ من التفتُّلِ
يجمعُ بينَ متنه والكلكلِ ذى ذَنَبٍ أجردَ غيرِ أعزلِ

***

(١) أقب : الأبيات للمتنبى .

وكان هذا الصياد يهيء به أسبابَ معاش امرأته وولده وقوامَ نفقتهم وخرجهم، وبذلك يقضي أيامه. وذات يوم كان الصياد قد ذهب إلى جبل للصيد، و (بينما) كان يعد وفى إثر صيد، وصل إلى باب غار، ورأى شقًّا كان العسل يقطرُ منه. نظر جيدا فأبصر نحلا كثيراً قد بنى فيه عشاومأوى، وكان ليل نهار فى الأرض الجبلية يقتبس من أطراف الأشجار الطَّلَّ الذى يسقط على زهرات الرياض وشجرات الغياض، ويرعى الورد والسُّنْبل[1]، يتقلب نهارا على أوراق النرجس، وينام ليلا فى السرادقات المسدَّسة التى كان قد صنعها من الشمع؛ أمير النحل على رأسها من أجل السياسة، والبواب على بابها لدفع العصاة.

وقد أعد الشِّهادَ[2] المختلفة الألوان ذخيرةً للشتاء، فلما رأى الرجل ذلك قال لنفسه: غاصت قدمى فى كنز بدون أى عناء، وحصلتُ على عطاء من غير أى جهد، أصبتَ فالزم، ووجدتَ فاغنم! لن يكون أى سعى أنجح، ولا أى عمل أصلح من هذا! فالمصلحة أن أحمل كل يوم من هـذا العسل إلى المدينة، وأهيء من ثمنه مصالح المعيشة، وملأ فى الحال وعاء كان معه، وجاء به إلى المدينة (وعرضه على بقال)[3] وقرر الثمن ووضع العسل فى الميزان، وأراد البقال أن يزن (العسل)[4] ويعرف وزنه، فقطرت قطرة عسل على الأرض، وكان للبقال فى الدكان ابن عرس مُدرَّب لعوب، يدفع ضرر وشر المؤذين، من أجل دفع الفئران. فلما رأى قطرة العسل جرى ولحسها بلسانه، وشاهد كلب الصياد ابن عرس على سبيل العادة، فتحرك فيه التضاد الطبيعى والخلاف الصنيعى، وقفز وقتل ابن عرس.

(١) السنبل نبات طبي عطرى شبيه بشعر الحسان يستخدم فى العطريات.

(٢) الشهاد بكسر الشين وتشديدها جمع شهد وهو عسل النحل.

(٣) الأصل الفارسى لهذه العبارة موجود بنسخة استانبول وغير موجود بنسخة طهران.

(٤) هذه الكلمة بنسخة استانبول وغير موجودة بنسخة طهران.

فلما رأى البقال ابن عرس مقتولا ، انطوى على نفسه من الغضب ، وضرب رأس الكلب بحجر وأزهق روحه ! فلما شهد الصياد تلك الحالة ، سل سيفه وضرب يد البقال وبترها وألقاها فى الخارج ! ولما رأى السوقيون البقال على تلك الصفة ، أثخنوا الصياد بالجراح وضربوه حتى هلك ! وصل إلى سمع الوالى أن بقالا رموا يده فى الخارج بلا موجب ، وصياداً قتله السوقيون شر قتلة فى الضجة ، فأنهض العسكر من أجل دفع الشر وإطفاء تلك النائرة ، ليردوا الأوباش والغوغاء عن تهييج الحرب والفتنة ، وانقسم الناس[1] فريقين ، وقاتلوا العسكر ، وحدثت مقاتلة عظيمة وحرب قوية ، وانتهت تلك الفتنة بأن قتل سبعة آلاف من الخلق[2] وخرب البلد ، ويقولون فى المثل : جور وظلم الملوك مائة عام خير من شر العوام وفتنة الغوغاء يومين .

أمررت هذه القصة على سمع الشاه الأعلى — أسمعه الله المسار — ليُعلَم ويتقرر أن شوك الفتنة مادة تشويش الملك والدولة ، وإذا لم يُجتَهد فى قلعها ودفعها ، تؤدى صدمة حدتها وزحمة أذيتها ، ومعرتها ، ومشقتها إلى كثرة الابتلاء وتواتر البلاء ، ولا يتيسر تداركها :

بيت (طويل)

لحا الله ذى الدنيا مناخا لراكب   فكل بعيد الهم فيها معذب[3]

بيت (متقارب)

چو پايان نه بينى سرِ فتنه را   بپايان زپاى اندر آيد سرت

---

(١) فى نسخة استانبول (غوغاء) .

(٢) ترجمة العبارة الواردة فى نسخة طهران (وقتل فى هذه الفتنة سبعة آلاف شخص) .

(٣) لحا الله : البيت للمتنبي

والمعنى :

إذا لم تر لرأس الفتنـــة نهاية   تهوى رأســـك فى النهاية

* * *

وأنا ما دمت يئست من عدل الشاه ، فإنى ألوذ بحضرة ذى الجلال بالتضرع والابتهال ، وأواظب على عرض حاجتى فى حضرة الربوبية ، لأن من قرع باب الله لا يخيب .

فتغير الشاه وتأثر باستماع هذه المقدمات ، وأمر أن يعاقبوا الأمير ويصيروه تاريخ قوانين العدل ، وعمدة أبواب الإنصاف ، ليعلم العالمون ، أنه ما دام لا يدارى ولا يحابى فلذة كبده وقرة عينه ، فإنه لن يصير رفق ومواساة مع أى أجنبى ، وكذلك قال الكبراء : السياسة أساس الرياسة !

فلما وصل هذا الخبر إلى سمع الوزير الخامس ، أشار إلى السياف بتأخير العقوبة وقال : توقف حتى أذهب إلى خدمة السلطان وأعرض على رأيه ضرر الاستعجال فى تقريب الآجال ، وأشرح ما يكون ممكنا فى مصالح التأنى ، لنرى على أية صورة يكون حكم أمره .

مجيء الوزير الخامس إلى حضرة الشاه

ذهب الوزير الخامس الذى كان تدبيره الثاقب نجم(*) مجمع السلطنة ، ورأيه الصائب مفتاح(*) مشكلات الدولة والأمة(١) ، أمام تخت الشاه ،

(* ، *) فى كلا النسختين (أنجم ومفاتيح) بصيغة الجمع العربية ، وكثيراً ما تستعمل الجموع العربية فى الفارسية بمعنى المفرد ؛ مثل : طلبه بمعنى طالب وعرب وكرد وترك بمعنى عربى وكردى وتركى .

(١) فى نسخة استانبول (ملت) .

وبعد تقرير التحية ، وإقامة الثناء والخدمة ، قال : شكر الآلاء الإلهية ، من أجل مزيد النعم ، واستفاضة زوائد الكرم ، واجب على جميع العالم ، وعلى الخدم والحشم الذين يعيشون فى ملاذ العاطفة وظل الرأفة أوجب ، لأن كلّ ما هو نهايةُ الأمانى ومطلوب الحياة ، ويهتدى إليه الخاطر البشرى والفكر الآدمى ، من الحرمة والحشمة ، يُدرك بوساطة ميامن هذه الحضرة ، ويصل زيادةً عن حدود الاستحقاق ، بشمول عواطفِ ، وإفاضة عوارفِ هذه الدولة ، ولا شكر أكثر من أن تصان مناصب عدل السلطان ومراتب فضله من العواقب المكروهة والخواتيم الذميمة ، وإذا أمر السلطان بعقوبة على سبيل التعجيل ، نعرض على رأيه الأعلى مصالح التوقف .

وفى هذه الساعة أمر الشاه بمجرد ظن ، وتهمة تصديقها بعيد عن قبول العقل ، وخلافها قريب من القريحة والطبيعة ، أن يهلكوا الأمير بلا موجب ، وأن يُخلوا ويُعطلوا من النظم قلادة حياته ، وهى عقد مفاخر جيد وجود العالم ، وإذا لم يستوجب الشاه التأمل والتأنى فى هذا المعنى ، ولم يبالغ فى التفحص والبحث فى بدايته ونهايته ، يرى من الندامة ما رآه ذلك التاجر اللطيف الطبع ، الذى لم يبحث ولم يُنقرّ فى بداية الحال ، فابتلى بالندامة والغرامة فى النهاية ، ولم يُجد التأسف ! فقال السلطان : احك ! كيف هذه الحال والحكاية ؟

١٧ ـ قصة التاجر اللطيف الطبع

قال الوزير : حكوا أنه كان تاجر يكثر المبالغة فى تطييب الأطعمة وترتيب الأغذية ، وكان قد جاب أكثر العالم لأجل كسب المال وتحصيل المنال ،

وقام[١] فى أطراف البر والبحر بتجارات مربحة ومنجحة ، وتحمل الأسفار والمشاق[٢] فى أرجاء الآفاق ، وحصل بهذه الطريقة على غُنية وافرة ، ونعمة فاخرة ، وأوقف كل همته على شهوة الأطعمة اللطيفة ، وحصر[٣] جملة نهمته فى التقام الأغذية النظيفة ، وقنع من متلذ ذات العالم بالمأكولات المشتهاة ، ورضى من مطلوبات الدنيا بالمشروبات الهنيئة ، وكأنه صار بكل أعضائه فما من كمال شرهه ، وبكل أجزائه سنا من إفراط شبقه ، ومع قوة طبيعته هذه ، كان الهواء بالقياس إليه يبد وكَدِراً ، والماء إذا قورن به لا يبدو لطيفاً ، من هذا النوع الرقيق الطبع ، المدقق ، المتلمس العيوب ، الغضوب ، الذى كان ينفر من ماء الكوثر ، ويتقزز من نعيم الخلد ، وكان فى كل مدينة ينزل بها يطوف أولا بسوق الطباخين وطُهاة الأطعمة ؛ وذات يوم كان قد ركب مركب الاشتهاء كالهيمان العطشان ، أو كالغرثان السغبان ، وأخذ يطوف فى السوق ويلقى النظر على كل مقر وممر ، ويتخير خيار الأطعمة ، وفى أثناء التظر رأى جارية على طرف دكان ، نظيفة الملبس ، وقد وضعت على ممر السوق من أجل المشترين ، فطائر[٤] مخبوزة من الحُوَّارَى[٥] والسمن والعسل فوق طبق لطيف ومنديل نظيف ، وفتحت عين الانتظار . (فطائر) فى غاية اللطافة ونهاية الظرافة ، كأنها قرص الشمس أو دائرة القمر ، أو خدود الحور ووجوه الغلمان تتلألأ لأمن القصور ، أو الزُّهَرَة والمشترى يشعان النور :

---

(١) فى نسخة طهران (داشت) أى كان له .
(٢) فى كلا النسختين (سفرهاى شاق) أى الأسفار الشاقة .
(٣) فى كلا النسختين (مقصور گردانيده) أى قصر .
(٤) وردت هذة الكلمة فى أول الحكاية مفرده ثم توالت بعد ذلك جمعا .
(٥) الحوارى بضم الحاء وفتح الواو المشددة والراء ، الدقيق الأبيض وهو لباب الدقيق .

بيت (هزج)

اندر كف أو كُليچهٔ گفتی بدر است

مانندهٔ ماهيست درفشان ازميغ

والمعنى :

فى كفها فطيرة كأنها البدر ، مثل قمر مضىء من السحاب .

***

فراقت بعين التاجر وقلبه ، ولقيت وقعا عظيما ومحلا رفيعاً ، وتمكنت فى طبعه وقريحته . ذهب إلى البيت ، وعلى الفور أعطى غلامه[1] منديلا وأرسله إلى السوق وقال : بالموضع الفلانى جارية بهذه الهيئة والصورة ، إعطها الذهب واشتر الأقراص وأوصها أن لا تبيع الأقراص لأحد بعد هذا ، لتذهب مدة مقامنا كل يوم وتشتريها . فمضى الغلام إلى السوق على مقتضى رأى سيده واشترى الفطائر ، وكان قد اقتصر على ذلك مدة طويلة ، فلم يكن يأكل غير الفطائر .

فى أثناء هذه الأحوال ، غابت الجارية بائعة الفطائر ذات يوم ، ولما كان التاجر قد ألف ذلك الطعام ، واعتاد طبعه ومزاجه على الفطائر ، تأسف وتلهف على مفارقة المحبوب وانعدام المألوف ، فأمر الغلام أن يذهب ويعلم مربعها ومرتعها بأتم استقصاء ، وحين يحصل (ذلك) يأتى إليه بالجارية.

جاء غلام التاجر إلى الموسم المعهود والمعهد المشهود ، وسأل ساكنى ذلك الموضع بتفحص بالغ واستقصاء تام عن مركز ومسكن الجارية ، وطلب عنوان

---

(١) فى نسخة استانبول (كنيزك) أى جارية .

دارها ، وحين صار معلوما ، ذهب إلى بيتها ، وقال بأتم وأشمل لطف وأكمل تواضع : إن سيدى يطلبك ! فأجابت الجارية : مرحبا بك وبمرسلك ، وجاءت معه إلى دار التاجر .

سألها التاجر : ما سبب أنك لم تخبزى الأقراص ولم تأت بالفطائر ؟ فقالت الجارية : حتى اليوم كان لنا بذلك حاجة ، والآن زال الاحتياج ولم تبق تلك الضرورة ! فسأل التاجر عن موجب العلة وسبب الحاجة ؟ قالت الجارية : كانت لنا حتى الآن على ذلك الأمر بواعث ودواع ، واليوم انتفت تلك البواعث ، وزالت تلك الدواعى . فسأل التاجر عن كيفية العلة وكمية الحاجة ؟ قالت : كانت قدم سيدى مصابة بداء السرطان ، وكان قد ظهر بها ورم قوى وانتفاخ عظيم ، وقال الأطباء : اعملى من لباب الدقيق والعسل كل يوم عجينة وكمدى عليه حتى تنضج المواد وتتحلل بالتدريج ، وظللت مدة شهرين أضع ذلك الطلى وأعمل الضماد ، وحين كنت أرفعه ، كنت أضيف إليه قدراً من الدقيق والسمن ، وأخبز الفطائر وأبيعها ! ! ! والآن قد فشّ الورم وانصرفت المواد ، ولم تبق لذلك حاجة بعد .

فلما سمع التاجر هذه الكلمات ، هاجت صفراؤه وقال ، عليك اللعنة وعلى سيدك ! وعلى اللعن وعلى هذا السؤال غير المناسب ! وحقا قالوا : طلب الغاية شؤم . ليتنى ما رأيتك أبدا ولم أشتر الفطائر منك ! ! وأراد من شدة الكراهة والنفرة أن تخرج جملة آلات بطنه مع أحشائه وأمعائه من المنفذ العلوى عن طريق القيء والاستفراغ ؛ اعتراه القيء والإسهال ، وانفتحت مخارج أسفله وأعلاه ، وبقى مدة فى عناء تلك العلة ومحنة تلك البلية ، ومهما كان يبذل من جهد حتى تتوارى صورة هذه الحادثة عن خاطره ، لم يمكنه ، وكان كل ساعة يقول لنفسه :

بيت (بسيط)

الله يعـــلم أنى لست أذكره   وكيف أذكره إذ لست أنساه[1]

بيت (هزج)

نيارم ازتو ياذ ايراكى كشتست   مرا بردل فرا موشى فراموش

والمعنى :

أنا لا أذكرك لأن النسيان صار منسيا بقلبي .

* * *

وحسنا يقول ذلك الحكيم فى هذا المعنى :

بيت (متقارب)

كلِ البقل من حيث تؤتى به   هنيئا ولا تســأل المبقلة

* * *

قلت هذه القصة من أجل ذاك : ليصير معيناً ومقرراً لدى الرأى الأنور ، والخاطر الأشرف الأعلى ، أنه كان ينبغى أن يُحتاط كثيراً فى أوائل الأمر ، فى الأمور المعضلة والمهمات المشكلة ، وأن تُتدبر الخواتم والعواقب ، حتى تخرج شمس اليقين من حجاب الاشتباه ، ويطل وجه المقصود مثل النهار المضىء العالم ، لأن أقوال وأفعال النساء غير معتمدة ولا معتبرة عنـد أى عاقل ، وأنواع مكرهن أكثر من أن تدخل فى الحساب ، والله تعـالى مع عظمته

---

(١) الله يعلم : البيت لأبى نواس .

وجلاله دعا كيد النساء عظيما ، كما قال : إن كيدكن عظيم[١] ، وجنب وحذر من ذلك . ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو بانى الدين ، وثانى الخلفاء الراشدين : استعيذوا بالله من شرار النساء ، وكونوا من خيارهن على حذر[٢] ! لأنه حين يميل نظر شهوتهن إلى شىء يتخلين عن الدين والدولة ، ينظرن إلى اللذة العاجلة ، ولا يتأملن العقوبة الآجلة ، العوج معجون فى طبيعتهن ، والكذب والنفاق ، والزور والشقاق ، مخلوط بطينتهن ، وإذا أجازنى السلطان ، فإنى أقول قصة من تأليف كذبهن ومكرهن ، وتصنيف حيلهن وغدرهن !
قال الشاه : قل !

١٨ — قصة زوجة الابن مع حميها ومعشوقها

قال الوزير النير الرأى ، الحلال المشكلات : طالت حياة سلطان وجه الأرض (ومَالِك كل ممالك الصين)[٣] فى ملاذ الرأى المتين ، وأنوار العقل المبين ، وجواد سعادته مُسرج ، وبسيط الأرض تحت فص خاتمه ، فى تمام الشهور والسنين ، والله تعالى الناصر والمعين !

هكذا حكوا عن ثقاة الرواة وعدول الكفاة ، أنه كان فى حدود كابل ، أو[٤] نواحى آمُل دهقان متدين ومصلح ، متعفف ومُتملح ، كان يقضى بياض النهار فى اكتساب معيشته ، ويقوم سواد الليل فى تحصيل طاعته ، كان يزرع ، ويأكل خبزه من حراثته وزراعته .

---

(١) سورة يوسف الآية ٢٨ .
(٢) هذه العبارة وردت فى الأصل كما هى بالعربية وأتبعت بترجمتها الفارسية .
(٣) (خسرو چين وماچين) هذه العبارة فى نسخة استانبول فقط .
(٤) (يا) فى نسخة طهران فقط .

وكانت له امرأة خِدن ثعلب فى وعدها ، صيادة أُسد بدلالها ، وجهها مثل نهار الصالحين ، وشعرها كليل الطالحين، وكان لها معشوق من هؤلاء !! سروى القد ، مليح التبختر ، جميل الوجه . وذات يوم كان الدهقان غائبا عن الدار ، فكان العاشق يطوف حول حريم بيته كالحجاج ، ويلوذ بكعبة وصاله ، ليقبل الحجر الأسود ، ويعظم المسجد الحرام ، وكانت المعشوقة واقفة على سطح القصر فلما ألقت عينها على العاشق ، هزت رأسها ومسحت بيدها على جيدها وأذنها وصدرها ، ونزلت من السطح ! لم يقف الرجل على تلك الحركات ، فجاء إلى بيته متحيراً متفكراً ، وشرح هذا المعنى لعجوز كان غبار رحى حوادث الأيام قد حط على رأسها ، وغسلت يد مشعبذ الزمان بماء الزعفران عارضها ، والتمس استصوابا واستعلاما من رأيها .

قالت العجوز: هكذا قالت : ابعث إلى بجارية بالغة ناهدة الصدر والنهدين ! فأرسل الرجل جارية بهذه الصفة وأعطاها رسالة على لسانها وسلم قائلا :

شعر (هزج)

كارِ منِ بيچاره بذان جاى رسـيد
كز يا رب من ترا بيـايذ ترسيذ

والمعنى :

لقد بلغ أمرى أنا المسكين إلى حيث ينبغى لك أن تخشى قولى يا رب !

* * *

فلابد لداء الفراق من دواء ، ولليل الهجران من انتهاء !

فلما أبلغت الجارية الرسالة والسلام ، تصنّعت المرأة الغضب وشتمت الجارية ، وسوّدت وجهها ، وأخذت يدها وأخرجتها من ممر ماء الكرم وقالت : هذا جزاء من يقول كلاما غير متدبر !

عادت الجارية وحكت ما جرى ، فتدبر الرجل الأمر مع العجوز فقالت : هكذا قالت لك : حين يُظلم النهار المضىء العالم ، وتعتم عين الشمس من الظلام ، تعال عندى من طريق ممر ماء الكرم ، فخرج الرجل على مقتضى هذا التدبير وقت صلاة العشاء ، ودخل قصر المعشوقة من طريق ممر ماء الكرم ، فخرجت المرأة وطرحت فراش النوم على حافة الماء ، وناما كلاهما فى مكان واحد ؛ وكان حمو المرأة يطوف حول الكرم لحراسة الحرث والزراعة ، فلما وصل إلى ذلك الموضع ، رأى زوجة ابنه نائمة مع رجل غريب ! فتقدم على مهل ، وخلع الخلخال من رجل زوجة ابنه ومضى ! استيقظت المرأة وعلمت ذلك ، فسرحت المعشوق فى الحال ، وذهبت عند زوجها ، ولما نامت مدة ، قالت : أيها الرجل ! الحر يخنقنى ! فقال الرجل : لقد اشتد بك الحر ، تعالى لنذهب إلى الصحراء ، فخرجا كلاهما ، وناما فى نفس الموضع . فلما انقضت مدة ، كان الزوج نائما فأيقظته وقالت : هذه الساعة جاء أبوك وسرق خلخالى ، وعرفت ذلك ، ولكنى خجلت أن أقول شيئاً ! فحنق الرجل على أبيه ، ولما جاء أبو الزوج فى الصباح وأراه الخلخال ، وحكى له ما كان قد رآه ، قال الابن : حقا قالوا : إن عداوة أبى الزوج وزوجة الابن ، مثل عداوة الفأر والقط ، ولا يمكنهما فى أى وقت أن يأمن أحدهما الآخر ! الليلة الماضية كنت أنا نائماً مع زوجتى فى ذلك الموضع !

بيت (طويل)

إذا كان وجه العذر ليس ببيِّن   فإن اطِّراحَ العذر خير من العُذر[1]

* * *

(١) إذا كان : البيت لمحمود الوراق ، نهاية الأرب ٣/٨٥ .

لقد أخطأت ! فخجل أبو الزوج ، وخرج من عند ابنه وقيذ القلب ، واعتذر الرجل لزوجه :

بيت (وافر)

أجارتنا إن القـــداح كواذب   وأكثر أسباب النجاح مع اليأس

***

من أجل ذلك قلت هذه الحكاية من حكايات النساء ، ليتضح لدى فكر الشاه المنير ، وخاطره الخطير ، أن النساء غير دينات وغير أمينات ، ويأتين بتخريجات وتصنيفات من خواطرهن المعكوسة ، وأذهانهن المنكوسة ، ويسرن على موجب أهوائهن ومرادهن ، ويطلبن مايروقهن وتسوله نفوسهن .

فلما سمع الشاه هذه الحكاية ، أمر بأن يؤخروا العقوبة ، ويحملوا الأمير إلى الحبس.

مجىء الجارية فى اليوم السادس إلى حضرة الشاه

حين وصل إلى سمع الجارية أن عقوبة الأمير تأجلت ، لأن واحداً من وزراء الحضرة قد ذهب لدى الشاه ، وجعله بفنون المواعظ وصنوف الزواجر يتردد فى إمضاء العقوبة ، وقال فى أنواع غدر النساء وأصناف مكرهن حكايات منعت زجر الأمير ودفعت تعريكه ، استولت عليها الضجرة والحيرة ، وغلبت عليها الفكرة والدهشة ، وقالت لنفسها : إذا صار فى هذا الأمر تأخير وتأن ، وتقصير وتراخ ، وأُطلِق عنانُ الحصان فى جولان هذا الميدان ، يخرج الأمر من يد التدارك ، ويقع تحت قدم الإهمال والإمهال ، ويُطلق الأميرُ فى اليوم السابع لسانَه ، ويقرر ترهاتى وهذياناتى ، ولا يبقى لى بأى حال أمل فى الحياة ، ويتحتم توطين القلب على مرارة العيش ، بل يجب اليأس من الروح الحلوة .

غاب عليها الجنون واستولت عليها السوداء ، فألقت بنفسها أمام تخت الشاه ، وطفقت تذرف من عينيها دموع الحسرة ، وتنخل فوق فرقها تراب الندامة ، وتصعّد آهة الكمد واليأس ، وتُوَهِّج نار صدرها وتقول :

شعر (سريع)

١ — وعدهٔ تو زان بدرنگ اندر است

کین دل مسکین بچنگ اندر است

٢ — تو رسن کار گرفتی فراخ

کارِ من امروز بتنگ اندر است

والمعنى :

١ — وعدك ممطول لأن هذا القلب المسكين فى قبضتك .

٢ — أنت أمسكت زمام الأمر رحباً ، وأمرى اليوم فى ضنك .

***

وبعد تقرير مراسم الخدمة ، وتحرير شرائط الدعاء والتحية ، أطلقت لسان التظلم ، وشرحت متاساة الشدائد والمكائد ، وقالت : ليكن جاه سلطان العالم ، وظل جلال الإله ، الذى عدله ملجأ الملهوفين ، وفضله منجاة المتأسفين ، متصاعداً ومترقياً دائماً فى مدارج العلو ، ومدارج السمو !

إن السلطان ـ وهو على ما يحب أولياؤه ـ قد كان دائماً متمسكا ومعتصما بحبل تقوى اليقين ، ووُثقى عروة الدين ، ومترديا ومتحليا برداء العدل وحلية الإنصاف ! وحتى هذه الغاية كان كل أمر أمضى بعزمه الماضى ، وكلُّ رأى نفذ بعقله الكامل ، مضموناً ومرعياً فيهما رضاء الله سبحانه وتعالى وتحرى مرضاته . واليومَ ـ بتحريك الساعى وتحريض النمام ـ ترك طريق السداد

والصواب ، ونحّى جانباً حرمة حدود الشريعة ، ورفس بظهر قدمه وجه التصون والتدين ، وحثا تراب المذلة والإهانة فى عين الصلاح والصواب ، وأفسح الطريق للاختلال والتوهين فى قوانين الإنصاف وقواعد الدين ، وأخلى وعطل روض الرياسة من جنة ورد السياسة ، فغداً حيثُ معرض المحشر ، والهول والفزع الأكبر ، أية حجة يوردها لهذا الإهمال والإمهال ، وبأية معذرة يتقدم ، وبماذا سيجيب عن هذه الكلمة : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ؟[1] .

شعر (بسيط)

إن كان سَرَّكُم ما قال حاسدُنا   فما لجرحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ
كم تطلبون لنا عيباً فنعجزُكم   ويكرهُ الله ما تأتون والكرمُ[2]

* * *

وأخشى أن يحدث للشاه من مشورة الوزراء عين ما حدث لذلك الأسد من مشاورة القرد ، وأن ينزل بوزرائه ملتوى الآراء الآمرين بالسوء ، نفس الداهية التى حلت بالقرد باستبداد الرأي ! قال الشاه : كيف ؟ قولى !

١٩ — حكاية اللص والأسد والقرد

قالت الجارية : ليبق السلطان العادل وملك الأقاليم السبع[3] ، فى الحكم بالعدل وتدبير المملكة ! حكوا أنه فى مواضى الدهور ، وسوالف السنين

---

(١) كلكم ، الحديث : راموز الأحاديث ٣٦٣ .
(٢) إن كان ، البيتان : المتنبى .
(٣) الأقاليم السبعة : كناية عن كل العالم .

والشهور ، أقام جماعة من القفل[1] على باب رباط[2] ، وانشغل كل منهم بما يحتاجه وقته ، وكان مع تلك الجماعة مال فاخر ، وتجمل وافر ، وكان صعلوك متوطنا بالرباط ، فلما[3] رأى تلك العدة والأهبة ، والمال والمنال ، طمع فى أنه حين يتردى العالم بالرداء القيرى ، يَزُجّ بنفسه فى القافلة ، ويمد يد الظفر إلى الغنيمة ، لأن مثل هذه الفرصة لا تتاح فى مدة ، ومثل هذه الحال لا تظهر فى حول ، وإذا حدث غفلة وتقصير فى الطريق ، تفوت الفرصة ، وبعد فوات الأوقات لا تسعف الندامة ، ولا يُربِح الندم . فلما خُضبت وجوهُ الآفاق الصفر وشعورها البيض بالسناج[4] ، وشُدّت طُنُب خيام الظلام بأوتاد الثوابت والسيارات[5] ، وقُوِّض سرادقُ ملكة السيارات[6] من ساحة الأركان الأربعة[7] .

شعر (متقارب)

كأن الجــوّ حِبٌّ مستزارٌ   يُرَاعى من دُجُنّته رقيبا[*]
كأن الجـــو قاسَى ما أقاسِى   فصار سوادُه فيـــه شُحوبا

***

(١) القفل : أفراد القافلة .
(٢) الرباط : بناء كبير تنزل به القوافل ، أو الفقراء ، أو يرابط به المجاهدون .
(٣) فلما « چون » فى نسخة استانبول فقط .
(٤) ما يترسب من مادة سوداء على جدران المداخن وزجاج المصابيح « هباب » .
(٥) هذا التعبير قريب من قول امرىء القيس فى معلقته المشهورة :
فيالك من ليـل كأن نجـومه   بأمراس كتان إلى صم جندل
وفى رواية أخرى :
فيالك من ليـل كأن نجومه   بكل مغـار الفتل شدت بيذبل
(٦) ملـكة السيارات : الشمس .
(٧) الأركان الأربعة : حدود العالم : الشرق والغرب والشمال والجنوب .
(*) كأن : البيتان للمتنبي .

أتم الصعلوك استعداده ، وخرج من باب ذلك الرباط تام السلاح ، وكانت ليلة فى غاية الحلكة والظلام :

شعر (متقارب)

١ — شبى چون شَبَه روى شسته بقير
نه بهرام پيدا نه كيوان نه تير

٢ — نه آواىِ مرغ و نه هُرّاى دد
زمانه زبان بسته از نيك وبد

والمعنى :

١ — ليلة مثل الشَّبَه[1] غسلت وجهها بالقير ، لا المِرِّيخُ بادٍ ولا زحل ولا عُطارد .

٢ — لا صوت طائر ولا عواء وحش ، كف الزمان لسانه عن الحَسَن والقبيح .

* * *

وقصد أن يجوس خلال القافلة ، ويُخرج شيئاً ، فرأى الحارس كان يدور حول القافلة ويرعى فى التقيظ والتحفظ شرط الحراسة واليقظة ، ومهما احتال الصعلوك أن يُحدث فُرجة ويسطو على طرف لم يُمكِنه ، ففكر فى نفسه قائلا : إذا عجزت عن الجرى، أمضى نحو المراغة[2]، فإن لم يحصل نصيب من الصامت، أحصلُ على شيء من الناطق ، والمصلحة أن أمضيَ إلى طويلة الدواب وآخذَ دابة فارهة ، حتى لا يضيعَ تعبى ولا يبطلَ سعيى ، وأعودَ بفال ميمون ؛

(١) الشبه : حجر أسود براق ، والبيتان الفارسيان للفردوسى .
(٢) المرّاغ والمرّاغة : مُتمرَّغ الدّابة .

فاندس بين الدواب . واتفق أن أسداً كان قد خرج تلك الليلة عازما على الصيد ، وكان فى حظيرة الدواب يخشى هول الحارس وإفزاعه ، ومنتظراً ومترصداً عساه أن تهدأ مشغلة القَفْل ، فيُخطِمَ بهيمة ويجعل منها شفاء ومرهما لجراحة مجاعته إذ :

مصراع (بسيط)

الجـــوع يرضى الأســـــود بالجيف

كان الصعلوك يخطو باحتياط تام ويتحسس بيده ظهور البهائم ، ليركب منها أيها يجدُها أسمن ، ويخرج بها من بينها ، وفى أثناء البحث والتنقيب وضع يده على ظهر[1] الأسد ، فبدا فى يده أحسن من بقية الأنعام ، وأحس أنه أسمن ، فوضع رجله فوق ظهره على الفور وركبه وركض خارجاً من بين الماشية متعجلا ، وسار الأسد من خوف سيف الصعلوك ، وكان الصعلوك يسوق مسرعا فى الأخاديد والجداول ، والأسد ينقادُ له سهلَ العنان سلِسَ القياد فى القاع واليفاع خوفا على نفسه :

بيت (كامل)

حتى إذا نـــثر التبلّجُ ورده متداركا فطفـــا على الريحان

شعر (مضارع)

١ ـــ صبح آمـــذ وعلامتِ مصقول بركشيذ
واز آسمـــان شمامهٔ كافور بردميـــذ
٢ ـــ درشـذ بچترِ ماه سنثا نهـــاي آفتاب
وز حيف ، شخصِ ماه سراندر سپركشيذ

(١) كلمة (پشت) أى ظهر : موجودة فى نسخة استانبول فقط .

والمعنى :

١ ــ أقبل الصبح ورفع العلامة المصقولة(١) ، وتنفست(٢) شمامة الكافور(٣) من السماء .

٢ ــ نفذت أسنة الشمس فى مظلة القمر ، وستر شخص القمر رأسه بالترس من الحيف .

* * *

عصفت صرصرُ عواصف الصباح ، وهوت زهور مزهرة الليل ، كأن يد الكليم البيضاء خرجت من جيب الأفق ، وازدردت عصاه حبائل سحرة فرعون . نظر الرجل(٤) فرأى نفسه راكباً على ظهر أسد مزير ! قال لنفسه : إذا ترجلت فى هذه الصحراء ، يقصدنى الأسد ، ولا طاقة لى بمقاومته ، وظل يركض كذلك حتى وصل إلى شجرة فتشبث بغصن منها وتسلقها مسرعاً ، وتخلص الأسد من محنته وقال :

بيت (خفيف)

إن لله بالبرية لطفـــــاً سبق الأمهـــات والآباء(٥)

---

(١) العلامة المصقولة : كناية عن قرص الشمس .

(٢) استعمال هذه الكلمة هنا محاكاة لقوله تعالى : والصبح إذا تنفس . سورة التكوير الآية ١٨ .

(٣) شمامة الكافور ، الكرة المتخذة من مادة الكافور العطرة الناصعة البياض، ويكنى بها فى الفارسية عن الشمس والقمر ونور النهار أيضاً بجامع البياض فى كل .

(٤) (مرد نـكاه كرد) أى نظر الرجل : هذه العبارة فى نسخة استانبول فقط .

(٥) إن لله ، البيت : لابن الرومى . الإعجاز للثعالبى ص٢٧٢ .

بيت (متقارب)

بهر حال مر بنده را شكر به   كى بسيار بذ باشـــد ازبذ بتر

والمعنى :

خير للعبد أن يشكر على أي حال ، فكثيراً ما يكون سيء أسوأ من سيء!

* * *

كان الأسد يمضى متعجلا خوفا من عودة الصعلوك ، فالتقى به قرد في أثناء الطريق فجأة ، فلما وقعت عيناه على الأسد ، خدم وأدى شرط العبودية والطاعة والخضوع وقال : لقد ظهر للملك شيء من الوقائع والحوادث ؛ إذ يمكن رؤية أثر التغير على هيئته وبشرته المباركة ، ويستطاع معرفة علامة التحير والتفكر فى ناصيته الميمونة ! وما موجب مجيئه على سبيل التفرد والتجرد إلى هذا الموضع غير المعهود ، والطريق غير المألوف ؟ إذا كانت ثمّ خدمة ، لغلامه أهليةُ مباشرتها ، فليأمر ، لتؤدّى شرائط الامتثال !

قال الأسد : الليلة البارحة ، كنت قد ذهبت إلى الموضع الفلانى طلباً للصيد ، ووقفت بين البهائم حتى أجد فرصة وأقنص صيداً ، فدخل لص عظيم جسور ، وصعلوك فى غاية السرعة والبراعة وعلا ظهري ، وظل يسوقنى فى اليفاع والقاع ، والأخاديد والجداول ، وكنت أنا أسيرُ خوفا من سكينه وسيفه إلى أن صيره الله تعالى آخر الأمر رحيما بى ، ومنّ على بالخلاص والمناص من قبضته ، فتسلق شجرة وتركنى ! قال القرد : لقد جاء تدبير الملك هذا خطأً إذ استسلم لحالة كهذه ، وليس لأى مخلوق من الحيوانات القوة والقدرة على أن يفكر فى هذه الجرأة مع الملك ، ويقاوم قوة عضده فى المقاتلة ، فإذا

رأى الملك ، فَلْيَعُدْ ، وليُرنى الشجرة لأجىء بالصعلوك[1] أمام الملك ، لينزل به جزاء جسارته وجرأته ، وتعديه وسفاهته .

فلما سمع الأسد هذا الكلام ، اغتر بدمدمة القرد ، وانخدع ودخل الجُوالُ مثل الضبع ، فعاد وتوجه مع القرد إلى الشجرة ؛ ورأى الصعلوك الأسد والقرد من بعيد ، فعرف أنهما يقصدانه ، وكان فى وسط الشجرة تجويف ، فدخل فى التجويف وجلس صامتاً ، وبمجرد أن قفز القرد فوق الشجرة وخرج إلى رأس التجويف ، أخرج الصعلوك يده من التجويف وأمسك خُصْيَتَى القرد بشدة ، وضغطهما بقوة حتى سقط القرد من الشجرة مغشياً عليه ، وأرسل روحه إلى خزانة مالكِ الجحيم ! فلما شاهد الأسد هذه الغلبة ، انصرف وولى منهزما ، وعد تلك الهزيمة غنيمة ، وقال لنفسه : الفرار فى وقته ظفر :

بيت (وافر)

فولوا بين ذى روحٍ مفاتٍ وذى رمقٍ وذى عقلٍ مُطَاشِ[2]

* * *

وقال : كل من يعمل بمشورة غبى جاهل ، وأحمق غافل ، لا يبلغ أى مراد أبداً ، ولا يظفر بأى مقصود ومطلوب ، ولا ينتصر ولا يبتهج ولا يُسر ، ولا يستطيع امتلاك العِنانِ على مركب أى الأمانى ، ومن أجل ذلك قالوا : مصاحبة الأحمق مذمومة ، ومجالسة الجاهل مشئومة :

بيت (كامل)

إن الجهـــولَ يضرُّ فى أخلاقه ضررَ السُّعالِ بمن به استسقاء

* * *

(١) كلة (صعلوك) موجودة فى نسخة طهران فقط .

(٢) فولوا ، البيت : المتنبى .

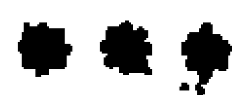
قلت هذه الحكاية من أجل أن لا يتأسف السلطان ولا يحزن ، كما حصل لذلك الأسد من مشاورة القرد الغبي الجاهل ، ولا يندم على ارتكاب هذا الظلم ، والرجاء فى فضل الله عز اسمه وثيق أن يصيب وزيره ما أصاب القرد ، وأن يرى عين ما رآه ! قررت هذه الكلمات ، وخرجت من عند الشاه مولولة وهى تقول :

رباعى

١ — رفتم چو ند يدم از تو برخورد ارى
٢ — وز صحبت تو بسى كشيدم خوارى
٣ — گر بذ بذم برستى از محنت من
٤ — ور نيک بذم بس كى مرا ياذ آرى

والمعنى :

١ — مضيت لما لم أر منك إعزازاً ،
٢ — وتحملت من صحبتك هواناً كثيراً ،
٣ — إن كنتُ مسيئاً نجوتَ من محنتى ،
٤ — وإن كنتُ مُحسِناً يكفى أن تذكرنى .



توجع السلطان وتألم من استماع هذه المقدمات ، وقال لنفسه : « هكذا قال الكبراء : المُلك عقيم ولا أرحام بين الملوك وبين أحد »(١) لو كانت صفة

(١) هذه العبارة الواردة بين القوسين ، موجودة بنسخة استانبول فقط .

السلطان أن يعفو ويغمض عن الولد والوصيل والأولياء والأقرباء في الاجترامات القبيحة ، والارتكابات الشنيعة ، لما جاءت « المُلك عقيم » في شأنه ، ولكانت « ولا أرحام بين الملوك » حشواً ، وفحوى هذه القضايا ، ومضمون هذه الإشارات ، أن السلطنة لا تحتمل المفسدة ، والرياسة لا تقبل المرحمة والشفقة ، والصلب والرحم ، لايدفعان ولا يمنعان العقوبة ، والقرابة والنسب ، لا يحولان دون العدل ، ولا يحجبان الإنصاف ، وإذا نظر السلطان إلى كل واحد من أولياء الدولة والمملكة بعين الرأفة والعاطفة ، وأهمل مصالح المُلك والدولة ، تختل المملكة وتنتثر ، ويُطل الحاسدون والقاصدون من أطراف الممالك ، ويطيلون أيدى التطاول والتعدى ، وتلك الغفلة تهيج الفترة ، والفترة تسبب زوال وانتقال الملك والدولة ! غلب عليه كثير من هذه الوساوس والهواجس، والمتخيّلات والمتوهّمات ، فأمر أن يعاقبوا ولده ، وأن يصيروه تاريخ جريدة العدل والإنصاف !

حين سمع الوزير السادس ـ الذى كان له فى بسيط المملكة تمكين الأركان الأربعة[1]، وعلى سماء الدولة تأثير ملكة الكواكب[2] ـ هذا الخبر ، وهو أن الشاه أمر بعقوبة ولده ، أرسل إلى الجلاد مسرعاً فى الحال وقال : توقف فى « إمضاء » عقوبة الأمير حتى أذهب لدى الشاه ، وأتكلم فى مصلحة توقف وترك تعجيل العقوبة ، وأشرح إحماد ترك المسارعة فيها .

---

(١) الأركان الأربعة هى حدود العالم الأربعة : الشرق ، والغرب ، والشمال ، والجنوب .

(٢) ملكة الكواكب : كناية عن الشمس .

مجىء الوزير السادس إلى حضرة الشاه

ذهب الوزيرُ صاحبُ التدبير مُقيمُ الملوك[1]، الذى كان صائب الرأى عليماً بالمصلحة ، لدى السلطان ، وبعد إقامة مراسم التحية ، وتقرير لوازم الخدمة ، قال : إنى لأعجب من رأى الفاتح المنير ، وهو منبع إفاضة أجرام السماء ، ومرجع إفادة آثار الكواكب ، ومجتمع ومتوافر له مع فراسة إياس كياسة عمرو بن العاص ، ومع دهاء النعمان ذهن لقمان ، وحلّال مشكلات الحوادث ، ومفرج معضلات النوائب ، أن يقع فى الغلط فى حادثة بهذا الجلاء ، وواقعة بهذه السهولة ، وأن تستطيع أباطيل أقوال كذابة ناقصة عقل ، أن تحجب شمس رأيه الزائن العالم ، فيأمر بتعجيل عقوبة بهذه الجسامة ، بلا وضوح دليل أو ظهور يقين ، ويستجيز الإقدام على اقتحام واقعة بهذه الغرابة ، ولأن يضع ابنه ، الذى لا يمكن البدل والعوض منه فى مقياس العقل ومعيار الفهم ، فى موازنة مع ذاتٍ يمكن أن يكون أى فرد من أفراد العالم بديلا منها ، ويرجح القصدير المغشوش على الذهب الخالص ، بعيد عن كمال عقل السلطان وإمعان نظره ، وقريب من فترة الروية وعطلة الفكرة ، وإذا أُنفذت هذه المهمةُ الوخيمة ، والحادثةُ الجسيمة ، ومرت على أسماع ملوك العصر ، ينسبون رأيه إلى الركاكة والسخافة ، ويطل المزاحمون والمفسدون برءوسهم من جوانب وأطراف العالم ، ويتوافقون ويتطابقون مع بعضهم البعض ، ويفتحون عيون الطمع فى المُلك والدولة ، ويطيلون أيدى التعرض ، ويجدون فى تقويض أبنية الدولة العالية ، وتهديم وإعدام قواعد المُلك والملة ، وعندئذ لا يؤثر ولا يثمر ، ولا يفيد ولا يجدى التوجع والتفجع ، والتحسر والتأسف ، ويحل بالسلطان

---

(١) أى الذى يمهد الأمور لتولى الملوك .

ما حل بذلك الزاهد الجاهل والعابد الأبله ، من استخارة امرأته واستشارتها !
فسأله الشاه : كيف ؟ قل !

٢٠ — حكاية الزاهد والجنى ومشاورة المرأة

قال الوزير : ليكن بقاء عمر السلطان دائماً كما يهوى المحب ! هكذا حكوا أنه كان بناحية كشمير زاهد ، كان يقضى الأنهار[1] فى العبادة ، ويسهر الليالى فى الطاعة ، كان يحيا فى زي التدين والصلاح ، ويسير فى لباس التصون والعفاف ، وكان أحد مشاهير العفاريت وجماهير الجن ، يصاحبهُ فى المخالطة ، ويوافقه فى المجالسة ، ويتحد معه فى الاعتقاد ، ويقضى الأيام بمؤانسة مشاهدته العزيزة ، وكلما كانت تحدث للزاهد داهيـة أو نازلة ، وتنزل به واقعـة أو عارضة ، كان الجنى يعينه ويظاهره فيها بإمكان قدرته ، وقصارى طاقته ، ويرى العناية والشفقة واجباً . وفى جملة الأمر ، كان للزاهد بائتلافه واختلاطه قوة واستظهار تامين ، وبمكانه ، مكنة واعتداد وافرين .

وذات يوم كان الزاهد فى متكأ طاعته ، ومأوى مكان عبادته ، قد فرغ من الأوراد[2] ، وأسند ظهره إلى المحراب ، وإذا بالجنى دخل ، وجثا على ركبتيه باحترام أمام الزاهد وقال : أيها الصديق المشفق والرفيق الموافق ! لقد حدث لى مهم ، وعرض لى سفر شاق إلى العراق ، ولا يمكن أن يُعْرَف على أى جملة تكون الأحوال ، وكم تكون مدة المقام ، وجئت لأودعك وأستأذنك ، وأتيتك بثلاثة أسماء تحفةً ، من أسماء الله العظمى ، عز اسمه ،

---

(١) الأنهار والنهر — بضم النون المشددة والهاء — : جمع نهار .
(٢) فى نسخة استانبول « طاعت » وفى نسخة طهران « اوراد » .

وهي زبدة الأسماء ، ومقدمة إجابة الدعاء ، ومقلاد الخيرات ، ومفتاح باب الحسنات ، حتى إذا ما عرضت مهمة ، أو ظهرت معضلة ، تدفعها وترفعها بهذه الأسماء :

رباعى

١ ــ رفتم كى مباذ بى تو خوش يك نفسم
٢ ــ وز گردش روزگار اين داغ بسم
٣ ــ گر مرگ نخـــيزد ونيايذ سپسم
٤ ــ آخر روزى بخـــــــدمت باز رسم

والمعنى :

١ ــ ذهبتُ ، لا طابت لى لحظة بدونك ،
٢ ــ ويكفينى هذا الكى من تقلب الزمان ،
٣ ــ إذا لم ينهض الموت ولم يجيء فى إثرى ،
٤ ــ أعود يوماً لخدمتك آخـــــر الأمر .

***

فتأسف الزاهد كثيراً على مفارقته وقال : نعم ! هذه هى عادة الزمان الغدار ، يفرق بين الأحباب المخلصين ، ويذيق الأخلاء المشفقين ألم الفراق فى مهامه الاشتياق :

بيت (متقارب)

كذاك الليالى وأحداثها   يجددن للمرء حالا فحالا

***

ولكن بناء عقيدة الإخوان الخالصة ، يقوم على عقائد الضمائر ، وقواعد السرائر ، لا على الشواهد الظاهرة ، ومهما تكن المسافة بينهما بعدَ الخافقين ، فإنهم يقرأون صحائف الضمائر من جرائد سرائر بعضهم البعض ، بنور صفوة العقل ، وقرب المودة ، واتحاد الروح ، ويرون ويعرفون دُرْجَ ضمير أحدهما الآخر ومضمونات دَرْجِ خاطره ويقولون :

بيت (رمل)

روحه روحى وروحى روحه من رأى روحين عاشا فى بدن[1]

بيت (هزج)

أوهام مصافيان ، چوگردذ صافى به ببنند بدل هر آنچ بينند بچشم

والمعنى :

أوهام المصافين حين تصفو ، يرون بالقلب كل ما يرونه بالعين .

***

ثم إنه تعلم وحفظ هذه الأسماء الثلاثة ، وودع الجنى ، وظل يتقلب على فراش التأسف والندامة ويقول لنفسه :

بيت (وافر)

بقائى شاء ، ليس هُمُ ، ارتحالا وحسنَ الصبر زموا لا الجمالا[2]

---

(١) هذا البيت شبيه بالبيت التالى :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

(٢) بقائى ، البيت : للمتنبى ، وموجود فى نسخة استانبول فقط .

بيت

أستودع الله إلفا كان لى ظعنا   لم تألف العين مذ فارقته وسَنا[1]

شعر (خفيف)

١ — درجهان چيست كزجهان بترست   جز غم من كى هر زمان بتر
٢ — دست بازى اختران كشت   پاى بازى آسمان بتر
٣ — زان ستمها كى دهر بامن كرد   فرقت يار مهربان بتر

والمعنى :

١ — أى شىء فى الدنيا أسوأ من الدنيا، غير غمى الذى يزداد كل وقت سوءاً؟
٢ — شعوذة الكواكب قتلتنى ، ورقص السماء أسوأ .
٣ — وأسوأ من تلك المظالم التى ارتكبها معى الدهر ، فرقة الحبيب العطوف .

***

لما رأت المرأة انقباض قلب الزاهد[2] وانكساره ، شاركته وساهمته فى ذلك الباب على سبيل الموافقة ، والتزمت مطابقة ، ومظاهرة شرائط الصحبة ، وسألت الرجل بلطف : ما السبب فى أن القلق والاضطراب ، والحرقه والالتهاب ، وآثار الضجرة والحسرة ، بيِّنة على جبينك ؟ قال :

شعر (وافر)

وكانت بالعراقِ لنا ليالٍ   سرقنا هُنَّ من رَيْب الزمان
جعلنا هُنَّ تأريخَ الليالى   وعُنوانَ التذكر والأمانى

(١) استودع ، البيت : موجود بنسخة طهران فقط .
(٢) فى نسخة طهران فقط، وفى نسخة إستانبول استعمل ضمير الغائب للفرد مكان الاسم .

رباعی

١ — گرد آمده بوذیم چو پروین یکچند
ایمن شده از بلا وز بیم گزند
٢ — ما ناکی نبوذیم ز وصلت خرسند
کایزد چو بنات نعش ، مان پراگند

والمعنى :

١ — كنا متجمعين مدة مثل الثريا ، آمنين البلاء وخوف الأذى .

٢ — كأنا لم نكن راضين بوصلك ، ففرقنا الله مثل بنات نعش .

* * *

صديق من جماعة الجن كنت كثير الاعتماد على مكانه ، ورفيق من طوائف العفاريت كنت مستظهرا بمحبته وإخلاصه ، وكنت أقضى العمر بمؤانسته ، وأعد أيام مواصلته من نفائس الأعلاق وذخائر المواهب ، ذهب اليوم فى سفر قصى ، وترك لى مدخرا أستطيع أن أعتضد واعتد به فى عوائق الأيام وعلائق الأحداث ؛ فالآن قولى بأى مهم يمكن أن يكون احتياجنا أكثر ، لنصرف هذه الأسماء الثلاثة ، التى هى ذخيرة عمرنا ، فى هذا المراد ، ونلتمس إجابة الدعوة من حضرة العزة ، ونعرض حوائجنا ومصالحنا بسرادقات جلال ذى الجلال ، ليحصل لنا ادخار واستظهار فى مستقبل الأيام ، ويكون راحتنا ورفاهتنا فى باقى العمر ، لأن هذه الموهبة من ربنا ، خير من الكنز القارونى[1] والشايجانى[2] !

(١) كلمة « قارونى » نسبة الى قارون ، غير موجودة بنسخة طهران .

(٢) شايجانى تعريب شايگانى SHa - Ye - Gani الفارسيه ، نسبة إلى شايگان ومعناها الواسع الكبير ، وكان أحد كنوز كسرى أبرويز الملك الساسانى يسمى گنج شايگان ، أى الكنز الكبير وهو المقصود هنا ، وقد ذكر بمناسبة ذكر كنز قارون .

قالت المرأة : أيها الرجل ! إن حاجة النساء وهمتهن ونهمتهن ، ليست أميل ولا أرغب فى أى شىء ، منها فى أن تكثر آلات مباشرة الرجال ، وأن تكون خواطرهن وقلوبهن آمنة وساكنة ومرفهة بهذا النوع ، ولا تنظر أعينهن بشهوة إلى غيرٍ ، ولا تميل ضمائرهن أو تريد آخر ، فالصواب أن تدعو وتشفع اسما ، ليُكثر الله آلة وقاعك وأهبة دفاعك ؛ فاغتر الزاهد بهذه الخُدَع مثل كل البُلَهاء ، وانخدع بها مثل سائر الأغبياء ، ونهض فى الحال وتطهر ، وصلى ركعتين بخشوع ، ورفع قصة سره إلى حضرة الغنى ، وبسط يد التضرع وقال بابتهال وتذلل : اللهم أجب دعوتى ، إنك مجيب الدعوات ، واقض حاجتى ، إنك قاضى الحاجات ، إنك تعلم سر قلبى — أنا عبدك — ومكنون ضميرى ، (اسألك) أن تقرن حاجتى بالإجابة ، بحرمة اسمك الأعظم هذا !

فما كادت تتم هذه المناجاة ، حتى ظهرت مخايل الإجابة ، وعلامات القبول ، وبرزت من كل جزء من أجزائه آلة أخرى !

فلما رأى الزاهد نفسه على تلك الصفة ، ذُعِر ، والتفت نحو امرأته وقال : ألا عليك وعلى حاجتك النقمة واللعنة ، إذ صيَّرتنى معيوبا ومِسْخاً ! وقد قال الحكماء حقا : إن كل من يعمل بمشورة وتدبير الجهال ، لا يرى أبداً وجه المطلوب ، ولا تقع عينه على جمال المقصود .

بيت (هزج)

من ارازتو سخن خوردم عجب نيست نخست آدم سخن خورد ست از إبليس

والمعنى :

إذا انخدعتُ بكلامك فلا عجب ، فقد انخدع آدم أولا بكلام إبليس .

* * *

أى رأى كان هذا الذى ارتأيتيه ، وأية طلبة كانت هذه التى طلبتيها ؟

قالت المرأة : أيها الرجل ! لا تأس ولا تهلع ! فإنه ما يزال معنا اسمان كبيران ، هما قائدا الدعاء ، وأعظم الأسماء ، فاسأل حاجتك مرة أخرى ، ليذهب الله تعالى بها جملة ، ويردك إلى صورتك. فرفع الزاهد يديه مرة أخرى ، وقال بلسان التضرع والتخشع : اللهم يا مجيب دعوة المضطرين ، يا إلهى جل شأنك ، استرد هذا الذى أعطيت ، واعف عنى واغفر لى هذه الجرأة ! فما أتم هذا الكلام ، وما شرح قصة غصته هذه ، حتى انتفى وانعدم واختفى ، ما كان على أعضائه من آلات الرجولة مع آلته الأصلية جملة ، وبقى الزاهد بلا أية آلة ، مثل المجبوب والمسلوك ! فالتفت إلى امرأته وقال : أيتها الدنسة الجسور ! ألقيتنى فى الهلاك ! بموجب إرادتك صرت مسخا دفعة واحدة هكذا ، وبمقتضى إشارتك ودلالتك أيضاً ، بقيت بغير آلة رجولة كذلك ! لقد ذهب منى العضو الذى كان واسطة التوالد ، والجزء الذى كان وسيلة التناسل ، عيب هذا ممن ؟ وما تدبير تحصيل ما ذهب منى[1] ؟ قالت المرأة : أيها الرجل ؟ أنت تعرف اسما أعظم آخر ، فاذكره واعرض حاجتك ، ليعيد تلك الآلة الأولى[2] ، فدعى الزاهد مرة ثالثة ، وشفع الاسم الثالث ، حتى أعاد الله تعالى إليه آلته الأصلية[3] ، ورده إلى صورته الأولى ، وضاع من يد الزاهد كل الأسماء الثلاثة العظمى ، ولم يصل إلى أية حاجة أو رغبة[*] ، فقال : هذا جزاء من يسير باستصواب واستملام النساء ، ويعمل باستشارتهن واستخارتهن .

---

(١) نص عبارة نسخة استانبول «وتحصيل اين ازچه» والمعنى وتحصيل هذا مم !

(٢) هذه الكلمة « أول » غير موجوده بنسخة طهران .

(٣) بنسخة استانبول « أول » .

(*) جاء فى آخر ص يط و ص ك من مقدمة «قابوسنامه» طبعة مكتبة فروغى =

شعر (متقارب)

از آن کرده بی شک پشیمان شــــوی
کی در وی بگفتارِ نادان شــــوی
چنین دان کی نادان ترین کس توئی
اگر پندِ دانند گان نشـــــنوی

والمعنى :

إنك تندم بلا شك من هذه الفعلة ، التى تتورط فيها بقول الأحمق .
واعلم كذلك أنك أجهل إنسان ، إذا لم تسمع نصح الحكماء .

* * *

وضاع من يدى الأسماء الثلاثة الكبرى ، التى كان يصل إلى ببركتها ثلاثة أعمال عظمى ، وثلاثة مهام كافية ، وكنت أطل برأسى إلى نهاية عمرى

= بطهران سنة ١٣٤٢ هـ . ش / ١٩٦٣ م ، بتحقيق الأستاذ العلامة الكبير المرحوم سعيد نفيسى، نقلا عن القاضى أحمد الغفارى فى كتاب «تاريخ نگارستان —Negar—Stan.» طبعة بمباى بالهند سنة ١٢٧٥ هـ . / ١٨٥٨ م . ، ص ٣٢٤ ، حكاية شبيهة بهذه الحكاية فى مغزاها ، خلاصتها كما يلى :

من الحق جل وعلا ، على رجل صالح من بنى إسرائيل، بثلاث دعوات مستجابات، فطلبت إليه امرأته أن يخصها بواحدة منها ، بأن يدعو ربه أن يجعلها أجمل نساء بنى إسرائيل ، فلما أجيبت دعوته ، حتى اغترت المرأة بجمالها وسلكت طريق الغواية ، فثارت حمية الرجل ، ودعا عليها فمسخت كلبة تعوى !

ولما رأى أولادها ذلك بكوا ، والتمسوا من أبيهم أن يصفح عنها ويدعو لها بخير، ليعيدها الخالق ، جلت قدرته ، إلى صورتها الأولى ، فرق لها ، وتوجه إلى الله تعالى بالدعوة الثالثة والأخيرة ، فنجت من المسخ ! ولم يفد الرجل الصالح ، بشؤمها ، شيئاً من هذه المنة الإلهية .

من جيب الفراغة[1] ، ولم تر عينانا وجه أية أمنية ، ولم تدفع بها أية داهية ، أو ترفع أية نازلة ، وكان يمكن أن تكون ذخيرة الأيام المستقبلة ، وأن ينال منها راحة فى أوقات المحنة :

بيت (كامل)

لو كانَ هذا العلمُ يُدْرك بالمنَى   ما كان يبقى فى البرية جاهلُ

* **

قلت هذه الحكاية من أجل أن يعرف السلطان أن تدابير النساء غير مفيدة ، ومشوراتهن غير نافعة ، وأن أكاذيب أقوالهن ، وأباطيل أفعالهن ، لا تخلو من الضرر والأذى ، وكل من يسير فى بادية أهوائهن ، لا يصل أبداً إلى كعبة النجاح ، ولا يرى جمال الفلاح ، ولا يشاهد طلعة المطلوب فى مرآة النُّجح ، والشاه يعلم أن نصائح عبده تجىء من قبل الإخلاص والاختصاص ، ومواعظه تظل من كمال صفوة العقيدة ، لأن تقرير نصيحة العبيد المخلصين ، من لوازم شريعة المروءة ، حتى لا يُسْلِمَ السلطانُ ولدَه ، وهو دُرُّ صَدَفِ لطف الشاه ، وشُرَفُ قصرِ شرفه ، ليد تمساح التَّلف ، ولا يضعَ نفسه فى قبضة عُقاب الأسف :

شعر (بسيط)

دع حبهن فإن الحبَّ إشراك   وإنهُن لقلب الصَّب أشراك

(١) الفراغة : السعة .

إذا تأمّلتَ ما فيهن من خُلُقٍ   فليس يجمعها حدْسٌ وإدراكُ

***

وللنساء خُدَعٌ وحيلٌ كثيرة ، لا يصل الإحصاء إلى استقصائها ، وعد ذرّات رمال الصحراء أسهل من تعداد أنواع مكرهن :

شعر (خفيف)

١ — بر زنان دل منه از آنكه زنان
مردرا كوزهٔ فُقّع سازند
٢ — تا بوَد پُر زنند بوسه بر او
چون تهی شد ز دست بيندازند

والمعنى :

١ — لا تعول على النساء ، لأن النساء ، يجعلن الرجلَ قَعْبَ فُقّاعٍ[1]
٢ — يُقَبّلنه ما دام ممتلئاً ، فإذا فرغ ، ألقينه من أيديهن .

***

وإذا أُجِزْتُ ، فإني أقول حكاية من مكر النساء ، فقال الشاه : قل !

(١) الفقاع : كرمان ، الشراب يتخذ من الشعير ، سمى به لما يعلوه من الزبد .

٢١ ـ حكاية العجوز والشاب مع امرأة البزاز

قال الوزيرُ صاحبُ الرأي الثاقبُ التدبيرَ ، الذى كان فتىّ البخت ، بازلَ[١] الرأى : هكذا رُوِىَ أنه كان فى قديم الأيام ، فى مدينة زاوُل ، شابٌ كأنه مُجتلَى وشى وصور ، جعدُ الشعر ، وثيرىٌّ العطر ، وعذاره مشرقٌ مثل كوكب المشترِى ، ورديٌّ الخد ؛ كان وجهُه طرةَ وخالَ عروسِ الكمال ، وقدُّه سروَ روضة الحسن والجمال :

شعر (كامل)

وجهٌ كضوء الفجرِ أظلم حولَه ... من شعرها المفتولِ عشرُ ليالِ

فكأنما صُبغَ الدجى من صُدْغها ... أو عينِها أو خالِها أو خالى

* * *

كان يتجول فى أطراف المدينة على سبيل الطواف ، ويطوى مسالك الطرق والأزقة بقدم الاشتياق ، ويبحث عن مؤانَسة واستئناس لنفسه المهجورة وقالبه المُعنَّى ، ويُسلِّى قلبَه الحزين وروحَه المهمومة .

وفى أثناء هذا التجوال والبحث ، مر بباب بيت حسناء كالبدر ، فرأى سروةً تتبختر فى البستان ، بقامة يحسدها شجر الدُّلب ، وخد يغار منه الجُلَّنار ، فرعُها[٢] وَهَقٌ يأسر القلوب ، وغمزتها سنان يصيد الأرواح ؛ ذات مائة ألف لون كالربيع ، ومائة ألف مكر كالزمان ؛ جمالها يُغير الشمس ، ووجهها يحسده البدر ، ممشوقة القد ، مبسوطةُ الخد ، نحيلةُ الخصر ، مُمتلئةُ الرِّدف ، لها مقلتا الغزال :

(١) البازل : الرجل الكامل فى تجربته ، استعملتها هنا فى مقابل كلمة « پیر » الفارسية ، ومعناها : الشيخ . والترجمة الحرفية : الذى كان ذا بخت شابٍ ورأى شيخ .

(٢) فرعها أى شعرها .

شعر (مضارع)

في خــــده التلألؤ في ثغره الشّنَب .[1]

في عينــــه التّلفُّت في خصره الهيف .

***

رخساره و دو زلفشن كالبدر والدجى

خط خدو دو لعلش كالتمـــر والسّعف

وللمعنى :

عارضه وصدغاه[2] كالبــــدر والدجى

خط خده وشفتاه كالتمـــر والسعف

***

فلما وقعت عين الفتى على جمالها ، أسلم قلبه للريح بنظرة واحدة ؛ أقبلت نار الحيرة ، وأحرقت دار العافية ؛ جاءت يد الغيرة ، وأودت ببيدر الصبر ، وحط سلطان العشق محمله في منزل القلب ، واستودع شِحنَة[3] الهجرِ الأحداثَ

---

(١) الشنب : ماء ورقة وبرد وعذوبة فى الأسنان .

(٢) الصدغ : بالضم ، ما بين العين والأذن ، والشعر المتدلى على هذا الموضع ، وهو المقصود هنا .

(٣) الشحنة : بالكسر من فيه الكفاية لضبط البلد من جهة السلطان « مدير الأمن حاليا » .

جوهر الصبر ، واشتعلت فى قلبه شرارة الشوق ، وجعلت مادة الاصطبار فى حد الاضطرار ، وقال لنفسه :

بيت (الخفيف) :

كم قتيـــل كما قتلت شهيد
ببياض الطـلى[1] و ورد الخدود[2]

شعر (هزج)

آن شـد كى دلم بهر درى شد
هر لحظه اسـير دلبرى شـد
دل بر تو نهـادم و برين قول
رويم ز سرشك محضرى شـد

والمعنى :

لقد حدث أن مضى قلبى إلى كل باب ، وغدا فى كل لحظة أسير حبيب ، عولت عليك وعلى هذا القول ، فصار وجهى محضراً[3] من الدمع .

***

(١ ، ٢) الطلى بالضم الأعناق وقيل أصولها جمع طلية وقيل طلاة ، والبيت للمتنبى .

(٣) المحضر وثيقة الإثبات الموقعة ، والاستشهاد بالدمع مشهور شائع ، يقول الإمام البوصيرى فى بردته :

وكيف تنكر حبا بعدما شهدت ... به عليك عدول الدمع والسقم

كان يصعّد من صدره آهة اليأس ، ويذرف من عينيه الدمع السخين ، ووصل تلك الليلة بالنهار بمائة ألف أرق وقلق ، وكان يقول لنفسه :

شعر (كامل)

أرق على أرق ومثـــلى يأرق
وجوًى يزيد وعـــبرةٌ تترقرقُ[1]
جُهـــد الصبابة أن تكون كما أرى
عينٌ مُسهّدةٌ وقلبٌ يخفقُ

***

وكان فى جواره عجوز قد أفل نهار عمرها ، وانقضى صبح حياتها ، مكارة غدارة ، رابعية الصورة[2] زوبعية السيرة[3] ، كانت تُصفِّد يد إبليس بالتلبيس ، وتُقيد رجل الشيطان بالمكر ؛ تخلط معجون القيادة ، وتبيع تعويذ العشق .

ذهب عندها الفتى صباحا ، وذكر لها طرفا من قصته ؛ أراها تفسرة[4] القلب ، ووضع أمامها نبض العشق ، وقال :

---

(١) أرق : البيتان للمتنبي .

(٢) رابعية الصورة : أى فى صورة ومظهر رابعة العدوية العابدة الورعة المشهورة .

(٣) زوبعية نسبة إلى الزوبع أو الزوبعة ، اسم شيطان أو رئيس الجن ، قيل : ومنه سميت الإعصار زوبعة .

(٤) التفسرة : الزجاجة التى يوضع فيها بول المريض ويحمل إلى الطبيب لفحصه .

بيت (هزج)

نبضِ دلِ من ببين وآنگه بدليل
بيمارى عشـــق را علاجى فرماى

والمعنى :

انظرى نبض قلبي ، ثم مرى بالدليل بعلاجٍ لداء عشقى !

* * *

رأت العجوز مزاجه ، وعرفت علاجه ، وقالت : زوجُ هذه المرأة بزّاز بالموضع الفلانى ؛ غداً حين يطير أشهبُ الصبح ، ويتوارى غراب الليل خوفا منه فى عُش العدم ، تعال هناك ، واشتر من ذلك البزاز ثوبَ أطلسَ قيمٍ بأى ثمن يقوله ، وقل له كذلك : إنى أشتريه من أجل حبيب ، ثم اعطنى الثوب وقل : أوصلى هذا الثوبَ لحِبِّنا ومهدى كثير الأعذار ؛ لأرى بعد ذلك ما يعرض لى ، فأقدم ما يقتضيه الوقت وتبديه المصلحة ، أمضى الشاب فى اليوم التـالى تلك العزيمة ، على مقتضى رأى العجوز ، ثم أعطاه للعجوز ، وقدم ما وجب من الوصايا في ذلك الباب وقال : سلميهم هذه الهدية المحقرة ومهدى عذر التقصير ! ثم انصرفا كلاهما .

توقفت العجوز ساعة ؛ وبمجرد أن مالت ملـكة السيارات[1] عن سَمْتِ الرءوس ، أخذت الثوبَ ، وذهبت إلى دار السيد البزاز ، وسلمت على امرأته ،

---

(١) ملـكة السيارات كناية عن الشمس .

وسألتها الكرمَ ، ومكنت وأحكمت بتأسيسَ قواعدِ المحبة ، وتأكيدَ بنيان المودة ، وقالت :

بيت (هزج)

گر خدمتِ ما ترا فراموش شد ست

مارا حقِ نعمتِ تو با دست هنوز

والمعنى :

إذا نسيتَ خدمتنا ، فإننا ما نزال نذكر حق نعمتك .

***

وظلت تنفث عليها دمدمتها وسحرها ، وفي خلال ذلك طلبت طعاما ، وانشغلت المرأة بإعداده ، وتخلل ذلك برهة توقف ، فدست العجوز الثوب تحت الوسادة ، ولما أكلت شيئا ، خرجت .

كانت امرأة البزاز غافلة وساهية عن مكرها وغدرها ، وفي المساء ، حين فرغ البزاز من البيع والشراء ، والأخذ والعطاء ، عاد إلى البيت ، فوقعت عينه على طرف الوسادة ، وكانت أطراف الوسادة تبدو للنظر متفاوتة ، نظر ، فوجد في بيته في المساء الثوب الذي كان قد باعه في الصباح !

لقيت خيالات المحال مجالا في خاطره ، وتداخلت الظنون الفاسدة في باطنه ، واستولت الوساوس والهواجس على دماغه وقلبه ، وقال لنفسه : لقد اشتري الثوب من أجل بيتي[1] ، وكان ذلك الشاب معشوق امرأتي !

---

(١) هذه الكلمة (بيتي) يكنى بها عن الزوجة في البيئات الشرقية التي يسودها الحجاب ، كما يقال في بعض هذه الأوساط حتى الآن (جماعتي) و (حرمي) في هذا المعنى .

« كان يتوارد على خاطره كثير من هذه التخيلات والتوهمات إلى حد أن اضطربت صفراؤه وغلبت سوداؤه ، فأخذ عصا وحطم ظهر امرأته وجنبها طلبا ، وأنزل بها بالغ التعريك والتأديب ، وخرجت المرأة من البيت وهى لا تدرى موجب هذا التأديب ، وذهبت إلى دار أبيها وأمها .

وفى اليوم التالى ذهبت العجوز إلى باب بيت البزاز متفحصة عنها ، ولما علمت القصة ، جاءت إلى المرأة وقالت على وجه المحبة :

بيت (هزج)

دورى نه از آن روى چو مه مى دارم

جانِ تو ، كى تخفيف ، نگه مى دارم

والمعنى :

لا بعد لى عن ذلك الوجه الذى يشبه القمر ، إننى أرعى التخفيف وحياتك .

***

ثم سألتها : ما موجب هذه المكاوحة ، وأسباب هذه المكاشفة ؟ ومن أجل من هذا التعذيب والتشديد ؟ فأطلقت امرأة البزاز لسان الشكاية ، وشرحت القصة الماضية وقالت : يا أماه ! مهما أعملت خاطرى ، لا يعلم لى أبداً ماذا كان باعثه وداعيه إلى هذه الجفوة ، ففعل فى حقى هذا بدون جرم ظاهر أو جناية معلومة ، وأكثر إيذائى ومطالبتى ، ولا أعرف لنفسى مقدمة تهمة ، أو موجب خيانة وظنة ، تستوجب هذا العتاب والعقاب ، والتهديد والتشديد ، ويمر بخاطرى كل أنواع التصورات والتوهمات ولكنها لا تتحقق ولا تصح لدى .

قالت العجوز : لكل أمر غاية ، ولكل داء دواء ؛ بالموضع الفلانى حكيم عالم ، ومنجم أستاذ ، يجيد الإلمام بعلم التنجيم ومعرفة التقويم[1] ، ويخبر عن مكنونات الضمائر ، ومضمونات البواطن ، يعرف مالم ير ، ويقرأ ما لم يسمع ، يتكلم فى المغيبات ، ويبين السرائر والضمائر ، كل من يحدث له فى هذا البلد واقعة مُبهَمة ، أو حادثة مُعظمة ، فإنه بصفاء رأيه النير يفك تلك العقدة ، ويحُل المشكل المعضل ، وله فى الحب والبغض ، والحل والعقد ، والسحر والنيرنج ، يد « موسى » البيضاء ، ونفس المسيح ، بحيث يستخرج بسحره الحوت من البحر ، ويستنزل الطير من السماء .

أوردت كثيراً من هذه الترهات المموهة ، والمزخرفات المزورة ، حتى رضيت المرأة أن تذهب فى الحال وتراه . فقالت العجوز : امكثى حتى أطّلع وأرى أهو حاضر فى البيت أم لا ؟ ثم ذهبت إلى الشاب وقالت : تهيأ لوصول المقصود وورود المطلوب :

بيت (رمل)

طلع الصبحُ على أسعد فالْ　　فاشرب الراح على أحسنِ حالْ

بيت (رمل)

صبح بنموذ در آفاق ، جمال　　خيز بُركن قدحى مالا مال

(١) جاء فى نسخة استانبول بعد كلة (تقويم) هذه الكلمات الثلاث : (وجر ومنج وطرابه) وأمامها علامة استفهام . وجاء بالحاشية تعليقاً عليها (لعله : وزجر ونيرنج وطيرة ويا تحريف كلة يونانى ؟) ، ولم أهتد إلى معنى لها فيما لدى من المعاجم ، فأهملتها .

والمعنى :

أظهر الصبحُ فى الآفاقِ الجمال ، فانهض واملأ قدحا دِهاقاً .

* * *

عندئذ ذهبت عند إمرأة البزاز وقالت :

بيت (رمل)

شاذ شو اي منهزم در مدتِ تو جمله تأييد ونصرت وظفر آمد

والمعنى :

افرح أيها المنهزم ، جاء التأييدُ والنُّصرةُ والظفرُ جملةً فى مددك .

* * *

انهضى لنذهب عند الحكيم بطالعِ السَّعد والفألِ الميمون !

فجاءا إلى دار الشاب فى الميعاد الذى حدد من قبل ، وتذاكروا الغم والسرور برهة ، وبسطوا بساط المباسطة ، ورفعوا من بينهم حجاب المجانبة ، ولما انقضت ساعة ، خرجت العجوز من الدار بذريعة ، وتركت كلا الاثنين فى البيت للسلوة والخلوة ، فانشغلا ذلك اليوم من الصباح[1] حتى المساء بالمعاشرة والمباشرة ، واستراحا مع أحدهما الآخر بفراغة ورفاهة ، واستوفيا نصيبهما من اللذة والتمع . وفى المساء ، حين وصلت عنقاء المشرق إلى وَكْنِ المغرب ، تحولت المرأة إلى دارها .

---

(١) عبارة « از بام » أى من الصباح غير موجودة فى نسخة استانبول وموجود مكانها عبارة « هردو » أى كلاهما .

أكثر الشاب الاعتذار إلى العجوز ، وبالغ فى إكرامها ، وقال : يا أماه ! لقد صيرتنى غريق إنعامك ورهين إكرامك ، وألحقت شرائط الإشفاق بلوازم الكرم ، وباق لىَ الآنَ التماس آخر ، إذا اقترن بالإجابة ، فإن هذه المنة تصير طراز[١] المنن السابقة . سألته[٢] العجوز : ما الحاجة ؟ وأى التماس ؟ قال الشاب : أن تلائمى بين المرأة وزوجها ، وتستوجبى إصلاح ذات البين ، بحيث تزول المناقشة وتبطل المكاشفة ، ويعمر طريق المصالحة ، وترتفع عوارض المنازعة . قالت العجوز : أعطيت القوس باريها ، وأسكنت الدار بانيها ! احضر فى الصباح بباب دكان البزاز ، وحين أجيء أنا قل : ما فعلتِ بالثوب ؟ وما الحال ؟

وفى اليوم التالى حضرا كلاهما بباب دكان البزاز فى هذا الميعاد ؛ قال الشاب : يا أماه ! هل أوصلتِ الثوبَ الذى أعطيته لك ، وأرحت قلبى ؟ قالت العجوز : لم تقبل الثوب ، وردته لى ، فأخذت الثوب ، وجئت به إلى دار السيد البزاز ، ولأن السيد لم يكن بالدار ، تركت الثوب هناك أيضاً ليرد الثمن ؛ فلما سمع البزاز الكلام على هذا المنوال ، ورأى آثار الخطأ الذى كان قد جرى ، على صفحات الأحوال ، أظهر الندم على ما كان قد ارتكبه ؛ وما أقدم عليه[٣] ، ولام نفسه كثيراً ، وقال :

بيت (كامل)

وكل نعـــيم بالفراق مُكَدَّر وأىُّ نعيم دام غيرَ مُكَدَّر ؟

***

---

(١) طراز : حلية .

(٢) فى نسخة استانبول «گفت» أى قالت .

(٣) عبارة «واقدامى كى نموده» أى : وما أقدم عليه ، موجودة فى نسخة استانبول فقط .

وأزن ثمن الثوب في الحال[1]. وعاتب العجوز طويلاً وقال :

بيت (بسيط)

إنَّ الأمورَ إذا انسدتْ مسالكها فالصبر يفتق منها كلَّ ما ارتتجا[2]

***

فجاء إلى دار حماته ، وأطال الاعتذار ، وجاء بزوجه إلى داره بالإعزاز والإكرام ، وقال :

بيت (طويل)

ألا قبَّح اللهُ الضرورةَ إنهـــا تكلف أعلى الخلق أدنى الخلائق[3]

بيت (متقارب)

تو آن كن كى از تو سزد اى نگار
من آن كرده بودم كى از من سزيد

والمعنى :

اعمل أنت ما يخلق بك أيها الحبيب الجميل ،
لقـــد عملتُ أنا ما خلَق بي .

***

(١) في العصور الماضية كان الذهب والفضة أساس التعامل ، وكانت السلعة تقوم بوزن قدر من هذين المعدنين .

(٢) إن الأمور ، البيت : لمحمد بن بشير ، شرح ديوان الحماسة لأبي زكريا التبريزي.

(٣) ألا قبح ، البيت : لعبد الله بن عبد الله بن طاهر ، نهاية الأرب ٣ / ٩٧ .

قلت هذه الحكاية من أجل أن يتقرر لرأى الشاه ، أن فنون مكر النساء وصنوف غدرهن لا حد لها ، ولا تدخل في حد الحزر والحصر ، والعاقل النير الرأى ، لا يلتفت إلى تُرُهَّاتهن ، ولا يقيم وزناً لغثهن وسميهن ، ومَعينهن ومَهينهن ، ولا يخوض ولا يشرع فى أى مهم ، بمشاوراتهن ومفاوضاتهن غير المفيدة ، لأن عواقب ذلك وخيمة ، وخواتيمه ذميمة ، فعلى مقتضى هذه المقدمات ، لا يليق من « باب » العقل والشرع ، والمروة والفتوة ، أن يعاقب « السلطان » ولده الذى آثار الرشد من ناصيته لائحة ، ومخايل النجابة ، وتباشير الشهامة ، على جبينه لامحة ، واستعداده مُعيِّن لمناصب الملك ، واستقلاله مبين لمثابت السلطنة ، بتزوير وتمويه إنسانة ، أوصاف ذاتها نقصان العقل ، وخسران الفهم ، ويُخْلى ويُعطِّل مكانَ الدولة من زينته وحليته ، لأنه فى غدٍ حين يُطل ليل الشبهة من حجاب الريبة مثل النهار المضىء الدنيا ، وتَخرُج شمس اليقين من سِجاف سحاب الغفلة ، وتُظهرُ صورةُ هذه الحادثةِ الشنيعةِ وجهَها من جلباب التعجيل ، لا تنفع الندامة ، ولا تنجع الحسرة ، وتقصر قدم التلافى عن عرصة المراد ، وتعجز يد التدارك عن إدراك المطلوب ، ويقول العقل : تركتَ الرأى بالرى .

بيت (متقارب)

چو بنهاذ عقلِ تو راي صواب　　ز رايِ صوابِ خرَد سر متاب

والمعنى :

إذا قرر عقلُك الرأىَ الصواب ، فلا تُعرض عن رأىِ العقل الصواب .

* * *

فلما سمع الشاه هذه المقدمات ، واستمع إلى هذه الكلمات ، أمر فحملوا الأمير إلى الحبس ، وأخروا وأوقفوا العقوبة .

وعندما وصل هذا الخبر إلى سمع الجارية ، ظلت طول الليل تضطرب مثل الطائر الحى فوق النار ، وترتعش على نفسها مثل الزئبق ؛ ودَّعت النوم ، وطلّقت السكون والسكينة ، اشتعلت نار صدرها ، وركزت عينيها على السماء ، وكانت تقول :

بيت (طويل)

ولو حُمِّلتْ صُمُّ الجبـــال الذى بنا
غداةَ افترقنـــا أوشكت تتصدّعُ(١)

بيت (هزج)

آنچ از غم هجران تو برجان منست
من دانم وآنكه آفريدست مرا

والمعنى :

إن ما تحمله روحى من غم هجرانك ، أعرفه أنا ومن خلقنى .

***

طولَ الليل يقظى مثلُ أمهات القتلى ، وأرقة قلقة كآباء الموتى ، رأسها على وسادة الحسرة ، وجنبها على فراش الحيرة والضجرة ، السلوة بعيدة عنها ، والصبر والقرار نافران منها ، تذرف دمع الحسرة ، وتنشد هذا الغزل :

---

(١) ولو حملت : البيت للمتنبى .

شعر (بسيط)

فكيف يرجون لى سُلُواً وعندى المقعِدُ المُقيمُ
نديمى النجمُ طولَ ليلى حتى إذا غارتِ النجومُ
أسلمنى الصباحُ للبلايا فلا حبيبٌ ولا نديمُ

* * *

مجىء الجاريه فى اليوم السابع إلى حضرة الشاه

حين طلعت علاماتُ مظلةِ الشمس المنورة[1] من أفق المشرق ، وغابت رايات عُطارد والزُهَرة فى أفق المغرب ، وألقت مواكب النجوم ، وكواكب الرجوم ، التروس على أعجازها ، من هيبة ضربةسيف الشمس ، وتوارت أنجم الفلك الجارى ، فى نقاب التوارى ، خجلا من خد الشمس المنوّر[2] ، وحلوا أطناب خيام الظلام من ساحة الحديقة الميناثية[3] :

بيت (طويل)

وحلّق بازُ الصبح فى الشرق صاعداً
فغاب[4] غرابُ الليل فى الغرب كاسرا

بيت (مجتث)

چو از حديقهٔ ميناى چرخ سقلاطون
نهفته گشت علاماتِ چترِ آينه گون

(١) المنورة صفة المظلة .
(٢) فى نسخة طهران (رخسار مهر رخشان) أى خد الشمس المتألقة .
(٣) الحديقة الميناثية ، كناية عن السماء الزرقاء ، والميناء : جوهر الزجاج .
(٤) فى نسختى طهران واستانبول (نخاب) بالخاء وهو خطأ بين .

والمعنى :

لما اختفت من حديقة ميناء الفلك الأزرق، علامات المظلة الشبيهة بالمرآة[1].

* * *

أخذت الجارية زجاجة نفط ، وذهبت أمام تخت الشاه بالأنين والعويل ، وبعد تقديم الثناء ، وإقامة مراسم التحية والدعاء ، قالت :

بيت (كامل)

أَمِنَ القضية أن أَخَلَّى صادياً والحوض رَجَّافُ الغوارب مُفعَم ؟

* * *

الآن ، وعدل السلطان الشامل ، وفضله الكامل ، لا ينصفانى – أنا أَمَتَهُ – ولا يقيم وزناً لهذه الواقعة الشنيعة التى وقعت لهذه الخادم ، ولا يشفق على المظلومين ، ولا ينصف مرحمة المتظلمين ، وقام ولد الشاه بمثل هذا الإقتحام فى حريم حرمته الشبيه بحريم الحرم المحترم المكرم ، وعدل الشاه يؤخر مجازاة فعلته الذميم ، ويجيز مثل هذا الشين والعار ، والوزر والوبال ، الذى يمكن أن يكون سبب عقاب العقبى ، ونكال الدنيا ، فإنى أحرق نفسى بالنار ، وأحيل هذه المحاكمة إلى المحشر الأكبر ، وأعرض قصة حالى ، وشرح الظلم والتعدى اللذين يجريان علىّ من الشاه وولده ووزرائه ، بسرادق جلال ذى الجلال ،

---

(١) حديقة ميناء الفلك الأزرق : كناية عن السماء ونجومها الزاهرة ، ويبدو أن المقصود بعلامات المظلة . . . العلامات التى تسبق طلوع النهار فى السماء .

فى اليوم الذى هذه صفته : « يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون ، إلاّ مَنْ أتى اللهَ بقلْبٍ سليمٍ »[1]. اليوم الذى حاكمه العدل ، وقاضيه الفصل ، من لا يجوز عليه السهو والزلة . اليوم الذى تكون فيه العقوبة ، غضب الله ، والسجن ، الدّرْك الأسفل . والسجان ، مالك الجحيم . والجزاء ، نار جهنم . اليوم الذى يطلبون فيه إنصاف المظلومين العاجزين ، من الظالمين الجائرين ، وينزلون مجازاة أعمال الخير ، ومكافأة أفعال الشر ، بالمفسد والمصلح ، والظالم والمظلوم .

إنه واضح لدى كالنهار ، أن الوزراء الآثمين ، يوقعون السلطان فى العقوبة والنكال ، ويحولون ويمانعون ، دون الأجر والثواب ، ويحجبون شمس رأيه الطالعة من أفق العدل ، بنقاب سحاب الظلم ، وبحكم تخييلات ومظنونات مقالاتهم ، يسىء السلطان الظن بجاريته ، ويخال كلامها ، الذى يصدر من محض الصدق ، كذباً وبهتاناً ، ويُسْلم جمال وجه العدل والنَّصَفة ، لقدم الظلم والجورّ ، ولا أدرى أية معذرة وحجة يقدم يوم القيامة ، وأخشى أنه إذا سار على هذا المنوال أيضاً ، وأصر على ذلك الإنكار ، واعتمد وعول على أقوال الوزراء الخونة ، أن يحل به وبوزرائه ، ما حل من ذلك السلطان بوزرائه الذين خانوه فى أموره ؛ فسألها الشاه : كيف ؟ قولى !

---

(١) سورة الشعراء الآيتان ٨٨ و ٨٩ .

٢٢ — حكاية الأمير* مع الوزراء

قالت الجارية : فى الساعات الماضية ، والأوقات السالفة ، والشهور الغابرة ، والسنين الدابرة ، كان بنواحى[١] كابل ، سلطانٌ مسعودُ السيرة ، محمودُ السريرة ، ذو منظرٍ رائقٍ ، ومخبرٍ صادقٍ ؛ سنتُه إجراء العدل ، وسيرته تدبير الملك ، مذكورٌ بالأخلاق الحميدة ، وموصوفٌ بالآثار المحمودة ، متحلٍ بحلية الفتوة ، ومتدرعٌ بلباس المروّة ؛ وله فى كل العالم ولدٌ خلفُ سلفٍ ، وشرفُ شرفٍ ؛ ذو جمالٍ باهرٍ ، وعرضٍ طاهرٍ ؛ مسعودُ الجد ، ومحمودُ الحظ ؛ نقىٌّ الجيب ، وتقىٌّ العرض ؛ مُزيّنٌ بالمناقب الملكية ، ومحلًّى بالمآثر السلطانية ؛ آثارُ الكياسةِ من ناصيته لائحة ، وأنوارُ الفراسة فى غُرته لائحة.

وكان أبوه قد عقد له على كريمة خاقان الصين ، وسلّم كفافَ الزّفاف ، وحلّت أيام الاجتماع ، وميعاد الاتصال ، واتُّفِقَ على أن يذهب الأمير إلى ولاية خاقان الصين[٢].

ولما اتصلت مُهلةُ الميعاد بالاستبعاد ، وانتهت مواعدةُ المواصلة والمصاهرة بالإنجاز ، هيأ السلطان أسباب سفر ولده ، وقال :

بيت (طويل)

عَلَى اللهِ إتمامُ المُنى فيكَ كلِّها ولكنْ علَينا الحمدُ للهِ والشكرُ[٣]

***

* هكذا فى الأصل (شاهزاده) أى الأمير .

(١) فى نسخة طهران : « دركابل » أى فى كابل . وفى نسخة استانبول « درنواحى كابل » يقصد « در نواحى كابل » أى فى نواحى كابل .

(٢) فى نسخة طهران : « خاقان » فقط .

(٣) على الله ، البيت : للبحترى .

فاستودع ابنه وزراءه ، ليحفظوا جانبه الرفيع ، ويرافقوه فى خدمة ركابه للمراقبة ، وساروا نحو الصين مع جوقة من خواص الخدم ، وفوج من أركان الحشم ، وكان فى ممر ذلك السفر عين معروفة بعين الخان ، على طرف وادٍ من شارع على الحافة ؛ وكان لمائها خاصية ، وهى أن أى رجل كان يشرب منه ، كان ظاهر صورته ينعكس ، فتتبدل ذكورته أنوثة !

وكان الوزراء قد عرفوا ذلك المعنى ، وعلموا خاصية العين ، ولكنهم كانوا يخفون عن الأمير كشف ذلك السر ، وهتك ذلك الستر ، ولم يعلموه له .

وكان الأمير عظيم الولع بالقنص ، وحريصاً غاية الحرص على الصيد ، فلما قطعوا من تلك البيداء عدة منازل ، وطووا بضع مراحل ، عزم الأمير على أن يقضى يوماً فى الطراد ، وركب أغرَّ محجَّلاً ، عُقَيليَّ النسب ، من نسل أعوجَ ولاحق[1] ، قمريَّ الجبهة ، مُشتريَّ الطلعة[2] ، عابرَ صخر ، طاوىَ بيداء ، كالجبل صورةً ، والأرضِ هيكلاً ، والسحابِ سَيراً ، والرعدِ هزيماً ، والبرقِ هيبةً ؛ له كفلُ حمارِ الوحش ، وعينا الغزال .

شعر (كامل)

قلقُ العنان ، كأن فوقَ تليله نملٌ وبينَ سميعتيه ضفيرُ
هو جنَّةٌ للناظرينَ إذا مشى أما إذا ما جاشَ فهو سعيرُ

* * *

(١) أعوج ، فرس لبنى هلال . تنسب إليه الأعوجيات وبنات أعوج ، ولم يكن فى العرب فحل أشهر ولا أكثر منه نسلا . ولاحق ، أفراس لمعاوية بن أبى سفيان . ولغنى ابن أعصر . وللحازوق الخارجى . ولعيينة بن الحرث . ولاحق الأصغر لبنى أسد .
(٢) مشترى الطلعة : أى أن طلعته وضاءة تشبه كوكب المشترى .

حديدي الحافرِ ، فولاذي العِرقِ ، له ثوران الصاعقة ، وسرعة الريح ، وقلب العفريت ، وحمل الجبل ؛ كانت الصرصرُ تلوى العنان عن مسابقته ، والبرقُ الخاطفُ فى أقصى سرعته ، لم يكن ليدركه :

بيت (طويل)

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مقبلٍ مـــدبرٍ معاً
كجلمودِ صخرٍ حطّـــه السيلُ من عل

بيت (مجتث)

جهان گذارى كامروزش ار بر انگيزى
بعـــالميت رسانذ كى اندرو فرداست

والمعنى :

عابر دنيا إذا ثوّرته اليوم ، أوصلكَ إلى عالمٍ فيهِ الغدُ !

***

كان الأمير يركض فى مقدمة العسكر ويصطاد ؛ واتفق أن طلع أمامه عَيْرٌ بُراقى السّيرة ، برقى الصورة ، كالريحِ سيرا ، والنارِ فعلاً ، والماء تدويماً ، والأرض صلابة(١) .

شعر (هزج)

١ — مُهره زده پشت وگاهِ جَستن باشذ فلكش چو مُهره بردُم

(١) فى نسخة استانبول « زمين آوانش » صح « آونگك » أي والأرض نوساناً .

٢ ـــ كز زلزلهٔ سُمّش برِيَزد از سنبلهٔ سپهـــــر گندُم

والمعنى :

١ — مصقولُ الظهر وحين القفز ، يكون الفلك مثل خرزة على ذيله[١] .
٢ — ومن زلزلة سنابكه يخُر القمحُ من سُنبُلة الفلك[٢] !

* * *

ثوّر الأميرُ جواده ، وفرّ العَيْرُ من أمامه ، وركض حتى غاب عن مطرح الأبصار ، ومطمح الأحداق ، وعجز الأميرُ عن البحث ، والحصانُ عن الجرى ، وكانت حرارة تموز ترمى الشرارَ من وجه الهاجرة ، ولهيبُ التهابها يندلع ؛ فلما غاب العيْرُ عن مُدرَكِ البصر ، واشتد عطش الأمير ، واستولت الحرارة ، ووصل بالاتفاق السماوى ، والقضاء الربانى إلى حافة عين الخان ، وكان تأثير ماء تلك العين خافياً عليه ؛ ترجل عن جواده ، ونزل على حافة العين ، وأراح الجواد ، وتجرع هو شربة من ماء العين فما « أن نزلت من حلقه[٣] » واستقر الماء فى معدته « وأمعائه »[٤] حتى تبدلت صورة ذكورته أنوثة ؛ عندما رأى الأمير تلك الحال « وشاهد ذلك التبدل فى الأحوال ، والتغير فى الأفعال »[٥] وقع فى حيرة ودهشة ، فوضع رأسه مفكراً على

(١) أى أنه يرتفع ارتفاعا شاهقاً ، فيبدو الفلك ضئيلا كأنه خـــرزة معقودة على ذيله .
(٢) سنبلة الفلك : برج السنبلة .
(٣) مترجمة من نسخة طهران وغير موجودة بنسخة استانبول .
(٤) موجودة بنسخة استانبول فقط .
(٥) مترجمة من نسخة استانبول وغير موجودة بنسخة طهران .

ركبتيه وأطلق دمع الحسرة من فوارتي عينيه ، وأمطر قطرات العبرات على صفحتي وجنتيه ؛ ولما رأى وزراء السلطان الأمير على تلك الحال ، جذبوا الأعنة ثانياً ، وتركوه فى نفس المكان ؛ وحين جاءوا عند السلطان ، قرروا أن أسداً اختطف الأمير وأهلكه .

فتوجع الشاه على فوات ولده طويلا ، وتحسر كثيراً ، وجلس برسم التعزية سبعة أيام متوالية ، وعقد ذيل الغم على جيب المأتم ، وكان يقول :

رباعى

١ — رفت آن سخنان كى باز گفتيم بهم
٢ — وآن وصـــــل كزو چو گل شكفتيم بهم
٣ — اكنون بارى ز يكديگر دور شديم
٤ — تا باز چنــــان كجا كى افتيم بهم

والمعنى :

١ — ذهبت تلك الأحاديث التى استعدناها معاً
٢ — وذاك الوصل الذى تفتحنا به كالورد معاً
٣ — الآن وقد افترقنا عن أحدنا الآخر على أى حال
٤ — لنر أين نعود فنلتقى هكذا معــــــاً

* * *

عرض الأمير قصة[1] حاجته بحضرة ذى الجلال ، وصعّد نفسَ وجدٍ من ألم وقال : أيها القادر يا من جعلت من حمة بعوضة ، سيفَ قهر النمرود ،

(١) القصة هنا : رقعة كان يكتب فيها مطالب أو ظلامة وترفع لذوى الشأن .

وهيأت من قطعة مدر وسيلة نصرة وظفر داود ، وأعددت من حانوت صدر الحوت مجلس يونس ، وأخرجت من خزانة الصخرة الصماء ناقة صالح ، أسألك بقدرتك أن تمن على ، وأن تفك هذه العقدة المعقودة ، وتخلصنى من مذلة هـــذه الحالة ، وتبدل كسوة الأنوثة هذه التى كسوتنى إياها ، ذُكورة :

شعر (كامل)

يا ربٌّ إنَّك راحمٌ وغفورُ ... وبما فعلتُ من الذنوبِ خبيرُ
فلئن غفرتَ فإنَّ فضلك واسعٌ ... ولئن أخذتَ فإننى لجـــديرُ

* * *

فمن الحق تعالى عليه ، وأمر الملَك الذى كان موكلا بذلك الماء ، فمسح عليه بقوادم جناحه ، وعاد إلى صورته الأصلية ، فسجد الأمير لله سجدة الشكر والحمد ، وقبل الصدقاتِ والصلاتِ ، والنذورَ والعباداتِ ، ونوافل الطاعات ؛ واعتلى صهوة مركبه ، ويمَّم حضرة أبيه ، فى مفازة لا آخر لها :

بيت (خفيف)

نه هيچ ساكن وجنبان درو مگر انجم
نه هيچ طاير وســـاير درو مگر صرصر

والمعنى :

ليس فيها أى ساكن أو متحرك غـــير الأنجمُ
وليس بها أى طائر أو سائر إلاَّ الصرصر(١)

* * *

---

(١) الصرصر : الريح العاتية .

وبعد عشرة أيام وصل إلى تخت أبيه ، وكحل عينيه بتراب حضرته ، وشرح القصة الماضية ، وذكر القصد والإهمال اللذين كان الوزراء قد جوزوهما واستباحوهما فى جانبه ، فقال : إنهم ستروا عنه ذلك السر ، وتركوه فى مقام المذلة والحيرة . تألم الشاه من هذا الكلام، وبحكم الجناية ، أقام عليهم الحد بالشريعة ؛ ومزاج عمل هؤلاء الوزراء هو ذاك ، وآمل من الله تعالى أن يصيبهم عين هذا :

بيت (كامل)

ومكايدُ السفهاء واقعــة بهم   وعداوة الكبراءِ بئس المُقتنى

***

قررت هذه الكلماتِ وخرجتْ من أمام تخت الشاه ، بالأنين والعويل ، والنوحة والزفير ، وخشى الشاه سخط الله ، وعقاب الآخرة ، وأمر أن يحدُّوا الأمير ، ويُصيرِّوه تاريخ أيام العدل ، وفهرست قانون الملك .

لما سمع الوزيرُ السابعُ ـ الذى كان له همة زحل ، وسعادة المشترى ـ هذا الخبر ، أرسل شخصاً إلى السيّاف ، وأشار عليه بالتوقف وقال : لا تعجلْ ، حتى أذهبَ أمام تخت الشاه ، وأتحدثَ عن مذمة الاستعجال فى تقريب الآجال .

مجىء الوزير السابع إلى حضرة الشاه

ذهب الوزير العالى الرأى الهمائى[1] الجلال ، أمام تخت الشاه وقال : لتكن بنية الشاه التى هى رأسمال غُنية المخلوقات ، وجوهر ذاته الملائكية الصفات ،

(١) الهمائى: نسبة إلى الـ «هما» وهى طائرخرافى مثل عنقاء مغرب عند العرب، =

مؤبدة ومخلدة ، في ترقى درجات المعالى ، واستجماع المآثر الحميدة ا إن رأى السلطان ، الزائن الدنيا ، الذى صدئت مرآة العالم خجلا منه ، وتأكسد سَجَنْجَل (١) شمس القبة الدائرة من غيرته ، يعلم أنه فى الأمور المعضلة ، والخطوب المشكلة ، لا خصلةَ أحمدُ من التدبر والتفكر ، ولا عادة أذم من السرعة والعجلة ، والأليقُ من حصافةِ العقل ، وشهامةِ اللب ، أنْ لا يُعجِّل بإمضاء العزائم فى الأمور المُبهَمة ، والمهمات المُعظَمة ؛ وذميمٌ لدى أرباب الألباب ، وأصحاب الأحساب ، الانقيادُ والامتثالُ لتدبير النساء واستصوابهن ، ويقول مُظهِرُ الشرع ومفتى العقل : النساء حبائل الشيطان ، ومعنى ذلك أن المرأة لها خلق الشيطان وعادته ، وحين تميل طبيعتُها وشهوتُها إلى شىء تضعُ « نهمةُ الطبع » (٢) وشرهُ النفس ، أمام العقل واللب حجابَ الغفلة ، ويصير هوى قلبها ونهمةُ جسدها خائنين وما نعين فى مقابلة دينها ودنياها ، فتترك الخجل والحياء وتختار الهوى والنَّهمة ، وتمسح وجهها فى كف قدم الشهوة ، وترفس بظهر قدمها وجه المُروّة :

شعر (خفيف)

گرچه ناهيد ورچه پروين اند   از درِ ذم واهل نفرين اند
سببِ جنگ ونتگ وآزار ند   علتِ رنج وخرج كابين اند

= معروف اسماً ومجهول جسما ومن خواصها الأسطورية : أن ظلها إذا وقع على أحد صار ملكا ، وهى طائر ميمون عند الفرس ومنها جاءت الصفة « همايون » أى المبارك أو الميمون .

(١) السجنجل : المرآة .

(٢) هذه العبارة « نهمت طبع » موجودة بنسخة استانبول فقط .

والمعنى :

إن يكنَّ الزُّهرَةَ وإن يكن الثُّريا جمالا ،فهن خليقاتٌ بالذم وأهلٌ للّعن .
هن سببُ الحربِ والخزيِ والأذى ،وعلةُ النصَبِ ونفقةِ المهر .

***

لقد كان بوسيلة صحبتهن وألفتهن ، أن وقع كثير من العقلاء الكملة ، والأنبياء الفضلاء في البلاء والعناء ، والزلة والمحنة ، ووضعوا الصبر والوقار ، والضّياع والعقارَ في معرض التضييع والتلف ؛ وحديث هابيل وقابيل ، وهاروت وماروت ، ويوسف وداود فى القصص والتواريخ مذكور ومشهور ، وفى الآثار والأخبار مكتوب ومسطور :

بيت (رمل)

هر كه با يوسف صِدّيق چنـــــان داند ساخت
هيچ دانى چكنند صحبتِ او با دگـــــران ؟

والمعنى :

كل من يستطيع أن يفعل مثل ذلك مع يوسف الصديق ، أتدرى ماذا تفعل صحبتهُ مع الآخرين ؟

***

وإذا وضع السلطانُ متعجلا دُرَّ صدفِ وجوده اليتيمَ فى حلق التمساح ، بتمويه صاحبة غرض ، وتزوير ناقصة عِرض ، لا يكون فى عهدها غير النقض وفي عقلها سوى النقص ، فلابد أن يندم على إمضاء هذه العزيمة ، مثل ذلك

السلطانِ زير النساء ، وحين ينفُذُ الأمر لا يسعفُ الندم والتلهُّف ، ولا تَشفعُ ولا تُقبل الندامةُ . فسأله الشاه : كيف كان ذلك ؟ قل :

٢٣ — حكاية السلطان زير النساء

قال الوزير : كان فى مواضى الأيام ، وسوالف الأعوام ، سلطان اسمه پيروز ، تامٌّ المهابة ، كامل السياسة ، متدرعٌ بلباسِ الجلال ، ومتحلٍّ بحليةِ الكمال :

بيت (كامل)

مرجُوُّ منفعةٍ مخــــوفُ أذيَّةٍ   مغبوقُ كأسِ محامدٍ مصبوحُ

* * *

ومع هذه المهابة والسياسة ، والشهامة والكياسة ، مغرور بدلال النساء ، ومفتون بطُررِهن وخصلِ شعورهن ؛ كان دائماً مقيداً بوردةِ خدٍّ حسناء كالبدر ، وجريحَ شوكة هجرِ ذات سلسلة من الشعر ، ولم يكن ينام ليلة بلا معاشرة ومباشرة .

وذات يوم فوق القصر ، أطارَ شاهين النظر ، وكان يُلقى نظره على كل سطح وباب ، ليصيد غزالا ، أو يوقع فى قيــده ذات جمال طاووسى ، وبقى فى انتظارِ السانح والبارح ، والنازح والسارح ، وثوَّر مركب الشهوة فى ميدان الطلب . وأجال جواد البحث !

فى أثناء هذه الحالات وقعت مقدِّمةُ نظره . وطليعة بصره . على وجهٍ

جميلةٍ كالقمر ، كانت الشمس « المنيرة »[1] فى شعلة مشعلة جمالها كالفراشة المحترقة ، وفى نار الغيرة ، مثلَ الشمعة المشتعلة ، حسنة المظهر ، قمرية الصورة ، شمسية المخبر ، ذات عذار كالمشترى ، ووجه يشبه الزُّهرَة ، كانت نار عشقها ماء حياة الأرواح ، وتراب عتبتها مُقبَّل القلوب ، مليحة التبختر ، لطيفة القوام ، ذات وجه قمرى ، وشعر مسلسل ، وخصل جعداء كالعنبر ، وخد وثيرى :

بيت (متقارب)

كثير الدلال قليل النوال مفدّى الجمال بحُورِ الجنان

***

لما رأى السلطان غَنَجها ، ودلالها . وحُسنها وجمالها . عشق صحبتَها ووُصلتها ؛ وفى الحال أمر المُنْهى[2] ليرى أين بيتُ تلك الحورية الجوزائية المنظر[3] . الحَوْرائية المخبر[4] . ومسكنها . وعشها . ووطنها : ومن سيدها ؟ قالوا : إنه تاجر متمول . وصاحب ثروة . وقد ذهب حالياً لتجارة فى سفر شاق ، بناحية العراق . فتعلق السلطان بوصالها . وكان يقول فى تمنى جمالها :

بيت (هزج)

كى باشد كى ، كه در تو آويزم چون در زر وسيم مردِ نو كيسه

---

(١) « المنيرة » مترجمة من نسخة طهران .
(٢) المنهى : الذى ينهى الأخبار « المخبر » .
(٣) الجوزائية المنظر : التى تشبه الجوزاء .
(٤) الحوزائية نسبة إلى الحوزاء والحدة الحور .

والمعنى :

متى يكون متى . أن أتعلق بك ، كما يتعلق الرجل الحديث الثراء بالمـال .

* * *

وعندما حطّ الليل الشّبَهِى(١) ، عن كتفيه الرداء الفضى ، وألبس رأسه الجلباب القيرى ، وزينت السماء القباء الـكُحلِىّ بالعقود اللؤلؤية :

شعر (كامل)

فـكأنما الشفقُ المُورَّد والدجى   فوقٍ غُرابٌ أحمرُ المنقارِ
والبدرُ فى كبدِ السماءِ كأنه   خدٌّ يلوحُ عليه خطُّ عِذارِ

* * *

خرج السلطان مع أحد خواصه من القصر متنكراً ، وذهب إلى بيت التاجر. فلما رأت المرأة أن السلطان قد عقَدَ عقْدَ عهدها ، واتصل بصحبتها ومحبتها ، رحبت بقدومه ، واستبشرت بحضوره وقالت :

بيت (هزج)

بى رهبر وبى نشان وبى هيچ دليل   ناگاه بخانهٔ عنكبوت آمذ پيل

والمعنى :

بلا مرشد وبلا شارة وبلا أى دليل ، جاء فجأة إلى بيت العنكبوت الفيل .

* * *

(٥) الشبهى : نسبة إلى الشبه . وهو حجر أسود براق لامع ، شديد السواد .

ومهدت الأعذار الرائقة اللائقة بمثل تلك الحال ، وانشغلت بالإعداد للحفاوة . وكان بالبيت كتاب من كتب التاجر ، أحضرته المرأة ، ووضعته أمام السلطان وقالت : يطالع السلطان فى هذا الكتاب إلى أن تقوم أمته بخدمة ، وتهيىء ما حضر من طعام ؛ فأخذ السلطان الكتاب ونظر فيه ، حتى وصل إلى مكان رأى مكتوباً به : كل من يطرق أبواب الناس بأصبعه ، يدق الآخرون بابه بقبضات أيديهم :

بيت (هزج)

هر چيز كى بر جان وتن خوذ نپسندى
بر همچو خوذى كوتن وجان دارذ مپسند

والمعنى :

كل شىء لا ترضاه لروحك وجسدك ، لا ترضه لمن له جسد وروح مثلك .

***

أثر هذا الكلام تأثيراً تاماً فى قلب السلطان ، وأسفرت عروس هذا المعنى من نقاب الحروف وسرادق الألفاظ ، فعرف أنه خطا فى خطة الخطا ، وفتح على نفسه باب الوزر والوبال ، والعقوبة والنكال ، وأن ارتكاب محظورات الشرع ، ومنهيات العقل ، بعيد عن الكرم والمروة ، وغير لائق بمناصب أصحاب الفتوة ، وطريق متابعة الهوى لا يؤدى لغير الهاوية ، والرجل الكيس العاقل وصاحب الهمة الكامل ، يتوقى ملازمة الدنيا بمؤاخذة العقبى :

بيت (كامل)

نون الهوان من الهوى مسروقة   فصريعُ كلِّ هوىً صريعُ هوانِ

بيت (متقارب)

چه گويم كى خوارم ز عشقِ تو ، گوئى
هم از مادرِ عشـــــق زادست خوارى

والمعنى :

كم أقول إنى ذليل من عشقك ، وكأن الذل أيضاً وُلد من أمِّ العشق .

* * *

فنهض فى الحال ، واعتذر كثيراً للمرأة ، ونذر على نفسه أن لا يدخل بعد هذا حرمَ أى مخلوق لشهوة ، وأن لا ينظر بغير عين الحفاظ والحرمة ؛ ووقت خروجه ترك خفه سهواً من غاية العجلة .

وفى اليوم التالى عاد التاجر من السفر ، ورأى ذلك الخف ، فعرف لمن هو؛ فأساء الظن بامرأته ، وطردها من البيت بتلك التهمة ، وتركها مدة بدار أبويها ، ولم يحم حولها ، إلى أن أحضر إخوةُ المرأةِ الرجلَ أمام السلطان ، وأقاموا عليه الدعوى قائلين : إننا أعطينا ذلك الرجل أرضاً معمورةً غير مزروعة بالإجارة ، وقد عمر وزرع فيها مدة مديدة ، والآن قد تركها بلا إيجار ، ولم يدفع مال الإجارة ؛ فالتفت السلطان إلى التاجر ، وسأله عن موجب ترك إجارة الأرض وتضييع عمارتها بغير علة . فقال التاجر : ليكن بقاء سلطان الزمان ، وملك الأرض ، وصاحب الدنيا ، فى مزيد الرفعة ودوام السلطنة ! لم تكن لى شكوى من هذه الأرض ، ولكن حين عدت من هذا السفر ، ورأيت فيها أثر قدم الأسد ، خفتُ ؛ لأنه لا طاقة لى بمقاومة الأسد ؛ فعرف السلطان أنه زوج تلك المرأة ، فقال : نعم ، لقد مر بها الأسد ،

ولكنه لم يحدث أى ضرر ، ولم يتعرض لها ، فكن فارغ البال من هذا المعنى ، ولا تترك الأرض ضائعة ! فلما سمع التاجر كلام السلطان على ذلك النسق ، ذهب إلى بيته جذلان ، واعتذر لامرأته ، واستمالها ، وتودد إليها ، وأعادها إلى داره :

بيت (وافر)

لـكلٍّ ولايةٍ لا بدَّ عزلٌ وصرفُ الدَّهرِ عقدٌ ثمَّ حلٌّ

* * *

وقد قلت هذه الحكاية لئلا يتعجل السلطان فى عقوبة كهذه ، حتى لا يتأسف ولا يتألم فى العواقب . ويرى العقلاء أن التأنى والتثبت واجبان ، وخاصة فى حادثة تتعلق بإراقة الدماء ، وإبطال شخص كائن حى وسفك دمه ، وإذا أمضيت ، فإن تداركها أيضاً ، لا يكون ممكناً ولا متصوَّراً ؛ ويعتبرون هذا الخبر « العجلةُ من الشيطان » قدوتهم . ويقتدون بهذه الآية : يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين[١] .

وقد قال العظماء : التدبير فى المعاش — إذا كنت ذا عقل — أن لا تعتمد على قول النساء ، وأن تحتاط ، لأنه لا نهاية لغدر ومكر النساء ، والعقل والإدراك عاجزان وقاصران عن إحصائهما واستقصائهما ، وإذا صرف إنسان كل عمره فى ذلك ، فإنه يكون ما زال لم يحصر جزءاً من أجزائه ،

(١) سورة الحجرات آية ٦ .

وإذا أذن السلطان ، فإنى أروى حكاية من بدائع مكرهن وغدرهن . قال الشاه : قل !

٢٤ ــ حكاية الرجل الذى جمع حيل النساء

قال الوزير : فى ماضى الزمان وسالف الأيام ، عاهد أحدُ أبناءِ الدهرِ ودهاةِ العصرِ نفسَه على أن يطوفَ حول العالم ، ويجمع حيل النساء ونوادر خواطرهن ، حتى إذا ما تزوج امرأة ، يكون فى ملاذ الصون وأمان الحفظ من حيلتها وتلبيسها ، وقرر بينه وبين نفسه ، أنه إذا انقضى العُمر كلُّه فى ذلك ، فإنه يبذله ! فامتطى مطية السّفر ، وركب دابة الغُرْبة ، واعتلى جواد السياحة ، وودع الأهل والأقارب :

شعر (طويل)

سلام على تلك المنازل إنهـــا   شريعةُ وِردٍ أو مهبُّ شمالِ[1]
ليالىَ لم نحذر حزونَ قطيعـــة   ولم نمش إلا فى سهول وِصالِ

***

وكان يسير كالصرصر النكباء من بيداء إلى بيداء ، ويقطع المسافة بقدم المساحة :

بيت (متقارب)

ز رَاوَذ براوَذ زبيدا ببيدا   ز وادى بوادى زگرَدَر بگردد

---

(١) الشطر الثانى من هذا البيت ورد فى نسخة استانبول مغلوطا على هذا النحو : « شريعة وردى أو مهبد الشمال » .

والمعنى :

من مرتع ذى وهاد ونجاد ، إلى مرتع ذى وهاد ونجاد ، ومن بيداء إلى بيداء ، ومن واد لواد ، ومن حَزْنٍ وعر ، إلى حَزْنٍ وعر .

***

وبكل مدينة كان يصل إليها ، كان يزور أكياس الناس ، ويطلب ذلك الأمر ، حتى اهتدى ذات يوم فى خاتمة المطاف وفاتحة الألطاف إلى رجل قد عناه هذا المعنى ، وقد استخدم رأسمال عمره ، من غِرّة الشباب إلى وفور الشيب ، فى هذه الصناعة ، طلباً لهذه البضاعة ، وقد كتب تصنيفاتِ مكر النساءِ ، وتأليفاتِ وتلبيساتِ غدرهن جملةً .

ذهب الفتى إليه ، ثم قص عليه قصة حاله ، وأقام ثلاثاً وثلاثين سنة ، عقد فيها ذيل الليل بجيب النهار على الدوام ، وكتب تصانيفَ مكرِ النسوان وحيلهن ، ولما انتهت أوائل ذلك إلى عواقبه ، واتصلت مبادئه بأواخره ، قصد وطنه ، ويمم السَّمْتَ المألوفَ والمعهود ؛ وأقام على شارع الطريق ، على باب قرية كانت ممر القافلة ، فأخذ أحدُ المقيمين بذلك الموضع الشابَّ إلى داره وأوصى أهل بيته برعاية جانبه ، وقال :

بيت (سريع)

منزلُنا منزلُ أضيافِنـــــا ودارُنا دارٌ لابن السبيل

***

وخرج هو لشغل ، فأحضر الفتى صندوق الكتاب ، ووضعه فى طرف ، فسألته امرأة المضيف : ما لديك فى هذا الصندوق ؟ ومن أين تأتى بهذه

السَّلَع ؟ « وأى شىء هى وفيم تصلَحْ ؟ »[١] قال الفتى : فى هذا الصندوق كتبٍ ودفاتر ! فسألته ربة الدار : أى العلوم فى تلك الكتب ؟ قال الرجل : حيل ومكر النساء ، وخُدَعهن ونير نجاتهن ! فتعجبت السيدة[*] ، وسألته زيادة فى الاستقصاء ، فشرح الرجل الأحوال ؛ سألته السيدة[*] : هل كتبت وتعلمت كل حيلة تتسع لها الأوهام وترد فى خواطر النسوان ؟ قال الرجل : نعم ! تبسمت السيدة[*] ، وتجاوزت عن هذا الكلام ، وشرعت فى النظر بمؤخر العين والتدلل والغمز ، وقد اتفق للمرأة دلال وجمال ، فاجتذب هواها الفتى ، وأفضى كل منهما إلى الآخر مستسلماً لنزوته ، ورفعا حجاب الخجل[٢] ، وتغازلا زمناً ، ولما خلت الغرفة ، أحكما الرتاج ، واختليا ؛ فلما انتهى الجماع ، وتم أمر المباشرة ، صرخت السيدة[*] صرخة صعبة وقالت : أيها الناس ! أغيثونى من هذا الظالم نفسَه !

سقط الشاب مغشياً عليه من دهشة تلك الحالة ، وخوف تلك المقالة ؛ وأقبل الناس وسألوها : ما أصابك ؟ وما كان موجبَ الصراخ والصياح ؟ قالت : إن زوجى يُضيِّف كل يوم غريباً غرثانَ ، ويسلطه علىَّ وعليه ، فيندفع فى إلتقام الطعام من فرط مجاعته ، ويأخذ لقمة زيادة عن القدر ، فتقف فى حلقه ، وقوله تعالى : (يتجرعُه ولا يكادُ يسيغُه ، ويأتيه الموتُ من كل مكان وما هو بميت)[٣] يصدُق فى حَقِّه .

---

(١) أصل هذه العبارة «وچه چيزاست ، وبابت كجاست» فى نسخة استانبول فقط.
(*) فى نسخة طهران «بانو» أى السيدة ، وفى نسخة استانبول «زن» أى المرأه.
(٢) فى نسخة استانبول « وشرم وحجاب برد اشتند » أى ورفعوا الحياء والحجاب .
(٣) سورة إبراهيم ، الآية ١٧ .

وقد توقفت هذه الساعة عظمة فى مجرى حلق هذا الرجل ، وأراد أن يهلك ، نخفت ، إذ ينبغى أن لا يموت من هذه[1] الغصة ، ويأخذنا غلام الشحنة والسلطان ؛ لهذا السبب صرخت ! وكان الضيف قد أفاق ، وكان يسمع هذه المقالة وهو صموت كالحوت ، إلى أن رش الناس الماء على وجهه ، وأجلسوه ثانياً ، وقالوا : أيها الشاب ! كل الخبز أكثر تمهلا ، واستعمل اللقمة على قد وقدر الحاجة ، حتى لا تبتلى بمثل هذا الخطر ، ولا تصير تُرساً لسهم الموت ، وهدفاً لسنان البلاء ، ولا تلق نفسك فى البلاء ، والناس فى العناء !

بيت (كامل)

وما هى إلا شبعةٌ بعد جوعةٍ وكلُّ طعامٍ بين جنبيك واحدُ

***

قال الشاب : من بعد هذا ، أسيرُ على شارع هذا التدبير ، ولا أخرج عن خطة أمركم ! وحين خرج الناس قالت المرأة[*] :

بيت (طويل)

إذا ما قضيت الدَّين بالدَّين لم يكن قضاء ولـكن كان غُرماً على غُرمِ

***

هل كتبت هذه الحيلة ، وعرفت هذا التدبير ؟ قال الفتى :

---

(١) كلمة « اين » أى هذه ، موجودة بنسخة استانبول فقط .

(*) فى نسخة طهران « بانوا » أى السيدة .

بيت (طويل)

وما هى إلا ليلـــةٌ بعدَ ليلةٍ ويومٌ إلى يومٍ وشهرٌ إلى شهرِ

* * *

وعرف أن كيل البحر بالمكيال ، وعد رمل الصحراء بالحبة ، أيسر من معرفة مكر النساء ، والمجىء به فى « نطاق » الحد والحصر ، وأخرج الدفاتر فى الحال وأحرقها جملة وقال :

شعر (بسيط)

لا تستـــــعبن أبدا مالا تقوم به
ولا تهيجنّ فى العرّينـــــــة الأسدا
إن الزنابير إن حركتها سَــــفهاً
من كورها أوجعت من لسعها الجسدا

* * *

تبت ، فلا أخوض أيضاً فى هذا البحر ، ولا أغوص فى هذه الدوامة ، وعرفت أنه ليس لأي مخلوق ممكن مجال دعوى :

بيت (وافر)

لقد طوّفتُ فى الآفاقِ حتى رضيتُ من الغنيمة بالإياب[1]

* * *

(١) لقد طوفت ، البيت : لامرىء القيس ، العقد الثمين ص ١٢٠ .

بيت (هزج)

بسيار بگشتم بجهان از پى ســـود
شذ مايه زدست وسوذ خوذ هيچ نبوذ

والمعنى :

طفت بالدنيا كثيراً وراء الربح ، فضاع رأس المال من يدى ، ولم يكن ربح قط .

***

وقد قلت هذه الحكاية ، من أجل أن يتقرر لدى السلطان ، أن مكر وحيل النساء بلا عد ، بحيث لا تصل إليها يد تدارك العقل ، وتقصر عن إدراكها قدم الفهم ؛ ولا يخفى أيضاً على خاطر السلطان المنير ، أحكام ولادة طالع الأمير ، فقد نظر الحكماء فى طالعه ، وقالوا بسبعة أيام خطر متصلة ، بحكم نظر تربيع زحل فى طالعه ، وسهولة هذه الحادثة بعد الأيام السبعة ، بحكم انقطاع النحوس ، واتصال السعود ، وها هى البشارة ! فقد مرت هذه الأيام السبعة ، وانتهت أوقات المحنة وساعات الفترة !

فلما سمع السلطان هذه المقدمات ، واستمع إلى هذه المقالات ، أمر ، فحملوا الأمير إلى الحبس ، وعاد الوزير ولم يبق كلام .

***

انطلاق لسان الأمير فى اليوم السابع

لما انقضت الأيام السبعة — التى كانت مدة العاهات ومهلةَ الآفات — وأيامُ البُؤسِ وأوقاتُ النحوس ، (واتصلت كواكب السعود بدرجات طالع الأمير)[1] وارتفعت أوتاد الطالع من درجات الهبوط إلى مرقاة الصعود ، واقترنت أشكال الطالع بكواكب السعد[2]، وصارت أحوال الأمير قرينة للسعادة ، أطلق لسانه ، وأرسل إلى الوزير الكبير رسالة :

بيت (هزج)

برخيز وبيا كى حُجره آراسته ايم   امروز برآن نشست برخاسته ايم

والمعنى :

انهض وتعال فقد هيأنا الحجرة ، وقمنا اليوم على ذلك المجلس .

***

مرت نوبة المشقة والمحنة ، وحلت مدة المحبة والمسرة ؛ ارفع المشقة وجمل الحجرة ، فقد قيل :

بيت (طويل)

إذا بلغَ الرأىُ المشورةَ فاستعن   بحزم نصيح أو نصيحة حازم[3]

***

(١) الأصل الفارسى لهذه العبارة موجود بنسخة استانبول وغير مذكور بنسخة طهران .

(٢) فى نسخة استانبول : « نجوم سعود » أى نجوم السعود .

(٣) إذا بلغ ، البيت : لبشار بن برد .

فلما وصل المعتمد ، وأدى الرسالة على وجهها تبجّح[1] وابتهج بها الوزير ، ومضى فى الحال لخدمة الحضرة ، فتام له الأمير ، ومن عليه بشرف تقبيل البساط ، وأكثر الثناء والمديح ، ومهد كثير الأعذار ، وحمد وشكر كثيراً ما كان الوزراء الأكفاء قد قدموه من العناية والكفاية ، وما أدرجوه فى أثناء المواعظ والنصائح من لطائف البدائع وغرائب الصنائع ، ولقى كل منهم على ذلك منزلة شريفة ، ورتبة منيفة ، وموقعاً عظيماً ، ومحلا رفيعاً ، وقابلها بمنتهى الامتنان وقال : لقد كانت نفسنا النفيسة ، وذاتنا الشريفة فى معرض التلف والتفرقة ، لو لم تكن كفاية وشهامة الوزراء عوناً ومدداً لدولتنا ، وحين تساعد ساعات السعادة ، وتسمح أوقات المسرة ستؤدى حقوق كل واحد ، كما يليق بهمتنا ومروّتنا ، ويقتضيه كرمُ عرفنا ، وخاصة الوزير الكبير الذى لقيت مساعيه الحميدة ومآثرُه المرضية موقعاً مشكوراً :

شعر (طويل)

لعمرُك ما المعروفُ فى غيرِ أهلهِ ... وفى أهلهِ إلا كبعضِ الودائعِ
فمستودَعٌ قد ضاعَ ما كان عنده ... ومستودَعٌ ما عنده غير ضائع

* * *

ثم قال : اذهب أمام تخت السلطان ، وأقم بالنيابة خدمة العبد وابن العبد ، وقل بأن يقيم أكابر الحضرة ، وأماثل أعيان المملكة محفلا ، ويعرفوا درجاتى فى صنوف العلم التى حصلتها فى هذه المدة ، ويطلعوا على حكمتى ، وحصول منقبتى ، ومحصّلاتى ومتعلّماتى .

---

(١) بجِحَ بالشىء بَجَحًا : فرِح به ، وفلان يتبجحُ علينا ويتمجّحُ ، أى يفتخر ويباهى بشىء ما ، وقيل : يتعظّم . ورجل باجح : عظيم . ج بُجّح . وبجّحه فتبجّح ، أفرحه ففرح . أقرب الموارد .

فذهب الوزير أمام التخت وقال :

مصراع (رجز)

أبشر بيومٍ قائمٍ واسعد بعز دائمٍ

* * *

وأدى رسالة الأمير ، وشرح ما كان قد التمسه من أن يتفضل الشاه بإقامة محفل ويأمر بأن يحضر الحكماء والوزراء ، ويفاصلوا فى المناظرة العلمية ، ويتشاوروا فى معركة المعرفة ، فيسألوا أسئلة ، ويسمعوا أجوبة ، ويعرفوا مزيتى فى استجماع المعالى واستيفاء المعانى . فتبجح الشاه من استماع هذه المقدمات ، وتفتح مرجُ ورود مسرته ، فى بستان مشاهدته ؛ وأمر لحضر الأعيان والأركان ، والمشاهير والجماهير ، وعقدوا المحفل ، وحضر الأمير ، وجاء سندباد أيضاً ، وخدم الأميرُ الملك ، ومثل فى موقف الحضرة ، وقبّل بساط الأرض وقال :

شعر (طويل)

نعِمت بما تهوَى ونِلتَ الذى ترْضَى ولُقِّيت ما ترجو ووُقِّيتَ ما تخشَى
ويعلمُ عـــلامُ الخفِيَّات أنـّنِى أُعِدُّك ذُخـراً للمماتِ وللمحْيا

بيت (مجتث)

مبارك آمذ روز ومساعد آمذ يار بسلاح كينه بيفگند چرخ كينه گزار

والمعنى :

جاء اليومُ مباركاً ، وأقبل الحبيبُ مساعِداً ، وألقى الفلَكُ المنتقمُ سلاحَ الانتقام .

* * *

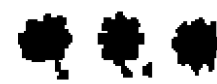
لتمكن مدة عمر السلطان ألف عام فى كمال الأمنيّة ومزيد المعالى والبسطة ، مناشير التقدير بموافقة تدبيره موقعة ، وأوامر القضاء على موجب رضاه موشحة ! لا يخفى على الرأى الأنور ، المربِّى الملكَ ، الناشر العدلَ ، الذى تبدو الشمس فى جنبه كالظل الأدكن ، ويكون القمرُ مع عزمه مثل السُّها الأغبر :

بيت (كامل)

١ — رأى توكى روى ِ ماه را خـــيره كُنَد
٢ — رخساره ٔ آفتــــاب را تـــيره كُنَد
٣ — اقبال توگر بخواهد اى شـــاه جهان*
٤ — هم در انگور بعد ازين شـــيره كند*

والمعنى :

١ — رأيكَ يكسِفُ وجه القمـــــر ،
٢ — ويُظلم عارض الشمـــــس ،
٣ — وإن يشأ إقبالك يا ملكَ العـــالمَ
٤ — يجعل الرحيق فى العنب أيضاً بعد هذا .



لا يخفى أن مقامات التقدير دائماً مخالفة لمقامات التدبير ، وكل موجود

---

* * هاتان الشطرتان غير موجودتين فى نسخة طهران ، وأشير بحاشية النسخة المذكورة أنهما جاءا بعد الشطرين الأولين- ٢٥٢- بنسخة استانبول وأنهما من الشعر الضعيف المخلوط -

يتركب من مِزاجِ جواهر الأسْطُقُسَّات(١) ، ويدخل فى دائرة الحدوث والإمكان ، يجول الزمان فى مجال المقادير ، وتدور القبة الدوارة بالخير والشر :

شعر (مربع)

أف من الدنيــــا وأيامها فإنها للحزن مخلوقه *
هُمومُها لا تنقضى ســــاعة عن مَلِكٍ فيها وعن سوقه *
يا عجبا منها ومن شأنهـــا عدُوَّةٌ للناس معشوقه *

* * *

كان لحال غلامكم عين هذا المزاج ، فوضعوا جوهر طينته بضعة أيام فى بوتقة الابتلاء والامتحان ، وصفَّوه بنار القهر والسطوة ، وتغلب الزمان الجافى فى موطىء الحوادث ، وعانه(٢) الفلك الجسور الغدار ، ولكن رأىَ وزراء الدولة ، وعقلَ وحزمَ السلطان ، كانت حصناً حصيناً ، وجوشناً متيناً لدفع الأذية ، ورفع البلية ، أمام ضررِ مكيدة العدو ؛ فلا جرم لم يؤثر . جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وظهرت الخاتمة المرضية ، والعاقبة المحمودة ،

---

(١) الأسطقسات : كلمة يونانية ، ومعناها العناصر الأربعـــة ، وتطلق كذلك على الأجرام السماوية . وأصل ومادة كل شىء ، والطبائع الأربع وهى : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . وعلم الهندسة . برهان قاطع . « العناصر الأربعة : النار والهواء والماء والتراب » . والأخلاط الأربعة هى : السوداء والصفراء والبلغم والدم .

*** الأبيات لابن بسام . أحسن ما سمعت للثعالبى . ص ٨٧ .

(٢) عانه يعينه عينا ، أصابه بعينه ، أى نظر إليه بعينه نظرة حسد ، فأصابه بسوء . ورجل مِعيان وعَيون ، أى شديد الإصابة بالعين ، أى شديد الحسد بالعين .

ولم يتطرق خلل إلى سد الحزم والاحتياط ، ولم تمض عزيمةُ العدو بقوة حُنكة رأى الملك وبخته الشاب ، ولم ير وجهَ نجح الطلب على سطح مرآة مراده ، ولم تنفذ إرادته ، ولم تستول الضَّجرةُ والحدة على طبع السلطان ، وفاتت فرصته :

بيت (كامل)

فإنَّ حلمك حلمٌ لا تكلَّفُه

ليس التكحُّلُ فى العينين كالكحَلِ (١)

بيت (خفيف)

گر بسنجد سپهر حلم ترا بشكنذ خُرد پله وشاهين

والمعنى :

إن يَزِنِ الفلكُ حلمك ، تتفتتْ كِفّةُ وشاهينُ ميزانه .

***

وعرض على رأى أبيه ما كان قد جرى بينه وبين الجارية ، وبرهنه بالحجج الواضحة ، والدلائل اللائحة ، بحيث زال غبار النَّفرة ، من صحيفة مرآة خاطرِ الشاه العاطر ، بصيقل المحبة والمودة :

بيت (متقارب)

رقابُ الأنامِ وقد أصبحت مثقَّلةً بالأيادى الثقال

***

(١) فإن حلمك ، البيت للمتنبي .

ثم قال : توجد حكاية مثل هذه الواقعة ، ونظير هذه الحادثة ، إذا أشار رأىُ الملكِ الرائنُ العالمَ ، أقولها ، قال : قل !

٢٥ — حكاية رب الدار مع الضيف والمرأة واللقلق(١)

قال : لتكن ذاتُ الملك العظيمةُ خالدةً فى دوام تأييد النُّصرة ، وتمكين القدرة ! حكوا أنه فى القرون الماضية ، والأمم السالفة ، أراد رجل أن يُعدّ لجماعة ضيافة كما يليق بالأصدقاء الموافقين ، والرفقاء الصادقين ، ويقومَ فى تلك الدعوة بكل تكلف وتفوق مرسوم وموسوم ، لأن صفة السخى هكذا :

بيت (كامل)

فطـــــــريفهُ نُقـــــلٌ لأول راغبٍ
وتليـــــــدُهُ نهـــــبٌ لأولِ راجٍ

***

فأرسل الجارية إلى السوق فى طلب اللبن ؛ نقدت الجاريةُ الذهبَ واشترت اللبن ، ووضعت الوعاء أو الإناء الذى كان فيه اللبن على رأسها مكشوفا ، ويممت الدار ؛ كذلك اقتضى التقدير الإلهى ، وهكذا أراد القضاء السماوى ، أن لقلقا أخذ ثعبانا فى فمه ، ومر فى فضاء الهواء فوق الإناء ، على سَمْتِ اللبن وسقطت بضعُ قطراتِ سُمّ هُلاهِلٍ من لعاب الأفعى فى اللبن ، ولم يطلع أو يقف أى أحد على ذلك ، وحقاً قد قالوا :

---

(١) فى نسختى طهران واستانبول « كربه » أى القط وهو سهو بين .

بيت (مجتث)

قضا قضا ست ، قضارا بحيله نيست مرد
چه پرنيان بسوي تير او چه زاهن سد

والمعنى :

القضاء هو القضاء ، لا مرد للقضاء بالحيلة ، سواء أكان مقابلَ سهمه حرير أم سد من حديد .

***

أحضرت الجارية اللبن إلى المطبخ ، وصنعوا منه أرزاً بلبن ؛ ولما وضعوا أنواع الأطعمة ، وأصناف الأغذية أمام الضيف ، تناولوا من كل منها ، وحين جاءت نوبة الأرز ، كلٌّ من أكل منه لقمةً ، خر جُثة هامدة ، فالآن ، من يكون الجاني في هذا الأمر ؟ ومن جانب من وقع الجرم ؟ ومن يستحق التعنيف والتكليف ؟

بيت (طويل)

ألا ربما ضاق الفضاء بأهلِهِ وأمكنَ من بينِ الأسنةِ مخرجُ

***

قال قائل : كان الذنب ذنب الجارية ، لأنها لم تؤد شرائط الاحتياط ووضعت اللبن مكشوفا على رأسها ، حتى سقط فيه لعاب الأفعى ، وقال آخر : هذه الجناية ارتكبها اللقلق ، وكان هو سبب هلاك هذه الجماعة ، لأنه مرر الأفعى على ذلك اللبن ، فقطرت فيه السم ، وصار واسطة هلاك قوم ؛ وقال آخر : مادة الإفناء ، وأصل الإعدام ، سمُّ الأفعى ، لأنه مجبولٌ و مطبوعٌ

على إماتة الأشباح ، وتفرقة الأرواح ، ومُرَكَّبٌ فيه مضرةُ ومعرةُ الخَلْق ؛ وقال آخر : الذنبُ ذنبُ صاحبِ الضيافة ، لأنه لم يذق ولم يفرق بين المضر والنافع .

فقال الأمير : فى هذه الواقعة . ليس أحدٌ مخطئا قط . لأن التقاديرُ مخالفةٌ للتدابير . ويد تدارك الخلق عنها قاصرة :

بيت (طويل)

وفى كلِّ يومٍ نوبةٌ بعــدَ نوبةٍ كأنَّا خُلقْنا للنَّوَى والنوائبِ

***

وحسبُ الحوادث السماوية . والوقائع الفلـكية سببٌ . ويكفيها تعلُّق . وهى تقتضى مثل هذا من القضايا السماوية : لأن عالمَ الأجسامِ والأعراضْ لا يوجد بلا حوادثَ ووقائع . ولا يصيرُ ممـكناً بغير تبديل أحوال وتغيير أفعال . وللحوادث والوقائع أسبابٌ . وتلك الأسباب لا تخلو من قسمين : إما جُسمانية أو روحانية .

فالجسمانية هى المدركة بالحواس الظاهرة . والروحانية تلك المدركةُ بالحواسِّ الباطِنةِ . وكلا القسمين حادث . ولابد للحادث من مُحدِث حتى يوجد . كما أنه لابد للمتحرك من محرِّك . ويُسمَّى الحادثُ : المعـلولَ والمُسبَّب والمفعولَ والمصنوعَ . ولوجود هذه الجملةِ عللٌ وأسبابٌ متسلسلةٌ بسببٍ يُسمَّى مُسبِّبَ الأسبابِ . وواجبَ الوجود . وهو الباري تعالى . والله غالب علىَ أمره .

وكلما يحين زمانُ شىء . يظهر سببٌ . وسببُ هلاكهم وفنائهم ، هنا، تلك الأسبابُ والوقائعُ ، والأمورُ والحوادثُ .

ولا يوجد أبداً رأيٌ نيِّرٌ أو درعٌ أو جوشنٌ ، دافعٌ ومانعٌ للقضاء الإلهى ؛ إذا جاء القضاء عمى البصر .

شعر (رمل)

إن مفتاحَ الذى تطلبُـــــه بيدِ المقـدورِ فاصبر واتّـكِلِ
فــــرغَ الله من الرزقِ ومِن مدةِ العمرِ ومن وقتِ الأجلِ

***

ولما لم تـكن مُددُ العمر ، ومدة الحياة قد انقضت ، ولم ينته الزمان ، ظهرت أسبابٌ صارت دافعة لإبطال جسد عبدكم ، وموجبة لإبقاء حياته ، حتى وقع من دوامةِ الخطرِ على ساحلِ الظفرِ ، ووصل من المهالكِ والأخطارِ ، إلى نُجح الأوطار ، وكان ذلك من جملة شمول عقل السلطان وكياسته ، ووفور علمه وفراسته ، ورزانة آراء وزراء الدولة الصائبة ، وفِطَنِهم وتدابيرهم :

بيت (بسيط)

صرائمُ كلَّمَا : أمضى صوارمَهـــــا
كلٌّ إلسّنانُ وفُـــلَّ الصــارمُ الذكَرُ

***

حين سمع الشاه هذه الفصول والمقدمات ، ورأى جرأة جنانه ، وعذوبة بيانه ، وعُـلِم استقلاله فى درجـةِ منصب الملك والدولة الشريفـــة ،

ورتبته المنيفة ، تبجح وابتهج ، واستحسن أمثلته الاستدلالية[١] ورموزه وإشاراته ، وسجد للبارى تعالى سجدة الحمد والشكر ، وأرسل الصدقات إلى المستحقين ، وقام بإيفاء النذور والنوافل ، وشرّف سندباد بلباس الاختصاص والتشريف ، وقابل مساعيه الحميدة — التى كان قد بذلها فى أبواب تعليم وتلقين الأمير — بالإيجاب والإنعام ، ومن عليه بالتقريب والترحيب وقال : كان فكرُنا موزّعا ، وخاطرُنا مقسما ، من أجل هذا الابن ، حتى هذه الغاية ، وببركة صحبةِ سندباد ، ويُمن نصيحتهِ ، زالت تلك الشواغل ، وبطلت تلك[٢] العوائق ، وحصل منتهى فراغ البال ، ولاح السكونُ والاستقامة على أجمل ما يكون ، وصار ولدى — بوساطة اكتساب العلم وتحصيل الحكمة — مستقلّ سرير الملك ، ومستعداً للتاج والدولة ، ولم يبق لى على التخت أى مراد أو نهمة :

بيت (هزج)

فحمداً ثم حمداً ثم حمداً لمن يُعطى إذا شُكِر المزايا

* * *

وقف سندباد ، وزيّن لسانه بالدعاء والثناء وقال : كل ما تيسر لعبدكم فى حيز الإمكان ، ودخل فى وطاء القدرة ، قد بذله ، ولم يدخر شيئاً قط فى باب التعليم والتفهيم ، وإذا أراد السلطان — جعله الله دائماً كما يحب الصديق — أن تصح هذه الدعوى ، ويتحقق هذا المعنى ، فليأمر أن يَسألَ الحكماء

---

(١) « نموذارى » هذه الكلمه غير موجودة بنسخة طهران .

(٢) « آن » و « پيذاشوذ » هاتان الكلمتان فى نسخة استانبول فقط .

والفضلاء عن النكات العلمية ، والدقائق الحكمية ، ليُعلمَ للرأى العالى ، الأمينُ والمَهينُ ، والغثُّ والثمينُ ، ويطلُعَ صبحُ اليقين من ليل الشبهة ، « ويظهرَ »[1] الحقُّ من الباطل ، ويفترقَ الصدقُ عن الكذب ، ويتصوَّرَ لدى الرأى الأشرف الأنور ، أنى — أنا عبدَكم — لم أستجز تقصيرا أو غفلة فى مراسم الخدمة ، ولوازم أداء الحق ، وأما إنه فى هذه المدة ، كان سعيى ضائعا ، واجتهادى غيرَ مؤثر ، فبحكم أن للأسباب أوقاتا ، وأن الممكنات والمُحدثات منوطة ومربوطة بها ، مثال ذلك : أشجارُ ونباتُ الأرض ، التى إثمارُها وإزهارُها متعلقان بوقت الاعتدال الربيعى والخريفى ؛ الشتاء أيام عُطلة ، وأوقات فترة ، وإذا أراد أحد أن تخرُجَ الأوراق والأزهار من الأشجار فى صميم الشتاء ، فإنه مهما تكن بعض الأسباب موجودة وممكنة ، أما لأن الأوقات فى حيز التعذر ومقام الاستحالة ، فلا يجدى العناء والمشقة ، ولا يربح ولا ينجح التصنع والتكلف ، وإذا قام إنسان بتدابيرَ فى هذا الباب ، وتحمَّل المشقاتِ ، فلا يفيد البتة ؛ وكان لحالة الأمير عينُ هذا المزاج ، إذ كانت بعض الأسباب فى محل الإمكان ، وبعضها فى حيز التعذر والاستحالة ، وبحكم هذه المعانى ، لم يكن ليتيسر ويتهيأ إدراك هذه الأمانى ؛ والآن حين توافرت بقايا الأسبابِ ، وشرائطُ ولوازمُ الأوقاتِ الخادمة ، أسفر جمالُ المقصود من حجاب الطلب أبهى وأزين ما يكون ، وتبدَّلت أسبابُ التعسير بوسايل التيسير ؛ قولُه تعالى : فإنَّ معَ العُسرِ يُسراً ، إنَّ معَ العُسر يُسْراً[2] .

---

(١) « آن » و « بيذاشوذ » هاتان الكلمتان فى نسخة استانبول فقط .

(٢) سورة الانشراح أو الشرح ، الآيتان ٥ ، ٦ .

بيت (هزج)

إذا اشتدّتْ بك العُسرَى ، ففكرْ فى ألمْ نشرحْ
فعسرٌ بين يُسيرين ، إذا فكّرتَها فافرحْ

***

وهذا كلُّه نفسُه ، تعِلّةٌ وبشارةٌ ، وعمدةُ هذه الأبواب ، وزبدةُ هذه الأسباب ، صدقُ همةِ السلطانِ الميمونِ الرأى ، ونظرُه المباركِ ، وجلالُ سعادته ، ويمنُ إقبالِه ودولتِه ، التى تُذلل الصعاب ، وتأتى بالمستحيلات فى حيز الإمكان والتيسير :

شعر (كامل)

فالسائراتُ السبعُ فى أفلاكها عادت ثوابتَ لو يقول توقّفِ
لو غاضبَ الفلكَ المُعلّى لم يدُرْ أو نابذَ الأيامَ لم تتصرّفِ

***

لما استمع الشاه إلى هذه الفصول ظهر أثر الارتياح والابتهاج على ناصيته الميمونة ، وأنعم على سندباد بالتشريفات الفاخرة ، والخلع الوافرة اللائقة بهمة وعاطفة مثل ذلك السلطان ، وسأل الأمير : اشرح مثال تلك الأحوال وكيفيتها : فى الابتداء ، إباء الخاطر ، وفى الانتهاء ، إيفاء العلم ، وكيف موجبُ الأوائلِ غيرِ المرجوة ، ومُظهرُ العواقبِ المحمودة ؟

قال الأمير : ليكن بقاء سلطان الأرض وملك الزمان ، فى نَضرة العيش والسعادة ، والنُّصرة والظفر ، وفيضُ السعاداتِ الإلهيةِ متوال ، والإقبال والدولة مترقيان على مدارج المعالى !

مهما يكن اقتضاء رأيه الزائن العالم ، فإنه لا يخفى على الرأى الأنور ، والخاطر السلطانى الأشرف ، الممدّ لشعلة شمع الشمس ، والمضىء لمشعلة القمر ، أن الشباب شعلة من الجنون والهوس ، وفيه اختلال أحوال العقل ظاهر ، ونقصان آلاتِ وأسبابِ الإدراك ، جلى وواضح ، وميل الطبيعة فى أوقات الصبوة إلى الملاعب والملاهى ، يزيد أسبابَ تأخيرِ درك الأمانى فى ابتداء الشباب ، ومن هنا قيل :

بيت (كامل)

وركضتُ أفراسَ الصِّبَى فجرتْ إلى
غاياتِها شوساً بغير عذار

بيت (متقارب)

جوانى كى پيوسته عاشق نباشد   در بغست ورا روزگارِ جوانى

والمعنى :

الشاب الذى لا يكون عاشقاً دائماً ، زمان شبابه أسف وحسرة .

***

ثم ، ظهورُ الصبح الصادق ، وقبولُ التأثير فى العواقب ، وحصولُ الاستعداد وتهيؤ الأسباب ، واستكمالُ الحواس واستجماعُ العقل ، ولهذه المقدمات نظير ، ولهذه الواقعة حكاية ، إن يكن من الرأى السلطانى إجازة أذكرها .
قال الشاه : قل !

٢٦ـ حكاية المرأة والصبي والبئر والرسن والمعشوق

قال الأمير : كان فى الشهور الدابرة والسنين الغابرة ، امرأة تتابع الشهوات الشيطانية ، وتوافق اللذات الحيوانية ، ولها على أسباب المعاشرة حرصٌ غالبٌ وشَرَهٌ طالب ، ونهمةٌ راغبة ، وقد قصرت الأوقاتِ والساعاتِ على تحصيل اللذات ، وإدراكِ النهمات ، وجعلت هذا المعنى وِرْدها :

رباعى

١ — بر دار پياله وسبوى اى دل جوى ،
٢ — فارغ بنشين تو بر لبِ سبزه وجوى ،
٣ — بس شخصِ عزيز كى دهر اى مه روى ،
٤ — صذ بار پياله كرد وصذ بار سبوى[1] .

والمعنى :

١ — احمل الكأس والإبريق أيها الرفيق ،
٢ — واجلس فارغ البال على حافة المرج والجدول ،
٣ — كم من عزيز أيها القمَرِى الوجه ،
٤ — جعله الدهر مائة مرة كأساً ومائة مرة إبريقاً .

* * *

(وذات يوم أخذت الجرة والرَّسَنَ ، وذهبت إلى البئر لتستقى ، وكان

---

(١) من رباعيات الخيام .

فى حضنها صبى ، فلما وصلت إلى حافة البئر ، رأت معشوقها واقفاً هناك ، قد فتح عين الانتظار ، وكان يقول لنفسه :)[١]

بيت (خفيف)

انتظارم مده كى آتش وآب نسكنذ آنچ انتظار كنذ

والمعنى :

لا تجعلينى أنتظر ، فإن النار والماء[٢]، لا يفعلان ما يفعله الانتظار .

* * *

وحاصل الحال بعد طول المقال ، أنه حين وقع نظر المرأة على المحبوب والمطلوب ، تبدلت وتغيرت عليها الحال ، بحيث بدا النهار المضىء أمام عينيها مثل الليل البهيم ؛ أخذ مركبُ الشهوة من يدها لجام الصبر والوقار ، وأرخت هى العنان[*]، وسارت على مهل ، وأثقلت الركاب[*]، وركبت ،

---

(١) هذه العبارة ترجمتها من نسخة طهران ، وآثرتها على العبارة المقابلة لها بنسخة استانبول لخلوها من الحشو والتكرار ، وترجمتها كما يلى :

وذات يوم أخذت جرة الماء والرسن ، وذهبت إلى حافة البئر لتستقى ، لتحضر ماء للبيت ، وكان فى حضنها صبي صغير ، فلما وصلت إلى حافة البئر ، رأت معشوقها واقفاً على حافة البئر ، قد فتح . . . الخ .

(٢) أى : النار المحرقة والماء المغرق ، والبيت الفارسى ، للعبادى ، سخن وسخنوران ٢ / ١٨١ .

(*و*) هاتان العبارتان ترجمة حرفية لأصل العبارة المكنى بها عن المعنى المذكور بعد كل منهما .

وجالت في ميدان الوله واللاشعور ، وأخذت في المبارزة في وادي[1] المغازلة والمعاشقة :

بيت (هزج)

اى عشق چه چيزى وكجا خيزى تو   كز آب روان گرد برانگيزى تو

والمعنى :

أيها العشق ! أي شيء أنت ، وأين تنشأ ؟ إذ تثير الغبار من الماء الجارى .

* * *

فلما انقضى زمن ، واتجه خاطرها إلى البيت ، أرادت أن تربط الرسَنَ في عنق الجرة ، فكان بخارُ الشهوة ، قد جعل حجابَ الغفلة أمام عينيها ، بحيث لم تستطع أن تفرق بين الجرة والصبي ، ومن غاية الشره ، ونهاية الشبق ، ربطت الرسَنَ في عنق الصبي وأدلته في البئر ، ومهما كان الصبي يصرخ ، لم يُجدِ البتة ولم يُفد ، إذ كانت ترى خيال المحال في نوم الغفلة ، وتكيلُ بيدرَ الشهوة بمكيال العُطْلة وتقول لنفسها :

شعر (منسرح)

يا عاذلَ العاشــــقين دع فئة   أضلَّها الله ، كيف تُرشِدُها ؟
ليس يحيــــك الملامُ في همم   أقربها منك ، عنك أبعدُها[2]

* * *

---

(١) في نسخة استانبول : « صحرا » .

(٢) يا عاذل ، البيتان للمتنبي .

إلى أن وصل رجل ورأى الصبي على تلك الصفة ، فأخذ الرسن وأخرجه من البئر .

***

كانت هذه نفس حال غلامكم ، إذ كان فى ساحة الصبوة بميدان المسابقة ، على مركب النهمة ، قد خطف كرة الشهوة بصولجان الغفلة ، وأعطى عنان العقل والفهم لشيطان الهوى الموسوس ، وفى هاوية الهوى ، أسلم زمام الجموح ليد غول الغفلة ، ورأى لزاماً عليه متابعة اللعب واللهو ، ولما مضى موسم الصبوة وحل أوان العقل والتجريب ، أعرضتُ عن أخلاق الجهلاء ، وأقبلتُ على كسب العلم ، وتحصيل المعرفة ، وادخار الحكمة ، وعرفتُ أن عالم الجهل ظلمانى ، وعالم العلم نورانى ، والعلم فيه كماء الحياة ، وجملة الموجودات مثل الحجر والفخار والخزف والصدف . واللعلُ والجوهرُ فيه ، الحكمةُ والعرفانُ ، ليطلب العقلاء ماء حياة الحكمة فى ظلام الضلال[1] ، ويستخرجوا ذهب وجوهر «الحكمة والعلم»[2] من خزفه وصدفه المملوءان بالحجر والمدر ، ويجدوا بذلك استكمال النفس .

شعر (كامل)

العلمُ فيه جلالةٌ ومهابةٌ والعلمُ أنفع من كنوزِ الجوهرِ
تفنَى الكنوزُ على الزمان وعصره والعلمُ يبقى باقياتِ الأدهرِ[3]

***

(١) كان القدماء يعتقدون أن ماء الحياة الذى شرب منه الخضر عليه السلام وظفر بالخلود ، موجود فى الظلمات .

(٢) الكلمتان غير موجودتين بنسخة طهران .

(٣) العلم ، البيتان للراوندى .

ولما اقترنت الهمة والعقيدة بصحة العزيمة ، اتجهتُ إلى تهذيب الأخلاق ، وتجنبت متابعة الشهوات ، وقصرت الهمة والنهمة على تحصيل العلم والحكمة ، وقلت لنفسى :

شعر (هزج)

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مالُ
فإن المالَ يفنَى عن قريب وإن العلمَ باقٍ لا يزالُ[1]

***

فسأله الشاه : يا قرة باصرة السيادة ، ويا ثمرة شجرة السعادة ! أرأيت « أو سمعت »[2] أن أحداً أعلمُ منك قط ؟ « وهل سمعت بمن هو أكثرُ منك تهذيباً فى أقواله وأفعاله ؟ »[3] . قال : نعم ! ثلاثة أشخاص كانوا أكثر منى فى وجوه التجارب ، ورجحونى فى الشهامة والكياسة : أحدهم طفل عمره سنتان ، وثانيهم صبى فى الخامسة من عمره ، وثالثهم شيخ ضرير . فسأله الشاه : كيف حكاية الطفل الذى عمره سنتان ؟ قل حتى أسمع !

---

(١) رضينا ، البيتان ، منسوبان إلى الإمام على بن أبى طالب عليه السلام .
(٢) هذه الكلمة « أو سمعت » مترجمة من نسخة طهران .
(٣) هذه العبارة « وهل سمعت . . . الخ » مترجمة من نسخة استانبول ، وغير موجودة بنسخة طهران .

٢٧ ـ حكاية الطفل الذى عمره سنتان

قال الأمير : كان فى الزمان الماضى رجلٌ عسكرىٌ عاشقاً لامرأة مدنية ، وكان يبدى فى محبتها البيان والبرهان ، وذات يوم ، أرسلت إليه المعشوقة رسالة :

بيت (هزج)

بيا اى راحتِ جانم كى تا جان برتو افشانم
زمانى باتو بنشينم ز دل اين جوش بنشانم

والمعنى :

تعال يا راحة روحى لأنثر عليك روحى ، وأجلس معك زماناً وأطفىء هذه الجيشان من قلبى .

***

فلما سمع العسكرى رسالة وسلام المعشوقة على هذا المنوال ، عد ذلك من مواهب الأيام ، ونفائس ذخائر الزمان ، وقال :

شعر (رمل)

١ ـ من كه باشم كى تمناى وصال تو كنم
يا كيم من كى حديثِ لب وخالِ تو كنم ؟

٢ ـ كس بدرگاهِ خيال تو نمى يابد راه
من چه بيهوده تمناى وصـالِ تو كنم

والمعنى :

١ — من أكون أنا حتى أتمنى وصالك ، أو من أنا حتى أتحدث عن شفتيك وخالك ؟

٢ — لا يجد أحد الطريق إلى حضرة خيالك ، فلم أتمنى أنا عبثاً وصالك ؟

***

أعد فى الحال تحفة وهدية تليق بالمعشوق المخلص والمحبوب الأوحد ، وقصد الدار ، فلما وصل إلى المقر والمطلب ، ورأى جمال محبوبته[1] ، وتحدثا ساعة عن الترح والفرح ، طلب العسكرى خلوة ، وكان للمرأة بالدار طفل عمره سنتان ، فهيم وحاذق وذكى ، داهٍ للغاية ؛ فقالت[2] : تريث لحظة لأصنع طعاماً وأشغل به هذا الطفل ، حتى لا يقف على أسرارنا ؛ قال الرجل : إلى أن تصنعى الطعام يطول الوقت ، وينبغى أن لا يصيبنا ضُر من عين سبوع الزمان ، فتفوت[3] الفرصة ، وتصير هذه الغنيمة هزيمة ، والعمر أيضاً فى منزل الرحلة ، وكل ساعة تمضى لا يمكن عوض وبديل لها ، وخاصة ساعات الوصل التى تمر مر السحاب ، وتسير سير الشهاب :

بيت (بسيط)

إن الليالىَ لم تُحسن إلى أحدٍ إلا أساءت إليه بعد إحسانِ

---

(١) فى نسخة استانبول « وجمال او » أى جمالها.

(٢) فى نسخه استانبول « زن گفت » أى قالت المرأة .

(٣) فى نسخة استانبول « اين فرصت » أى هذه الفرصة :

بيت (رمل)

باذه خـواه وبوســـه ده سستى مكن
روز گار از كيســـــه ما مى شود

والمعنى :

اطلبى الخمر واعط قبلة ولا تتراخى ، فإن الأيام تذهب من كيسنا .

***

ضعى فى يده قطعة خبز لينشغل بها ، قالت المرأة : أنت لا تدرى شهامته[1] وكياسته ، وبعد نظره وفراسته ، ولست خبيراً باحتجاجه وتعلله :

بيت (كامل)

إن القَـذى يؤذى العيونَ قليلُه ولربمـا جرحَ البعوض الفيلا[2]

بيت (هزج)

از خوى بذش چنان همى ترسم كز وى دل من بهجر خرسندست

والمعنى :

إنى لأخشى خلقه السيء إلى حد أن قلبى راض منه بالهجر .

***

(١) هذه الكلمة « شهامت » غير موجودة بلسخة طهران .
(٢) إن القذى . البيت : لأبى الفتح البستى .

قال الرجل : إن يكن هكذا ، فأنت خير من يعرفة ؛ قدمى ما يلزم من قضية الصواب وموجب الاستصواب ، فإن الأمهات أعلم بأبنائهن حتى لا يأخذ علينا هفوة ، ولا يُلزمنا غرامة .

وضعت المرأة القِدْرَ وطبخت من أجله أرزاً باللبن ، ولما تم ذلك ، جعلت قَدراً فى غضارة ووضعته أمام الطفل ، فقال الصبى : هذا قليل ، أريد أكثر فأعطته قدراً آخر ، فألح مرة ثانية قائلا : إن هذا مقدار حقير جداً ، لا يكفينى ولا يُشبع ؛ أعطته مقدارا آخر ، فلم يكن ليرضى كذلك ، وأخذ فى اللجاج والعناد قائلا : أريد زيادة ! فلما فرغ الأرز قال : أريد سكرا وسمنا ، فأحضرت المرأة السكر والسمن ، وكان الطفل أيضاً يعيد ويراجع على ذلك المنوال ، حتى مل العسكرى جرس «الصبى»[1] وشرهه وفضوله ولجاجه ، فقال : أيها السيء الخلقِ ، الأحمق ! أخيرا كم تماكس وتطلب المزيد ؟ إن ما لديك من الطعام يكفى ثلاثة رجال !

فأجاب الصبى : إنك أنت الأحمقُ السيء الخلقِ القليلُ الأدبِ ، ولست أنا ! ولو كنت ذا علم وعقل ، لعرفت أن هذا الشغل الذى باشرته ، وقاعدة هذا العملِ التى وصفتها ، بناء على شفا جُرُف هار[2] ، أو على شفا حفرة من النار[3] . فأنت مستوجبُ مذمةِ الناس فى الدنيا ، ومستحقٌ عقوبةِ الله فى الآخرة ، وبهذا الخُلُقِ الذى أنت عليه ، وهذا البذرِ الذى تبذره ، تضحك منك السماء فى كل ساعة ، وتبكى عليك الأيام ، ويقول لك لسان الزمان :

---

(١) أصل هذه الكلمة «كودك» موجودة بنسخة استانبول فقط .

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٩ .

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

شعر (بسيط)

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمتِه
أتطلبُ الربحَ فيما فيه خسران
عليك بالنفس فاستكمل فضائلها
فالمرء بالنفس لا بالجسم إنسان(١)

* * *

إنك تقضى العمر فى الجهل والغفلة ، وتعيش الأيام فى الحماقة والضلالة ؛ وستحصد بأسرع ما يكون ريعَ ونُزُلَ هذا الزرع ، وتعرفُ أنه :

بيت (سريع)

سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرسٌ تحتك أم حمارُ(٢)

* * *

ثم إذا كنتُ أنا ألححتُ فى الأرز ، فقد حصلت على أرز أوفر ، وأخذت سكرا وسمنا أكثر ، ومن البكاء ، انحلت واضمحلت الرطوبات الزجاجية والملحية ، بحكم قوة الحرارة الغريزية ، فصفا الدماغ ، وأضاءت العين ، وبينما كنتُ فى هذا ، هدأ الأرز ، وجعلت عليه السكر والسمن ، فصار معتدل

(١) يا خادم الجسم ، البيتان ، من نونية أبى الفتح ، وفيهما رواية أخرى وهى :
يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح مما فيه خُسْران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
(٢) سوف ترى ، البيت : من منتخبات التمثيل والمحاضرة للثعالبى .

المزاج ، وآض سريع الهضم ، والسكر[1] ، بحكم لطافة أجزائه ، يُصيِّر الغذاءَ لطيفاً ، والحواسَّ صافية ، والدماغ قوياً ، وهذه كانت نتائج سوء خلقى ! أما نتائج وثمرات تفكيرك ، فضعفُ حاسة البصر ، ونقصانُ جوهر الدماغ ، واستيلاء البرودة واليبوسة ، وتفشى الحرارة ، وتلاشى القوة ، وفتورُ الأجزاء ، ووهن الأعصاب والأعضاء ، وقصر العمر ، ومــذمة الناس « فى الدنيا ، وعقوبة وسخط الله فى الآخرة »[2] وذخيرة العواقب الوخيمة ، والعذاب الأليم ؛ فالآن : سيىء الخلق والأحمق الغبىُّ ، أنت أو أنا ؟ وكان الرجل العسكرى حاذقاً ذكياً ، فلما سمع هذه المقالاتِ المعقولةِ ، والدلالات المشروعة ، عَجِبَ وقال :

بيت (متقارب)

أحُلمــاً نرى أم زماناً جــديداً
أم الخلقُ فى شخصٍ حىٍّ أُعيــد[3]

* * *

وعرف أن الحق فى جانب الصبى راجح ، وفى طرفه قاصر ، وأنه قد فتح على نفسه باب الوزر والوبال ، والخزى والنكال ، وهو بهذا الذنب ملوم ومعاتب ومذموم ومخاطب ، فنهض على قدميه ، وأكثر الاعتذار للصبى ،

---

(١) فى نسخة استانبول « وأجزاى شكر » أى وأجزاء السكر ؛ وواضح أن كلمة أجزاء هنا حشو .

(٢) « فى الدنيا ، إلى آخر العبارة ...... » هذه العبارة مترجمة من نسخة استانبول ولا أصل لها فى نسخة طهران .

(٣) أحلما نرى ، البيت ، للمتنبى .

وعاهد[١] نفسه أن لا يُقدمَ ثانياً على أمثال هذا الذنب ، وأن لا يلقىَ نفسه فى الوبال الآجل ، والنكال العاجل ، وأن لا يرجع لأمثال هذى الحال ، ثم قال: أيها الصبى ! اعذرنى وتجاوز عن هذه الجرأة التى اجترأتها ، لأنى ظننت أنى جئت إلى دار الحبيبة والمعشوقة ، ولم أدر أنى ذهبت إلى مدرسة[٢] بقراط وسقراط الحكيم « لأقتبس عوائد وفوائد كثيرة »[٣] ، وأستفيد مناجح ومنافع وفيرة ، وقال للمرأة : وهبتك لهذا الصبى الحكيم الطبع ، وخرج من البيت ، ومضى لِطِيَّته .

قال الشاه : وكيف حكاية الصبى الذى فى الخامسة من عمره ؟ قل !

٢٨ — حكاية الصبى الذى فى الخامسة من عمره

قال الأمير : هكذا حكوا أنه فى الشهور السالفة ، والأعوام الماضية ، كان ثلاثة أشخاص من دهاة العالم وكفاة بنى آدم ، يتاجرون ويرابحون على سبيل المشاركة ، فلما بلغ ربحهم ألف دينار ، قالوا نقتسم ؛ فقال أحد هؤلاء الثلاثة ، وكان داهى الطبع ، كافى الرأى ، وقد أفاد فى الأحداث تجربة وصار محنكا : إن قسمة ألف دينار متعذرة وصعبة ، ولا تخلو من كسور وقصور ، فلنضع هذا الكيس أمانة لدى معتمد أمين ، حتى إذا بلغ الربح ألفاً وخمسمائة ، عندئذ

(١) فى نسخة استانبول « نذر كرد » أى نذر .
(٢) » » » « خانه » أى بيت .
(٣) « لأقتبس ..... الخ » أصل هذه العبارة غير موجود بنسخة طهران .

نقسمه ، ويحصل لكل واحد نصيب كامل وقسط وافر ؛ ومن ذلك النصاب، يُدَّخر لنا فى باقى العمر نصيب الرفاهة والفراغة ، لأن إدراك المنال بغير وسيلة المال ، صعب وغير ممكن ، وكل من يغفل ويتهاون فى هذا الباب ، يبقى بلا نصيب من اللذة والمسرة ، ويُحرمُ من الفراغة والرفاهة ؛ فأخذ الثلاثة الكيس معاً وذهبوا إلى بيت عجوز كانت موصوفة بالأمانة والسداد ، وموسومة بالعفاف والصلاح ، وقالوا لها : إننا نضع عندك هذه الألف دينار أمانة ووديعة ونوصى بأن لا تعطى هذا الكيس لأحد ما لم نكن نحن الثلاثة حاضرين[1] ؛ وانصرفوا هُم . ومضى على ذلك زمن ، إلى أن اتفق مرة أن يذهبوا إلى الحمام ويستحموا ، فقال أحد هؤلاء الثلاثة : فى جوار تلك المرأة حمَّام ، فلنذهب إلى هنالك أيضا ، ونطلب من العجوز طينا ومُشطا[2] ! وحين وصلوا هنالك ، توقف اثنان ، وقال من كان أكبرهم : ابقياها هنا حتى أحضر أنا الطين والمُشط . وجاء إلى بيت العجوز وقال : اعطينى كيس الذهب ! قالت العجوز : لا أعطى الأمانة ما لم تجتمعوا أنتم الثلاثة كلكم . قال الرجل : إن صاحبى هذين واقفان خلف دارك ، فاصعدى فوق سطحك وقولى : هل أعطى صاحبكما ما يطلبه أم لا ؟ فصعدت العجوز فوق سطح البيت وسألت : هل أعطى صاحبكم ما يطلبه ؟ قالوا : أعطيه إياه ، « فإننا قد أرسلناه »[3] ونحن طلبناه !

فظنت المرأة أنهما يعنيان كيس الذهب ، فجاءت وأعطت الكيس لهذا الرجل ، فأخذ الرجل الكيس وذهب :

---

(١) ترجمة عبارة نسخة استانبول « مجتمعين » .

(٢) كان العجائز فى مصر حين يذهبن إلى الحمام العام ، يغسلن رءوسهن بنوع من الطين ، أصفر اللون ، يسمى « الطَّفل » بفتح الطاء وتشديدها .

(٣) « فإننا . . . . . الخ » أصل هذه العبارة موجود بنسخة استانبول فقط .

بيت (متقارب)

وعدتُ بأموالهم ظافــــــرا كَقَوْدِ الخَلِيِّ إلى العاطل[١]

***

وبقى الرجلان زمناً ، ثم جاءا عنـــد العجوز وقالا : أين رفيقنا ؟ قالت العجوز : أخذ كيس الذهب وذهب ! فحار الرجلان ، وأمسك كلاهما بالعجوز وقالا : إنك تكذبين ، ردى إلينا ذهبنا ! وجاءوا جميعاً إلى حاكم المدينة ، وادعى كل واحد على العجوز بالذهب «وشرحت العجوز الواقعة وقالت»[٢] : إنى أعطيته لصاحبهما . فحكم القاضى قائلا : ردى الذهب ! لأن الشرط كان أن لا تعطى الذهب ما لم يحضر الثلاثة ، لماذا أعطيته ؟ الغرامة عليك لازمة ، والعوض واجب . ومهما اضطربت العجوز ، لم تكن فائدة ، فعادت من لدى الحاكم صاخبة مولولة ، ومرت فى الطريق بجماعة من الصبية ، فجرى نحوها صبى فى الخامسة من عمره وسألها : يا أماه ! ماذا حدث لك ، فأنت هكذا محزونة متوجعة ؟ قالت : يا بنى[٣] واقعتى معضلة ، وحادثتى مشكلة ، لاتعرف علاجها ، ولا تستطيع تدبيرها :

مصراع (هزج)

رو بازى كن ، كى عاشــــــقى كارِ تو نيست !

---

(١) البيت للمتنبى .

(٢) هذه العبارة مترجمة من نسخة طهران ، وترجمة عبارة إستانبول كما يلى : « وقالت العجوز الواقعة ، قالت العجوز » .

(٣) فى نسخة استانبول « اى كودك » يعنى : أيها الصبى !

والمعنى :

اذهب ، العب ، فليس العشق شأنك !

* * *

إلى أن ألح الصبي ، وأقسم عليها الأيمان الغلاظ الشداد ، فشرحت العجوز الحادثة . قال الصبي: إذا دفعت هذه النازلة ، ورفعت هذه الواقعة، وأزحت عن قلبك هذا[1] العناء، أتشترين لى بدرهم تمراً ؟ قالت العجوز: أشترى . قال الصبي: « تلافى هذا المعضل وتدارك هذا المشكل »[2] هو أن تذهبي هذه الساعة لدى الحاكم ، وتحضرى الخصمين وتطلبي[3] أن يقولا قصة الحال من الرقبة إلى الركبة[4] ، ومن الأول إلى الآخر ، فى حضور جماعة من الأعيان والعدول والثقات، وتشهدى الحاضرين على ذلك، ثم تقولين : طال بقاء الحاكم ! كيسهم عندى ، والذهب معى ، ولكن الشرط بيننا هو أن لا أسلم هذه الوديعة لهم ، ما لم يجتمع الثلاثة ، فمر بأن يحضرا صاحبهما الثالث ويأخذوا أماناتهم .

لقِنَت العجوز هذه الحُجج ، وذهبت على البديهة أمام الحاكم وقالت :

بيت (كامل)

إنى نثرت عليـــك دُرا فانتقد   كثُر المدلِّسُ فاحذر التدليسا[5]

* * *

---

(١) « ابن » أى هذا ، غير موجودة بنسخة طهران .

(٢) ترجمة النص الوارد بنسخة طهران « تدارك هذا المعضل »

(٣) فى نسخة استانبول « وبكوئى » أى وتقولى .

(٤) كما يقول عامة المصريين : من طأطأ لسلامُ عليكمْ .

(٥) إنى نثرت ، البيت للمتنبى .

وأعادت كذلك ما كان الصبي قد لقّنها ، فلما رأى الحاكم تركيب الألفاظ مختلفاً ، وسمع الحجة المحكمة ، تحير[1] ، وقال للخصمين : ارجعا وأحضرا صاحبكما الثالث ، وخذوا أمانتكم ، لأن الحق هو هذا ، وحكم الشرع هكذا . فانصرف الخصمان خائبين وخاسرين ، ونجت العجوز من ذلك البلاء :

بيت (طويل)

وما هذه الأيام إلا منازلٌ
فمن منزلٍ رحبٍ ومن منزلٍ ضنكِ[2]

* * *

وعندئذ التفت الحاكم إلى العجوز وسألها قائلا : من شمع من أوقدت هذا السراج ، وممن تعلمت هذه الحجة[3] المحكمة ؟ قالت : قلتها من خاطرى واستنبطتها من فكرتى ورويتى . قال الحاكم : كذبت فارجعى ، هذه الحجة لا تلائم عقول النساء ، لأن طاووس الفكرة[4] لا يضع هذه البيضة فى وكر دماغ امرأة[5] ، ولا يطير الطاووس من عش الغراب ، ولا ينجم الذهب من حجر الرصاص ، ولا يتولد صدف الدُّر فى المرحضة ، ولا يخرج

---

(١) ترجمة عبارة نسخة لستانبول : تحير وحكم وقال للخصمين . وظاهر أن كلمة « حكم » هنا زائدة .

(٢) وما هذه ، البيت للبحترى .

(٣) فى نسخة طهران « چنين » أى مثل هذه .

(٤) فى نسخة طهران « طاير بلند پرواز فكرت » أى طائر الفكرة البعيد التحليق والطيران .

(٥) فى نسخة استانبول « زنان » أى النساء .

المسك البربرى من الغزال الكزورى[١] ، قولى الحق ! من لقَّنك هذه الحجة المتينة ؟ قالت العجوز : صبى فى الخامسة من عمـــره ، تعجب الحاكم وأمر فأحضروا الصبى ، واستفسر عن عقله وخاطره ، فلما رأى فيه آثار الرشد والكياسة ، لاطفه ومَنّ عليه بالتقريب والترحيب ، وأعزه وأكرمه ، وأشفق وأنعم عليه ، وكان بعد ذلك يتشاور معه فى المشكلات والمبهمات ، ويستفيد منه .

قال الشاه : وكيف حكاية الشيخ الضرير المبتلى ، حتى أسمع هذه الحكاية ؟

٣٩ — حكاية الشيخ الضرير والتاجر والطرارين

قال الأمير : لتكن حياة السلطان السعيد ، وصاحب قران الزمان[٢] فى حفظ الخالق ! هكذا رووا فى الكتب المشهورة ، والتواريخ المذكورة ، أنه فى العهود الماضية ، والأمم الخالية ، كان فى مدينة[٣] أنطاكية تاجرٌ ذو ثروة كبيرة وتجارة لا تُحصى ، وكان فى صنوف التجارة تام الكفاية ، وفى معرفة أصناف الأمتعة كامل البصيرة[٤] . كان دائماً يقطع المفاوز ، ويطوى المنازل والمراحل . وذات يوم قدم جماعة من الواردين وأخبروه بأن لخشب الصندل

---

(١) الكزورى الذى يرعى الكزور ، معرب « كزور » وهو جذور نبات مرة تستخدم فى الدواء . ويسمى كذلك « زرنباد » بفتح الزاى والراء وسكون النون .

(٢) صاحب قران ، لقب لكل سلطان عظيم أو شخص خطير صـــادف مولده اقتران كوكبين .

(٣) فى نسخة استانبول « بلاد أنطاكية » .

(٤) فى نسخة استانبول « شهامتى بركال » أى كامل الشهامة .

عزةً فى النواحى الفلانية من سواحل المحيط ، بحيث يتساوى فى القيمة مع ذهبِ المعدِن . فاجتذب التاجرَ هوسُ الربح ، وقال لنفسه : أجمع ما عندى منَ رأس المال وأشترى صندلا ، وأذهب إلى تلك المدينة ، وأبيعه بسعر طيب وثمن واف ، وبذلك يتهيأ لى رأسمال ويحصل كفاف ، فيكون فى بقية العمر غَناء واستغناء ، وأستغنى عن الكسب والتجارة ، وأقيم فى فراغة ورفاهة ، وأعيش الأيام فى استقامة وراحة . جمع ما كان عنده من النقود على هـــذه العزيمة ، واشترى مائة حِمل صندل ، وقصد تلك النواحى ، وكان يقول لنفسه فى الطريق :

بيت (كامل)

ولقد نذرتُ لئن رأيتك سالما أن لا أعود إلى فراقك ثانية

***

وعندما اقترب من تلك الولاية « ورأى سوادها »(١) توجه لِتلقاء مدينة كانت فاتحة البلاد وفهرست السواد ، وكان أهلها معروفين بالفطنة والكياسة والمكر والحيلة ؛ فلما صار على منزلين منها ، أخبر المنهون بأن تاجرا آت بمائة حِمل صندل ؛ ففكر أحد دهاة تلك المدينة ، وكفاة تلك الجماعة — وكان ذا بصارة فى وجوه التجارة — فى نفسه قائلا : إن لدى قَدْرٌ من الصندل ، وهذا التاجر يصل الآن أيضاً ، ويَكسدُ سعر صندلى ، فلأذهب وأسلب منه الصندل بالحيلة ؛ فخرج على شكل البياعين ، وهيأة المحتكرين ، وأحضر معه قدراً من خشب الصندل ، وحين وصل إلى مرحلة التاجر ورآه ، لم يكلمه ؛

(١) أصل هذه العبارة غير موجود بنسخة طهران .

وأمر فضربوا له خيمة ونصبوا كانونا فى الحال ، وأوقد خشب الصندل بدل الحطب ، وكان يقول :

بيت (كامل)

تركتُ دخانَ الرِّمثِ فى أوطانها
طلباً لقومٍ يوقـــدون العنبرا[1]

* * *

حينما انتهت رائحة الصندل إلى مشام التاجر ، نهض لتفحصها ، وأخذ يطوف بكل طرف وزاوية حتى وصل إلى بيت الرجل المدنى ، فرأى الصندل يحترق فى الموقد بدل الحطب ؛ فلما رأى التاجر الحال على تلك الجملة تحير وبقى ذاهلا ، وقال لنفسه : إن مكاناً يكون وقودهم فيه الصندل ، أى ربح يمكن أن يكون لى فيه ، وأى كسب يمكن أن يحصل ؟ وا أسفاه إذ ضاعت الأموال ، وتحملت مشقة مسيرة ستة أشهر ، ومحنة الأسفار وخوف الأخطار وانتهى سفرنا إلى خسار! :

بيت (هزج)

بسيار دويذم بجهـــان از پى ســـوذ
شذ مايه زدست وسوذ خـــوذ هيچ نبوذ

والمعنى :

جريت فى الدنيا كثيراً وراء الربح ، فضاع رأس المال من يدى ولم يكن ربح قط .

* * *

(١) تركت ، البيت : للمتنبى .

ثم اقترب من الرجل المدنى[1] ، وجلس جِلسةَ مهموم حزين ، فسأله المدنى من أين آتٍ ، وأى متاع معك فى هذه الأحمال ؟ قال : جئت بالصندل ، سأله المدنى : وأى شىء آخر جئت به غير الصندل ؟ قال : كله صندل ، قال المدنى : لا حول ولا قوة إلا بالله ! فى ولايتنا حِمل صندل بدينار ، وأكثر حطبنا منه . لماذا لم تأت ببضاعة يكون لك فيها ربح وتحصل بها فراغة ؟ فتحير التاجر وتضجر من هذا الكلام ، وأخذ يغوص فى بحر الفكرة ، ولام نفسه ، وقنع بأن لا يكون كراء الحمار خسارا عليه ، فلما وقف المدنى على أن التاجر انخدع بهذا الكلام ، ورضى بشىء قليل ، قال : أيها الشاب ! أنا أجيئك بالفرج من هذا الغم ، وأقلل الخسارة ، لأنك تبدو رجلا صالحاً ، وسيماء الصيانة والسداد بادية فى ناصيتك ، وآثار الرجولة والمروءة ظاهرة ولائحة فى غرتك ، هلاّ بعتنى هذه المائة حمل صندل بشهادة هؤلاء الجماعة الحاضرين هنا بمكيال من أى شىء تريد ، من ذهب أو فضة أو لؤلؤ ، أيها تريد ؟ قال التاجر: بعت ! فأخذ المدنى جماعة من الثقات شهوداً على ذلك ، وأشهدهم ، وقبض الصندل وأخذ الأحمال وقصد المدينة ؛ ظن التاجر أن هذا الرجل قد خصه بعناية وأشفق عليه ، فقابل ذلك ببالغ الامتنان !

ولما بلغ مشارف المدينة[2] ، نزل بدار عجوز ، وأعطى العجوز ديناراً لترتب أمره ! ولما أقبل الليل ، سأل تلك العجوز : ما سعر الصندل بهذه المدينة ؟ قالت المرأة : مساو للذهب والفضة ! وأدرك التاجر أن الطرار قد غبنه ، فتفكر ؛ قالت العجوز : إن أهل هذه المدينة مكرة ومحتالون وخداعون

---

(١) فى نسخة طهران « آن مرد » أى ذلك الرجل .
(٢) فى نسخة استانبول « بشهر در آمد » أى دخل المدينة .

ومغتالون للغاية ، وغداً حين تدخل المدينة ، حذار أن تتحدث أو تتعامل مع أحد أو تحيف على مالك ، لأنك رجل غريب ، وقد قطعت طريقاً بعيداً طويلا ، وطويت المنازل والمراحل ، حتى لا تلقى مالك فى ورطـــة التلف والهلاك !

قال التاجر : أشكرك ولا أخرج خطوة عن خط أمرك ، وفى الصباح حين طارت عنقاء الصبح[1] فى أفق المشرق ، وتوارى غراب الليل فى زوايا المغرب ، جاء الرجل إلى المدينة ، وكان يطوف ويجول فى الرزاديق والرساتيق ، ويطوى المشارع والمناهل ، فوصل إلى موضع ورأى رجلين جالسين على دكان ، وكانا يلعبان النرد ، ويُركضان جواد المقامرة فى مضمار المسابقة .

وقف التاجر زماناً للمشاهدة ، فقال له أحدهما : أيها السيد ! أتعرف النرد ؟ قال التاجر : نعم ، قال النرّاد : اجلس لنلعب دون نرد ، فإذا غلبت أنت نعطيك كل ما تطلب ، وإذا غلبت أنا[2] تفعل كل ما نأمر به . قال التاجر : ماش ! جلس وأخذ فى لعب النرد ، وكان الرجل المدنى نراداً أستاذاً ، بحيث كان يعطى نراد السماء ميزة السبق بثلاث ضربات ، ويجعل مشعبذ الفلك فى اللعب بقطع النرد ، مثل قطعة النرد[3] فى اللعب :

بيت (مضارع)

نرّادِ آسمان را پيشى دهى سه ضربه

زين روى از تو ما ندم منصوبه هزاران

---

(١) عنقاء الصبح ، كناية عن الشمس

(٢) فى نسخة استانبول « اگر ماني » أى وإذا تخلفت ، أي غلبت .

(٣) قطعة النرد : هى ما يسمى عند لاعبي الطاولة في مصر : الـ (أشاط) .

والمعنى :

أنت تعطى نرّاد السماء ميزة السبق بثلاث ضربات ، ومن هذا الوجه ، بقيت لى منك اللعبة الرابعة[١] .

* * *

كسب الرجل فى الحال من التاجر ، فقال : أريد أن تشرب كل ماء هذا البحر الذى أمامنا فى شربة واحدة . فتحير التاجر ولم يعرف جوابا شافيا . تجمع الناس ، وكان هذا الرجل التاجر أحمر وأزرق العينين . فجاء رجل أحمر أعور وأمسك به قائلا: لقد سرقت منى عينا ، ردها ، أو أد قيمة عينى ! وجاء آخر وألقى أمامه قطعة حجر رخام وقال : خط لى من هذا الحجر قميصا وإزاراً ، أو أعطنى ثمن ذلك ! واتصلت هذه الخصومة والمجادلة وأدت إلى التطويل والتثقيل .

بلغ الخبرُ العجوزَ ، فخرجت تجرى وقالت : استودعونى إياه لأضمنه وأعطيه لكم فى الصباح ، لأن الوقت اليوم متأخر ، والحاكم لا يجلس للحكم ، وتكون مجادلتكم بلا فائدة . فسلم هؤلاء الجماعةُ من الطرارين التاجر للعجوز ، وضمنته ؛ جاء التاجر إلى البيت بألف هم وفكر ، كئيبا حزينا مثل مالك الحزين[٢] ، وكان يذرف الدمع القانى من فوارة عينيه ، ويعض بنان الحيرة بسن الندم ، ويقول متعجباً :

---

(١) منصوبه هزاران: اسم اللعبة الرابعة فى الاصطلاح القديم للعبة النرد (الطاولة) .

(٢) طائر يعرف فى الفارسية باسم « بوتيمار » أى أبو الهم والفكر ، وذكر فى كليلة ودمنة باسم مالك الحزين .

بيت (سريع)

فكلهم أروغُ من ثعلب ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة[١]

* * *

متحيرا من تقلب الزمان ، ومتفكراً من العالم الغدار[٢] .

أطلقت العجوز لسان الملام وقالت : كنت أعيد فى وصيتى ، وأزيّن حقوق المصاحبة بلوازم المناصحة والشفقة وأقول : لا تبع ولا تشتر ولا تتعامل مع أى أحد فى هذه المدينة ، فلم تصغ إلى موعظتى التى كانت تصدر من محض الإشفاق ، ولم تقبل نصائحى التى كانت من الوفاق بلا نفاق ، ولم تستمع إليها ، إلى أن ألقيت نفسك فى مثل هذا البلاء والمحنة :

بيت (منسرح)

چون نشنيدى نصيحتِ من از كردهٔ خويشتن همى پيچ

والمعنى :

تلوَّ من فعلتك ، لأنك لم تسمع نصيحتى .

* * *

قال التاجر : حقا تقولين ، وقد أديت ما كان عليك من مواجب الإنسانية والحرية ، ولوازم أداء الحق والشفقة ، ولكن اعذرينى فقد قيل :

---

(١) فكلهم ، البيت : لطرفة بن العبد .

(٢) فى نسخة طهران « مردم » أى الناس .

بيت (خفيف)

نيكك خواهان دهند پنـد وليك نيـكك بختان بوند پند پذير

والمعنى :

الأخيار ينصحون ، ولـكن ، السعداء هم الذين يقبلون النصح .

***

ليتنى لم أنضج هذه السوداء[1] فى قدر السويداء[2] ، ولم أرق ماء وجهى من أجل العيش ، لـكن ماذا أصنع حين وقع الأمر ؟ قالت العجوز : سكن رُوعك ، واجعل عقلك إلى ! لـكل داء دواء ، ولـكل محنة انتهاء ، خذ اللؤلؤ من البحر ، والذهب من الأرض ، والحـكمة ممن قالها !

أعلمك حيلة ، وأصنع صنعة لتخلص من هذا البلاء ، وتصل إلى مرادك ! فقابل التاجر ملاطفة العجوز بالشـكر والمواعيد الطيبة ، وأثنى عليها وشكرها وقال : عندما أخلُص من هذه الدواهى والشدائد ، وتلوح النجاة ، أؤدى إليك حقوق مناصحتك وموافقتك ، وأسير بقصارى الإمكان والطاقة ، ونهاية الوسع والقدرة ، فى طريق مكافأة ومجازاة هذه المساعى المحمودة ، والوسائل المشـكورة ، وأؤكد قواعد هذا الوداد ، بلواحق الاتحاد :

---

(١) السوداء : أحد أخلاط الجسم الأربعة وهى : السوداء والصفراء والبلغم والدم . وسلامة البدن متوقفة على تعادلها ، ومن تغلب عليه السوداء يقع فريسة الأوهام .

(٢) السويداء حبة القلب .

شعر (بسيط)

الخــــــير يبقى وإن طــــال الزمان به

والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ من زاد[١]

***

بيت (هزج)

نيكوئى كن چون ترا دسترس است

كين عالم ياذگار بسيـــار كس است

والمعنى :

افعل الخير مادمت قادراً عليه ، فإن هذا العالم ذكرى أناسٍ كثير .

***

قالت العجوز : اعلم أن لهذه الجماعة كبيرا ، شيخاً ضريرا ومبتلًى ، ولكنه داهية وأريب جدا ، وحاذق وكافى الرأى وحاضر الجواب والبديهة ؛ وكل ليلة تذهب هذه الجماعة[٢] إلى داره ، ويتكلمون فى الوقائع والحوادث ، ويتشاورون معه ، ويطلبون من رأيه التدبير والاستخارة ؛ وكل ما يبديه ويأمر به ، يسيرون على مقتضاه . وأرى المصلحة أن تتزيا الليلة بزى أهل هذه المدينة ، وتذهب إلى داره ، وتجلس فى زاوية ، وتصير كلك عيونا كالنرجس،

(١) الخير يبقى ، البيت : لعبيد بن الأبرص .

(٢) فى نسخة طهران « ميروند » أى يذهبون .

وجميعُك آذاناً مثل السيسنبر[1] ، وتعى ماذا يقول خصومك ، وبم يجيب هو وتتعلمه جملة وتحفظه ، وفى اليوم التالى تستعمله لصالحك .

تزيا التاجر بزى الناس هنالك ، وبعد أن رفعوا القناع الزئبقى عن وجه عروس العالم ، وألبسوها الجلباب القيرى ، ذهب التاجر[2] إلى دار كبير الطرارين ، وجلس فى طرف صامتاً متنكرا ، وكان يترصد ماذا يقولون وماذا يسمع . فقام أولا الطرار الذى كان قد اشترى الصندل وقال : طال بقاء الحاكم[3] فى السرور الدائم والحبور المستدام ، والعالم كما يهوى ، والصيد فى حبالته ! أقبل تاجر وجاء بمائة حمل صندل ، واشتريت منه ذلك جملة بمكيال أى شىء يريد ، وقبضت الصندل . قال الرئيس : أخطأت ، وما ينبغى أن تصير فى قيد من ظننته صيدك ، وكم من ذكى وأريب قد وقعا ببعد النظر فى الأمور الصعبة ، وبدا رأس المال فى الهواء ، ويجب أن يُعلم أن أحدا لا يقصد ولايتنا ، ولا يأتى هنا للتجارة ، مالم يكن راجحاً على كل أذكياء العالم فى الفهم والكياسة ، والخاطر والفراسة ، وقد قيل من أجل ذلك :

مصراع (طويل)

وما ينهض البازى بغير جناحه[4]

* * *

(١) السيسنبر نبات عطرى يشبه النعناع وأوراقه شبيهة بالآذان ويسمونه فى العربية : النمام أو نمام الملك .

(٢) كلمة « تاجر » غير موجودة بنسخة طهران .

(٣) فى نسخة طهران « استاد » .

(٤) وما ينهض ، المصراع : لأوس بن حجر ، نهاية الأرب ٣/٦٠ .

إذا طلبت منه الصندل غدا يقول : أريد مكيال براغيث ، نصفها ذكور ونصفها إناث ، كلها بسرج ولجام ، وجُل وعنان ، فبم تجيب ، وبأية حيلة تخلص من هذا البلاء ؟ قال الطرار : أيها الرئيس ! إنه ليس بالذى يعرف هذه الدقيقة . قال الرئيس : وإذا عرفها ماذا تعمل ؟ قال : أرد الصندل . قال : إذا أخذه ولم يطلب شيئاً يكون سهلا .

ثم قام الآخر الذى كان قد ربح النرد وقال : أنا لعبت مع نفس هذا الرجل دور نرد بشرط أنه إذا ربح أعطيه كل ما يطلبه ، وإذا ربحت أنا يعمل كل ما آمره به ، وربحت أنا النرد ، فقلت له : أريد أن تشرب كل ماء هذا البحر فى شربة واحدة . قال الشيخ : أخطأت ! إذا قال سد كل الأنهار التى تصب فى هذا البحر حتى أشربه جملة فى نفس واحد ، ماذا تعمل ؟ قال الطرار : أيها الحاكم[1] ! إنه لا يعرف هذه الدقيقة أبدا . قال الشيخ : على كل جوابه هو هذا الذى قلته .

وقام الثالث وقال : أنا قلت لهذا الرجل : خط لى من حجر الرخام قميصاً وإزارا . قال[2] الشيخ : إذا ألقى أمامك قطعة حديد قائلا : اغزل أنت من هذه الحديدة خيطاً حتى أخيط أنا من هذا الحجر قميصاً وإزارا ، ماذا تصنع ؟ قال : أيها الحاكم ، أنّى يصل خاطره إلى هذه الدقيقة ؟ قال : أنا قلت جوابه .

قام آخر وقال : هذا الرجل على شكلى وهيئتى ، وقلت له : أنت سرقت إحدى عينى فاقلعها وردها إلىّ ، أو أعطنى عوضا ؟ قال الشيخ : إن أمرك

---

(١) فى نسخة طهران « مهتر » أى الرئيس .
(٢) فى نسخة طهران « پرسيد » أى سأل .

أسوأ وأصعب من كل هذا ، إذا قال : أنا أقلع إحدى عينى ، واقلع أنت عينك الأخرى حتى نزنهما فى الميزان ، فإذا تساوتا ، تكون العين لك ، وإذا لم يتساويا ، لا تكون لك ، فتبقى له عين ، ويكون عيناك كلاهما قد ذهبا .
قال : إن عقلَه لم ينتقل إلى هذا الكمال ، وخاطرُه لم يدرك هذا الجمال .
قال الشيخ : ما على الناصح إلا النصيحة ، وهذا هو جوابه .

فلما انتهت الأسئلة والأجوبة ، وتفرق جماعة الطرارين ، جاء التاجر إلى البيت مبتهجاً ومسروراً ، وأثنى على العجوز وشكرها وقال :

بيت

نيك آوردى كى زودم آگه كردى

ور نه زر وزور وروزگارم شذه بوذ

والمعنى :

أحسنت إذ نبهتنى سريعاً ، وإلا لكان قد ضاع ذهبى وقوّتى وأيامى .

***

أيتها الأم المشفقة ، والصديقة الناصحة ، ألحقت لوازم الإشفاق على مقدمات الكرم والمروّة ، وأظهرت لى آداب النصائح بالبراهين اللائحة ، ستكون حياتى من أجل العبودية لك ، فأنا محكوم حكمك ، ومأمور أمرك :

شعر (طويل)

لئن عجزتْ عن شكرِ برك مِدحتى

فأقوى الورَى عن شكرِ برِّكَ عاجزُ

فإن ثنائى واعتقـــادى وطاعتى
لأفلاكِ ما أوليتنيـــــه مراكزُ

* * *

واستراح التاجر تلك الليلة ناعم البال ، ونام بفراغة ورفاهة ؛ فلما وصلت أعلام الليل القيرية إلى قيروان المغرب ، ورفع سرادق الشمس الذهبي رأسه من مطلع المشرق ، جاء الطرارون إلى دار العجوز وطلبوا خصمهم ، وذهبوا جميعاً أمام الحاكم ، وشرح كل منهم واقعته . فقام أولا الطرار الذى كان قد اشترى الصندل ، وحلى لسانه بالدعاء والثناء وقال : أيد الله الحاكم الرئيس، وصانه من التلبيس ! أنا قد اشتريت من هذا الرجل مائة حمل صندلٍ بمكيال من أى شىء يريد ، فمر أن يأخذ الثمن ويسلم الصندل ؛ فالتفت الحاكم إلى التاجر وقال : ماذا تريد هذا المكيال ؟ قال التاجر : أريد مكيال براغيث ، نصفها ذكور ، ونصفها إناث ، وكلها بسرج ولجام ، وجل وعنان مرصع بالذهب والجوهر ، ومحلى باللآلىء والدر ، فالتفت الحاكم إلى الطرار قائلا : ألم أقل لك ؟

بيت (هزج)

ما نا كى حريف خويش نشناختهٔ ى
در ششدره مى باش كى بذ باختهٔ ى

والمعنى :

يبدو أنك لم تعرف حريفك ، فابق فى الخانات الست لأنك خسرت بئس الخسار.

* * *

قال الطرار : أرد الصندل ، فقال التاجر : الصندل ملكك ، والثمن واجب لى عليك بحكم الشرع والمعاملة ؛ فأد ما قبلته واقطع الإبرام من مجلس القاضي الإمام[1] ! فلما طالت المنازعة ، وانتهت المجادلة إلى التثقيل ، صالحهما الحاكم على وجه التشفع بألف تضرع على ألف دينار يعطيها الطرار للتاجر ، ويكف يده عن هذه الخصومة ، ويأخذ الصندل جملة ، وانتهت هذه الأحوال أيضاً على هذا المنوال ، كان كل منهم يقول كلاما ، ويسمع جوابا ، وقرروا آخر الأمر بألف مقال ، أن يدفع هؤلاء الجماعة ثلاثة آلاف دينار ، ويتخلصوا من هذا البلاء ، فأخذ التاجر الذهب وقبض الصندل ، وباعه بثمن وافٍ ، وأعطى العجوز والحاكم هدايا كثيرة ، ويمم الوطن المعهود والمقر المألوف بنعمة فاخرة ، وغنية وافرة .

هؤلاء الثلاثة كانوا أذكى منى !

***

فلما رأى السلطان بلاغته وبراعته ، وفصاحته وفساحته ، سجد لله سجدة حمد وقال :

شعر (طويل)

أيارب قد أحسنتَ عَوداً وبَدأة
إلىّ فلم ينهض بإحسانك الشكرُ
فمن كان ذا عُذرٍ لديك وحجةٍ
فعُذرِيَ إقرارٌ بأن ليس لى عُذرُ

***

(١) كلمة « إمام » غير موجودة بنسخة طهران .

شعر (خفيف)

١ — گيرم ار مويها زبان گردند هر زبان صد هزار جان گردند
٢ — تابذان شكرِ حق فزون گوينــــــد
شكرِ توفيقِ شكر چون گوينـــــد

والمعنى :

١ — إذا افترضت أن الشّعَراتِ صارت ألسنة ، وصار كل لسان مائة ألف روح .

٢ — لتزيد بذلك شكر الحق ، كيف تشكره على التوفيق لشكره ؟

* * *

ثم التفت إلى الحاضرين ، وسألهم : لمن يجب الحمد والمنة ، ولمن ينبغى الشكر على هذه الموهبة الخطيرة التى هى من جلائل المواهب الإلهية ، وعقائل السعادات الربانية ؟ فقال قائل : الحمد لأم الأمير ، لأنها حفظت نقدَ وجوده من الآفة والفترة تسعة أشهر فى القرار المكين والحصن الحصين وخزانة الرحم ، وربته بعد ظهور الولادة ، وأبلغته مثابة الرجولة والمروءة .

قال آخر : يجب الامتنان من الشاه ، لأن الأم مثل الأرض ، والأب مثل الحراث والزرّاع ، والرحم مزرعة ، والنطفة مثل البذرة ، فإذا كانت البذرة مناسبة طيبة ، جاء على وفقها الشجر والنبات ، والثمر والزّهَر .

وقال آخر : الحمدُ والمنة للأمير ، لأنه جمع همته على التحفظ والتعلم ، وأعمل الخاطر والحفظ ، وكابد مشقـــة التأمل والتفكر ، وتحمل عناء التذكار والتكرار ، حتى ارتقى من المدارج السفلى إلى المعارج العليا ، وتعلم العلم

والأدب والفضل ، وصير ذاته بالاستعداد والاستقلال ، مستعدة ومهيأة لمنصب الكمال .

وقال آخر : الشكر لسندباد : لأنه أدى فى باب التعليم شرائط النصائح ، وزين الأمير وحلاه بزينة العلم وحلية الحكمة ، وأوصله إلى المراتب العلية والمدارج السنية ، وجعله مستحق التاج والتخت والإقبال والبخت .

قال آخر : المنة والشكر لوزراء الملك[1] ، الذين كل منهم نَوْرُ وأزهارُ العدل فى بستان العلم والفضل ، ومتحل بكمال الكفاية وجمال الكياسة ، لأنهم أخرجوا الأمير من الورطة والمهلكة .

قال سندباد : يجب الحمد والمنة لله ، لأنه خلق الأمير مستقيم الأعضاء ، سليم الحواس ، كريم النفس ، عظيم الخلق ، وحلاه بالعقل الكامل والفضل الشامل ، وجعله مستعداً لقبول الحكمة ، ووهبه التهيؤ لحصول العلم ، وأوجد به آلات الحفظ والذكر ، والتخيل والتوهم ، والتعقل والتذكر والتصور ، وجمع فيه أسباب تحصيل السعادة ، وأبلغه المثابة والمنقبة ، وخصه بالدرجة والمنزلة .

قال الشاه : أى بنى ! أىُّ هذا كله أقرب إلى محجة الصواب ، ومنهج الاستقامة ، وأبعد عن شارع الخطأ والغلط ؟ قال الأمير : إذا أجازنى الملك أقول حكاية موافقة لهذه المقدمات ولائقة بهذه الكلمات ؛ قال الشاه : قل !

---

(١) فى نسخة طهران « وزراى كامل » أى الوزراء الكملة .

٣٠ — حكاية ابنة ملك كشمير والجنى والإخوة الأربعة

قال الأمير : ليكن بقاء عمر سلطان الزمان ، وظل فضل الله ، فى دولة مستدامة وسعادة دائمة ! حكوا أنه فى الأعوام السابقة والأيام الماضية ، كان فى نواحى(*) كشمير سلطان موصوف بالإنصاف والعدل(١) ، ومذكور بالسداد والرشاد ، ذو صيت سائر وحرمة موفورة ، ودولة رفيعة وحشم مطيع؛ وكان له ابنة مستورة وعفيفة ، جميلة وشريفة ، ذات نسب مشهور ، وحسب معمور ، عرض طاهر وجمال باهر ، بحيث لم يكن أحد قط يُرى مثلها فى شكلها وشمائلها ، وخُلقها وخصائلها ، فى بسيط الأرض وبساط الزمان ، وكان لسان الأيام يقول :

بيت (هزج)

جمالش بر سر خــــوبى كلاهست
بنـــا مـــيزد نه رويست آن كى ماهست

والمعنى :

جمالها تاج على رأس الحسن والجمال ، بسم الله ! ما ذلك وجه بل بدر.

***

كان أبوها يحبها حباً عظيما ، ولم يكن ينقلها من الظل إلى الشمس ، وكان يقول :

---

* كلمة « نواحى » غير موجودة بنسخة طهران .

(١) فى نسخة طهران « دهش » أى السخاء والكرم .

رباعی

١ — تنها ز همه جهان من وتنها تو یا من بمیان رسـول بایم یاتو
٢ — خُرشید نخواهم کی برآید باتو تنها روی وسایه نیاید باتو

والمعنى :

١ — أنا منفرد عن العالم وأنت منفردة ، إما أن أجىء رسولا بينهما وإما أن تجيئى أنت .

٢ — لا أريد الشمسَ تطلع معك ، تسيرين منفردة ولا يأتى الظل معك !

* * *

وذات يوم كانت مع جماعة من الخدم « مشغولة بالتفرج »[1] فى بستان ، فمر على ذلك الموضع واحد من عفاريت مردة الشياطين ، كان معتضدا بقوته وشوكته ، ومستظهراً بآلته وعدته ، ألقى نظرة على الفتاة فراقت فى عينيه ، وتمكنت فى قلبه ؛ فاختطفها من بين الخدم والخول ، وحملها إلى وطنه . وصل هذا الخبر إلى سمع السلطان ، فجفل منه القرار والسكون ، وأمر بأن يُنادَى فى الولاية بأن كل من يكشف الغمة ، ويرد[2] ابنة الشاه للشاه سالمة تكون له ابنتنا ونصف ملكنا .

وكان فى كشمير[3] أربعة إخوة معروفون بأربعة فنون ، أحدهم مرشد

---

(١) فى نسخة طهران « تمشى ميكرد » أى كانت تتمشى .
(٢) فى نسخة استانبول « بيارد » أى أن يحضر أو يجىء بـ .
(٣) فى نسخة استانبول « ولايت » أى الولاية .

أستاذ ودليل حاذق ، داس المسالك والمشارع بقدميه ، وعاين الطرق والسبل بعينيه ، فى أرض :

بيت (كامل)

يتلوَّنُ الخِرِّيتُ من خوف الردى فيهـــا كما يتلونُ الحرباء[1]

بيت (هزج)

بوذى بگهِ رفتنِ دريا وقفـــار در آب چو ماهى وبخاك اندر مار

والمعنى :

كان وقت السير فى البحر والقفار ، مثل الحوت فى الماء والأفعى فى الغُبار[2] .

* * *

والثانى جرىء مقدام ، بحيث كان يقتلع الأنياب من فم الأسد المصور ، والفقرة من قفا الأفعوان الأرقط ويقول :

بيت (طويل)

سلكتُ ولو ما بينَ أنيـــابِ أرقمِ
وخضتُ ولو ما بينَ فكَّىْ غضنفرِ

* * *

والثالث شجاع ومبارز ، مِسعرُ حرب ومِدرهُ سلاح ، إلى حد أن كان النمرُ يصير لديه ثعلباً أعرجَ ، والرئبالُ الغضوبُ ، يبدو معه شَغْبراً أتى ، وكان إبَّان الشجاعة والمبارزة يقول :

(١) يتلون ، البيت : للمتنبى .

(٢) الغبار : التراب أو مادق منه .

سلى عن سيرَتى فرسى ورُمحِى وسيفِى والهَمَلَّعةَ الدِّفاقا[1]

والرابع طبيب حاذق[2]، وأستاذ ماهر فى أصناف العلل والأمراض ، وعالم فى الأسباب والأعراض ؛ له يد فى المعالجة مثل نفس عيسى ، وقدم فى التيمُّنِ مثل يد موسى :

بيت (هزج)

كفّى چو كفِ موسى ، دستى چو دم عيسى
در علم دمى شـــافى ، در كار كفى كافى

والمعنى :

كف مثل كف موسى ، يد مثل نفس عيسى ، فى العلم نفس شاف ، وفى العمل كف كافٍ .

***

فاجتمع الإخوة الأربعة كلهم ، وقالوا فيما بينهم : إذا كان هذا المهم سيتيسر ، فلن يكون ذلك إلا بمساعينا . فسار الذى كان دليلا هادياً فى الطريق ، وظل يمشى حتى وصل إلى ذلك المكان الذى كان منزل العفريت، وكان قد اتخذ وطناً على رأس جبل فى فم مغارة . فلما انتهى الأربعة جميعاً إلى باب المغارة ، دخل الأخ[3] الذى كان جريئاً مقداماً فى الغـار ، وأخذ يد

---

(١) سلى ، البيت للمتنبى .
(٢) فى نسخة استانبول : عالم .
(٣) كلمة «برادر» أى الأخ غير موجودة بنسخة استانبول ، ومترجمة من نسخة طهران .

الفتاة وأخرجها إلى الصحراء ؛ وكان العفريت فى تلك الساعة غائباً عن الوطن[١] والمسكن ، فلما عاد إلى البيت ، لم ير الفتاة ، فعرف ماذا وقع ، فسير على إثره فى الحال جماعة من الشياطين والجن كانت منقادة لأمره ، فلما وصلت أفواج الشياطين والجن ، وتلاقوا معا ، مد الذى كان شجاعاً ومحرباً ، يده إلى السلاح ، وحارب الشياطين والجن[٢] وغلبهم ، فقُتِلَ وجُرِحَ أكثرهم[٣] ، وحولوا وجوههم بالضرورة وولوا الأدبار منهزمين . وأحضروا الفتاة سالمة إلى الدار ، ثم تعهد ذلك الأخ الذى كان طبيباً ومعالجاً ، الفتاة ، وردها إلى القرار المعهود بالمعالجة ، وعادت البِنْيَةُ إلى صحتها الأصلية .

وذهبوا جميعاً لدى السلطان ، وشرحوا شرائط الخدمة ، ومراسم الوفاء ، ولوازم أداء الحق ؛ وعرضوا بحضرة السلطان ما كان قد فعله كل واحد منهم وقالوا : إن الأليق بكرم طينة السلطان ، ولطف جبلته ، ونسبه الكريم ، وحسبه الشريف ، أن ينجز الوعد ، ويتحرى حسن العهد ويَصلَ الوفاء بالأداء ، فقد قال الكبراء : الكريم إذا وعد وفى :

مثل « رجز »

أنجز حـــر ما وعد   وسَحّ خالٌ إذ رعد

بيت (هزج)

از عهده عهـــد اگر بيرون آيد مرد
از هرچه گمان برى فزون آيد مرد

---

(١) كلمة « وطن » غير موجودة بنسخة طهران ، وتوجد بنسخة استانبول .

(٢) ترجمة عبارة نسخة طهران « وحاربهم » .

(٣) فى نسخة طهران « بيشتر ديوان وپريان » أى أكثر الشياطين والجن .

والمعنى :

إذا وفى الرجل بالعهد ، فهو أكبر من كل ماتظن وتتصور .

***

لاطف السلطان الأربعة جميعاً ، وأنعم على كل واحد بمنصب ، فمنح رياسة البريد للدليل ، وأمر بالحفظ والحراسة للجرىء المقدام ، وأسند الوزارة إلى الطبيب ، وأعطى الفتاة والقيادة للشجاع وقال : لكل منكم ثبوت حق وحسن عهد ليس للاخر ، لو لم يكن الدليل لما وصل أى مخلوق إلى دار العفريت ، ولما وقف واطلع على وطنه ومسكنه ، ولو لم يكن الشجاع ، لما قاوم أى إنسان جيش الشياطين والجن ، ولو لم يكن الجرىء المقدام ، لما أخرج أحد قط الفتاة من بيت العفريت ، ولو لم يكن الطبيب لما آلت هذه العلة إلى الصحة ، ولضاع سعى الباقين .

***

حال عبدكم له نفس هذا المزاج ، لو لم تكن نطفة الأب ، لعُطّلت وأهملت أرض الرحم ، ولو لم تكن الأرض ، لضاع البذر ، ولو لم تكن همتى جما على استجماع العلوم ، لما ظهر أثر لتعليم وتلقين الأستاذ ، ولو لم يوجدنى الله تعالى بقدرته وصنعه ، ولم يُحكم بنيتى بالقوى الظاهرة والباطنة ، لما أمكن لهذا كله وجود ، فالحمد والمنة فى الحقيقة لله القدوس ، لأنه صورنى بكمال قدرته ، ووهبنى العلم والحكمة ، ورزقنى الأدب والفضل والتمييز :

شعر (خفيف)

١ — ای درون پرورِ برون آرای
وی خرد بخشِ بی خـــرد بخشای
٢ — كفر ودین هردو در رهت پویان
وحـــده لا شريك له گویان

والمعنى :

١ — أيا مربیَ الباطنِ ومُزيِّنَ الظاهرِ ، ويا واهبَ العقل للمأفون اغفر ،
٢ — الكفر والدين كلاهما فى طريقك سائران ، وحده لاشريك له ، قائلان .

***

فأثنى عليه جميع الندماء والوزراء .

مصراع (هزج)

احسنت وزهى ، چشم بدان دور از تو .

والمعنى :

أحسنت ومرحى ، بعدت عنك عيون الأشرار !

بيت (سريع)

ليس من الله بمستنكر أن يجمع العالمَ فى واحد[1]

***

(١) ليس ، البيت : لأبى نواس ، نهاية الأرب ٣/٨٠ .

ثم أمر الشاه أن يصيّروا الجارية التى كانت قد أضافت إلى الأمير الجريمة والتهمة ، ونسبته إلى الجناية وعدم الديانة ، فضيحةَ الخلق وشنعتَهم ، وأن يقيموا فى شأنها كل ما يفتى به مفتى العقل والعقوبة . فلما أحضروها وجعلوها فى صف النعال ، قال الشاه[1] : أيتها الفاجرةُ الزانية ، ويا عار الأقران[2] ، وعُرّة[3] النسوان ! ألم تخجلى وتستحى قط من الله والخلق ، فبيّتِ لولدى غدرا كهذا ، وارتكبت جريمة كهذه ، وكدت تلقين بى فى ملامة الدنيا وعقوبة الآخرة ؟

بيت (هزج)

باران دو صـــــد ساله فرو ننشانذ

اين گردِ بلارا كى بر انگيخته اى

والمعنى :

أمطار مائتى عام لا تُسكّن ، غبار البلاء ، هذا الذى أثرته .

***

قالت الجارية من قبيل الاستكانة والتخشع : إنى أعترف بهذا الاجترام ، وأقر بهذا الارتكاب ، وبما أنه صدر منى زلة[4] موجبة للعقوبة والتعذيب ، والزجر والتشديد ، فأنا بهذا السبب مستحقة لعتاب وعقاب السلطان ، وكل

(١) فى نسخة طهران « پاد شاه پرسيد » أى سأل السلطان .

(٢) الأقران هنا جمع قرين وهو الزوج .

(٣) عرة هنا معناها : الشين والخزى .

(٤) فى نسخة استانبول « زلتى ونادرتى » أى زلة ونادرة .

ما يُقدِّم من هذه الأبواب فى حق أمتيكم ، يكون دون حقها ، ومن أجل أن الأميرَ كان قد أساء إلى ، فقد صار السّعىُ فى دفع ذلك وإخراجُ نفسى من معرض الخطر لزاما على بموجب شريعة الفتوة[1] وسنة المروة :

بيت (طويل)

إذا لم يكن إلا الأسنةُ مركباً فلا رأىَ للمضطر إلا ركوبُها[2]

***

ولا يخفى على الخاطر السلطانى الأنور الأشرف[3] الذى شعلة الشمس جزء من رأيه المنير ، أن كلّ كائن حى ، نفسُه عزيزة عليه ، ويحب نفسَه أكثر من غيره ، وقد قيل :

بيت (هزج)

مازار دلِ جانوران از پى كين كين جان عزيز است بر جانوران[4]

والمعنى :

لا تؤذ قلوب الأحياء بغضاً وعداوة ، فإن هذه الروح عزيزة على الأحياء .

***

وحين يعتدى عليه آخر ، يجب عليه من قبيل المروءة والحمية دفع ذلك

(١) فى نسخة طهران « شريعة فتوت » أى شريعة الفتوة ، وفى نسخة استانبول « شريعت وفتوت » أى الشريعة والفتوة .

(٢) إذا لم يكن ، البيت للكميت بن زيد الأسدى ، نهاية الأرب ٧١/٣ .

(٣) كلمة « أشرف » غير موجودة بنسخة طهران .

(٤) جانوران : جمع جانور ، ومعناها : موجود حى ذو روح أو حيوان .

الاعتداء ، والقضاء على العدو بيد القهر ، على قدر رأيه ورويته ، لأن أىّ صاحبِ حزم صافى العزم ، لا يرضى بتفرقة الأرواح ، وتجزئة الأبدان والأشباح ، ويكافح بروحه خصوم الروح ويقول :

بيت (هزج)

قـــدم بر جان همى بايذ نهاذن　　درين راه ودلم اين دل ندارد

والمعنى :

يجب أن يُداس الروحُ بالقدم فى هذا السبيل ، وليس لقلبى هـــذه الجرأة .

***

والآن ، وقد وقفت فى مقام المذلّة ، وطّنتُ قلبي على عقوبة الشاه ، فكل أمر يأمر به ، لا اعتراض لأي مخلوق عليه ، وكل حكم يصدر من تلك الحضرة السلطانية[1] ، لا يُتَصوَّر غيرُ الانقيادِ له ومطاوعته .

بيت (هزج)

فرمانِ تراكى باذ نافـــذ　　جايز شذه برقضا تقـدم

والمعنى :

جاز لحـكمك — ليكن نافذا — التقدمُ على القضاء .

***

(١) فى نسخة طهران « آن حضرت » فقط ، أى تلك الحضرة .

سأل الشاه جماعة الوزراء والندماء : ما جزاء فَعْلة هذه الجريئة المُسيئة ؟
قال أحدهم : تُقلعُ عيناها الرائيتان الدنيا ، لأن بلاء المرء من عينه ، وما لم تر العين ، لا يميل القلب ، وما لم يمل القلب ، لا ينتصب اللسان لارتكاب الجرائم :

بيت (هزج)

گر دیده بُدست رهنمونِ دلِ من
در گردن دیده باد خونِ دلِ من

والمعنى :

إذا العينُ قد كانت دليل قلبي ، ليكن دم قلبي فى عنق العين .

* * *

وقال آخر : يجب أن يُسَلّ سنانُ لسانها من قراب فمها ، حتى لا تتكلم فى أعراض الناس ، ولا تفكر فى الكذب والبهتان ، والمكر والخداع .

شعر (هزج)

١ — ایزد ز زبان چو دید نقصانِ بدن
کردش چو پدید شد بزندانِ دهن
٢ — نقصانِ بدن اگر نخواهی مشکن
زندانِ خداوند ببیهوده سخن

والمعنى :

١ — حين رأى الله نقصان البدن من اللسان ، جعله حين ظهر فى سجن الفم :

٢ — إذا لم ترد نقصان البدن فلا تكسر ، سجن الله بالكلام المُراء .

* * *

وقال آخر : يجب بتر رجليها ، حتى لا تسير على هوى قلبها ، ولا تلقى بنفسها فى الورطة والمهلكة ؛ وقال آخر : يجب إخراج قلبها حتى لا تسير كما يهوى القلب ، لأن القلب مقر الخيال ومجال ظنونِ المحال :

بيت (هزج)

در دستِ دل از دستِ دلم گشته أسير

چونين كى منم اسيرِ دل باذ دلم

والمعنى :

صرت من جراء قلبى أسيراً فى يد القلب ، ليكن قلبى ، مثلما أنا أسيرٌ القلب .

* * *

قالت المرأة : ما أشبه حالى بحال ذلك الثعلب والإسكاف وأهل المدينة ! فسألها الشاه : كيف كان « ذلك » ؟ قولى !

٣١ — حكاية الثعلب والإسكافِ وأهلِ المدينة

قالت : حُكى أنه فى الزمان الماضى ، كان ثعلب يجىء إلى بيت إسكاف ويسرق قطع الأديم ويأكلها ، وكان الإسكاف يتلوى فى الغصة ولا يرى وجهاً للخلاص ، إذ لم يكن كفءا للثعلب اللص ، لأنه كان قد عجز :

مصراع (هزج)

عادت چو قديم شوذ طبيعت گردذ

والمعنى :

العادة حين تتقادم ، تصير طبيعة .

* * *

فلما بلغ أمر الإسكاف المدى ، جاء ليلة وجلس مترصداً عند ثغرة المدينة ، حيث كان الثعلب يجيء ، فلما دخل الثعلب من الثغرة ، أحكم سدها وجاء إلى بيته ، فرأى الثعلب فى البيت[1] يحوم حول الأديم على عادته السابقة ؛ أخذ الإسكاف عصاً وقصد الثعلب ، فلما شاهد الثعلب صولة الإسكاف وحدة غضبه ، قال لنفسه : لقد قيل حقاً : إذا جاء أجل البعير ، يحوم حول البير . كل من يحترف الجناية والسرقة ، لا مناص له من هراوة الجلاد ومحنة السجن ، وقد ألقى بى الحرص والشره فى هذه الدوامة الخطرة والمُهلكة ، ورمانى فى ورطة العذاب والعقاب ، وحين يلوح للرجل العاقل الخطر ويستولى البلاء ، يلقى نفسه بأى نحو يمكن من مغرقة الخطر على ساحل الظفر . والآن وقت الهزيمة والفرار ! الفرار مما لا يطاق سنن المرسلين ، وقد قال الكبراء : الهزيمة فى وقتها غنيمة تامة ؛ وبوثبة قفز إلى الخارج من باب الدار ، وقصد الثغرة ، فلما بلغها رأى طريقها مسدوداً ، فقال لنفسه : جاء البلاء وحل القضاء :

(١) العبارة « در خانه » أى فى البيت ، غير موجودة بنسخة طهران .

بيت (متقارب)

بهر حال مر بنده را شكر به كى بسيار بد باشد از بد بتر[1]

والمعنى :

الشكر خير للعبد على أى حال ، فكم من سيء يكون أحسنَ من سيء .

* * *

أبواب الحوادث مُفتّحة ، وأودية النجاة مسدودة ، فإذا تركت للدهشة والحيرة سبيلا إلى ، أكون قد ظلمت نفسى ، وغدرت بشخصى العزيز . إنه لوقت الحيلة والمكر ، وأوان الخداع والغدر ، فعساى أنجو وأتخلص بالحيلة من مهلكة الخطر هذه ، فقد قيل : الفرار فى وقته ظفر !

تماوت وذهب إلى الثغرة ونام مثل الموتى . فلما أدركه الإسكاف ورآه ميتاً ، ضرب ظهره وجنبه عدة عصى وقال لنفسه : الحمد لله على أن هذا المدبر المشئوم قد انتقل من عالم الحياة إلى خطة الممات ، وانحسم ضرر إقدامه ومعرة اقتحامه ، وانقطعت منشقة أعماله وأفعاله ؛ وذهب إلى بيته فارغ البال مرفه الحال ، ونام ناعما على فراش الفتح والظفر .

قال الثعلب لنفسه : إن أبواب المدينة هذه الساعة مغلقة ، والثغرة محكمة ؛ إذا تحركت تنتبه الكلاب ويخشى على حياتى ، لأنه ليس لى عدو قط أقوى منها ، فلأصبر حتى تمضى مقدمة الصبح الكاذب ، وتصل طليعة الصبح الصادق ، وينادى أبو يقظان الرواح ، فى تباشير الصباح : حى على الفلاح ! وتفتح أبواب المدينة ، فأمضى لشأنى وأدبر أمرى ، لأنجو بروحى من هذا البلاء .

---

(١) بتر تخفيف «بهتر» أى أحسن . وهذا البيت يشبه المثل العربى : «فى الشر خيار» .

حين لاحت ملكة الأقاليم العليا(١) من أفق المشرق ، وتوارت أعلام الظلام في أفق(٢) المغرب، صاح ديك الصباح ، مثل المؤذنين : حي على الفلاح ! وخرج أهل المدينة من بيوتهم ؛ فرأوا ثعلباً ميتاً ملقى فى الثغرة !

قال أحدهم : هكذا سمعت أن كل من يكون منه لسان الثعلب ، لا تنبحه الكلاب ، وسل السكين وقطع لسان الثعلب من حلقه . صبر الثعلب على ذلك الضُّر ، وتجلد على ذلك البلاء والعناء .

وجاء آخر وقال: ذيل الثعلب يصلح مكنسة ناعمة جيدة، وفصل ذيل الثعلب من زمكّه بالسكين ، فضغط الثعلب أسنانه صبراً على هذه العقوبة أيضاً .

وقال آخر : كل من يعلق أذن الثعلب فى مهد الصبى يتوقف الطفل الباكى والصبى السيء الخلق عن البكاء ، ويصير حسن الخلق ، وقطع أذنى الثعلب من رأسه ؛ فصبر الثعلب كذلك على تلك المشقة والبلية .

وقال آخر : كل من يكون معه أنياب الثعلب ، يهدأ ألم أسنانه ويسكن ، وأخذ حجراً وكسر أسنان الثعلب . وكان الثعلب يحتمل ويدارى فى هذه الشدائد والمكائد ، والنوائب والمصائب ، ويصبر ويتصبر ، ويبدى الصبر والجلادة على كل ذلك التعذيب والتشديد .

وجاء آخر وقال : كل من يؤلمه قلبه ، ويشوى قلب الثعلب ويأكله يستريح. وسل السكين ليشق بطن الثعلب .

---

(١) فى نسخة طهران « خسرو أختران » أى ملك الكواكب ، كناية عن الشمس . وقد أنثت كلمة « خسرو » فى الترجمة ، لتأنيث الشمس فى العربية .

(٢) فى نسخة طهران « زوايا » .

قال الثعلب: الآن وقت ذهابي ومضيي لشأني ، صبرت طالما كان الأمر متعلقاً بذيلي وأذني وأسناني وأماني ؛ والآن ، بلغت المُدْيَةُ العظم[1] ، ووصل الأمر إلى الروح ، ولم يبق مجال للتأخير والتوقف ؛ وانكسر نطاق الطاقة ؛ وقفز من مكانه ، وبقفزة وثب إلى الخارج من باب المدينة ، وكان يقول :

مصراع (هزج)

چــــون كار بجان رسيذ بگشاذم راز

والمعنى :

حين وصل الأمر إلى الروح ، بُحت بالسر .

* * *

فشأني اليوم له نفس هذا المزاج ؛ يمكنني الصبر على كل العقوبات إلا على شق القلب ، ومع هذا كله ، الأمر لمولاى :

مصراع (هزج)

گر عفـــو كنى بكن ، كى وقت إلا كنونيست

والمعنى :

إن تعف عنى فافعل ، فالآن وقت العفو .

* * *

سأل الشاه ولده: ماجزاء هذه المسيئة السيّئة العاقبة ؟ قال: لاقتل على النساء، خاصة وأن القتل بحكم الشرع لا وجوب له ، أما الرأي عندي فهو أن يحلقوا

(١) كما يقال في العربية : « بلغ السيل الزبى » و « جاوز الحزام الطبيين » .

شعرها ، ويسودوا وجهها ، ويُرْكبوها حماراً أسود ، ويطوفوا بها حول المدينة وينادوا : كل من يختان بيت سيده ، يكون جزاؤه هذا . فانتقموا من الخيانة على هذا النسق :

بيت (متقارب)

جزاى نكوئى بوَد هم نكو چنان چون جزاى بذى هم بذى

والمعنى :

جزاء الإحسانِ ، الإحسانُ أيضاً ، كما أن جزاءَ الإساءةِ ، الإساءةُ كذلك .

* * *

قال الله تعالى : وجزاء سيِّئةٍ سيئةٌ مثلها[1] .

* * *

التفت الشاه إلى سندباد وقال : تعتبر هذه المنة منك أم من ولدنا ؟

قال سندباد : يجب اعتبار هذه المنة من الله ، لأن كل الأمور بحكمه . قوله تعالى : يفعلُ اللهُ ما يشاءُ[2] . ويحكمُ ما يريد[3] . الحوادث تنزل بأمره والوقائع تنفذ بحكمه ؛ ولا معدى لأى مخلوق عن التقدير الإلهى والعطاء السماوى :

(١) سورة الشورى ، الآية ٤٠ .
(٢) ويفعل الله ما يشاء ، سورة ابراهيم ، الآية ٢٧ .
(٣) إن الله يحكم ما يريد : سورة المائدة الآية ١ .

شعر (كامل)

إنَّ الحوادثَ للخلائقِ مرتعٌ
شهِدَ الصباحُ بذاكَ والديجورُ
لا النارُ تسلمُ من حوادِثِها ولا
أسدٌ كثيفُ اللِّبْدَتينِ هصورُ

***

ولعله وصل إلى سمع السلطان حكاية وزير شاه كشمير وولده.

قال الشاه : كيف ذلك ؟ قل ! قال سندباد :

٢ — حكاية شاه كشمير وولد وزيره

دام بقاء ملك الزمان وصاحب قران العهد فى العزّ الشامل والسعادة الكاملة ! هكذا روى ثقات الرواة وأصحاب الروايات ، أنه قد كان فى كشمير[١] سلطان عاقل وفاضل وحكيم الطابع ، وكان له وزير ذو حرمة وإمكان فى الدولة ، وذو حشمة وتمكين فى المملكة ، فولد له ، بالاتفاق السماوى والتقدير الإلهى ، صبى . فلما جاء من مهبط الرحم إلى محط الظهور ، أمر السلطان — بحكم كمال العاطفة ووفور الشفقة — المقوّمين بأن ينظروا شكل طالع ابن الوزير ، ويعرفوه مرة أخرى بالرصد النجومى وحساب زيج التقويم، ويتأملوا كيفية أحواله وكمية عمره ، وابتداءَ ووسطَ وانتهاءَ أمره.

---

(١) فى نسخة استانبول « حدود كشمير » .

جلس المنجمون بحكم الأمر ، وتيكلموا فى الطالع وأشكال الكواكب ومزاج الطبائع ، ونظروا ثانية ارتفاع الطالع بالاصطرلاب ، وضبطوا الدَّرَج ودقائق الارتفاع ، وأوتاد البيوتات والهيلاج جملةً ، وحفظوا منازل الكواكب الثابتة والسيارة ، وأحكام القرانات والتثليثات والتربيعات ، وحكموا أن ذلك الصبى يعيش عمراً كاملا ، ويصل إلى الاستقلال وأهلية الأمور الخطيرة . وفى سن[١] الخامسة عشرة ، لعدة أيام تخلو من السنة الفلانية وبضع ساعات مستوية تنقضى من النهار ، ما يدل على أنه يأخذ شيئاً من بيت أبيه بدون إجازة أبيه ؛ فتعجب السلطان من استنباط هذه الواقعة النادرة ، ووضع عين انتظاره يرقب فى أى وقت توجد هذه اللطيفة الغريبة ، ومتى تظهر هذه النادرة البديعة[٢] ؟

ولما جاوز « الصبى » حد الطفولية إلى حد الصبوة ، أحضر الوزير معلماً أستاذاً وأمره بأن يلقنه آداب الوزارة وشرائط المنادمة ، والعلم والحكمة ، والشرع والرياسة ، والعقل والسياسة ، وكان الصبى مستعداً إلى درجة أن حفظ وتقبل فنون الفضل وصنوف العلوم فى زمن قليل[٣] .

وفى اليوم الذى كانوا قد حكموا فيه بتلك الواقعة ، قال له أبوه : آخذك عند الشاه لتقيم مراسم العبودية ، وتعرض أهليتك فى حل المشكلات ودفع

(١) كلمة « سن » غير موجودة فى نسخة طهران .

(٢) ترجمة عبارة نسخة طهران « متى تظهر هذه اللطيفة الغريبة والنادرة العجيبة » .

(٣) ترجمة هذه العبارة فى نسخة استانبول كما يلى : « حفظ وتقبل فنون الفضل وصنوف العلوم بحيث حصل العلوم فى زمن قليل » .

المعضلات ، بالبراهين الواضحة والدلائل اللائحة ؛ فامتثل الصبي لأمر أبيه وفكر في نفسه قائلا : عندما أذهب لدى السلطان ينبغى أن أحمل[1] أمامه تحفة برسم الخدمة ، لتقع أهليتى وكفايتى فى معرض التحسين والاستحسان ؛ وأخرج منديلا وأعطاه للبستانى ، وأخذ باقة من بضعة رياحين ، وكان الوزير يشاهد تلك الحال وهو صامت . فلما ذهب فى صحبة أبيه لدن خدمة الشاه[2] ، وضع الرياحين أمام الملك ، واستحسن السلطان كياسته وفطنته وتفاءل بها ، وتعجب من شهامته وحذاقته ، وقابل ابن الوزير ذلك بالدعاء الفائح والثناء الفائح وقال :

شعر (منسرح)

النَّاسُ مالم يَرَوْكَ أشباهُ   والدهرُ لفظٌ وأنتَ معناهُ
والجود عينٌ وأنتَ ناظرها   والناس باعٌ وفيكَ يمناهُ[3]

***

فحار السلطان من « جريان لسانه »[4] وعذوبة بيانه ، وقال :

شعر (كامل)

ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنَّما   ردَّ الإلهُ نفوسَهم والأعصُرا
نُسِقُوا لنا نَسْقَ الحسابِ مقدَّماً   وأتى فذلك إذ أتيتَ مؤخَّرا[5]

***

---

(١) فى نسخة طهران « بكذرانم » أى أمرر .
(٢) فى نسخة طهران « بدربار » أى إلى البلاط .
(٣) الناس مالم ، البيتان ، للمتنبى .
(٤) فارسية هذه العبارة غير موجودة بنسخة طهران .
(٥) ولقيت كل ، البيتان : للمتنبى .

لاطفه الشاه[1] وردة بالخلعة الفاخرة والتشريف التام ، وسأل الوزير : هل ظهر الحكم الذى كان فى طالع ولادته أم لا ؟ قال الوزير : دام بقاء الملك فى الدولة الكاملة ، والرفعة الشاملة ، والحرمة الوافرة ! لقد قال الحكماء حقا : إن التقدير السماوى متعلق بالأوقات ، ومنوط بالأسباب ، وشرح كل ما كان قد جرى ...

فتعجب السلطان وقال : حسناً قال الحكماء : لا يمكن الموجودُ الحذرَ من القضاء والقدر . ولما كانت الشمس تذهب فى كل مكان ، فالبلاء والمحنة ملازمان لها مثل الظل ، والتقدير السابق لاحق ومتابع لها : لا مرد لقضائه :

بيت (متقارب)

قَضى اللهُ أمراً وجفَّ القلمْ وفيما قَضى ربُّنا ما ظلمْ

* * *

قال سندباد : قلت هذه الحكاية من أجل أن يتقرر لدى رأى الشاه الثاقب ، أن الأمور معلقة بالمقادير : إذا حلت التقادير ، بطلت التدابير ، والأسباب منوطة بالأوقات ، إذا حل الأجل ، وانقضت المهلة ، وقع ما هو واقع ، وحين يأتى القضاء ، يذهب البصر ؛ ولما كان التقدير قد سبق فى الأزل ، فإنه لا تُفيد الكفاية ، ولا تُربح الشهامة ، ويغفُل العاقل :

بيت (متقارب)

بچيزى كى آيد كسى را زمان بنزدِ دلش تير گردد كَمان

---

(١) كلمة « شاه » غير موجودة بنسخة طهران .

والمعنى :

بالشيء الذى يقبل الزمان به على إنسان ، يصير القوسُ سهماً نحو قلبه[1] .

* * *

ومهما يعرف الآدمى العيب والفضل ، ويكن واقفاً على حسنه وقبيحه ، فإنه يصير غافلا وبلا بصر ، وجاهلا وبلا خبر ، ليلحق به القضاء السابق ؛ مثل ذلك الهدهد . فسأله الشاه : كيف كان ذلك ؟ احك !

٣٣ — حكاية الهدهد والرجل العابد

قال سندباد : روى أنه كان فى نواحى مدينة كابل هدهدٌ داهٍ وكافٍ ، ونيِّر الرأى وحلاَّلُ مُشكل ، قد مارس وجرب الرياسة فى الأمور ، وصار مجرّباً ومهذّباً فى الحوادث ، وكانت له صداقة مع رجل عابد ، وكان يقضى الأوقات والساعات فى مواصلته ومصاحبته .

وذات يوم خرج الرجل العابد إلى الصحراء ، فرأى الهدهد قد حط فوق مرتفع وغسل ريشه وجناحه بالماء الزلال ، وأخذ يضرب بجناحيه ويمرح ، وأمامه صبية كانوا يضعون فخاً ويمدون شركاً . فقال الرجل العابد : يا أخي[2] ! ما هذا مُقام راحة ، ولا منزل استراحة . إنهم يضعون الفخ من أجلك ، وأنت تعيش كالغافل . قال الهدهد : يكسرون جوزاً فاسداً ويتعبون عبثاً ، ويشقون على أنفسهم ، ويضيعون وقتهم . فانصرف الرجل العابد وقال : ما على الناصح إلا النصيحة :

---

(١) لعل المقصود هو: أن تقادير الزمان تجعل من القوس، وهو آلة دفاع، سهما قاتلا .

(٢) فى نسخة طهران « اى دوست عزيز » أى : يا صديق العزيز .

بيت (وافر)

ستذكرني إذا جربت غيرى وتندمُ حين لا تغنى الندامة

* * *

واتفق كذلك ، للقضاء السماوى ، أن يئس الصبية ولم يستطيعوا أن يقنصوا صيداً ؛ فنهضوا وذهبوا وحملوا الشراك . هبط الهدهد بمرح تام من أعلى الجدار إلى منخفض الأرض ، وطار كالمتهور من أمام متصيد الصبيان ، على أمل أن يلتقط حبة تكون قد فاتتهم ويسد بها رمقاً ، إذ كان الجوع قد غلب عليه جداً .

وكذلك كان القضاء السماوى وحكم الله[1]، أن كان صبى قد نسى سهواً حلقة شرك فى التراب ، فعلق حلق الهدهد فجأة بقوة فى حلقة الشرك[2] من جراء طمعه فى الحبة . أراد أن يطير فرأى نفسه فى القيد ، ظل يضطرب ويتقلب، فلم يكن ذلك يجديه ، واستسلم فى النهاية ورضى بالقضاء .

مر الرجل العابد الذي كان صديق الهدهد وقت عودته من شغله على ذلك الموضع ليودع صديقه ، وألقى نظره على أعلى الجدار فوجد ذلك الموضع خالياً منه . أخذ ينظر يساراً ويميناً ، ويميناً ويساراً ، فوقع نظره على متصيد الصبية ، وأبصر الهدهد واقعاً فى شرك البلاء ؛ فأسرع وقطع حلقة الشرك ؛ فرأى الهدهد قد فقد وعيه[3]، وبعد تأمل وتدبر[4] عاد إليه الوعى . فقال الرجل العابد : احتقرت نصيحة الإخوان ولم تلتفت لقولى :

---

(١) « وحكم يزدان » هذه العبارة غير موجودة فى نسخة طهران .

(٢) فى نسخة طهران « در حلقه » أى فى الحلقة .

(٣) فى نسخة طهران « هدهد بيهوش گشته بود » أى : وكان الهدهد قد فقد وعيه .

(٤) فى نسخة طهران « وبعد از ساعتى » أى : وبعد ساعة .

بيت (خفيف)

نيك خواهان دهند پند وليك   نيك بختان بوند پند پذير

والمعنى :

الأخيار ينصحون ، ولكن السعداء هم الذين يتقبلون النصيحة .

***

فاعترف الهدهد وأقر بذنبه وقال : إذا جاء القضاء عمى البصر . ألا تدرى أنه لا يمكن مقاومة القضاء السماوى وأن الحذر من التقدير لا يجدى ؟

***

٣٤ ــ حكاية الزُنبور والنملة

ومثال ذلك مثل الزُنبور الذى رأى فى الصحراء نملة[١] يحمل حبة إلى بيته بألف حيلة ، فقال : يا أخى ! أى مشقة قد اخترت ، وأى عذاب هذا الذى اصطفيت ؟ تعال لترى مطعمى ومشربي الذى مالم يتبق مني لا يصل إلى السلاطين . فطار هو ، وأخذ النملة يجرى من ورائه ؛ فلما وصل إلى دكان قصاب ، حط على اللحم ، فضربه القصاب سكيناً ، ووسّط الزنبورَ نصفين وألقاه على الأرض ؛ فلما رأى النملة تلك الحال ، جرى وأخذ برجل الزنبور ، وكان يجره ويقول : من كان هذا مرتعه ، كان هذا مصرعه .

---

(١) النملة بفتح النون وسكون الميم وضمها للذكر والأنثى .

إذا حل القضاء ضاق القباء(*)، ولا تجدى الكفاية والمعرفة ، الطائر الفطن يعلّق من حلقه .

***

أثنى الشاه على سندباد وقال : كنتُ دائماً واقفاً على عقلك وحكمتك ، وواثقاً بفضلك وشهامتك . وقد زاد اعتمادى إذ صيرتَ ولدى مستظهراً ومتزيناً بحلية الحكمة وزينة المعرفة ، وبلغتَ به منصب الكمال ، وأحييت اسمى الطيب الذى يحيى اسم أسرتى الرفيع ، فليجعلنى الحق تعالى عارفاً لحقك ، وليرزقنى التوفيق لأداء جزاء حقوقك !

ثم سأل ولده : كيف حصلت هذا العلم الجليل فى هذه المدة القليلة(١) ؟ قال : أصل كل العلوم العقل ، ومادة العقل من الفيض الربانى(٢) ، فكل من يكون مرزوق الحظ ، ومسعودَ الجد ، ينظر إليه ويتنزل عليه النورُ الإلهى والسعودُ السماوية ؛ فتسهلُ عليه الأمور الصعبة ، ويتيسرُ المتعذر ، وللأوقات أيضاً أثرٌ تامٌ فى حصول المرادات ، « فإذا انقضت الأوقاتُ المشروطةُ »(٣)، وانتهت الأيامُ المعدودةُ ، يسهلُ ذلك المشكل ويتيسرُ ، ويجىء فى حد الإمكان . وكل العلوم مُنتَجةٌ من هذه الكلمات المكتوبة على جدار قصر أفريدون . فسأله الشاه : وكيف ذلك ؟ قل !

(*) هكذا فى النسختين « ط ، س » ولعل الصحيح « ضاق الفضاء » .

(١) فى نسخة طهران « در مدتى قليل » أى : في مدة قليلة .

(٢) فى نسخة استانبول « فيض آسمانى » أى : الفيض السماوى .

(٣) هذه العبارة غير موجودة بنسخة طهران .

الكلمات المكتوبة على جدار قصر افريدون

أولا : كل من يُصغى إلى أقوال الواشى والنمّام ويوافق عليها ، يرى من الآلام ما تقصر يد تداوى العقل عن تداركها وتَشفّيها .

* * *

ثانيا : كل من نُشِّئ بلباب ألبانٍ وألبابِ البيان ، وترى فى حضن أم العقل والفطنة ، لا يغفُل فى أى وقت عن مكر العدو ، لأن العدو كالثعبان الذى لا يصير صديقاً أبداً .

* * *

ثالثا : لا يجانب المرء الإخوان لأدنى مباسطة ولا يضمر لهم بغضاً ، لأن ذلك أصل الحمق والجهل .

مصراع (هزج)

از دوست بهر زخمى افكار نبايذ شذ

والمعنى :

ينبغى أن لا يُتألم من كل جرح من الصديق

* * *

رابعا : إذا صار الصديق عدواً فأعزه ، لتطرّى وتنضُرَ دوحةُ المحبة

وشجرةُ الاتحاد والاعتقاد التى كانت قد ذبُلَت من احتباس شُرب الإشفاق وإعدام الإنفاق .

***

خامسا : شاور الرجل العاقل ، لتأمن ركاكة العقل ، ولا تسقطَ أعمالُك من سَمْت الاستقامة .

***

سادسا : احذر العدو الداخلى ، وضم إليك حاشية ثوبك ، لأن كل سهم ينطلق من إبهام وحلقة وتر قصـــــده ، وقوس غدره ، يصيب المقتل والمذبح .

***

سابعا : إذا كنت عاقلا فلا تعتمد على الرجلِ غـيرِ المجرّب ، لأن الأذكياء قد قالوا : الشيطانُ المجرّبُ خيرٌ من الرّجلِ غيرِ المجرّب .

***

ثامنا : لا تقل الـكلام غير المُتدَبَّر ، حتى لا تقع فى العناء المجهول ، وانظر عواقبَ الأمور بنهاياتها .

***

هذه هى المشكلات المكتوبة على شُرُفاتِ غُرُفاتِ قصر أفراسياب ؛

سأله الشاه : يا قوة باصرة السيادة ، ويا ثمرة شجرة السعادة ، ويا زهرة دوحة الإقبال[١] ! من أكثر الناس لياقة فى الدولة ؟ قال : من يعرف مقادير الخواص والعوام[٢]، ومراتب الخدّام وعيوبهم ومزاياهم . قال : أى خصال السلطان أحمد ؟ قال : ترك التعجيل فى إمضاء العزائم فى الأمور المبهمة ، وفى تنفيذ الحكم بلا روية وفكرة ، وشمول شمل العاطفة ورداء الرأفة ، والعدل العام والإحسان التام ، والاقتداء بقول الله تعالى : إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ والإحسانِ وإيتاء ذِى القُرْبَى وَيَنْهَى عن الفَحْشاء والمُنْكَرِ والبَغْيِ[٣] .

سأله : أى الخصال أذم ؟ قال : التعجيل فى الأمور ومتابعة الشح والبخل . ومن هنا قالوا :

شعر (كامل)

لاتبخلَنَّ بما مَلكْتَ ولا تكُنْ ... ما ساعدَ الإمكانُ غيرَ جوادِ
فالجودُ يجبُرُ كُلَّ نقص فاحِشٍ ... والبخلُ يستُرُ كُلَّ فضلٍ بادِ

***

سأله : على من يكون الموت أشق ؟ قال : على كل من تكون أعماله ذميمة .

فلما رأى السلطانُ بيانَه فى تدارك هذه المشكلات ، وبرهانه فى مباحث

---

(١) فى نسخة استانبول « إقبال ودولت » أى الإقبال والدولة .
(٢) فى نسخة استانبول « خواص وعوام دولت » أى خواص وعوام الدولة .
(٣) إن الله الآية : سورة النحل ، الآية ٩٠ .

هذه المعضلات ، أعجب به وفكر فى نفسه قائلا : العمر وإن يطل ينتهى آخر الأمر ، والحياة مهما تمتد ينقطع مددُها أخيراً :

بيت (طويل)

لَقَدْ فارقَ الناسُ الأَحبَّةَ قَبْلَنَا وأعْيا دواءُ الموتِ كُلَّ طبيبِ

بيت (رباعى) :

رفتند يكان يكان فراز آمدگان

كسى مى ندهذ نشان باز آمذگان

والمعنى :

ذهب القادمون واحداً واحداً ، ولا يدل أحد على العائدين .

* * *

فالشكر والمنة لله الذى زيَّن ولدى بحلية الحكمة ، وجمله بزينة العقل والمعرفة ، وأبلغهُ الدرجة والمنزلة الكبيرة . والآن أوان العزلة وأوقات الفراغة ، والإعراض عن الدنيا ، والاستعداد للزاد ، والتهيؤ لإقامة المعاد ، فقد قال الكبراء : الدنيا مزرعة الآخرة ، هذه الدنيا مزرعة الآخرة !

* * *

خاتمة الكتاب

لو كان كورديسُ الملك ، وسندباد الحكيم ، يجيئان إلى عالم الحياة ، لجعلا ترابَ سُدَّةِ ملكِ العالمَ ، صاحبِ قران الزمان ، قلج طوغاج خان ، ماء حياتهما ، ولاعتبرا حضرتَه المباركةَ ، وفِناءه الميمونَ ، قبلةَ حاجاتهما ، وكعبةَ مراداتهما ، ولاقتديا واقتفيا آثاره الحميدة ، ولاعترفا بأنه لم يكن أحد قط من الملوك الماضين ، فى القرون السالفة ، بفضلِ وحلمِ وعدلِ ملكِ العالمِ ، آلب قتلغ ، جلال الدنيا والدين ، وبرهان خليفة الله أمير المؤمنين ، أعز الله أنصاره ؛ لأنه بتأييد البخت والدولة ، وتمهيد قواعد الإقبال والنصرة ، قد صفى واستخلص المملكة فى لحظة واحدة من أعداء الدولة ، وجعل إقليم العالم خالياً وبلا غبار من معرة ومشقة المفسدين والمعتدين ؛ فلاجرم أن صارت خطةُ الأرض من عدله ، الخلدَ الأعلى ، وقد حرك وأحيا نسيمُ خصائله المربى العدل ، وشميمُ شمائله الباسطُ الفضل ، الجمادَ والموات ، مثلَ نفس المسيح ، وقال له لسان الزمان :

شعر (كامل)

أطلعتَ شمسَ العدلِ فيها بعدَما ... أطفا سراجَ العدلِ ظلمُ ولاتِها
أمّرتَ آياتِ الهدَى فيهـا وقد ... كاد الدُّجى يمحو سـنا آياتِها
هى سنةٌ محمـودةٌ أحييتَها ... فى كلِّ أهلِ الأرضِ بعدَ مماتِها

***

ولو كان السلاطين الماضون يظهرون فى هذا العصر من مهد الممات فى رَبَصِ(1) دائرة الحياة ، وبإعادة الحياة الثانية ، ورجوع النفس الناطقة ،

(1) كذا فى النسختين ، ولعلها ربض ، بالضاد المعجمة .

يُلبَّسون ويُرَدَّون بلباس العمر المُوَشّى ، لعدوا تقبلَ أخلاقه المرضية ، وعادته الحميدة واجباً ، ولقالوا :

شعر (كامل)

ولقد طُبعتَ عَلَى العُلَى فتكلَّفوا   فيه ، وما المطبوعُ كالمُتكلِّفِ
وبقيتَ فى عزٍّ يدومُ جـــلالُه   أبداً عَلَى قِمَمِ الكواكبِ مشرفِ

***

وفى الأيام المباركة لهذا السلطانِ الميمونِ فى العالم ، العادلِ الناشرِ العدل ، المربى الدين ، الذى قد مدت شمسُ عدله ـ مثلَ عين الشمس ـ شُعاعَ الرأفة على بسيط الأرض وبساط الزمان ، وأفسح بجناح عاطفته للعالم والعالمين مكاناً فى ظل عنايته ورعايته ، لا يكون عجباً أن يقصُرَ اختطافُ الخُطّافِ عن الذباب الضعيف ، والتعرضِ للبعوضة الحقيرة :

شعر (خفيف)

١ ـــ گر عنايت كند نـگه دارد   تنِ پشـــه ز خطفهٔ خُطّاف
٢ ـــ ور حمايت كند بگردا ند   تفِ خرشيد از تنِ خشّاف

والمعنى :

١ — إذا اعتنى يحفظ جَسَدِ البعوضة من خطفة الخُطّاف .
٢ — وإذا حَمَى يرد حرَّ الشمس عن جِسْمِ الخُشّاف[1] .

***

(١) الخُشّاف ، بضم الخاء وفتح الشين المعجمة المشدّدة ، هو الخُفّاش ، أى الوَطْواط .

وكذلك ينقطع منقار الباشق عن التعرض للعصفور، وضرر البم من حمة الزنبور، ويحمر وجه الكهرباء[1] الذى اصفر فى فراق عارض القشة، ويزول التضاد والتنافى من مزاج الطبائع الأربع، ولا يبعد أن لا يقذف العقرب بسنانه، وأن لا يرمى القنفذ بسهمه، وأن يعطى الأفعوان الأرقط من لعابه الشهد، ويخلع الحوت الجوشن، والسلحفاة الدرع.

شعر (مضارع)

١ — اكنون كى در ديارِ تو اى پاذ شاهِ دهر
الظلم قد توارى والعـــدل قد كُشِف

٢ — عقرب سنان نيفگند وخار پشت تير
ماهى زره نپوشد وبر گستوان كَشَف

والمعنى :

١ — الآن وقد توارى الظلمُ وكُشِف العدل فى ديارك يا سلطان الدهر،

٢ — لا يقذف العقرب بسنانه، ولا يرمى القنفذ بسهمه، ولا يلبس الحوتُ الدرع، ولا تدّرِع السلحفاة.

***

وإذا كانت هذه الخدمة قد تجلت فى معرض التقصير والتشوير، وحُررت

---

(١) الكهرباء هو المعروف عندنا فى مصر باسم «الكهرمان» والكهرباء تعريب الكلمة الفارسية «كهربا أو كاه ربا» ومعناها خاطف القش. ومن هنا جاءت الملائمة بين الكهرباء وعارض أو خد القشة.

على سبيل التعجيل ، فإنها تجد فى البلاط الأعلى ـ أعلاه الله ـ شرف ملاحظة واستماع، وتشرف بتشريف مطالعة ، ويحصل لعبدكم بذلك اعتضاد واستظهار، ويقوم بخدمة فى مناقب هذه الأسرة الكبيرة ، ومآثر الدولة العالية ، ويرفع بناء لا تخلقه ولا تبلى جدّته يدُ حدثان الأيام ، وكرور ومرور الأعوام ، ولا تزعزع قواعده من مكانها صرصر العواصف ومناحس الأجرام العلوية ، وطوفان أمطار نوائب الأدوار الفلكية ، ويخلد ويبقى أبد الدهر ، ويكون متداولا ومتنقلا فى صحائف الأوراق ، والألسنة والأفواه :

بيت (كامل)

تفنَى الكواكبُ فى السماء وإنّها   لكواكبٌ تبقى إلى الدّهرِ

شعر (متقارب)

اگر روزِ من بر ندارد شتاب   ور اختر سر اندر نيارد بخواب
بگيتى نُمايم يكى مِهر چهر   كز اندازهٔ او كم آيد سپهر

والمعنى :

إذا لم يسرع يومى ، وإذا لم ينم نجمى .
أظهر للدنيا وجهاً كالشمس ، يغدو دون قدره الفلك .

* * *

ولا يكون هذا عجيباً جداً ، لأن نظر همة هذا السلطان العالى النسب المتعالى الحسب ، الذى قد كان « أجداده » إلى أفريدون ، ملوكا ، وأقيالا ، وأصحاب

قران ، إذا ألقى ظله على ذرة تراب ، فإن تلك الذرة تنشر نورها على الشمس ، وتلقى ظلها على ذُكاء[1] .

وهذا العبد — عبد الدولة القاهرة — لا زالت عالية البنيان ، راسخة الأركان — منذ سنوات وهو يتمنى أن يجد وسيلة إلى الخدمة بالثناء على تلك الحضرة ، ليصير بتلك الخدمة من المقيمين بجناب تلك الحضرة :

شعر (خفيف)

١ — خسروا بنده‌را چو ده سالست تاهمی آرزویِ آن باشد

يا مليكى منذ عشر سنوات وأمنية عبدكم هى أنه :

* * *

٢ — کز نديمان مجلس ار نشوذ از مقيمانِ آستان باشذ

إذا لم يصر من ندماء المجلس ، يكون من المقيمين بالسُّدَّة .

* * *

٣ — بخرش پيس از آنک بشناسی وانگهت رايگان گران باشذ

اشتره قبل أن تعرفه ، وعندئذ يكون المجّانى لك غالياً .

* * *

٤ — چه شوذ گر ترا درين يک بيع دست بوسيدنی زيان باشذ

ما ضر لو تكون خسارتك فى هذه البيعة قبلة ليدك ؟

* * *

---

(١) ذكاء : الشمس .

عندما تتيسر هذه الأمنية ، وتسفر عروس هذا المراد من حجاب التعذر ، يحصل لعبدكم بذلك السبب ، شرف يبقى حتى يوم القيامة على الزمان ؛ فليجعل الله تعالى كسوة مفاخره السلطانية دائماً مطرزة بطراز العدل ، وسرادق جلاله وحشمته الذي هو ظل شمس الفلك ، موازياً أوج زحل فى علو الدرجة وسمو الرتبة ، وليُصيِّر نبع سنانه ومرعى سيفهِ حافظِ الملكِ والملة ، وناصرِ الدين والدولة ، دائماً مرتعَ ومشرعَ أرواحِ أعادى ، وأشباحِ مُعادى الدولة ، إنه غفور شكور.

تم الكتاب

ويليه سندباد نامه العربى بالعامية

سندباد نامه العربى بالعامية

نقلا عن نسخة خطية بمكتبة شهيد على پاشا باستانبول
مقيدة بها تحت رقم ٢٧٤٣

***

وقد ذُيلت به نسخة سندباد نامه المطبوعة في استانبول
بمطبعة وزارة المعارف سنة ١٩٤٨

***

بتحقيق الأستاذ

أحمد آتش

***

وقد نسختـه من هذه النسخة المطبوعة أثناء ترجمتى للـكتاب، وألحقته بالترجمة زيادة فى الفائدة ؟

المترجم

حكاية الملك المتوج مع امرأة الملك والحكيم السندباد

وسبع الوزرا وحكاية كل واحد منهم

بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقى

ذكروا ، والله أعلم بغيبه وأحكم ، وأعز وأكرم ، وألطف بعباده وأرحم ، فيما مضى وتقدم وسلف من أحاديث الأمم ، أنه كان فى قديم الزمان ، وسالف العصر والأوان ، ملك من ملوك العجم يقال له الملك المتوج ، وكان قد كبر سنُّه وما رزقه الله ولداً . فافتكر فى نفسه ذات يوم وقال : صرت هذا العمر ولم يكن لى ولداً ؟ أذكر به ويرث الملك من بعدى ، فاغتم لذلك غماً شديداً .

وكان لهذا الملك سبع وزرا حكما علما قد قروا ساير العلوم ، فأمر بإحضارهم ، فلما مثلوا بين يديه قال لهم : اعلموا أيها الوزرا الصالحين ، الذين هم لدولتى ناصحين ، ولأمرى طايعين ، ولما أختاره عارفين ، وفقكم الله أجمعين ، أنه قد دنا ارتحالى من هذه الدار الفانية ، إلى الدار الباقية ، ولم أرزق ولداً ذكراً أذكر به بين الملوك ، ولا لى أخ يحكم بين الغنى والصعلوك ، وأنتم تعلموا أنه قد قالت الفضلا : الإنسان بلا ولد كالشجرة بلا ثمر .

فتقدم الوزير الأكبر وقال : أيها الملك أدام الله أيامك ، وأنفذ أحكامك ، ولا كان من لا يرعى ذمامك ، ارسم بما تختار حتى نبادر إليه ونعول جمعنا عليه .

قال الملك : اعلم أيها الوزير أن الذى أختارُه ما يصير إلا بأمر الله القدير .

قال : يا مولاى اقصد الإله العظيم وانذر لله نذور والوفا به يهون الله عليك الأمور ، واشتغل بالذ ـوان ، فنرجوا من فضله الإحسان ، أن يرزقك الله ولداً ذكراً تنشرح به صدورنا ، وتذهب به همومنا ، وينكبث[1] به عدونا .

قال : ففعل الملك ما أشاروا به الوزرا ، وكان له زوجة من بنات الملوك الأكاسرة ذات عقل وأدب ، وكرم وحسب ونسب ، وحسن وجمال ، وبها وكال ؛ فنهضت لوقتها واغتسلت وصلّت ركعتين ، وقصدت الرب جل وعلا ، وسألته أن يرزقها ولداً ذكراً ، وكذلك الأب . فواقعها فحملت من ساعتها ، ولم تمضى مدة من الزمان إلا وقد أحسَّت بالحمل ، ففرحت وعرّفت الملك ففرح فرحاً شديداً . ثم تصدق من ساعته وأكسى الأرامل والأيتام والفقراء والمساكين والمنقطعين .

وما زال كذلك حتى كملت أيام زوجته وأخذها الطلق ، فولدت غلاماً كأنه البدر ليلة أربعة عشر ، فتباشروا به أهل مملكته ، فخلع السلطان عليهم وأنعم على الكبير والصغير والأسير والفقير .

ثم جمع العلما والمنجمين والحكما والموقتين ، فقال : انظروا فى طالع ولدى ، وما يكون من أمره ، وما يلقاه فى مدة عمره . فقالوا : سمعاً وطاعة . ثم أخذوا الارتفاع وحسبوا الماضى والباقى من النهار ، والطالع والغارب ، وما ربّع وسدّس الفلك الدوّار ، وقالوا : أيها الملك ، نرا طالعه سعيد ، وأمره حميد ، وفعله رشيد ، لكن عليه قطع وعاقبته إلى خير ، ويزول عنه الضير .

فلما سمع الملك كلامهم ، وما أبدَوا من نظامهم ، حصل له هم شديد ، ما عليه مزيد . فقال له كبيرهم ، وكان أعلمهم : أيها الملك ، طب نفساً وقرّ عيناً ، واحمد الله تعالى الذى (صيّر) عاقبة ولدك إلى خير .

---

(١) ينكبث : ينكبت .

قال المؤلف : فزال عنه همه، وانكشف عن قلبه غمّه ، وخلع عليهم وأعطاهم الجوايز. ودفع المولود إلى الحواظن [١] والدايات . فكبر الغلام وانتشا ، ومشا على الأقدام ، وبلغ من العمر سبعة أعوام .

فكتب الملك إلى جميع البلاد ، وجمع من العلماء ثلثمائة عالم ، ثم أخلا لهم مجلس وجمعهم فيه ، وقدم لهم الموايد ومد لهم أفخر الطعامات ، ومن ساير الحلوات ، فلما اكتفوا ورفع الغلمان الموايد من بين أيديهم ، وجلس كل واحد فى مرتبته ، فقال لهم الملك : هل تدرون لأى شيء جمعتكم ؟ قالوا : لا أيها الملك ، فقال : أريد منكم أن تختاروا لى منكم خمسين رجلا وتختاروا من الخمسين عشرين ، ومن العشرين عشرة ، ومن العشرة واحد يُعلم ولدى العلوم ، فإذا رأيت ولدى قد أتقن العلوم قاسمته نعمتى ، وحوّلته [٢] مملكتى . فقالوا : أيها الملك ما فينا أعلم من السندباد البحرى الحكيم ، وهو فى بلادك وتحت كنفك ، فإن اخترت فابعث إليه من يحضره إليك وأعلمه بما تختار .

فأرسل الملك طلبه ، فحضر بين يديه وقربه الملك وأدناه ورفع مجلسه وحياه . وقال له : تعرف لماذا أحضرتك ؟ قال : لا . قال الملك : اعلم أنى أحضرت هذه الجماعة ، وسألتهم أن يختاروا لولدى رجلاً منهم يعلم ولدى ما علمه الله تعالى من العلم فاختاروك وأجمعوا رأيهم عليك ، فإن اخترت ذلك فاجتهد فى تعليم ولدى والله يوفقك وإياه . فقال السندباد : اعلم أيها الملك أن الولد ثمرة قلب الوالد ومهجة فؤاده . ثم أحضر الملك ولده وسلّمه للحكيم السندباد ، وأشهد عليه أن يعلّمه فى ثلاث سنين . فأخذه الحكيم ولم يزل يعلمه ويدرّسه ويجتهد عليه إلى أن تعلم بعض شى .

---

(١) الحواظن : الحواضن .

(٢) حولته : خوّلته .

فلما انقضت المدّة بعث طلبه ، وطلب ولده يمتحنه ، فوجده لا يعرف إلا القليل . فعظم ذلك عليه ، وأرسل إلى البلاد ، فأحضر الحكما والعلما ، وقص عليهم قصة ولده مع الحكيم ، وكيف ما اجتهد عليه . فقالوا : أيها الملك أحضره واسأله ما الذى منعه من تعليم ولدك .

فأمر بإحضاره ، فلما حضر بين يديه فقالوا له العلماء : أيها الحكيم الفاضل ما الذى منعك من تعليم ابن الملك فى هذه المدة ؟ فقال لهم السندباد : أيها الحكما إن ابن الملك صغير على التعليم ، وما له شعرة قلب ولا فؤاد ، وخشيت على عقله من الفساد ، فإنه لطيف الذات ، ولكن إن اختار الملك أن أعلِّم ولده بأسهل طريق ، على التحقيق ، يشرط لى عليه شرط يطمن به قلبى ، ويرتاح له لُبِّى وأعلم ولده العلم فى سبعة أشهر ما يتعلمه من غيرى فى سبع سنين . فقال الملك : رضيت بهذا الشرط ، قل ما بدا لك . فقال الحكيم : أريد منك ثلاث خصال . فقال : ما هى ؟ قال : الأولى أن تحب للناس ما تحب لنفسك ، والثانية أن لا تفعل شيئاً وتستعجل فيه ، والثالثة إذا قدرت فاصفح عن الجانى ، واقبل معذرة القلب العانى . فقال الملك : قبلت ورضيت واشهدوا علىّ يا من حضرنى فى هذا المكان من الحكما والعلما ! ثم سلّم الغلام للسندباد فتسلمه وانطلق به إلى منزله . ثم قال له : يا ولدى اجتهد غاية اجتهاد ، فإن مصيرك تحكم على العباد ، وما بقى لك خروج من هذا المكان ، حتى تتعلم العلم بإمكان . فأقبل الغلام على الدرس والاشتغال حتى أتقن العلم وحفظه .

فأرسل الملك خلفه ، وقد بقى من شرط الحكيم يومين ، وقال له : ما الذى صنعت بولدى ؟ فقال الحكيم : كل شى يسرك ويفرّح قلبك ، وفى غدات غدٍ يكون الاجتماع . ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً . ثم عاد السندباد إلى مكانه وطلب الغلام ، وقال له : أريد أخرجك إلى والدك فى غدات غدٍ ، وأريد أن أنظر فى طالعك ومولدك . فقال : افعل وفقك الله تعالى .

قال: فأخرج السندباد الاصطرلاب وأخذ الارتفاع ونظر إلى طالعه، فظهر له إن تكلم هذا الغلام ابن الملك قبل أن تمضى سبعة أيام هلك ومات، وكان آخر عمره ، وإن سكت حتى تمضى كان سبب سعادته ، وطول مدته . فاغتم الحكيم وحزن حزناً شديداً ، وكذلك الغلام . كره أن يمسك ابن الملك هذه المدة فيكون قد أخلف الميعاد ، ويغضب الملك عليه . فقال الحكيم : اخرج يا بنى إلى أبيك فى غدات غدٍ وإياك أن تتكلم بكلمة ولو كان فى سكاتك حتفك ، ولا تتهمّ ، وأنا أرجو لك الفرج ، وهذه وصيتى إليك والسلام ، وها أنا أختفى إلى أن تنقضى المدة ، وتزول هذه الشدة . فقال الغلام : والله لو أمرتنى أن لا أتكلم الدهر كله فعلت . ثم اختفى الحكيم فلم يعرف له مكان .

وأما الملك فإنه صنع الأطعمة المفتخرة بما يليق بمثله ، ونادا فى الخاص والعام ، وطلب الحكيم ، فوجدوا ابن الملك ولم يجدوا الحكيم . فأحضروا ابن الملك ، فدخل ولم يسلّم ولم يتكلم بكلمة . فكلمه الملك فلم يرد عليه جواب . فاغتم الملك وجميع من حضر . وأما الملك فطار عقله ، وقال لمن حضر : ما تقول فى هذا الأمر ؟ فقال بعضهم لبعض : إن السندباد أسقاه حب الفهم فأخرسه .

قال : وكان للملك امرأة يقدمها على جميع نسائه ، وكان يحبها حباً شديداً . فدخلت على الملك فى طلب حاجة ، فرأته ضيق الصدر فسألته ، فقص عليها قصّته مع ولده ، فقالت: إن رأى الملك أن يدفعه لى فإنه كان يحبّنى ويألف إلىّ ، وأنا أرجو أن يكلمنى إذا رفقت به . فقال : خذيه ! فأخذته ، ومضت إلى قصرها ، فكلمته فلم يكلمها ، فتقدمت إليه ونظرت فى وجهه فأعقبتها النظرة ألف حسرة ، وحسّنه لها الشيطان فأعرضت نفسها عليه ، وضمته إلى صدرها وقبّلته ، وقالت : يا سيدى إن أباك شيخ كبير ، وأنت شاب ، وطفل صغير ،

وخيرك إلى قُدّام ، وأنا شابه ، وأكون أنا لك وأنت لى . فعند ذلك غضب ابن الملك حتى نسى وصية معلمه وقال لها : يا فاجره إذا انقضت السبعة أيام وتكاملت سوف أقابلك ، ثم ذكر الوصية فسكت .

قال : فلما سمعت الجارية منه هذا الكلام علمت أنه ما يطيعها وأنها رمت نفسها فى مصيبة ، وخافت الهلاك ، فقالت : إن لم أعمل على هلاكه قبل السبعة أيام الذى ذكرها وإلا عمل على قتلى . ثم كتمت أمرها حتى دخل عليها الملك وسألها عن ولده ، فبكت وتنهدت وقالت : يا سيدى هذا ولدك وهو أعدا الناس عليك ، وقد كلمنى كلام إن قلت لك عنه أخشى على قلبك ، وإن كتمته عنك مع إحسانك فأكون بنت زنا .

قال: فلما سمع الملك ذلك شق عليه ، وقال: اخبرينى ولكى علىّ ماتختارى . قالت له وقد انتحبت بالبكا : إن ولدك قال لى لما كلمته ووانسته : تكتمى علىّ ؟ فقلت له : نعم ! فقال لى : ساعدينى على قتل أبى ، فإنه شيخ كبير وقد خرف وعجز عن الملك ، وتمكنينى من نفسكى ، وإذا صرت ملك مكان والدى أخذتكى إلى عندى ، وتكونى لى وأكون لكى ، ثم قام من وقته وساعته وراودنى عن نفسى وطلبنى ، ومد يده إلى لباسى وصرت أنا أدافعه وهو لا يرتد حتى ركب صدرى ، فهربت منه ، فقال لى : والله لاقطع راسكى وأضعه فى حجرك ! وسكت ولم ينطق بعدها . واعلم أيها الملك أنى[1] لولاوافقه أحد على أخذ الملك ما فعل هـذا الفعل ، وأنا قد نصحتك فاختر لنفسك ما تحب والسلام .

قال الراوى : فلما سمع الملك هذا الكلام غضب غضباً شديداً ، لأن الملك كان كثير الغيره ، فعند ذلك خرج وأحضر ولده وأمر بقتله ، ولم يشاور فيه أحداً من وزرائه . فعلموا الوزرا بقضية الملك فاجتمعوا ، وقال بعضهم لبعض:

(١) أنى : أى أنّه .

اعلموا أن الملك فى قوة نفسه ، ما يقدر أحداً منا يكلّمه فيه ، وإن سكتنا فيه وما تكلمنا يقع الفعل فيه ، وما يمضى قليل حتى يسكن غضبه ويندم حيث لا ينفعه الندم ، ويرسل خلفنا ويعتب علينا ويقول : ما كان فيكم رجل رشيد يردنى عن قتل ولدى مع علمكم إن ما لى غيره ولا من يقوم مقامى ، فكأنكم حينئذٍ أعداى ، وإنكم تختاروا أن يتولى الملك من لا يكون من جهتى حتى تلعبوا بعدى وتفعلوا ما تريدوا ! واعلموا إن ما لنا حجة نحتج بها فيقتلنا أشر قتله ، والصواب أن يدخل منا فى كل يوم على الملك واحد ، ويحكى له حكايه تمنعه عن قتله ذالك اليوم ، فإن كان على الغلام قطع فيزول ، وإن الملك يسكن غضبه ويصفح عن ولده ، ويكون لنا عنده الوجه الأبيض ، وهذا هو الصواب .

فدخل عليه الوزير الأكبر ، وتمثل بين يديه وقال : أيها الملك لا تفعل لما عزمت عليه ، لأن الملوك الذى[1] كانوا قبلك لم يكن من شانهم العجله ، ومن فعل شيا قبل أن يشير فيه ندم حيث لا ينفعه الندم .

اليوم الأول

١ — من حكايات الوزير

قال : بلغنى أيها الملك السعيد أن ملكا كان يحب النسوان ، فاطلع على امرأة لبعض حجّابه ، فامتحن بها ، وحبّها حبًّا شديداً ، فأرسل زوجها إلى بعض الأماكن فى شغل له حتى يخلو له المكان . ثم أرسل إليها يعلمها بمحبته لها ، فقالت له : وايش هو قدرى عند الملك حتى إنه يحبنى مع ما عنده من ساير أجناس النسا وجوار وغيرهم ، ولم تزد على هذا شى . فعظم ذلك

(١) الذين .

عليه من جوابها ، ودخل عليها متنكراً وراودها عن نفسها ، فقالت له : اصبر أيها الملك ! ثم قامت وأتت بكتاب وعظ كان زوجها يقرأ فيه ، وفيه موعظة فى تحريم الزنا ، فقالت له : أيها الملك انظر فى هذا الكتاب حتى أصلح شانى وآتيك . فأخذه الملك وقرأ فيه ، فخرج له الموعظة التى فيها تحريم الزنا ، وما فيه من الإثم لمن يزنى بحليلة جاره . فاستحى الملك وندم على فعله وخاف الله تعالى ، فوضع الكتاب من يده ، وخرج تايبا مما وقع منه وعظمت منزلة المرأة عنده ، وأثنا عليها خيراً ، وكان فى أصبعه خاتماً منقوش فيه الاسم الأعظم ، فخلعه ووضعه تحت المخدّه حتى يقضي غرضه ويعود يلبسه .

قال : فلما خرج ذكر الخاتم فاستحيا أن يعود يطلبه ، وكان من التوفيق أن الحاجب قضى شغل الملك ودخل فى إثر خروج الملك ، فنظر إلى خاتم الملك فعرفه ، وظن أنه صديق زوجته ، فسكت واعتزل عنها فى تلك الليلة . فلما أصبح الصباح هجّجها إلى بيت والدها من غير أن يعلمها وعنفها .

وكان الملك يجلس كل وقت ينظر فى مظالم الناس ويخلص حقوقهم ، فأتا أبو زوجة الحاجب وحاكم صهره عند الملك ، فقال أبوها : أصلح الله الملك ! إنى دفعت إلى هذا الرجل أرضاً يعمرها ويقوم عليها ، فعطلها وتركها . فقال الملك : ما تقول فيما ادعى به عليك ؟ فقال الزوج : صدق أيها الملك ، دفع لى أرضاً فعمرتها وأصلحتها مدة ، فلما استقامت وحسنت دخلت إليها يوماً فرأيت أثر الأسد فيها ، فخفت على نفسى منه فتركتها ومضيت .

قال : فعلم الملك مقالتهما فبكى وقال : صدقت إن الأسد دخل الأرض ، ولم يحدث فيها حادث ، ولا أثر فيها فساد ، لأن الرقيب عليها جميع أفعاله شديده . وكان له معاملة مع رب العباد ، وما بقى للأسد عودة إليها ، فارجع إلى أرضك مطمن فنعم الأرض أرضك ، فرجع الرجل إلى أهله كما كان .

واعلم أن الخير والشر مركب من ساير المخلوقات ، فما ينبغى لك أن تقتل ولدك بقول امرأة ما تعلم هل هى صادقه أو كاذبه ، وقد علمت ما كان من حرصك فى طلب الولد ، ومكر النساء لا يُدرك .

(٢) حكاية

وقد بلغنى أن رجلا كان له امرأة جميله ، وكان يحبها حباً شديداً ، وكانت تمنعه غيرته أن يسافر عنها . ثم عرض له سفر لا بد منه ، فاشترى درة وكانت تتكلم بكل شىء تراه ، وجعلها ترصد امرأته وتنظر ما تصنع بعده ، وتخبره إذا رجع ، ثم إن الرجل غاب .

قال : فلما غاب أرسلت زوجته إلى صديق لها كانت تحبه ، فلما دخل الدار رأته الدره وعرفت ما صنعوا . فلما قدم الرجل من سفره ودخل إلى منزله ، جلس وأحضر الدره وقال لها : اخبرينى بماذا رأيتى ! فأخبرته بجميع مارأت . فغضب الرجل من ذلك غضباً شديداً وطردها، فظنت المرأة أن الجاريه أعلمته ، فقالت لها عن ذلك ، فحلفت لها أيماناً أنها ما قالت لأستاذها شى من ذلك . فقالت لهـا المرأه : إن كنتى صادقه فما قال له إلا الدره .

قال : فلما كان فى بعض الأيام سافر زوجها فى بعض أسفاره . فأمرت الجاريه أن تغطى سما الدار بباريه ، ففعلت ذلك . فلما كان أول الليل أمرت الجاريه أن تسكب في الدار ماء من فوق الباريه وتطحن فوق السطح بطاحون . فلما سمعت الدره حس الطاحون حسبته رعد ، وصار المـاء ينزل فوق القفص حتى ابتل القفص ، وجعلت المرآة تلوّح فى وجه السراج فخُيّل للدره أنه برق .

فلما قدم الرجل من سفره دخل إلى منزله ، فقالت له الدره : كيف كان حالك يا سيدى طول الليل فى هذا المطر والرعد والبرق إلى الصباح ما انقطع

ساعة واحدة ؟ فشك الرجل فى كلامها فى حق زوجته ، واعتقد أن كلامها كذب ، فأخرجها من منزله وصالح زوجته ، وسألها أن تحالله فيما اتهمها ، ووهب لها حلياً فاخراً وملبوساً حسناً .

واعلم أيها الملك أن مكر النساء أعظم من ذلك (فنهى الملك عن قتل ولده فى ذلك اليوم) ثم فى

اليوم الثانى

دخلت امرأت الملك عليه وقالت له : إياك أن تغفل عن قتل ولدك فتندم ، كما ندم القصار . فقال الملك : وكيف (كان) ذلك ؟

(٣) حكاية

قالت : زعموا أنه كان قصار ، وكان يقصر الثياب على نهر عظيم واسع ، وكان له ولد ، وكان يحبه حباً شديداً ، وكان كثير اللعب ، وكان لا ينهاه عن لعبه .

فلما كان فى بعض الأيام نزل الصبى يلعب فى المـاء ، فمر عليه رجل شيخ فقال له : احذر على ولدك من الغرق فإنه يغر بنفسه ! فلم يسمع منه ولم ياخد كلامه بقبول . فدخل الصبى فقوى عليه التيار فأخذه ، فصرخ على أبيه : أدركنى ! فنزل خلفه ليخلصه فتعلق به الصبى فغرقا جميعاً . وقد قال الله تعالى: إنَّما أموالُكُمْ وأولادُكُمْ عدُوٌّ لكم فاحذروهم[1] .

---

(١) حصل خلط بين الآيتين ١٤ ، ١٥ من سورة التغابن ، ونصهما كما يلى : إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم (الآية ١٤) ، إنما أموالكم وأولادكم فتنة (الآية ١٥) .

قال : فلما سمع الملك ذالك أمر بقتل ولده .

فجاه الوزير الثانى فى اليوم الثانى ، وقال له : أيها الملك إياك أن تستعجل فى قتل ولدك فتندم كما ندم رجل ، فقال : كيف كان حكاية الرجل ؟

(٤) حكايه

فقال : أيها الملك إنه كان تاجراً ذو مال وسعه ونعم ظاهره وخدم وحشم ، وإنه خرج فى بعض أسفاره ، فأنفذ غلامه إلى السوق وقال له : اشترى لنا أطيب ادم وشراب وأحسن خبز ! فراح الغلام إلى السوق ، فوجد جارية تبيع رغيفين أبيضين ، فاشتراها وأتاهما إلى سيده . فلما رآهما التاجر أعجبه نضافتهما فأكلهما وطابوا له ، فقال للغلام : اشترى لنا من هذا الخبز كل يوم .

وصار التاجر لا يدوق طعاماً إلا بذلك الخبز الذى يأتى به الغلام . ثم افتقد الغلام الجارية ، فلم يجدها إلى يوم من الأيام وجد الغلام الجارية ، فأتا بها إلى سيده وقال له : هذه الجارية التى بقيت أشترى منها الخبز . وقال لها سيده : ما شانكى يا ستى تجيبى لنا من الخبز ؟ فقالت : يا مولاى قد برى سيدى فاستغنينا عنه . فقال لها : وما كان خبر سيدك ؟ فقالت : كان فى ظهره خراج ، فوصف له الطبيب أن ياخد دقيقاً ويعجنه بسمن ثم يضعه على ظهره حتى يمص القيح والمده والدم ، فإذا قاها عملنا غيره ، وخبزنا الخبز وبعناه ، وكان غلامك يشترى منى كل يوم ، والآن فقد برى سيدى .

فلما سمع التاجر كلامها قال لها : قومى لا أمنّ الله على سيدكى بالعافيه ، ودعا بالويل والثبور وعظايم الأمور ، وندم حيث لا ينفعه الندم . وقد بلغنى عن مكر النسآ .

(٥) حكايه

قيل : كان رجل من التجار ، وكان له امرأه حسنه ، إلا أن فعالها كانت قبيحه ، فحبت شاب طَبَرْدار[1] ، كان يقف على راس السلطان . فبعث إليها فى بعض الأيام يدعوها إلى عنده ، فجا الرسول فأعجبها فدعته إلى نفسها ، فأبطا على الطبزدار خبر الرسول فجا فى أثره ، فخافت منه المرأه أن يراه عندها فيعرف أنها قد خانته ، فأدخلته إلى خُرْستان[2] عندها وخبته .

فلما دخل استاذه وسأل عنه أنكرته وقالت : ما رأيته . ثم عانقت ابستاذه وقضى غرضه منها ، وإذا بزوجها قد دخل ، فخاف صديقها لا ينهتك عند السلطان ، فقالت : لا بأس عليك ، أقف عند الباب وجرد سيفك كأنك تهددنى وتوعدنى بالقتل ، فإذا دخل زوجى روح فى شغلك غير مرتاب ولا خايف ، ولا تتكلم بكلمه واحده ، وإذا كلمك لا تكلمه ، وإن راجعك هرول عليه بالسيف . ففعل صديقها ما قالت له . ثم دخل زوجها وقال : ما شان هـذا الرجل ؟ فقالت : ادخل حتى أعلمك خبره ، ثم إنها فتحت الخُرْستان على الغلام ، وقالت : اخرج راح استاذك ! فخرج الغلام كأنه هارب . فقال لها زوجها : ما هذا الغلام ؟ قالت له : إن سيده ذاك الذى رأيته كان قد غضب عليه ، وأراد قتله فدخل واستجار بنا مخافة القتل وإذا مولاه أقبل كما تراه ،

---

(١) الـ « طبردار » المقاتل الذى يتسلح بنوع من الفؤوس يعرف فى مصر باسم الـ « بلطه » ومعناها بالفارسية « طبر » فيكون معنى الـكلمة حامل الفأس أو حامل البلطه ، ومن هنا جاءت كلة « بلطجى » .

(٢) خرستان كلة فارسية معناها : حديقة النخل أو أجمة النخل .

فلما خرج مولاه أخرجته وكسبت أجره ونجيته من شره . فلما سمع زوجها هذا الكلام قال : لله درك يا ست الملاح ما أكثر مروتك ولقد أحسنتى فيما فعلتى .

فانظر يا ملك إلى مكر هذه المرأه وخديعتها التى يعجز إبليس أن يفعل شيا مثلها ، فاستعذ بالله ممن يكون فعله كفعلها ولا تقتل ولدك ! (فنهى الملك عن قتل ولده فى ذلك اليوم) . فلما كان

اليوم الثالث

جاءت امرأة الملك ، وقالت : أيها الملك وزرايك وزرا سوء كأنهم يريدوا فقدك ، وأنا أخشى عليك أن تهمل أمرهم ، فتهلك كما هلك بعض الوزرا . فقال الملك : وكيف كان حديثه ؟

(٦) حكايه

قالت له : كان ملك من الملوك ، وكان له ولد يحب الصيد والقنص ، فاستأذن والده فى الخروج إلى الصيد هو والوزير ، فأذن لهم ، فخرجا جميعاً . فعرض له صيد ، فقال الوزير لابن الملك : دونك وهذا الصيد ، فخرج إليه ابن الملك ، فشرد الصيد بين يديه ، فتبعه وأوغل فى أثره ، فبينما ابن الملك يسير فى البرية إذ نظر إلى جارية أحسن من الشمس ، وهى جالسة تبكى . فقال لها ابن الملك : ما الذى يبكيكى يا جاريه ؟ فقالت له : أنا والله ابنة الملك الفلانى وإن أهلى زوجونى وأخرجونى عروساً ، وكنت راكبة بعيراً ، فنمت وقعدت ولم يعلم بى أحدا منهم ، وساروا وتركونى فى هذا المكان ، وأنا قد أشرفت على الموت .

فرحمها ابن الملك وأردفها خلفه على ظهر الجواد . فبينما هو ساير بها إذ عبروا على خرابه . فقالت له الجاريه : أريد أن أدخل هذه الخرابه أقضي حاجه لى . فأنزلها ودخلت الخرابه . ووقف الغلام ينتظرها فأبطت عليه ، فتطلع عليها من ورا الحايط ، وإذا بها غوله وهى تقول لأولادها : قد أتيت لكم بشى تاكلوه . فقالوا لها : ادخلى الخرابه الثانيه حتى نلحقك إليها .

قال : فلما سمع ابن الملك ذلك طار عقله وخاف وارتعدت فرايصه ، فخرجت إليه الغوله في الصوره الذى رآها بها ، فقالت له : ياسيدى مالى أراك ترتعد ؟ فقال : ثارت على الصفرا فزمع جسمى . فقالت له : سر معى إلى هذه الخرابه حتى يزول ما بك . فقال : أنا ما أعبر إلى هذا المكان فإنى خايف منه . فقالت : استعن بالله فهو يكفيك شر ما تخافه . فقال ابن الملك : نعم ما قلتى ! ثم رفع طرفه إلى السما ، وقال : اللهم بحق محمد صلى الله عليه وسلم اكفنى شر هذه الغوله واحفظنى منها برعايتك !

قال : فلما فرغ من دعائه أرسل الله إليه ملك فضرب الغوله بحربه فى صدرها خرجت من ظهرها ، فانصرعت الغوله ميته ونجّاه الله منها ، ورجع إلى أهله بعد أن كاد أن يهلك . وكل هذا من تدبير الوزرا فإنهم مايختاروا إلا أنفسهم. فأمر الملك بقتل ولده .

فدخل عليه الوزير الثالث ، وقال له : انظر أيهـا الملك فى أمر ولدك وحشاشة كبدك ، واعلم أن الأمر السهل إذا صعبته عاد عظيماً ، وانظر فى عاقبة أمرك ، وقد قالوا أهل الفضل : من لم ينظر فى العواقب ، ما الدهر له بصاحب . وإياك أن تصغى إلى قول النسوان ، لأنهم قد احتوا عليهم الشيطان. قد بلغنى عن مكرهم أن أهل قرية اقتتلا حتى قتل أكثرهم على قطرة عسل قطرت على الأرض . فقال الملك : وكيف كان حديثهم ؟

(٧) حكايه

فقال : ذكروا أيها الملك أن رجلا كان يصيد الوحش من الجبال ، فبينما هو ذات يوم فى بعض الجبال وجد موضعاً مملواً عسلا ، فأخذ ما فيه وأتى إلى الموضع الذى فيه حانوته .

وكان لصاحب العسل كلباً ، وكان لجاره صبياً قد كبر وربا عرسا ، فقطر من العسل قطره ، فجات عرسة جاره الذى رباها لتاكل القطره العسل . فوثب عليها كلب صاحب العسل فافترسها ، فرفع جاره عصاةً كانت معه وضرب بها الكلب قتله . فرفع صاحب العسل عصاةً كانت معه على جاره وضربه فشخه وأسال دمه ، فقام إليه أهل السوق أوجعوه ضرباً ، فراح صاحب العسل إلى قرية فيها رجال ، فجمعهم وأتا بهم ووقعت الرجال على الرجال ، واقتتلوا والتحم الشر بينهم حتى قتلت القريتين . فهذا القتال والخراب على شى يسير أصله قطرة عسل .

وما ضربت لك هذا المثل إلا أنك لا تعظم اليسير فيما لا تعلم حقيقته فتقتل ولدك وفى الآخر تندم على فعلك . وقد بلغنى أيضاً عن مكر النساء .

(٨) حكايه

قيل : كانت امرأه حسنا ، وكان لها زوج فدفع لها درهم ، وقال لها : امضى إلى السوق واشترى به أرزاً ، فإنى جيت تعبان من الشغل ، فأخذته وأتت به إلى السوق ، فوقفت على صاحب دكان يبيع أرزاً ، فقالت : اعطنى بهذا الدرهم أرزاً ! فلما رآها أعجبته ، فقال لها : اعلمى أن الأرز ما يطيب إلا بالسكر ، فهل لكى أن تدخلى إلى الدكان وأعطيك أرز وسكر وغيره ، وأكون لكى

على سبيل الخدمه ؟ وكان شكاله حسنه ، فنظرت إليه ووسوس لها الشيطان فدخلت إلى عنده ، فقال : افتحى جنب إزارك ! ففعلت فأعطاها أرز وسكر فعقدته ثم دخلت معه .

وكان عنده عبد أشطن منه ، فغمزه فحل الربطه وأخذ الأرز والسكر ، وحط موضعه تراب وحصا صغار . وقضى الرجل شغله منها وخرجت وأخذت الإيزار وهو مربوط ، وتظن أنه كما ربطته ، وتوجهت به إلى بيتها وألقت الإيزار عن رأسها ، وأتت إلى خزانة عندها لتأخذ برمة وتحط ذلك فيها ، فحلت ذالك فوجدته تراباً وحصا .

وكان عندها غربالا فأخذته وخرجت ، فقال لها زوجها : ما هذا التراب ؟ قالت : خرجت من عندك وفي يدى الدرهم ، فزاحمنى جمال وابغال ، فوقع الدرهم من يدى فى التراب فجمعته لأغربله . فأخذ الرجل الغربال منها وشرع يغربل فى ذالك التراب فلم يرا شيا . ثم إنها أخذت الغربال منه وارمت الدرهم فيها فى التراب ، ثم إنها أخرجته منه ، وأورته لزوجها ، فقال : الحمد لله الذى رد علينا شيئا .

وهذا من بعض مكرهم واستحضار حيلهم (فنهى الملك عن قتل ولده فى ذلك اليوم) .

اليوم الرابع

جاءت امرأة الملك ودخلت عليه وقالت : أيها الملك أنا أرجو الله تعالى أن ينصرنى على وزرايك فإنهم وزراء سوء ، كما نصر الله ابن الملك على وزير أبيه . فقال الملك : وكيف كان حديثه ؟

(٩) حكايه

قالت : ذُكر أنه كان فى قديم الزمان ، ملك عظيم الشان ، وكان له ولداً أحسن أهل زمانه ، قد فاق بالجمال أقرانه . فجلس الملك فى بعض الأيام بين أهل مملكته ووزرايه وعشيرته ، وإذا بولده قد أقبل إليه ، وقبل الأرض بين يديه وجلس فنظر الملك إليه وقال لوزرايه : أريد أزوج هذا ولدى فى حياتى ، وأفرح به قبل مماتى . فنهضوا الجميع وقالوا : نِعمَ أيها الملك الرأى رأيك ، ونحن بين يديك ، وفى خدمتك وخدمته .

فتقدم إليه أكبر وزرايه وقال : يا مولاى لأخوك الملك الفلانى بنت لها قد واعتدال ، وبهاء وجمال ، وحسن وخصال ، تُخجل البدر فى التمام ؛ قد خطبها جماعة من الملوك ، والملك يردهم خايبين ، من مدة سنين . فابعث أخطبها لولدك وأنا أضمن أن يجيبك إلى سؤالك ، ويسمع أقوالك ، وأكون أنا السفير بينكم .

قال : ففرح الملك بقوله ، وأعطاه من الهدايا والتحف ما يعجز عن وصفه اللسان .

قال : فجدّ الوزير فى المسير ليلا ونهاراً إلى أن قرب إلى بلد ذالك السلطان. وجاته الأخبار بقدوم الوزير ، فأخرج جميع عساكره ووزراء دولته إلى ملتقاه بالإقامات والموايد والطعامات والحلاوات ، وأمرهم أن يخدموه وأن يكرموه غاية الإكرام .

وما زال كذالك إلى أن وصلوا به إلى بين يدى الملك ، ودخل عليه وسلم عليه بأحسن سلام ، وخدم باحتشام ، ودعا له ولدولته بالدوام . فترحب به الملك وسأله عن حاجته .

فقص عليه القصه ، وناوله كتاب السلطان ، فتناوله وقبّله ووضعه على رأسه وفك ختمه وقراه . فلما فهم معناه قال : بسم الله وعلى راسى وعينى أقدمها له جاريه بشرط . فقال الوزير : وماهو الشرط ؟ فقال السلطان : أوكلك فى زواج ابنتى وأقيمك مقام نفسى وتكتب الكتاب فى قصر والده ثم يحضر صحبتك ويدخل عليها عندى ويقعد بها مدة عندى ، ثم يأخذها صحبتك ويروح إلى مملكته . فقال الوزير : أحسنت ولقد أنعمت ، وتفضلت وأنصفت .

ثم وكله فى زواجها ، وبعث معه هدايا وتحف أضعاف ما جاء معه ، ثم ودعه ، فسار الوزير الليل والنهار إلى أن وصل إلى الملك ، وحدثه بالحديث من أوله إلى آخره . ففرح الملك بذالك فرحاً شـــديداً ، وجهز ولده مع الوزير .

قال : فساروا مسرعين فراحاً ليالى وأيام ، فوقعوا فى أرض مقحطه ، فأصاب ابن الملك عطش شديد ، حتى أشرف على الموت .

قال : فبينما ابن الملك يحدث نفسه إذ أشرف على طير يحوم فى أرض ، فقصدها ، وإذا بنهر جارى صافى كأنه دموع العين ، وكان من سر هذا النهر أن من شرب منه يتحول امرأه ، وإن كانت امرأه تحولت رجل . فشرب منه ابن الملك ، وهو لا يعرف ولا كان عنده من ينهاه ، فصار بنت بكر .

فعظم ذلك على الوزير وخاف من الملك ، فتركه ومضى إلى أبيه وقال له وهو يبكى : إن الأسد افترس ولدك . فاغتم الملك لذالك غما شديداً وحزن مده . وأما ابن الملك أقام مدة فى ذالك المكان ، وهو يصلى ويدعو الله تعالى .

قال : فلما كان فى بعض الأيام مر عليه رجلا ، فسأله عن حاله ، فأخبره بخبره . فقال له : أنا أتحول مكانك على أن تعاهدنى أنك تعود إلىّ بعد أن

تدخل على أهلك بشهرين . فعاهده على ذلك ، وفرح ابن الملك ، فتحول الرجل مكانه . وعاد ابن الملك إلى حاله الأول ، ووصل إلى عند صهره ، ودخل على زوجته ، وأقام شهرين ، ثم ذكر العهد الذى بينه وبين ذالك الرجل . وكان الرجل الذى قعد مكانه من الجان ، فودع ابن الملك أهله ورجع حزيناً باكياً لا يعرف الطريق . فلقيه بعض أصحابه فسأله عن حاله ، فأحكى له بقصته ، فقال له : أنت بعيد عنه ، فامضى ودعه ، فإنك عند كل أحد معذور ، والله يصلح عنك فإن هذا العهد ما تقبله النفس ، فقال ابن الملك : معاذ الله أن أنكث عليه وقد عاهدته والله سبحانه وتعالى يدبرنى بحسن تدبيره .

ثم سار حتى انتهى إلى الجنى ، فأصابه قد حبل ، فقال له ابن الملك : أنا فارقتك على غير هذه الصفة ، أنا كنت بنت بكر . قال : فامضى بنا إلى من يحكم بيننا . فلما توجهوا إلى المدينه وجدوا القاضى وهو يحكم بين الناس ، فتحاكموا عنده فحكم بسقوط حق الجنى ، وأنه لا يستحق عند ابن الملك لا حق ولا عهد . فرجع ابن الملك إلى أهله مسروراً ، فأخذهم وسار إلى أبيه . ففرح أبوه بقدومه فرحاً شديداً ، وقال له : يا ولدى اخبرنى بقصتك ! فأخبره بما (كان) .

قال : فغضب الملك على الوزير ، وأمر بضرب رقبته وسلب نعمته . وكذالك يظفرك الله على وزرايك فإنهم وزرا سوء ، ما يقصدون إلا مصالح أنفسهم .

قال : فلما سمع بذلك الملك أمر بقتل ولده .

فدخل عليه الوزير الرابع وقبل الأرض بين يديه ، وقال : أيها الملك لا تعجل على قتل ولدك لأجل امرأه لا عقل لها ولا دين ، فقد ورد فى الحديث

أنهن ناقصات عقل ودين ، واعلم أيها الملك أنه من عمل بغير بيان ، يبقى في عقباه ندمان ، كما ندم

(١٠) صاحب الحمّام

فقال الملك : وكيف كان حكايته ؟

قال : ذُكر أنه كان في قديم الزمان ، ملك كبير الشان ، وكان له ولد صاحب هيكل عظيم سمين ، وكان من شدة سمنه إذا تعرا ما يبان إحليله . فدخل في بعض الحماميم يغتسل ، فرآه صاحب الحمام ونظر إلى فرجه فلم ينظر له إحليلا ، فتعجب منه وقال : يا سيدي أنت عجيب في الرجال ، سبحان من ألهمك الصبر ! فقال : ايش رأيت مني ؟ قال له : مثالك ابن ملك وما لك إحليل ، وقد انحرمت لذة النساء .

قال : فعلم ابن الملك أنه قليل العقل ، فقال له ابن الملك وهو يهزو به : يا معلم والعجب أني أريد أن أدخل على ابنة عمي ولا أدري كيف العمل ، فهل لك أن تاخذ مني عشرة دنانير ، وتأتيني بامرأه تكون جميله أجرّب نفسي فيها ؟

قال : فأخذ الحمامي الدنانير وقد لحقه الطمع ، وكان له زوجه جميله ، فقال في نفسه : هذا ما له شي ينفع النسآ ، فأنا أولى بالذهب . فدخل على زوجته وقصّ عليها قصة ابن الملك وقال لها : نحن أحق بالذهب . ففرحت امرأته وقامت من ساعتها فتزينت بأحسن زينه ، ودخلت إلى الحمام وأصلحت شأنها ودخلت على ابن الملك . فلما دنا منها ظهر منه شيء عظيم ، فلما رأته المرأة خرجت من عقلها بالفرح ومكنيته من نفسها وعانقته ، وأما زوجها الأبلَه فإنه طلع فوق السطوح لينظر ما يكون بينهما . فلما رآه قد علا فوق امرأته ،

وشاهد منه ما شاهد ندمَ ندمْ عظيم ، واشتعل فى قلبه نار من عظم ما تم عليه ، نادا زوجته : ويلك اخرجى فإنى ما ظننت أن له شى ! فقالت له امرأته : كيف أخرج وقد شارطْه إلى الليل .

قال : فلما سمع الحمامى قول امرأته وما قد فعل بنفسه وكيف حصل غرضها مع ابن الملك عرف أنه قد عجز عن منعها عنه نزل إلى الحمام وربط حبلا وجعله فى عنقه فاختنق ومات .

وأنت تعلم أيها الملك أنك مالك غير هذا الولد وأنت تريد تهلكه لأجل كلام الزوز ، وما حدثتك بهذا الحديث إلا أننى أخشى عليك أن تندم حيث لا ينفعك الندم . وقد بلغنى عن مكر النساء

(١١) حكايه

قيل : إن رجلا كان له زوجة حسنه ، فتعاهد هو وإياها أن يحفظ كل منهما زوجه ولا يخونه . ثم إن الرجل سافر عنها وأعطاها نفقة تكفيها إلى وقت معلوم . ثم قال لها : إننى أجى من سفرى قبل انقضاى المده . ثم سافر وأقامت زوجته حتى انقضت المده الذى شارطا عليها ، وفرغت نفقتها ، فسألت عن زوجها من بعض أصحابه ، فنظر إليها رجل فتعلق قلبه بها ، وبعث يسألها مع عجوزه عنده من جيرانها وشكا إليها ما عنده من الصبيّة ، وقال لها : هل تقدرى أن تجمعى بينى وبينها ، ولكى عندى كل ما تختارى ؟ فقالت له : طب نفساً وقر عيناً !

ثم عمدت العجوز إلى دقيق وعجنته بشحم وفلفل وعملت منه رغيف ، وكان فى دارها كلبه قد ربتها ، وكلما راحت إلى مكان تتبعها ، فأطعمتها ذلك

الرغيف الذى (عجنته) بالفلفل ، وخرجت والـكلبه معها إلى منزل ذالك المرأه الذى غاب عنها زوجها ، وسألتها عن حاجتها .

قال : فلما[1] استقر بها المجلس حتى بقيت الـكلبه تبكى والدموع تساقط من عينيها ، فبكت العجوز وأظهرت الحزن . فقالت صاحبة البيت : يا ستى مالى أرا هذه الـكلبه تبكى وأنت تبكى أيضاً ؟ فهزت العجوزه راسها ، وقالت : يا بنيه أسأل الله العافيه من بلوا هذه الـكلبه ! فقالت الصبيّه : وما بلواها ؟ قالت العجوز : يا بنتى كانت هذه الـكلبه من أحسن النساء وجهاً وأكملهم ظرفاً ، فحبها رجل وتجنن عليها ، ودعاها إلى نفسه فامتنعت منه ، وكان الرجل ساحر فسحرها فصارت كابه كما ترى ، وإذا رأت الصبايا تحسرت على نفسها . فقالت الصبيه : حقا تقولين ؟ فحلفت لها ألف يمين إن هذا الـكلام صحيح . فقالت الصبيه : يا ستى اعلمى أن هاهنا شاب قد عشقنى ، وقد امتنعت عليه وأنا أخاف أن يسحرنى فأصير كلبه مثل هذه . فقالت العجوز : والله صدقتى يا بنتى ولا آمن عليكى من هذه القضيه . فقالت لها الصبيه : تقدرى تجمعى بينى وبينه على العجل ؟ فقالت العجوز : نعم أعرفه وهو فلان . فقالت : نعم ، أنا آتيك به . ثم نهضت من ساعتها وخرجت فى طلبه . وأما الصبيه فإنها أصلحت نفسها ، وجلست لتنتظر حضور الشاب . وأما العجوز طلبت الشـــاب فرأته غايب ، ففتشت عليه فما وقعت له على خبر .

وكان بالأمر المقدور أن زوج تلك الصبيه قد دخل من السفر فى تلك الساعه ، وكان زوج المرأه مليح الصفات حسن الوجه ، فلما رأته العجوز أعجبها

(١) فى الأصل « فلما » وظاهر أنه يريد « فما استقر » وقد تـكرر ذلك فيما بعد .

حسنه ، فقالت فى نفسها : إذا كنت ما رأيت غريمى فأنا آخذ هذا الغريب عوضه ، ولا أخجل الصبيه . ثم تقدمت إلى زوج الصبيه ، وقالت له : يا فتى هل الك فى صبية حسنه جميله ظريفه ، صاحبة قد ونهد قاعد ، وساق وساعد ، تفتن من رآها ولو كان عابد ؟

قال : فصغى إليها الشاب ، وكان فى تلك المده ما فعل شيا ، فقال لهـا : بسم الله ! فمشت قدامه وهو تابعها من زقاق إلى زقاق حتى أوقفته على باب منزله ، وقال فى نفسه : هذه والله عادتها كلما غبت عنها ، وهذه العجوز لا شك أنها تقود عليها ، فداخله أمر عظيم . ثم إنه صبّر نفسه حتى يبصر ما يجرى من العجوز لما صبرت[1] (؟)

أعلمت الصبيه وقالت لها : يا ستى خلينى حتى إنى أمكّنه من الدخول ، فدفعت لها شى . ثم خرجت وقالت له : ادخل ! فدخل وهو ممتزج من الغضب. فلما تحققته زوجته علمت أنها قد وقعت فى بليه عظيمه ، فألهمها إبليس شيخها أنها وثبت ولطمت وجهه ، وخرقت ثيـابه ونتفت دقنه ، فأبهتته بفعلها ، وقالت له : يا فاسق واين العهد والأيمان الذى عاهدتنى عليه أن لا تفعل شيئاً ؟ وقالوا عنك هذا وما صدقت حتى أخبرونى فى هذا اليوم بوصولك ، فأرسلت إليك هذه العجوز ، وأمرتها أن تخدعك فى هذا اليوم ، فأجبتها مسرعاً ونسيت العهد والميثاق !

فدخلت حيلتها عليه وصار يتخدّع لهـا ويراضيها ويقول : والله يا مره ما ظننت إلا أن هذا فعلكى كلما غبت . ولم يزل يلاطفها حتى رضيت وطابت نفسها بتمام الحيلة عليه .

---

(١) العبارة غير مستقيمة .

فانظر أيها الملك إلى هذا المكر الذى يعجز عنه الأبطال . فنهى الملك عن قتل ولده فى ذالك اليوم .

فلما كان

اليوم الخامس

دخلت امرأة الملك ومعها قدح ملان سم وقالت له : يا مولاى إن لم تاخد حق وإلا شربت هذا السم ، أموت ويكون إثمى راجع إليك ، وإن لم تقبل وتسمع منى تندم ، كما ندم الخنزير . قال : كيف كان ؟

(١٢) حكاية الخنزير

فقالت : كان فى قديم الزمان رجلا يضمن الكروم ، وكان يتجر فيها ، ويبيع ويشترى ، والناس تقصده من كل مكان ، لأنه كان يسهل البيع يسهل الشراء . وكان له فى بعض الكروم شجرة تين ، وقد خصها الله بحسن الثمر ، وكان يحبها دون غيرها . وكان يأتى إليها قرد فى كل ليلة ، ويأكل منها مده من الزمان ، إلى يوم من بعض الأيام ، مرّ على ذلك الكرم خنزير فدخل إليه وصار يأكل من أطرافه ، ولا يدخل إليه إلا فى الغلس أو أواخر الليل ، ولا يجسر أن يتوسطه إلا فى السياجات أو عند شجره منقطعه ، وهو فى أهنا عيش وأطيبه ، ويأكل من التين الذى يسقط من الشجر فج أو غير[1] ؟ ؟ إلا أنه أمن على نفسه ، فأقام كذلك برهةً من الزمان . فلما كان فى بعض الأيام دخل إلى الكرم على جارى العاده وكان أيضاً قد انفسد ؟ ؟ على ذالك

---

(١) لعلها : فج أو غير فج .

الكرم قرداً . فالتقا القرد والخنزير ، فترحب القرد للخنزير ، فقال له الخنزير يوماً : أزالك فى هذا المكان . فقال له القرد : أنا من حين كنت صغير وأنا آوى إلى هذا المكان وما رأيتك . فقال له الخنزير : وأنا أيضاً لى زمان ، أتردد إلى هذا المكان ، وما رأيتك إلا هذا الوقت . فقال له القرد : ففى أى مكان تأوى ؟ فقال : فى هذا المكان . فقال : بئس ما كلك لأنك تأكل أنحس التين المدوّد الفج الذى يرميه الهوا . فقال له الخنزير : وأنت غن أين تأكل ؟ فقال : من شجرة تحمل التين الكبار ، وما آكل إلا الذى ينتهى ويحلا ، فآكل المليح وأرمى الخبيث ، فلو صحبتنى استأنست بك وأطعمتك وخدمتك . فقال الخنزير : أخاف أطمع وأصحبك وأدخل إلى أماكن فأغرق فيها فيحسبوا حسابى ، ويقتلونى ويكون الموت جوابى ، وأنت تهرب فى الأودية والروابى . فقال له القرد : أنا ما أقعد إلا على أعلى الأشجار ، وأنظر إلى أقصى البرارى والقفار ، فحين أرا أحد قد قصدنا وهو يجد فى طلبنا أسير إليك ، وأعلمك بمن يقصدك ، من خلفك ومن بين يديك ، فتهرب وتجرى إلى المغاير والكهوف والشقوق ، وما ينالنا مكروه من مخلوق .

وما زال به حتى أخده صحبته ، وقد تمت على الخنزير حيلته ووصل به إلى تلك الشجره ، ثم صعد القرد إلى أعلاها ، وصار القرد يقطف له من أحلاها . وطاب عيش الخنزير ، وقد أكل كثير . فلما على[1] النهار ، تركه الخنزير وسار ، وسلّم عليه وودّعه ووعده أنه يأتى إليه تانى يوم .

قال : وجاء صاحب الكرم سريع إلى عند الشجره ، فرآها قد بقت للناظرين عبره ، تينها العالى قد تمسى فى الأرض ، وقد سقط أكثره بالطول

(١) على : علا أى ارتفع من علا يعلو .

والعرض . فحزن حزن شديد ، ما عليه مزيد . ثم رجع إلى أقاربه وأصحابه ، وشكا لهم الذى جرا له ، قالوا له : هل تعرف من يأديك[*] ؟ فقال : لا والله . فقالوا له : هذا فعل طارى ، ووحش قد أتى من أقصى البرارى . ثم نهظوا[١] فى الحال وقالوا : أرنا المكان ! فمشى قدامهم إلى عند الشجره . فلما عاينوها قلعوا ثيابهم وحفروا حفره طول دارعين ، وسقفوا عليها سقف خفيف وجعلوها مصيدة لذالك الخنزير . ثم مضوا إلى الأولاد ، وقد أيقنوا ببلوغ المراد . فلما مضى النهار وأقبل الليل أتى ذالك الخنزير على عادته ، مسرعاً فى خطوته ، إلى أن وصل إلى الحفره ، وقع (فيها و) اندقت رقبته ومات .

قال : فلما أصبح الصباح ، وأضاء بنوره ولاح ، أقبل صاحب الكرم مع الأصحاب والقرايب ، فرأوا الخنزير فى الحفرة عاطب ، فحمدوا الله وأثنوا عليه ، وذكروا محمداً وصلّوا عليه ، ورجع كل منهم إلى أولاده ، وقد بلغ مراده ، وأشفى فؤاده .

وهذا كله من قلة التدبير ، الذى سمع من القرد حتى وقع فى البير .

قال : فلما سمع الملك كلامها عزم على قتل ولده .

فدخل عليه الوزير الخامس وقبل الأرض بين يديه ، وقال : أيها الملك السعيد ، قد ورد فى الحديث الصحيح : ما كان الرفق فى شى إلا زانه . واعلم أن العجله ليست محموده ، وما حصل الثنا[٢] فى شى إلا وكانت عاقبته إلى سلامه ، ولا تعجل على ولدك ، تندم كما ندم صاحب الكلب . قال : وكيف كان ؟

(*) يأديك : لعلها تعنى من يعاديك أو من يؤذيك .

(١) نهظوا : نهضوا .

(٢) الثنا : التأنى

(١) حكاية صاحب الكلب

فقال الوزير : قيل إن رجلا كان يحب الصيد ، وكان له كلب سلاق يصيد به الوحش ، وكان يحبه حباً شديداً ، وكان له ولد لم يكن شئ أحب إليه منه ، عزيز على قلبه ، وقد شُغف بحبه ، فلما كان فى بعض الأيام مضت زوجته فى حاجة لها وتركت الولد عند أبوه وأوصته به ، وما لبث الرجل بعدها إلا شى يسير حتى أقبل إليه رسول من عند الملك يطلبه ، فقام معه وترك الكلب عند ولده .

فبينما الكلب رابض عند الصغير إذ أقبلت حية عظيمه نحو الصبى وهو نايم ، وفتحت فاها وقصدته ، فوثب الكلب إليها وقطعها ثلاث قطع . فأقبل الرجل من دار الملك فالتقاه الكلب إلى باب الدار وفمه ملطخ بالدم . فظن الرجل أنه قتل ولده فاضطرب اضطراباً شديداً ، ومن شدة خُلقه سحب السيف وضرب الكلب قتله ، ودخل البيت مسرعاً إلى عند سرير ولده ، وإذا به نايماً والعرق قد كلل جبينه . فتعجب الرجل من ذلك والتفت الرجل إلى عند سرير ولده ، رآ حية عظيمه مقتوله ، فلطم على وجهه ومزق ثيابه ، وندم على استعجاله من حيث لا ينفعه الندم(*) .

فاحذر أيها الملك ولا تعجل ، فما تأنى رجل فى استعجاله إلا كان حازم ، ولا سيما والناقل امرأة لا أمانة لها ولا عقل ، وقد بلغنى عن كيد النساء ومكرهن .

(*) باب الناسك وابن عرس ، بكتاب كليلة ودمنة ، وقد حل الكلب مكان ابن عرس فى الحكاية .

(١٤) حكاية

ذكروا أيها الملك أن شابا ما كان يسمع بامرأة مليحة إلا طلبها ، وراودها عن نفسها ، وأنه في بعض الأيام سمع بامرأة مليحة ، فطلبها إلى موضع الذي هو فيه فلم تأتي له ، فأتى إلى عجوز من جيرانها وقص عليها قصته . فقالت : اذهب فليس لأحد فيها مطمع .

فانصرف عنها وقلبه متعلق بالصبية ، فأقام مدة وهو لا يستطيع الصبر ، فعاد إلى العجوز وشكا إليها ما يقاسي من قلة صبره وعظم محبته ، وقبل يديها وقال : افكري لي في حيلة أصل بها إلى مرادي ، ولكي عندي كلما تختاري . فحنت عليه العجوز وقالت له : اذهب وطهب قلبك ولا بد أن أتحيل عليها بحيلة تبلغ بها مرادك ، فأثني عليها خيراً ودعا لها وغاب عنها مدة ثلاثة أيام ، ورجع إليها فقالت له : طب نفساً وقر عينا ! فإني احتلت لك بحيلة تبلغ بها مرادك . قال : ما هو ؟ فقالت له : اذهب إلى زوج الصبية فإنه بزّاز ، ووصفت له دكانه وقالت : إذا وصلت إليه سلم عليه واجلس علي الدكان ، واشتري منه رداءه الذي على رأسه وأتيني به !

فمضى ذلك الشاب إلى دكان التاجر وسلم عليه ، فترحب به وأجلسه إلى جانبه ، وقال له : هل من حاجة ؟ قال : نعم ! قال : ما هي ؟ قال : ردآ شرب أتردا به . فقام التاجر على حيله وأرواه(١) عدة أردية وهو يقول : ما يعجبني منهم شيء . فقال له : ما يعجبك ؟ قال : الردآ الذى على رأسك . فقال الرجل : بأرويك(٢) أرفع منه وأحسن منه . قال : ما حلى لى إلا الذى على رأسك وقد جتّهنه الله في عيني . قال : فباعه إياه التاجر ، وأخذها في كمه وأتى به إلى

(١) ، (٢) يعنى : أراه ، أريك .

العجوز . فأخذته وأحرقت بشمعه ، وأحرقت فيه ثلاث أربع مواضع ، وقالت له : امضى فقد قضيت حاجتك .

فمضى الرجل إلى منزله وقد تعلق قلبه بالصبية ، ثم قامت العجوز النحس وأخذت الردا ومضت إلى بيت التاجر ودخلت عند امرأته فرحبت بها وقدمت لها شيء للأكل ، فأكلت وتحدثت معها ساعة ، ثم شاغلتها بالحديث وحطت الردا تحت المخدّة من غير علم الصبية ، ثم تشكرت للصبية ، وخرجت إلى بيتها .

ولما كان آخر النهار جاء التاجر إلى منزله وأكل شي ونام على فراشة فرأى شي عالى تحت المخدّة ، فرفع المخدّه ، رأى الردآ الذى أباعه للشاب ، فعظم ذلك عليه وظن أنه صديق زوجته ووسوس له الشيطان وقال فى نفسه : ما أخذ الردا حتى يعلمنى إنه صديق زوجتى ، ثم إنه صاح لزوجته فأتت إليه وما عندها علم بما جرا ، فقال لها : البسى إيزارك وامضى إلى عند اهلكى ! ففعلت ما قال لها ، ثم أوصلها ورجع إلى داره حزيناً باكياً .

وأما العجوز — لا ختم الله لها بخير — قعدت خمسة أيام وأتت إلى ذلك الشاب وقالت له : لا تخرج اليوم من بيتك ، فإنى اليوم أجيب لك الصبية . ثم قامت من وقتها وأتت إلى بيت أم الصبية ودقت الباب ففتحت لها ؛ فدخلت وسلمت عليهم ، فترحبوا بها وسلمت على زوجة التاجر فقالت : أتيت إلى بيتك رأيته مسكّر وما فيه أحد وبقى خاطرى عندك . فبكت الصبية وقالت: يا ستى إن زوجى أخرجنى بغير ذنب ، واحكت ما جرا لها معه ، وقالت : مرادي أعرف إيش ذنبى وخروجى ، فهل عندكِ مخرج ؟ قالت : شاورى أمك وتعالى معى ، هونى منجّم ما فى الوقت مثله ، الحمد لله الذى عرفتينى

يا مسكينة ! فإن اخترتى خليته يبين لك ما جرا ، وأرجو الله إن حاجتك تقضى وضمانها علىّ .

قال : فشاورت أمها وخرجت معها ولا زالت بها إلى منزل الشاب . فلما رآها طار عقله من الفرح ، ثم قالت له العجوز : اعلم أن هذه عندى أعز من ولدى ، وأشتهى أن تنجّم لها وتعرفها إيش سبب خروجها من بيتها وحلاوتك عندى . فبقى يقلب فى الدفاتر ، ثم إن العجوز طلبت ماء تتوضأ ، وخرجت وتركتهم . فقام إليها الشاب وراودها فتمنعت منه ، فغلبها وقوى عليها ، ونال مراده منها . ثم أقبلت العجوز فاستحت الصبية أن تحدثها بما جرا . ثم قال الشاب : فى هذه الليلة أكتب ورقة وأبخرها ، ما تصبح إلا عند زوجها . فقامت الصبية فأخذتها العجوز وأتت بها إلى مكان أمها . ثم جاءت إلى الشاب وقالت : قد أسأنا إلى الصبية ، فقوم بنا نصالح بينها وبين زوجها ، فقال الشاب : وكيف نعمل ؟ فضحكت وقالت له : إذا أصبحت امضى إلى دكان التاجر زوج المرأة ، واعلم أنه إذا أبصرك عبس وجهه ، فلا تتوهم بل اقعد عنده ولا تروى فى العند عند(1) ، بل اقعد ولا تقول إن عندك خبر ، فإذا أنا جزت من على الدكان فحال ما ترانى اتعلق بى ، واضربنى وقول : يا عجوز النحس أنا أعطيكى ردا ترفيه فى مدة سبعة أيام فتأخذيه وما تعودى تروينى روحكى أو كأنك طمعتى فيه ، والله ما أفارقك ، إلى(*) بيت الحاكم أو تجيبى لى الردا ! وبعد هذا اسمع جوابى !

قال المؤلف : ثم خرج الرجل متوجها من منزله إلى ذلك التاجر فسلم عليه والتاجر لا يرد عليه السلام ولا يتكلم بكلمه واحده لما فى قلبه منه ، فما لبث

---

(1) لعل المقصود بعبارة (ولا تروى . . .) لا تعبس كما يعبس ولا تحاشنه .

(*) إلى : لعله يريد : إلا إلى .

غير قليل حتى أقبلت العجوز ، فلما رآها الشاب تعلق بها وشق إيزارها ، وقال لها : يا عجوز النحس أخذتى الردا منى وتروحى إنك ترفيه لى وتغيبى به وما تعودى ترويني وجهك ! وبقى يعيط مثل ما علّمته ويصرخ فيها ، فوقف الناس وقالوا : إيش الخبر يا عجوز ؟ هذا الكلام الذى يقوله عنكى هذا الرجل صحيح ؟ قالت : نعم إلا يا جماعة الخير اسمعوا كلامى ! قالوا لها : قولى ! قالت : اعلموا أنى لما أخذت الردا منه حتى أرفيه عند ولدى ، دخلت إلى دار فلان ودار فلان ودار سيدى هذا التاجر ، ونسيته وما ذكرته إلى(*) بعد ثلاثة أيام ودورت عليه ، وما أعلم أين وقع منى ، أفى السوق أو أخده أحداً منى أو نسيته فى بيت من البيوت ، ومالى منه خبر وأنا دايره عليه ، فمن إحسانه يمهّل علىّ ثلاثة أيام أخَر ؛ فإن وجدته كان وإلا غرمت حقه ، ولا قوة إلا بالله .

فلما سمع التاجر كلام العجوز زال ما عنده وقال : لا إله إلاّ الله ، صدق الله العظيم : إن بعضَ الظّنّ إثم(١) . الحمد لله الذى كانت العاقبة إلى خير ، والله لقد ظلمت زوجتى فلا جعل الله فى هذا الردا بركه . ثم قال : يا عجوز احمدى الله تعالى فإن الردا عندى ، وأتى به وفتحه فوجد فيه حرق النار فاطمأن قلبه ، وأخذ الفتا رداه ومضت العجوز إلى منزلها ، وذهب التاجر إلى عند والد زوجته وزوجته وصالحهم ورد زوجته إلى منزلها .

فانظر أيها الملك إلى هذا المكر والخداع الذى يعجز عنه إبليس ، ويحير فيه كل عاقل وريس ! قال : فلما سمع الملك هذا الكلام رجع عن قتل ولده فى ذالك اليوم . قال : فلما كان

(*) إلى : إلا .

(١) سورة الحجرات الآية ١٢ .

اليوم السادس

دخلت امرأة الملك وقالت : يا مولاى إلى كم تؤخر قتل ولدك ولى مده باسعى فى مصلحتك ومنفعتك ، وأنت ما تاخذ كلامى بقبول ، وإن لم تسمع ما أقول تندم كما ندم الزحلف مع القرد . فقال : وكيف كان حديثه ؟

(١٥) حكاية الزحلف مع القرد

قالت : يا ملك الزمان ، قيل إنه كان على جانب البحر جزيره ، وكان فيها أشجار وأنهار وأطيار ، يسبحوا الله الواحد القهار . وكان يأوى إليها فى بعض أشجارها قرد يأكل من جميع ثمارها ، ويشرب من أنهارها .

فلما كان فى بعض الأيام وهو جالس فى شجره يأكل من ثمرها فلقى زحلف تحت الشجره وكل ما وقع شىء من ذلك الشجره يأكل الزحلف . فحزن القرد عليه ، وقال له : كم لك تتردد إلى هذا المكان ؟ فقال : مده كثيره . فقال له القرد : ما رأيتك ، ولو رأيتك كنت أطعمتك من أحسن ثمارها فإنى رأيتك مسكين عاجز ما تاكل إلا من الذى يقع من الفنج والمدود والتالف . فجزاه الزحلف خيراً وأثنى عليه وقال : يا سيدى انزل إلىّ حتى أتوانس بك وتصحبنى وأحدثك وتحدثنى . فأثنى عليه خيراً .

ونزل القرد إلى عنده ، وتوانسا وجلسا يتحادثان ويتماشيان من أول الجزيره إلى آخرها ، كلما مر القرد على شجرة مليحة طلع إليها وا رما له أطيب ما فيها وأطعم لصديقه الزحلف . وما زالوا كذلك إلى آخر النهار ، ورجعوا إلى الشجرة الأولية الذى تعارفوا تحتها ، ثم سأله القرد فقال : هل لك أهل تلم إليهم ؟ قال : نعم زوجه وأولاد . فقال له القرد : سر إليهم وسلم عليهم ! فقال له

الزحلف : والله إنى لقد ألفت بك وبصحبتك وما بقى يهون علىّ أن أفارقك، ثم جلس عنده وكان ليلة مقمرة ، وبقوا يتحدثوا إلى نصف الليل ، ثم ودع الزحلف لصاحبه القرد.ومضى إلى أهله ، فسألوه عن إبطائه فحدثهم بحديث القرد وكيف صاحبه وأحسن إليه وكيف ألف به وما صدق متى تصبح الصباح وودع أهله وراح إلى تلك الجزيرة ، فوجد صاحبه القرد فى الانتظار فأقبل عليه وسلم كل منهما على صاحبه، وقاما تمشيا تحت تلك الشجره والأشجار ؟ ؟ ، وبقى القرد كلما رآ ثمرة مليحة يقطفها ويطعمها للزحلف ، وما زالوا كذلك إلى آخر النهار ، ثم جلسوا يتحدثوا إلى نصف الليل ، طلع نجم سهيل ، فاستأذن الزحلف الرواح إلى أهله ، فأذن له القرد . قال : فسار الزحلف ؛ باجتهاد حتى دخل على أولاده .

وما زال القرد والزحلف على هذه الحال إلى بعض الليالى جلست امرأة الزحلف مع أمها وشكت إليها ما تجده منه فقالت لها : يا أماه من حين صاحب القرد تركنا وما بقى يأوى إلينا ، فعظم ذلك على أمها وقالت : وحق مالك الملك لأعملن على القرد حيلة وأى حيلة وأرميه فى المهالك !

ثم قالت : يا بنيه إذا جآ زوجك فى هذه الليلة فاظهرى له إن قلبك يتوجعك وقد تار عليكى فى غيبته وابكى عليه بكا من هى متوجعة وقولى : أنا لك مطاوعة وقد وقعت فى هذا الضعف الثقيل ، فما لك على دواى من سبيل ، فإذا قال لكى ما دواكى حتى أتيكى به ؟ فقولى له : قد وصفوا لى قلب قرد تمام ، وقالوا لى : إن عجزتى عنه تكاثرت عليكى الهموم والأحزان ، ولا تزالى عليه حتى يقضى مرادك . قال : فحصل لها من الفرح والسرور ، مالم يحصل لها فى ساير الدهور .

قال المؤلف : فلما قدم زوجها من عند صديقه القرد ألقت جنبها إلى الأرض

بوقوت الأنين وبكت وتأوهت ، فتقدم إليها وبكى عندها وقال لها : ما الذى أصابكى ، وأى شىء هابكى ؟ قالت له : يا سيدى يا حبيب قلبى بقيت تغيب عنى فصرت إذا سمعت أذنى شيآ يزعجنى لأنى وحدى قاعده وما عندى موانسه ولا من يشاغلنى ، فبقى قلبى كلما حس بشىء يخفق خفقان فتولد فيه وجع شديد ، ما عليه مزيد ، وقد عاينت البارحة الموت وما أظن إلا أنه قد حان حينى وقد دنت وفاتى ..

فانجعز[1] لقولها وبكى واشتكى وقال: إيش تختارى يامن حبها قلبى؟ قولى لى إيش دواكى حتى آتيكى به ولو كان فى أقصى اليمين . قالت له : وصفوا لى قلب قرد وإن لم آكله أموت ، لأنه دواى ، ومرادى وفيه شفاى . قال : فلما سمع زوجها ذالك عظم عليه وتمنى موتها ولم يستطع أن يجيب كلامها ، وخرج من عندها غضبان ، وراح قعد عند الجيران ، حزين حيران . فلما كان غير قليل حتى جات أمها ، فلما رأتها أظهرت البكا والعويل ودخلت إلى جيرانها ، وأبدت أحزانها ، ولما رأت صهرها غليت عليه ، وبكت بين يديه ، وقالت : هكذا تكون نخوة الرجال ، تخير قرد على الأهل والعيال ، أف على من يفعل هذا الفعال ، وجمعت عليه كل مرة فى الحارة وبقوا يعنفوه الذى يعرفوه والذى لا يعرفوه . ومازالوا عليه بالكلام والملام ، حتى لان وقال: أنا آتيكم به فى هذه الأيام ، فقاموا الجميع مستبشرين ، ولما وعدهم به منتظرين .

قال : فلما جاء وقت مسيره إلى صديقه القرد قام من وقته مسرعا ، وقلبه على صديقه موجعاً ، فلما قدم عليه ، وجلس بين يديه ، فأظهر له محبته وحسن صحبته وقال له : يا سيدى ويا أعز الأصحاب لى ، عندك مدة وأنت توصلنى الإحسان وتورينى كل عجيبة فى هذا المكان ، فلما كنت البارحة نايم مكانى وتذكرت ما مضى من أيامى ، فذكرت أنى كنت فى أيام شبوبيتى آوى إلى

---

(١) أى : فانزعج .

جزيرة فى ذالك الجانب ، وكنت أنظر فيها من العجايب والغرايب ألوان ، يجيبى؟؟ كل إنسان من الفواكه صنوان وغير صنوان ، فاخترت أن أصحبك إلى هذا المكان وتنظر إلى أنهار وأطيار ، تسبح لله الواحد القهار . فتعجب القرد من حسن كلامه وقال: كيف أصل إلى ذالك المكان ، بينى وبينه بحر طوفان؟ فقال له الزحلف وهو فرحان : إذا رأيتنى وقد نزلت إلى الماء فاطلع على ظهرى واجلس بإمكان ، فأنا أقطع البحر الزاخر ، من الأول إلى الآخر ، وأمر بك على جزاير تحير أهل العقول والبصاير .

قال : فلما سمع القرد منه هذا الأخبار صغى إليه وسمع ما أشار به ، ثم قال له : سر أمامى ! فسار بين يديه والزحلف مسرور بالقرد الذى تمت الحيلة عليه ، ثم نزل الزحلف وركب القرد على ظهره وجعل يقطع به الموج ويسلك به الوسط حتى توسط البحر فوقف وقد ذكر ما أردا إليه القرد من الإحسان ، فحار فى أمره بسبب صحبته والذى أصاب القرد من صحبته والذى أصابه من ضعف زوجته .

فقال الزحلف للقرد : تعرف لأى شىء جيتك إلى هذا المكان؟ فقال له القرد وقد خاف : لا . فقال الزحلف: والله ليس الأمر كما قلت لك وإنما زوجتى أوجعها قلبها، وزاد كربها، فوصفوا لها قلب قرد يشفى ألمها ويعافيها من سقمها. قال : فلما سمع القرد هذا الكلام طار قلبه من الفزع ، ثم ضحك وقال وهو يخدع الزحلف : غاب صوابك ، وضاع حسابك ، أما تعلم أن قلبى معلق بالشجرة الذى عرفتك تحتها ، فلو أعلمتنى قصتك ، كنت قضيت حاجتك ، وكنت جبت قلبى معى . فقال له الزحلف وقد انطلا عليه كلامه حقيق : يا أخى تقول إن قلبك غايب ؟ فقال القرد : أى وحق من أجرا البحار ، ورفع السمآ وأوقد فيها مهرجان الفلك الدوار ، وأظهر فيها علامات وتشعشع بالأنوار ، إن قلبى

فى الشجرة التى صحبتك عندها ، فارجع حتى أعطيك قلبى تقضى به حاجتك ، وترضى به زوجتك !

قال : فرجع الزحلف وهو يعتقد أن كلام القرد صحيح وأن فعله مليح ، وما زال به حتى وصل إلى جنب الساحل فهمز القرد من علا ظهره على جنب البر وقد حصل له الفرح والسرور والغبطة والحبور ، وقال له : يا أرذل الحيوان ، وأنحس من انتسب إلى الإخوان ، جازيت الإحسان بالقبيح، ارجع من حيث أتيت ، فلا حاجتك قضيت ولا على صديقك أبقيت* .

وأنا أرجو أن ينصرنى الله على وزرايك كما نصر القرد على الزحلف ، قال : فلما سمع الملك ذالك أمر بقتل ولده .

فجاء الوزير السادس ودخل على الملك وقبل الأرض بين يديه وقال له : اعلم أيها الملك إن هذا ولدك ما فتح الله عليك به إلا بعد جهد جهيد وسؤال وتضرع ، وقد أهملت أمره لأجل امرأة لا عقل لها ولا دين ، ومتى فعلت ذالك ندمت كما ندم الحمام . قال الملك : وكيف كان ؟

(١٦) حديث الحمام

قال : زعموا أيها الملك أن طيرين حمام أنثى وذكر كانا يجمعان فى وكرهما قمحاً وشعيراً فامتلأ الوكر فقال الذكر للأنثى : لا تمسى هذا الحب ، ولا تمسى منه شيئاً حتى نقوت به فى الشتا . فقالت له الأنثى : نعم . فلما اشتد الحر

(*) باب القرد والغيلم بكليلة ودمنة .

يبس القمح وانظم[1] . فأتا الذكر يوماً فوجده نقص ، فقال للأنثى : أما نهيتكى أنى لا تمسيه ؟ فخلفت له فلم يصدقها ، ولم يزل ينقرها إلى أن ماتت ، وبقى منفرداً . فلما دخل عليه الشتا سمن الحب ، وامتلا الوكر كما كان ، فلما رآه ذكر الحمام على هذه الحاله علم أنه قتل الأنثى ظلم ، فندم حيث لا ينفعه الندم وصار ينوح عليها فى كل مكان[*] .

وأنا أخاف أيها الملك أن يجرا عليك مثل ما جرا له فتندم كما ندم الحمام ، وقد بلغنى عن مكر النسآ .

حكايه (١٧)

قيل : إن رجلا تزوج بامرأة فصمت له فى بعض الأيام طعاماً بلحم دجاج وحطته فى سله وحملته إلى زوجها . فلما كان[2] فى نصف الطريق وقع عليه[3] سبعة أنفار من أطراف الناس ، وكانت ذات حسن وجمال ، فحملوها وعبروا بها إلى موضع خالى ، ونالوا منها ما أرادوا وأكلوا ما كان معها فى السله ، وكان فيهم واحد يصنع الصور ، ويمثل صور مثل صورة الوحش والطير وغيره . فأخذ حلوا وصنع فيها صورة فيل ووضعه فى السله بغير علمها .

ولما أتت إلى زوجها وكشف السله وإذا صفة تمثال الفيل فيها ، فقال زوجها : ما هذا ؟ فقالت على الفور من غير توقف : رأيت فى النوم البارحة

---

(١) وانظم : وانضم .

(*) هذه الحكاية مذكورة فى باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت ، بكليلة ودمنة .

(٢) كانت .

(٣) عليه : عليها .

فيلا يا كلك ، فقسرته على المفسرين ، فقالوا لى : اصنعى له فيلا من حلاوه ودعيه يأكله يزول عنه القطع . فأعجب زوجها ذالك ، وظن أنها صادقه وأكله(*) .

فانظر أيها الملك كيف احتالت بهذه الحيله وما حكت ولا ذنها[1] (؟) ولا توهمت ، واعلم أن كلما تقوله النسوان ، زور وبهتان ، فلما سمع الملك ذالك وخّر[2] عن قتل ولده .

فلما كان

اليوم السابع

أقبلت المرأة وقالت : إن لم أقتل هذا الولد هذا اليوم قبل أن يتكلم وإلا فضحنى وعمل على قتلى ، ثم عمدت إلى كل شى كان معها فتصدقت به ، وأمرت أن يشتروا لها حطب كثير ، فاشتروا ووضعته فى النار ، وجات تلقى نفسها فيه ، فسمع الملك ، فقال : أدركوها قبل أن تحرق نفسها ! ثم أمر بقتل ولده .

فجا الوزير السابع ودخل على الملك وقال : أيها الملك تقتل ولدك من أجل امرأة كاذبه ، وقد بلغنى عن مكرهن وكيدهن

(*) هذه الحكاية لا توجد فى كتاب « سندباد نامه » الفارسى .

(١) وما حكت ولا ذنها ، وهذه العلامة (؟) فى أصل الكتاب .

(٢) وخّر : أخر .

(١٨) حكايه

أن رجلا قال : لا أتزوج حتى أكتب مكر النساء وحيلهن . فقالوا له الرجال : ما تقدر على ذالك ولا تقدر تجمع جزأ من أربعة وعشرين جزأ من مكرهن وحيلهن ، فإن البارى جل وعلا استعظم كيدهن . فقال : أكتب طاقتى .

ثم سار فى المداين والبلدان والفيافى والقفار يكتب حيل النسوان حتى سار سفراً عظيما ، وأقبل راجعاً وقد ظن أنه أدرك شيا كثيراً . فبينما هو مار فى بعض الطرقات رآ حيا من حى العرب فاستظافهم[1] فأضافه أميرهم وأجلسه فى مجلس الضيافة ، وشرع يحادثه ويوانسه ويسأله من أين أقبل ، وفى أى سبب كان . فذكر أنه أقبل من بلاد كدى وكدى[2] ، وأن أهله سألوه فى الزواج ، فحلف إنه ما يتزوج حتى يدور جميع القرا والمدن والبلدان ، ويكتب حيل النسوان . ثم إنه سافر جميع البلدان ، وكتب جميع حيل النسوان ، وهو راجع إلى أهله يريد الزواج ، وإنه ما بقى يخفى عليه حيله من حيلهن . فقال له أمير ذالك الحى : إنك ما تدرك قيراط من حيلهن ، لأن الله سبحانه وتعالى قال : إن كيدكن عظيم[3] .

ثم أمر زوجته أن تكرم مثواه ، لأنه قد ضاقت أممامه لبعد سفره . ثم إنه أدخله إلى عند زوجته ، وتوجه الأمير إلى عند عشيرته ، فتقدمت الأميره وحادثته وأطعمته أطيب الطعام وأحسنت إليه ، فحدثها ما كان هو

---

(١) فاستظافهم : فاستضافهم .
(٢) كدى وكدى : كذا وكذا .
(٣) سورة يوسف الآية ٢٨ .

فيه من جمع مكر النسآ ، فتبسمت ثم قالت في نفسها : والله لاعمل عليه حيله ليست في كتبه الذي جمعها . ثم إنها تبسمت في وجهه وضحكت وقهقهت وقالت : يا خينكم (؟) يا حضر يا تكتموا السر ؟ فقال لها : نعم أنا أكتم سرك ولا أظهر أمرك ، فقالت له : إن زوجي هذا أمير هذا الحي وإنه ابن عمي وهو شيخ كبير قليل القوا من كل جهة وأنا امرأة شابه كما تراني وكثيرة الغلمة وأريد أن يكون لي ولد ولا أقدر أن أسلم نفسي لأحد من قومي خوف العار ، وقد نظرك قلبي وحبك فهل لك أن تكون لي صديقاً وأكون لك موافقه وترا مني مالم رأيته من نساء الحضريات من ظيقة[1] فرج وسخونة ونعومه وضنعة غناج غير زيكم، ثم مدت سيقانها، وكشفت عنهم فتحركت شهوة الرجل عليه، لما رآ حسنها وجمالها فقال لها : نعم ، ثم مكنته من نفسها حتى دخل بين ساقيها وقام ذكره قياماً جيداً وهم بها فجمعت رجليها ورفسته فألقته على ظهره وصرخت عليه ، فنشف تحف (؟) مخه وخاف وبقى نايم وذكره مطوطر وغمى عليه من خوفه ، فسمع زوجها الصرخة فقامت مسرعة وأقعدته ورشت عليه ماء ، ودخل زوجها فوجدها على تلك الحالة ، فسألها عن سبب ذلك ، فقالت : يا مولاي هذا ضيفنا كأنه جيعان ، وقد أكل وشرهت نفسه وكبر اللقمة فغص وخفت أن يموت ، ثم إنه قال لها : يا مره أطعميه برفق ولا تستعجلي وخرج من عندها متبسما .

وأقبلت هي على الضيف وقالت له : أنت سافرت البلاد ، وعاشرت العباد ، وأنفقت مالا كثيراً حتى كتبت حيل النسآ ، فهل كتبت هذه الماجريه في كتبك أو اطلعت عليها ؟ فقال : لا ، فقالت له : والله ما أنا صاحبة غلمه

---

(١) ظيقة : ضيقة .

ولا بخيانة ولا فعلت ذلك إلا لما رأيتك تحكى ما عملت فعرفتك إنك ماتدرك شيا من مكر النسآء ، قال ثم إن الرجل خرج من عندها راجعاً إلى أهله تايباً عن فعله .

فانظر أيها الملك إذا كان هذا فعل الخيرات فكيف فعل الخاينات ؟ وما حدثتك أيها الملك بهذا الحديث إلا لتعلم أن مكر النسآ عظيم ، فنها الملك عن قتل ولده .

تكلم ابن الملك

قال : فلما أصبح الصباح تكلم ابن الملك وقال : الحمد لله ! ثم قال ابن الملك لجارية كانت تخدمه لأجل طعامه وشرابه فى تلك سبعة أيام : انطلقى إلى الوزير الكبير وادعيه إلىّ . قال : فلما سمعت الجارية كلامه راحت إلى الوزير وقالت له : إن ابن الملك يدعوك إليه . قال : فقام من فرحته مسرعاً فى خطوته ، فلما رآه اعتنقه ثم قال له : يا سيدى ما الذى منعك عن الكلام ، فى هذه الأيام ؟ فقال له : منعنى وصية معلمى الحكيم السندباد ، أما المرأة الذى كذبت على فكان من أمرى أنها دعتنى إلى نفسها ، أبيت عنها وما طاوعتها ونسيت وصية معلمى السندباد ، وقلت : والله إذا مضت السبعة أيام لأقتلنكى أشر قتله ، فلما قلت لها ذالك احتالت على قتلى والله نجانى من كيدها .

قال : فلما سمع الوزير ذالك فرح فرحاً شديداً وبادر إلى الملك ، وقال : أبشر يا ملك الزمان ، فإن ولدك قد تكلم وقد أعلمنى عن السبب الذى منعه عن الكلام . قال : ففرح الملك وقال : إتونى به ! قال : فجىء به ، فلما رآه الملك اعتنقه وبكا وقال له : يا ولدى ما الذى منعك عن الكلام فى هذه

السبعة أيام ؟ فقال : منعنى وصية معلى السندباد أن لا أتكلم فى السبعة أيام ولو أن فيها حتفى .

ثم قص عليه قصته مع الجاريه وأنها كلمته وأوعدها بالقتل ففعلت ما فعلت فأثنى عليه الملك خيرا ، ثم إن الملك جمع العلما والحكما والوزرا وأخبرهم قصة ولده ، وأحضر السندباد فقال له الملك : ما حملك على هذا ؟ فقال : أخذت طالع ولدك لما طلبته أن يحضر ، فظهر فى طالعه أن عليه قطع إلى سبعة أيام وإن تكلم فيها كان حتفه فيها ، فشق ذالك على وخشيت أن أخبرك بذالك ما تحملنى على الصدق ، فأوصيته أن لا يتكلم حتى تنقضى السبعة أيام ، فإنى علمت أن ولدك ما يقتل فيها سيما وعندك هاولاى الوزرا . فقال الملك : الحمد لله الذى حفظ على ولدى .

ثم إن الملك خلع على الوزرا ، وقال لولده : كل فرحتى بك أن تسمعنى مما علمك الله ، قال : حبا وكرامه ! ثم إن ابن الملك قرا شيا من القرآن ، وأهداه فى صحايفه وصحايف والديه ومن علمه ومن حضره ، ثم ألقى دروس من العلوم والحكم حتى حير عقل السامعين ، وأبهمت الناظرين ، فأقرت العلما والفقها والحكما له بذالك وأجازوه وقالوا : إن ما فى زمانه أعلم منه .

فقال ابن الملك : والله ما علمى بالنسبة إلى علوم هذه السادة الحاضرين إلا كخردلة ، تأدباً معهم ، وإنى سمعت أن غلامين أحدهما عمره ثلاث سنين والآخر عمره خمس سنين وشيخ أعمى وهاولاى الثلاثة أعلم منى . فقال الملك : حدثنى بحديثهم :

(١٩) حكايه

قيل يا ملك إنه كان رجلا لا يسمع بامرأة مليحه إلا طلبها ، وإنه سمع بامرأة جميله فطلبها ، فلم يقدر عليها ولم تطاوعه ، فلم يزل يحتال عليها بالعجايز ، ونايحات الجنايز ، حتى توصل ودخل عليها فى بيتها ، فلم قدرت المرأة تتكلم وخافت الفضيحه ، وكان لها ولد عمره ثلاث سنين ، فقالت المرأه : دعنى أصنع لولدى طعاماً ويأكله فإنه جيعان . فقال الرجل : حتى نقضى شغلنا . فقالت : لا والله فإن هذا الصغير له شأن ومعامله مع الله سبحانه وتعالى ، وما أمكنك من نفسى حتى أقضى حاجة ولدى . فتركها فقامت من وقتها وطبخت أرزاً ، فلما استوا غرفته ووضعته قدام الولد الصغير ، فقال لها : ما يكفينى فزيدينى ! فزادته أمه ، فبكى وقال : هذا أيضاً ما يكفينى ولكن اعملى لى عليه سكراً وسمن ، فعملت ما قال ، فبكى وقال : أريد تكثرى لى السمن والسكر ! فزادته فبكىّ . فقال الرجل : ويلك يا صبى ما رأيت أحمق منك . قال الصبى : بلا والله ثمّ من هو أحمق منى وأقل عقلا ؟ قال : من هو يا غلام ؟ قال : الذى خرج من بيته فى طلب الزنا وأنفق ماله وعنده ما يكفيه حلالا ، وهو لا يشبع منه ويضرّه ولا ينفعه ، ويحك وما الذى رأيت من حمقى هل زادنى بكاى إلا خير ؟ الدموع تخرج من عينى فتصحها وتنفعها ، والذى يخرج من أنفى يصح به راسى ، وما زادنى بكاى إلا أرز وسمن وسكر ، وكان قليل فبقى كثير !

قال : فعلم الرجل أن كلام الصبى كلام عاقل وموعظه ، فقام إليه وقبل راسه وتاب عما كان عليه من الزنا .

قال : فلما سمع الملك كلام ولده فرح فرحاً شديداً وأثنى عليه خير والحاضرين.

(٢٠) حكايه

فقال ابن الملك : وأما حديث ابن الخمس سنين ذكروا أن ثلاثة أنفس اشتركوا في بضاعه ، فسافروا جميعاً فقدموا على مدينه ، ولم يكن لهم فيها معرفة ، فنزلوا عند امرأة عجوز ، ودفعوا إليها أموالهم وقالوا : لا تعطى لأحد منا شيا من هذا المال حتى نكون ثلاثتنا حاضرين .

ثم إنهم دخلوا إلي حمام يتغسلوا فطلبوا مشطاً كان معهم ففقدوه ، وأرسلوا واحداً منهم يفتش عليه ، فدخل إلى العجوز وقال : ادفعي لى المال ! فدفعته إليه فأخذ المال ومضى ، ونسيت وصية أصحابه . فجاءوا أصحابه من الحمام إلى العجوز ، وسألوا عن رفيقهم ، فقالت لهم : جا إلىّ وأخذ المال ومضى . فقالا لها : نحن ما قلنا لكى لا تعطى لأحد منا شيا حتى نحضر جميعنا ؟ فقالت : أنا ما سمعت هذا الكلام .

فرفعوها إلى القاضى وادعوا عليها بالمال ، فاعترفت فألزمها القاضى به ورسم عليها ، فخرجت وهى تبكى ، فلقيها الصبي فقال لها : ما بالك يا عجوز ؟ فقالت : دعنى من كلامك ! فألحّ عليها ، فأخبرته القصه ، فقال الصبي : تجلّينى وأنا أخلصك ؟ قالت : نعم . قال : ارجعي إلي القاضى واعترفى بالمال إنه عندكى ، ولكنهم وصونى أن لا أعطي لأحد منهم شيا إلا بحضرة رفاقه ، يحضروا الثلاثه حتى أدفع لهم المال .

قال : ففعلت ما وصاها الصبي فخلصت ، وهو صبى ابن خمس سنين .

(٢١) حكايه

وأما الشيخ الأعمى ، قيل إنه كان مغفلا ، وكان معه بضاعه ، فسافر بها ودخل إلى بعض البلاد ، وكان فيها قوماً عيارين ، فجاءوا إليه وقلبوا بضاعته فأوكسوها فى عينه ثم بايعوه عليها ، واشتروها منه بملو صاع إن اشتهى ذهباً أو لؤلؤا أو معدّن أو أىّ شى أختار ، وأشهدوا عليه بذلك .

وانطلق يأتى بالصاع ، فلقيه بعض التجار فعرفه وسلم عليه ، وسأله الرجل عن بضاعته ، فأخبره بها وأنه أباعها بصاع جوهر أو بما اختار . فعنفه الرجل على ذلك وقال له : إن بضاعتك تساوى مثل هذا أمثال .

فخرج يبكى ، فلقيه رجل أعمى قد طعن فى السن وقال له : مالك يا ولدى ؟ فذكر له الواقعة ، فضحك الأعمى لما أخبره وقال له : أبشر فإن فرحك قريب ! اعمل لى عليك حقاً لى ، فجعل له ماية أشرفى إن خلصتنى ، فقال له الأعمى : خذ معك الصاع وامضى إليهم وقل لهم : املوا لى هذا براغيث سود مناقيرهم حمر وأجنحتهم خضر . فإنهم يعجزوا عن ذلك .

فأخذ الصاع ومضا إليهم ، فقالوا له : ايش تختار ؟ فقال لهم : املوا لى هذا الصاع براغيث سود بمناقير حمر وأجنحة خضر وأرجلهم عرج ! فقالوا : خلى هذا المزاح ، واطلب مهما أردت ! فقال : ما أريد إلا ذالك وإلا بينى وبينكم الحاكم .

فدخلوا عليه وسألوه الإقالة . فلم يقبل فزادوه شيا حتى رضى وأخذ مثل المثل أمثال .

* * *

قال المؤلف : فأعجب الملك بحديث[*] ولده ، وقبل عينيه ، ثم أمر بإحضار الجاريه الذى[1] كذبت على ولده .

قال : فلما حضرت قال لها الملك : والك ! ما حملك على ذالك ؟ فقالت : يا مولاى الشيطان والهوى ، وقد أظهر الله تعالى الحق .

فنظر الملك إلى من حوله من الحكما والعلما ، وقال : ما الذى يجب على هذه المرأه ؟

فأوجب كل واحد منهم عليها قصاص يفعل بها ، وابن الملك يسمع ولا يقول شيا . فقال أبوه : ما تقول يا ولدى ؟

فقال : أقول الرأى أن تصفح عنها ، لأن هذا الأمر كان مقدّر علىّ ، وكان علىّ قطع ، فدفع الله عنى بهذا الامرأه[2] ما كان أعظم ، وقال بعض العلما وأهل المعرفة : إذا قدرت على عدوك فاجعل القدرة شكره ، وأنا أشهدكم على أننى قد عفوت عنها .

فقال الملك : وأنا أشهدكم على أننى قد وليت ولدى مكانى وعزلت نفسى . ثم لبسه التاج ، وأجلسه على سرير الملك ، فحكم فى الخلق بالعدل والإنصاف إلى أن جا هادم اللذات والمفرق بين الجماعات .

***

(*) فى الأصل : بحث .

(١) الذى : التى .

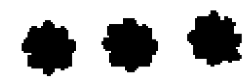
(٢) بهذا الامرأه : بهذه المرأة .

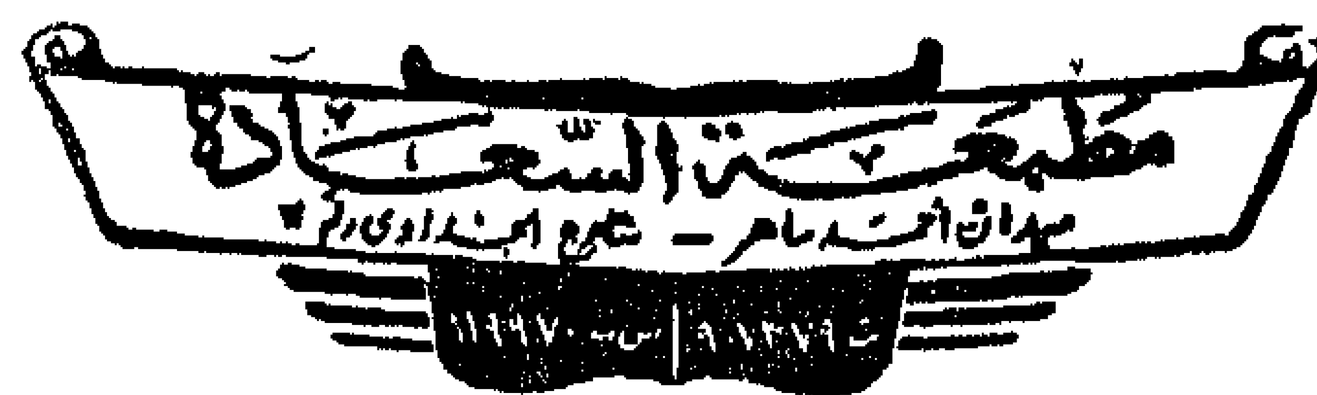
وهذا ما انتهى إلينا من حكاية الملك المتوج وولده والسندباد الحكيم وجارية والده والوزرا السبعة وحكايات كل منهم على التمام والكمال ، ونعوذ بالله من الزلل والنقصان ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكان الفراغ من نسخته فى مستهل صفر الخير من شهور سنة أربعين وتسعماية على يد العبد الفقير إلى الله تعالى الراجى عفو ربه القدير للقبول (؟) قائم ابن عبد الله السيفى آرغون شاه الجلبابى ، تغمدهم بالرحمة والرضوان وأسكنهم فسيح جنته آمين يا رب العالمين .

فهرس الموضوعات

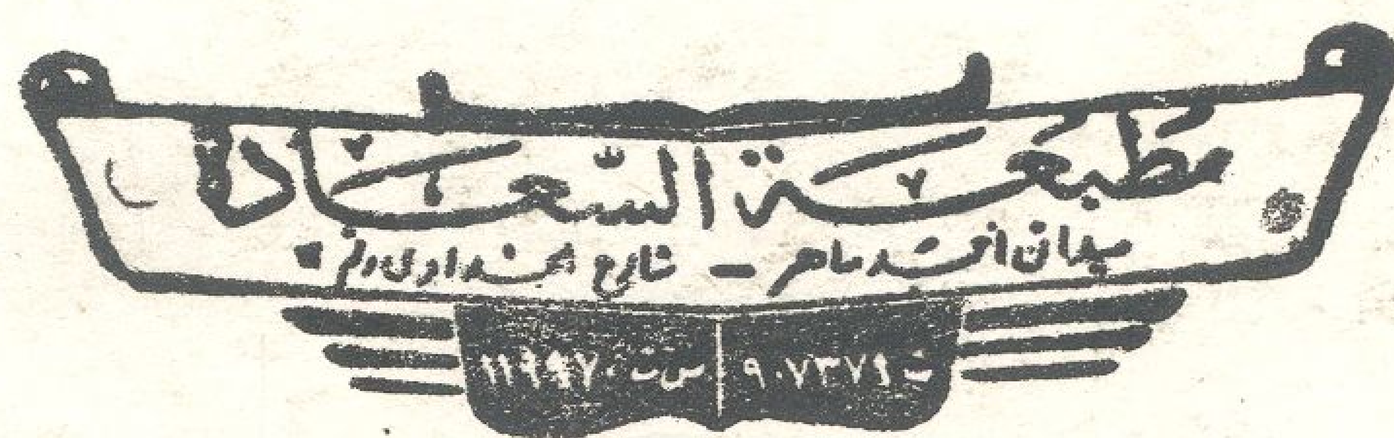
الموضوع	ص





رقم الإيـــداع ٢٠٤٩ / ١٩٧٨

ISBN ٩٧٧ - ٧٠٠١ - ٣٨ -


مطبعة السعادة
ميدان أحمد ماهر – شارع الجداوي رقم ٥
ت ٩٠٧٣٧٩ – س.ت ١١٩٩٤٧٠